



جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ



التواجد الإسلامي في أرمينية

41-271/هـ 661-885م

اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل. م. د)

تخصص التاريخ الوسيط

إشراف الأستاذة:

أ.د زكية كربال

إعداد الطالب:

مصطفى زروق

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
بشار قويدر	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	رئيساً
زكية كربال	أستاذة التعليم العالي	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	مشرفاً ومقرراً
هوارى موسى	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	عضواً مناقشاً
عيساني شفيقة	أستاذة محاضرة أ	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	عضواً مناقشاً
بوعمامة فاطمة	أستاذة التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	عضواً مناقشاً
زروق محمد	أستاذ محاضر أ	جامعة خميس مليانة	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 2023-2024 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا
وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ
بِأَنَّهُ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (84)

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى نبع الحنان والعطف

إلى التي لا يمكن أن تصفها الكلمات، ومهما كتبت عنها فلن
أستطيع أن أوفيها حقّها

المعلمة والأستاذة أمّي الغالية "مريم سالمّة" رحمها الله.

إلى أبي الغالي حفظه الله، الذي أحسن تربيّتي وشجعني على
طلب العلم، منذ نعومة أظفري.

إلى زوجتي وأولادي مريم ويوسف وعائشة.

كلمة شكر وعرفان

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، الذي وفقني لإنجاز هذا البحث، ووهب لي من لذه قوة وعزيمة جعلتني أصبر على تحمل تحديات موضوع الدراسة. أتقدم بالشكر إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة زكية كربال التي صبرت وتحملت عناء الإشراف عليّ طوال خمس سنوات لإنجاز عمل في المستوى المطلوب، وشجعتني وحفزتني وأرشدتني، ومنحتني من وقتها، سواء عبر الهاتف أو اللقاءات الشخصية، وبقية باستمرار تسأل عن مدى تقدم البحث، الذي ساهمت في إخراجه إلى الوجود، من خلال متابعتها للمادة العلمية التي جمعتها، وتصحيح المفاهيم، وإتمام النقائص، وتقديم النصائح والتوجيهات اللازمة.

وأشكر أيضا أستاذنا الدكتور أحمد شريف، الذي كان له بالغ الأثر في توجيهي لاختيار هذا الموضوع.

كما لا يفوتني في هذا المقام أن أوجه شكري إلى الأستاذ الدكتور محمد زرقوق، الذي زودني بالكثير من المصادر والمراجع البالغة الأهمية.

ولا أنسى فضل الدكتور العراقي مصطفى كاظم البغدادي، الذي زودني بالعديد من المراجع القيمة، والأستاذة فاطمة عمران التي ساعدتني في ترجمة الكثير من الأحداث. وكل من قدم لي يد العون من قريب أو بعيد، أسأل الله أن يجزل لهم الثواب في الدنيا والآخرة.

أهم الاختصارات

Ds.	Dans
Enc. Isl.	The Encyclopaedia of Islam
N. A. M.	La Nation Arménienne son passé, ses Malheurs
R . H. C. D. Arm.	Recueil des Historiens des Croisades Documents Arméniens
T. C. Arm.	Trois Conférences sur l'Arménie

شهدت الدولة الإسلامية خلال القرن (1هـ/7م) حركة فتح غير مسبقة، قام بها قادة تشبّعوا بالمبادئ الإسلامية، وارتأوا حمل بذور هذا الدين الحنيف لغرسها خارج حدود شبه الجزيرة العربية. وخلال فترة وجيزة بسط المسلمون سيادتهم على أقاليم جغرافية إستراتيجية في المشرق والمغرب. بيد أن الجيش الإسلامي اصطدم بقوة سياسية وعسكرية ضاربة بجذورها في الشرق بأكمله، وهي إمبراطورية الروم التي بذلت مجهودات مضيئة لمحاولة القضاء على الكيان الإسلامي في مهده.

وفي هذا الصدد يمثل إقليم أرمينية ميدانا مهما للصراع الإسلامي-الرومي، لذلك سعى كل طرف إلى كسب رضا الأرمن لإخضاع الإقليم إلى سيطرته. حيث قام قادة الفتح الإسلامي لأرمينية بنشاطات عسكرية وسياسية أفضت في نهاية المطاف إلى تحويل أرمينية إلى ولاية إسلامية، ومن جهتهم سعى الروم جاهدين لمحاولة استرجاع أرمينية، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، لاسيما وأن الأرمن فضّلوا العيش في ظل الحكم الإسلامي الذي يكفل لهم العديد من الامتيازات، على غرار الحكم الذاتي والحرية الدينية، ورفضوا الخضوع للروم لأنهم مارسوا ضدّهم الاضطهاد المذهبي.

ورغم قبول الأرمن بالحكم الإسلامي إلا أنهم بقوا متمسكين بدينهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ولم ينصهروا في الحضارة الإسلامية، إلا أنهم تفاعلوا معها. ومما لا شك فيه أن احتفاظ الأرمن بهويتهم يعود لأسباب عديدة وعلى رأسها الدوافع التاريخية والدينية، فالعنصر الأرمني جذوره ضاربة في تاريخ المنطقة، التي تنافست عليها العديد من القوى الكبرى عبر التاريخ، وخلال هذه الحقبة كانوا يميلون للطرف الأقوى القادر على حماية هويتهم ومصالحهم.

وبعد اعتناق الأرمن للمسيحية صار لرجال الدين صوت مسموع، استعمل باستمرار لضمان عدم اندماج الأرمن مع أي عنصر آخر، حتى كنيسة القسطنطينية سعت بشتى الطرق إلى احتوائهم، إلا أنهم أسروا على التميّز عنها بمذهبهم وكنيستهم الخاصة بهم.

وبعد استقرار القبائل العربية في إقليم أرمينية حدثا بارزا، إذ أضاف إليها عنصرا آخر تعيش مع الأرمن، وساهم بشكل فعّال في الحفاظ على السلم والأمن وحماية المنطقة من هجمات الأعداء المتربّصين بها، ولاسيما الروم والخزر. غير أن الأرمن حاولوا من حين لآخر الخروج عن السيادة الإسلامية والاستقلال ببلادهم، مستغلين فترات الاضطرابات

الداخلية التي عاشتها الخلافة الإسلامية، ولتحقيق طموحاتهم السياسية كانوا يطلبون مساعدة الروم، لكن هؤلاء الأخيرين اشترطوا انضمام الأرمن إلى مذهب كنيسة القسطنطينية كشرط أساسي لتقديم أي مساعدات عسكرية، فأدرك الأرمن أنهم بين خيارين أحلاهما مرّ، لذلك فضّلوا الانضواء تحت الجناح الإسلامي حفاظاً على هويتهم الدينية.

جدير بالذكر أن الولاة المسلمين على إقليم أرمينية، عملوا على إرساء قواعد تنظيمية جديدة في المنطقة ذات طابع سياسي وإداري، بهدف تثبيت سلطتهم فيها، اعتماداً على الأسر الأرمينية النافذة، لأنهم أدركوا بثاقب بصرهم وبصيرتهم، استحالة السيطرة التامة على الإقليم المذكور أعلاه دون كسب ودّ سكانه، الأمر الذي حتمّ على المسلمين منح الحكم الذاتي لبعض الأسر الأرمينية الكبرى، مع بقائهم تحت عباءة دار الإسلام. ومما لا شك فيك أن المسلمين واجهوا تحدّيات جمّة سعت دون فرض سيادتهم على المنطقة، ولكنهم تمكّنوا من تجاوزها بفضل الحنكة العسكرية والسياسية التي تمتع بها قادة الفتح والولاة على الإقليم.

وقد أثارت هذه الدراسة اهتماماتي البحثية، لما كنت أدرس في السنة الأولى دكتوراه عند الأستاذ أحمد شريفي، الذي نصّحتني بدراسة رصينة تعالج موضوعاً مهماً في تاريخ القارة الآسيوية خلال العصر الوسيط، ووجّهني مباشرة إلى الأستاذ محمد زرقوق والأستاذة زكية كربال بهدف البحث عن موضوع يتناسب مع اهتماماتي، وبعد مناقشة الأمر مع الأستاذين الفاضلين، استهواني كثيراً هذا البحث الذي يتناول صفحة من صفحات التاريخ الإسلامي، ويتعرض إلى إقليم أرمينية في ظل الحكم الإسلامي، إبان حقبة زمنية ذهبية من حقب الأمة الإسلامية، وهي فترة الفتوحات والانتصارات التي حققها المسلمون امتدت على مدى القرنين الأول والثاني الهجريين، السابع والثامن الميلاديين.

وتكمن أهمية تسليط الضوء على هذه الفترة، في إمطة اللثام عن صفحات من التاريخ يرجح أنها لم تأخذ حقها كاملاً، وربما صارت منسية في وقتنا الحالي. خاصة فيما يتعلق بأسباب ونتائج السيادة الإسلامية على إقليم أرمينية، بهدف فهم طبيعة العلاقات الإسلامية-الأرمينية خلال مرحلة مهمّة وحساسة من مراحل التاريخ الإسلامي. وليس من اهتمامات هذه الدراسة الحديث عن العناصر العرقية المجاورة لإقليم أرمينية مثل الروم والكرج والخزر والأذريين، إلا ما كان متعلقاً بالبحث. الأمر الذي تطلّب الإسهاب في سرد الأحداث تارة،

والإطناب فيها تارة أخرى. وفق مقتضيات الدراسة التي توقّفت عند الأحداث المفصلية التي صنعت تاريخ أرمينية في ظل السيادة الإسلامية.

وبناء على ذلك كان عنوان البحث : التواجد الإسلامي في أرمينية 41-271هـ/661-885م، ويبدأ الإطار الزمني للدراسة من سنة 41هـ/661م، وخلالها تمكن الخليفة معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661-679م) من بسط السيادة الإسلامية على إقليم أرمينية، بموجب اتفاقية إسلامية-أرمينية، تمنح لهؤلاء الأخيرين الحكم الذاتي، والحرية في ممارسة شعائرهم الدينية، ونتج عنها عدّة تحولات وتطورات مع مرور الوقت، فضلا عن هجرة العديد من القبائل العربية صوب المنطقة، وتفاعلها الحضاري مع السكان الأصليين.

أما سنة 271هـ/885م التي توقف فيها البحث، فهي تمثل انحسار النفوذ الإسلامي في أرمينية التي دخلت مرحلة الاستقلال الجزئي، بعد اختيار أشوط الأول البقراطي ملكا على إقليم أرمينية من طرف الحاكم العباسي المعتمد (256-279هـ/870-892م)، تماشيا مع التطورات العسكرية والسياسية المعاصرة آنذاك، والمتمثلة في ظهور الحركات المناهضة للخلافة العباسية. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن المسلمين أدركوا ضرورة وجود أرمينية كقوة حاجزة بينهم وبين الروم، ومن جهتهم فضل هؤلاء الأخيرين استعمال سياسة المهادنة ومحاولة استمالة الأرمن لصالحهم. ولذلك منح الأرمن استقلالا مقيّدا بشروط، مكّنهم فيما بعد من استرجاع سيادتهم الكاملة خلال القرن 4هـ/10م.

الإشكالية الأساسية:

ما هي أبرز التطورات والتغيرات السياسية والحضارية التي عرفها إقليم أرمينية في ظل الحكم الإسلامي؟

وتفرعت عنها التساؤلات التالية:

- لماذا ظل هذا الإقليم رديحا من الزمن محل تنافس بين القوى الكبرى؟ وكيف نجح قادة الفتح الإسلامي في إلحاق هذه المنطقة بدار الإسلام ؟
- ما هي أهم التحولات السياسية والاجتماعية التي عرفت أرمينية تحت السيادة الإسلامية ؟
- هل حافظ المسلمون على النظام الإداري الموجود في أرمينية ؟ أم عملوا على إنشاء مؤسسات تتلاءم مع متطلبات الدولة الإسلامية ؟

- ما هي أهم المشاكل التي واجهها الحكم الإسلامي في المنطقة ؟ وكيف تخلص ولاّة أرمينية منها ؟

- ما مدى صحة الروايات الأرمينية المعاصرة للفترة قيد الدراسة، والتي تتحدث عن ممارسة المسلمين للإبادة الجماعية في حق الأرمن وإجبار بعضهم على اعتناق الإسلام، وتهديم الكنائس، و إفلاس الأرمن نتيجة كثرة الضرائب، في مقابل نصوص أخرى تقرّ بمنح المسلمين للأرمن حرية العبادة، وتصف الازدهار الاقتصادي لأرمينيا إبان الفتح الإسلامي ؟

- كيف تطورت العلاقة الأرمينية الإسلامية خلال الفترة المذكورة ؟ هل كانت كلها أمناً وسلاماً أم تخلّلتها نزاعات وثورات ؟ ألم يكن للخلاف الديني والعنقي أثر على تلك العلاقات ؟ وما هي انعكاسات الواقع السياسي على التطور الحضاري لأرمينيا خلال الحكم الإسلامي؟

دوافع اختيار الموضوع

هناك عدة دوافع حفّزتني لاختيار هذا البحث ومن أبرزها، توصيات الأستاذ الدكتور أحمد شريقي، غير أنّي قابلته برفض قاطع في بداية الأمر، نظراً لميولاتي البحثية نحو تاريخ المغرب الإسلامي، وفي تلك الفترة كنت بصدد جمع المادة العلمية اللازمة لإنجاز موضوع حول الزراعة الصحراوية في المغرب الإسلامي، زيادة على ذلك كيف لي أن أغامر باختيار موضوع أجهل لغة العديد من أصوله، وأترك دراسة تواكب البحث الذي قمت به في مرحلة الماجستير. بيد أن رأيي تغيّر تماماً عقب دعوة الأستاذ أحمد شريقي للدكتور محمد زرقوق لتقديم درس حول الأرمن، لفائدة طلبة الدكتوراه السنة الأولى، وبعد نهاية الدرس مباشرة، دارت مناقشة مفيدة بيني وبين الأستاذ محمد زرقوق انتهت باقتراح بعض المواضيع للدراسة حول تاريخ أرمينية، وباعتبار ميولاتي الشخصية نحو التاريخ الإسلامي بشكل عام، وتاريخ صدر الإسلام والخلافة الأموية والعباسية بشكل خاص، شرعت في البحث حول موضوع يتلاءم مع ميولاتي ومؤهلاتي العلمية، وكخطوة أولى فكرت في إنجاز دراسة حول الفتح الإسلامي لأرمينية، وصادفت في أولى مطالعاتي كتاب للمستشرق الأرمني آرام تير غيفونديان، تحت عنوان "أرمينيا والخلافة العربية" وبعد قراءتي له بشغف ولهف، لاحظت أنه حاد عن الموضوعية المطلوبة في منهجية البحث التاريخي، وقدم صورة مظلمة لأرمينية في ظل الحكم الإسلامي الظالم حسب رأيه، الأمر الذي دفعني وشجعني بقوة لإنجاز دراسة

رصينة حول التواجد الإسلامي في أرمينية، أفند من خلالها الكثير من الافتراءات التي ذكرها غيفونديان في كتابه.

وكان لتحفيزات الأستاذة الدكتورة زكية كربال التي تشرفت كثيرا بإشرافها على هذه الأطروحة، دورا فعّالا في خوض غمار هذا البحث الذي يعدّ من الدراسات النادرة في الجزائر بشكل خاص والعالم الإسلامي بشكل عام، فما إن عرضته عليها شرعت في توجيهي لبعض المصادر الأجنبية ذات الصلة المباشرة بالموضوع، وأثارت انتباهي منذ الوهلة الأولى إلى استحالة تقديم عمل جاد ورصين دون العودة إلى مختلف المصادر المتعلقة بالموضوع. يضاف إلى ما سبق من أسباب، ندرة الدراسات التاريخية العربية المتخصصة في تاريخ أرمينية في ظل السيادة الإسلامية، وما وجد منها كتابات قليلة، لا تدرس الموضوع من مختلف جوانبه، بل تكتفي في كثير من الأحيان بالتطرق إلى الجانب السياسي، دون التعرض للجوانب الأخرى ولاسيما الحضارية منها. وبالتالي فإن المكتبة العربية في أمّس الحاجة إلى دراسات متخصصة في الموضوع باللغة العربية، تجمع بين المصادر العربية والأجنبية بأسلوب علمي رصين، يسمح بالوصول إلى نتائج موضوعية تسطر صفحة مشرقة من صفحات التاريخ الإسلامي.

وبهدف جمع المادة العلمية المتواجدة في مختلف الأصول التاريخية، والاطلاع على الدراسات الحديثة ذات الصلة بالموضوع، قمت بزيارات علمية للعديد من المكتبات، وعلى رأسها المكتبة الوطنية بالحامّة ومقرها القديم، ومكتبة جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله، وعثرت فيها على الكثير من الكتب الأجنبية والعربية وبعض المقالات المرتبطة بالدراسة. وكنت أتردّد كذلك على مكتبة بلدية الأربعاء بالبليدة، ومكتبة مسجد حمزة محمد بالأربعاء، هذه الأخيرة وجدت فيها كمّا هائلا من أمّهات المصادر العربية أفادتني كثيرا في البحث، ووفّرت بفضلها الوقت، لاسيما وأنها قريبة من مقر إقامتي.

يضاف إلى ما سبق زيارتي للعديد من المكتبات الإلكترونية، ومن أبرزها المكتبة الوقفية ومكتبة نور. وموقع ملحق أرتاك العربي للشؤون الأرمنية. وبعد انضمامي لأحد صفحات التواصل الاجتماعي المتخصصة في الدراسات الأرمنية، تعرفت على الدكتور العراقي مصطفى كاظم البغدادى الذي زودني بعدد لا بأس به من المراجع المتعلقة بالدراسة، استفدت منها كثيرا في بحثي.

واقترضت طبيعة الدراسة أن أقسم الأطروحة إلى ستة فصول، يضاف إليها المقدمة والخاتمة.

وجاء الفصل الأول تحت عنوان : "الجغرافيا والتطور التاريخي لأرمينية" والهدف منه تحديد الإطار الجغرافي للمنطقة، وتوسّع حدودها وتقلّصها من فترة تاريخية إلى أخرى، حسب طبيعة الظروف السياسية السائدة في كل حقبة زمنية مرّت عليها. الأمر الذي جعل العديد من المؤرخين يطلقون تسمية أرمينية الكبرى، التي تمثل الموطن الأصلي للأرمن، وهي تشمل نطاق البحث، وأرمينية الصغرى التي هاجر إليها الأرمن خلال القرن 10/4م، بسبب التغيرات السياسية التي حدثت في موطنهم الأصلي. وتطرقنا أيضا إلى تضاريس أرمينية لأنها أثّرت على مجرى الأحداث التاريخية، فجبال أرمينية المرتفعة مثّلت درعا واقيا للأرمن، وصعّبت من مهام الفاتحين، يضاف إليها المناخ الشديد البرودة، الذي أعاق تحركات الجيوش الإسلامية داخل الإقليم. وتحدث الفصل أيضا عن أصل الأرمن وانتشار المسيحية وظهور حروف اللغة الأرمينية، باعتبارها عناصر كوّنت هوية الأرمن. وتعرضنا كذلك إلى أوضاع أرمينية في ظل سيادة الروم والفرس قبيل الفتح الإسلامي. وفي آخر الفصل عالجت عنصر الفتوحات الإسلامية لأرمينية، وشمل دوافع الفتح ومراحلها، إلى غاية دخول الإقليم في حوزة المسلمين سنة 661/41م.

أما الفصل الثاني فكان عنوانه : "التنظيم السياسي والاجتماعي في أرمينية إبّان الفتح الإسلامي" تعرضت فيه للولاة المسلمين الذين تعاقبوا على حكم إقليم أرمينية، وما نقلته لنا الأصول عن انجازاتهم في المنطقة، رفقة الحكام المحليين المتمثلين في البطارقة والملوك الأرمن. وتناول أيضا هجرة القبائل العربية تجاه إقليم أرمينية، وتداعياتها المتمثلة في تثبيت الحكم الإسلامي في المنطقة. كما تعرض الفصل أيضا إلى الأقليات العرقية التي سكنت في الإقليم، وعاشت حياة كريمة في دار الإسلام. وآخر نقطة في الفصل تحدثت عن طبقات المجتمع الأرمني في العهد الإسلامي، ومن أهمها طبقة الأشراف التي هيمنت عليها الأسر الأرمينية الكبرى، وساهمت بشكل حاسم وفعل في الأحداث التاريخية المذكورة، من خلال ولاء بعضها للمسلمين، وتعيينهم من قبل هؤلاء الآخرين حكاما محليين، وتمرد البعض الآخر عن الحكم الإسلامي بإيعاز من الكنيسة الأرمينية.

وكان عنوان الفصل الثالث : "أقسام أرمينية ومؤسساتها الإدارية" تناولت خلاله التقسيم الإداري لإقليم أرمينية إبان الحكم الإسلامي، إذ يلاحظ أن المسلمين قاموا بتقسيمه إلى أربعة أقسام، وكل قسم احتوى على مجموعة من المدن وعاصمة مميّزته عن غيره من الأقسام. ومما لاشك فيه أن هذا التنظيم قد سهّل عمل الحكام الأرمن المحليين. يضاف إليه المؤسسات الإدارية الإسلامية التي أقيمت في المنطقة، وشملت العديد من الدواوين كديوان بيت المال والخراج والبريد والجند، ونظام القضاء والحجابه، وهي مؤسسات هدفها الأساسي تنظيم الشؤون الإدارية في المنطقة، ضمن المبادئ العامة للخلافة الإسلامية.

ويأتي بعده الفصل الرابع، تحت عنوان : "تحديات التواجد الإسلامي في أرمينية" وأردت من خلاله الحديث عن أهم المشاكل التي واجهت الحكم الإسلامي في المنطقة، وعلى رأسها الصراع الرومي-الإسلامي على الإقليم، والملاحظ أن السيادة على أرمينية في المرحلة الأولى من الفتح الإسلامي كانت تتأرجح بين المسلمين والروم، إلى غاية عام 661/41م، وهو تاريخ إبرام الأرمن لمعاهدة السلام مع المسلمين، تضمن لهم الحكم الذاتي والحرية الدينية، مقابل دخولهم تحت جناح الخلافة الأموية.

وطول العهد الإسلامي في المنطقة حاول الروم كسب الأرمن لصالحهم، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، وهذا راجع إلى الخلاف المذهبي الفاصل بين الطرفين، زيادة على ذلك فإن الأرمن قد ضاقوا ذرعا من سياسة الاضطهاد الديني التي مارسها الروم ضدّهم قبيل الفتح الإسلامي، فضّلوا البقاء في حوزة المسلمين. إلّا أن هؤلاء الأخيرين واجهوا ثورات أرمينية عديدة قادتها بعض الأسر الأرمينية النافذة والمؤيدة للروم، غير أنها باءت بالفشل بفضل السياسة الرشيدة التي انتهجها الولاة، والمتمثلة في تأليب الأسر الأرمينية المؤيدة لهم ومساعدتها في القضاء على تمرّد الأسر المعارضة.

وتناولت في الفصل الخامس الذي جاء بعنوان : "الأوضاع الاقتصادية في أرمينية في ظل الحكم الإسلامي" النشاطات المختلفة التي عمل فيها الأرمن خلال الحقبة التاريخية المذكورة، وشملت الزراعة والثروة الحيوانية والمعادن والطاقة والحرف والصنائع والتجارة، ومن خلالها أردت أن أبرز التطور الاقتصادي الذي حدث في الإقليم. وبناء على ذلك ساهمت أرمينية بشكل لافت في تمويل وتموين بيت مال المسلمين، من خلال أموال الجزية والخراج

والزكاة وضرائب المعادن والمرور. ونظرا لغنى المنطقة بالمعادن النفيسة فقد قام المسلمون بسك العملة الإسلامية في بعض مدنها.

أما الفصل السادس والأخير الذي عنوانه : "العلاقات الإسلامية-الأرمنية 41-271/661-885م"، فحاولت من خلاله تسليط الضوء على الجانب المشرق للتواجد الإسلامي في أرمينية، ردّا على المصادر والمراجع الأجنبية التي تناولت الموضوع من زاوية واحدة في إطار الصراع الإسلامي-المسيحي. فقد كان للاتفاقيات المبرمة بين الطرفين، والقيادة الرشيدة للعديد من الولاة المسلمين على الإقليم، دورا فعّالا في توطيد العلاقات السياسية الإسلامية-الأرمنية، يضاف إليها الروابط الاجتماعية التي بلغت حدّ المصاهرة، وعاملا التأثير والتأثر بين الحضارتين. وأنهيت الفصل بالحديث عن أوضاع المسيحية الأرمنية في ظل الحكم الإسلامي، ورُمت من خلاله إلى إبراز التسامح الديني الذي تميّز به المسلمون في المنطقة. وجدير بالذكر أن نهاية كل فصل تضمّنت مجموعة من الحقائق التاريخية المستفادة منه، أمّا الخاتمة فقد خرجت بأهم الاستنتاجات التي وصل إليها البحث.

ويندرج موضوع البحث ضمن الدراسات التاريخية، فكان اعتمادي على المنهج التاريخي بهدف استقراء وتحليل وقائع التواجد الإسلامي في أرمينية، وتطلب هذا المنهج جمع الأخبار المتعلقة بالموضوع من قريب أو بعيد، وتوظيفها وفق ما تحتاجه الدراسة من تلك المعلومات، وذلك بالاعتماد على التركيب والتحليل لمحاولة الوصول إلى الحقائق التاريخية الموجودة في مختلف الروايات التاريخية.

عرض وتحليل لأهم مصادر ومراجع البحث

المصادر العربية

تطلب البحث حول التواجد الإسلامي في إقليم أرمينية، العودة في المقام الأول إلى كثير من المصادر العربية، فقد غطت مساحة كبيرة من المادة العلمية المعتمدة في الموضوع، فضلا عن كون مؤرخيها ثقات، وكانوا أحيانا شهود عيان، وأحيانا أخرى نقلوا عن شهود عيان، الذين زودوهم بالأخبار التي كتبوها. وعلاوة على ذلك فإن المؤرخين المسلمين الأوائل الذين سكنوا إقليم أرمينية، أفردوا كتباً مستقلة حول تاريخ أرمينية في العهد الإسلامي، ولكن للأسف فُقدت ولم تصل إلينا، وفي هذا الصدد ذكر على سبيل المثال: ابن النديم في مؤلفه "الفهرست" والذي أورد كتاب "فتوح أرمينية" لأبي عبيدة معمر بن المثنى الباجراواني (ت. 209هـ/824م)، وكتاب "أخبار أرمينية" لعلي بن محمد المدائني (ت. 215هـ/830م)، زيادة على ذلك فقد أشار المستشرق فرانز روزنثال في كتابه "علم التاريخ عند المسلمين" إلى كتب تحوي تاريخ بعض الأقاليم والمدن الأرمينية في ظل الحكم الإسلامي غير أنها مفقودة، ومنها كتاب "تاريخ أزان" لأبي بكر أحمد بن هارون البرديجي البرذعي (ت. 310هـ/922م)، وكتاب "باب الأبواب" لممسوس الدرنندي.

وعلى أية حال، خير دليل على الأهمية البالغة للمصادر العربية في موضوع البحث، هو ما شهد به المستشرق الأرمني آرام تير غيفونديان في كتابه "أرمينيا والخلافة العربية"، حين قال في مقدمة كتابه: "يستحيل تسليط ضوء جلي على تاريخ أرمينية بين القرنين 7-10م وكتابه علميا بدون دراسة دقيقة متأنية لكتب المؤرخين العرب". ومن أهم الأصول العربية التي اعتمدت عليها الدراسة:

1- البلاذري : هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، ولد أواخر القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وتوفي سنة 279هـ/892م. توارث عن عائلته مهنة الكتابة في الدواوين، وكان كاتباً في ديوان صاحب الخراج بمصر في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (170-193هـ/776-809م)، كما وصل البلاذري إلى البلاط العباسي ومدح الخليفة المأمون (ت. 218هـ/833م) في فترة مبكرة من حياته، وعرف عنه بعدها بمصاحبته للعديد من خلفاء العباسيين مثل الخليفة المتوكل (232-247هـ/846-861م)، الذي اعتبره من خواصه الذين يحضرون مجالسه وحفلاته، ومما يبرهن على العلاقة الوطيدة بين الطرفين أن

البلاذري كان يروي عن الخليفة، وهذا الأخير كان يستشيريه في أمور الدولة. وبفضل ثقافته الواسعة تمكّن من الإحاطة بمعلومات وأخبار بالغة الأهمية عن الروم، ظهرت جيلاً في خضمّ مناقشاته في مجالس الخليفة المتوكل. ومما لا شك فيه أن الحوادث التي عاشها البلاذري أثرت في كتابته التاريخية، وعلى رأسها كتابه "فتوح البلدان"، الذي يعدّ من الأصول النادرة والقيّمة في الفتوحات الإسلامية، وما رافقها من مظاهر التنظيم السياسي والإداري والاقتصادي في الأصقاع التي وصل إليها الفتح الإسلامي.

جدير الذكر أن تدوين تاريخ الفتوح مر بثلاثة مراحل حتى وصل إلى ما وصل إليه في عهد البلاذري. في المرحلة الأولى تشابه علم التاريخ مع علم الحديث فكلاهما اعتمد على الإسناد، ولكن اختلفوا في الهدف، فالمحدثون اهتموا بالروايات التي تقرر مبادئ فقهية أو خلقية، بينما اهتم المؤرخون بالروايات التي تسرد الأخبار حول السيرة النبوية والمغازي. وامتدت المرحلة الثانية طوال القرن الثاني الهجري حتى مطلع القرن الثالث الهجري، وفيها تبلورت معالم الكتابة التاريخية على يد طبقة من المؤرخين أطلق عليهم اسم الإخباريون، الذين عملوا على جمع المادة التاريخية حول موضوع معين، ووضعها في كتاب، وتطرقوا إلى تاريخ الفتوحات، ومن أبرز مؤرخي هذه الحقبة الزمنية سيف بن عمر (ت. 180هـ/796م) وهو من الكوفة، له كتاب "الفتوح الكبير"، والواقدي (ت. 207هـ/822م) ألف كتابين حول فتوح الشام والعراق. أما المرحلة الثالثة فتعتبر فترة الاكتمال في تدوين تاريخ الفتوح، فمنذ بداية القرن الثالث الهجري يرى الباحث زيادة في منابع المادة التاريخية، حيث استقرّت الدواوين المختلفة في الخلافة وترسّخت قواعدها، وغصّت بالسجلات والاتفاقيات الرسمية والمراسلات السياسية، وتوفرت السجلات التي تدون فترات ولاية الوزراء والولاة والقضاة والموظفين، وكان لهذا التطور أثره على كتابة تاريخ الفتوح، ومن المؤلفات القيمة في تلك الفترة كتاب "فتوح مصر وأخبارها" لابن الحكم (ت. 257هـ/867م)، و"فتوح البلدان" للبلاذري.

تضمّن كتاب "فتوح البلدان" 89 موضوعاً، 74 منها خصص للفتوحات، و15 لموضوعات جغرافية وإدارية واقتصادية واجتماعية وفقهية، واختار البلاذري المنهج الموضوعي لترتيب كتابه، وحاول التوفيق بين هذا المنهج والتسلسل الزمني للأحداث التاريخية، مع مراعاته تتابع الموضع الجغرافي للأقاليم التي يؤرخ لها، زيادة على ذلك فقد اتخذ منها خاصاً في ذكر أخبار الفتوحات بدقة علمية متناهية، دون الاكتفاء بسردها، وتميّز

بحسّ المؤرخ الناقد، ولم يكتف بتدوين الأحداث واثبات الروايات. ويمكن اعتبار "فتوح البلدان" من مصادر التاريخ الإسلامي التي توضح موقف الخلفاء الراشدين ومن تلاهم في التعامل مع أحداث الفتوحات الإسلامية، والتشريعات التي طبقوها والأنظمة التي ابتكروها. وهكذا وجد الفقهاء وثائق تشريعية بالغة الأهمية، اعتمدوا عليها في معاملة أهل الذمة وتحديد مقدار الخراج والجزية وغيرها من متطلبات التعامل مع هذه الفئة.

هذا المصنف النفيس لا يستطيع أي باحث الاستغناء عنه في دراسة تاريخ أرمينية في ظل الحكم الإسلامي، احتوى على ثمانية عشر صفحة تحت عنوان "فتوح أرمينية"، وأخذ أخبارها من أفواه المسلمين الذين استقروا في إقليم أرمينية إبّان الفتح الإسلامي، وفي هذا الصدد يقول في مقدمة حديثه عن فتوح أرمينية ما نصه: "حدثني محمد بن إسماعيل من ساكني بردعة وغيره عن أبي براء عنسبة ابن بحر الأرمني، وحدثني محمد بن بشر القالي عن أشياخه وبرمك بن عبد الله الدبيلي، ومحمد بن المُخَيَّس الخلاطي وغيرهم عن قوم من أهل العلم بأمور أرمينية". استهل حديثه عن إقليم أرمينية بذكر أقسامه الأربعة والمدن التابعة لكل قسم، ثم انتقل إلى تاريخ أرمينية في ظل حكم الفرس والروم، وبعدها شرع في سرد أحداث الفتوحات الإسلامية للمنطقة، والتطورات السياسية والإدارية والاقتصادية التي عرفت فيها في ظل الحكم الإسلامي إلى غاية سنة 241/855م. وهذا ما جعله يخدم موضوع البحث من مختلف جوانبه.

2- اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الإخباري العباسي، جغرافي ومؤرخ ولد في مدينة بغداد حاضرة الخلافة العباسية، وتوفي عام 292/904م. اشتغلت عائلته في دواوين الخلافة، وقد عمل جده واضح في عدة مناصب إدارية في خلافة أبو جعفر المنصور، ويقال أنه كلف بمهام بالغة الخطورة لشدّته وشجاعته، ومنها ولايته لإقليم أرمينية عام 141/758م وبقائه في هذا المنصب طوال فترة حكم المنصور. نشأ اليعقوبي وأمضى شبابه في أرمينية، ومنها انتقل إلى خراسان، وزار كل من بلاد فارس والشام والعراق ومصر والمغرب، وقد برزت ميولاته للكتابة في عهد مبكر، ويذكر أن مصادر معلوماته مستقاة من الأسفار والرحلات، يضاف إليها استضافته للمسافرين وطرح الأسئلة عليهم حول أوضاع المناطق التي يقطنون فيها.

ومن آثاره العلمية التي خدمت الدراسة كتابه "التاريخ" الذي يؤرخ من خلاله إلى التاريخ العالمي، حيث قام في الجزء الأول منه بعرض شامل لتاريخ البشرية منذ بداية الخليفة، وتطرق إلى تاريخ الأنبياء والأمم العريقة شرقا وغربا، أما الجزء الثاني الذي يبلغ حجمه ضعف الأول، فقد أفرد لتاريخ المسلمين ووصل به إلى غاية عام 872/259هـ، أثناء فترة حكم الخليفة العباسي المعتمد، وتميّز بتقسيم مادته التاريخية وفق عهود الخلفاء، إذ أدرجهم الواحد تلو الآخر بعد حديثه عن السيرة النبوية.

وتميّز أيضا بترتيب الأحداث لعهد كل خليفة على النمط التالي: الوصول للحكم، يلي ذلك الأحداث التي وقعت خلال العهدة حسب ترتيبها الزمني، وتشمل تعيين ولاية الأقاليم والثورات والفتوحات والكوارث الطبيعية ووفاة المشاهير، وفي النهاية يتحدث عن وفاة الخليفة ويضع وصفا نفسيا وجسديا له ونظرة شاملة عليه، يلي ذلك ذكر أسماء أمراء الحج وأمراء الغزو، ويختتم بذكر الفقهاء في عهده. ويظهر هذا الترتيب مدى سهولة البحث، لذلك اعتمد في الدراسة لسد الفجوات الحاصلة في بعض الأحداث السياسية حول ولاية أرمينية خلال العهد الإسلامي.

واعتمدت لانجاز بحثي أيضا على كتاب آخر لليعقوبي عنوانه "البلدان"، وهو كتاب جغرافي يصف فيه المؤلف مشاهداته للبلدان والمدن التي زارها، ويذكر أسئلته لأهلها عن بعض الأمور، ثم يورد رأيه فيما سمعه، كما أشار أيضا إلى فتوح البلدان ومبلغ خراجها. ويعدّ مصنفه من أقدم المصادر الجغرافية وأوثقها. بيد أن حديثه عن إقليم أرمينية اقتصر فقط على طبيعة مناخها وأقسامها الإدارية، وأشار بأنه أطال المقام بها. وتجدر الإشارة إلى أن اليعقوبي ألف كتابا في "أخبار بلاد الروم ورجالها ومدنها وحصونها وموانئها وجبالها وشعابها وأوديتها وبحيراتها ومواضع القارات عليها" في كتاب آخر، ولو وصلنا لعرفنا معلومات أكثر عن أرمينية وأقسامها الإدارية، والمدن التابعة لكل قسم بصورة أدق.

ومما لا شك فيه أن الأخبار التي أوردها اليعقوبي في مؤلفاته حول إقليم أرمينية، تحمل مصداقية كبيرة، وذات قيمة علمية رفيعة، باعتبار أن راويها أمضى شبابه في إقليم أرمينية، وكان جده واضح واليا على المنطقة، الأمر الذي يسمح له بالاطلاع على الوثائق الإدارية، ويقدم معلومات دقيقة، لاسيما وأنه كان يمحّص الأخبار ويرد الروايات الخرافية التي تتنافى مع العقل والمنطق.

3- الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملي الطبري أبو جعفر، ولد عام 224هـ/838م في مدينة آمل حاضرة إقليم طبرستان، وتوفي في بغداد عام 310هـ/922م. نشأ في كنف والده الذي شجعه على طلب العلم بعد أن ظهرت فيه علامات النبوغ، فأخذ يتردد على حلق العلم في طبرستان، فحفظ القرآن الكريم والكثير من الأحاديث النبوية في سن مبكرة، إلا أنظمه لتحصيل المزيد من العلم دفعه إلى القيام بالعديد من الرحلات العلمية، ومن بين المدن العلمية التي زارها: بغداد، البصرة، الكوفة، مصر، دمشق وغيرها من المدن. وبعد هذه الرحلة الشاقة استقر به المقام في العاصمة العباسية بغداد، وتفرغ للعبادة والتدريس والتأليف، مبتعداً عن وظائف الدولة وهدايا مسؤوليها، رغم العروض الكثيرة التي قدمت له، ولعل من أبرزها عرض القضاء الذي رفضه لعدة عوامل، ومنها جرأته على قول الحق ورفضه لمداينة السلطان وخشيته أن يظلم في حكم من الأحكام. ونبغ الطبري في علوم شتى ومن أبرزها: التفسير والحديث وعلم القراءات والفقه والتاريخ وعلوم اللغة والفلسفة. وفي مجال التاريخ صنّف الطبري كتابه المسمى "تاريخ الرسل والملوك"، الذي يعتبر أضخم عمل تاريخي بين مؤلفات المؤرخين المسلمين، وقد حفظ لنا عدداً ضخماً من الأخبار والروايات التي فقدت أصولها، وصار مصدراً أساسياً لمن جاء بعده من المؤرخين، وعلى رأسهم المسعودي وابن الأثير وابن خلدون وغيرهم من المؤرخين. وقسم الطبري كتابه إلى قسمين، ذكر في الأول الخليقة والبدء وتاريخ الأنبياء والأمم كالعرب وبني إسرائيل والفرس، أما القسم الثاني فتطرق إلى أحداث التاريخ الإسلامي بداية من تاريخ الهجرة النبوية إلى عام 303هـ/915م.

ويذكر أن الطبري التزم الحياد في كتاباته، وكان منهجه يقوم على جمع الأخبار التاريخية ونقلها دون تفسيرها وتحليلها أو التعليق عليها، بل فتح المجال للقارئ ليقف على مختلف الروايات والآراء، ويستخلص الخبر الصحيح بناء على قوة السند إذا كان رواه ثقات أو ضعفه إذا كان هؤلاء الأخيرين مجروحين. ومن مميزات تاريخ الطبري أنه أبرز معلومات إدارية سنوية عن عمال الأقاليم والخراج والديوان، يضاف إليها معلومات عمرانية عن مخططات المدن التي شيدت في ظل الحكم الإسلامي.

أفاد هذا المصدر الضخم والتمين الموضوع كثيراً، خاصة وأن البحث بين ثناياه يعتمد على الترتيب الكرونولوجي للوقائع التاريخية، لأنه من كتب التاريخ الحولي، ففي السنوات

ذات الصلة بالدراسة كنت أجد شذرات من الأخبار والروايات حول إقليم أرمينية في ظل الحكم الإسلامي، خاصة الأحداث السياسية المرتبطة بالصراع الإسلامي-الرومي على المنطقة، علاوة على ذلك، فإنه تناول بالتفصيل بعض الثورات التي قامت ضد الحكم الإسلامي في الإقليم مثل ثورة ثابت بن نعيم الجذامي عام 126هـ/743م وثورة إسحاق بن إسماعيل عام 217هـ/833م وغيرها من الثورات الرامية إلى الاستقلال بأرمينية.

4- ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي الموصلي النصيب، ولد في مدينة بغداد وعاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري الموافق للعاشر الميلادي. رحل من بغداد عام 331هـ/943م إلى بلاد المغرب والأندلس، وزار أيضا مصر وبلاد الشام والعراق وفارس. ويقال أن رحلاته امتدت من نهر السند شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا واستغرقت زهاء ثلاثين سنة. اشتغل في التجارة، وبسببها تنقل من بلد إلى آخر، وفي نفس الوقت كان مثقفا مهتما بجمع الأخبار، ولاسيما المعلومات الجغرافية ذات الصلة بالتجارة. توفي عام 367هـ/977م.

ومن أهم مصنفاته كتاب "صورة الأرض"، الذي تضمن وصفا دقيقا للبحار والأنهار والبحيرات والجبال، ومعلومات قيمة عن المسافات بين البلدان والمدن، وتجاراتها ومستغلاتها وجباياتها. وذكر ابن حوقل في كتابه دار الإسلام إقليما إقليميا، ضمن الأمصار الرئيسية التالية: "ديار العرب، المغرب، مصر، الشام، الجزيرة الفراتية، العراق، فارس، السند، أرمينية، الجبال، خراسان، بلاد ما وراء النهر". وتركزت المعلومات الجغرافية الوصفية التي دونها ابن حوقل في كتابه على الأمور التالية: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للسكان، وصف مدن الإقليم وتضاريسه، الاهتمام بذكر الإنتاج الزراعي والحرف والصنائع والمعادن.

جدير بالذكر أن كتابه أفاد الموضوع بشكل واسع، خاصة في الفصل الخامس الذي تناول الأوضاع الاقتصادية في إقليم أرمينية إبان الفتح الإسلامي.

المصادر الأرمينية

تحتل أصول المؤرخين الأرمن مكانة مرموقة في دراسة التاريخ الإسلامي بصفة عامة، وتاريخ الأرمن بصفة خاصة، لكون العديد من مؤرخيها عاصروا الأحداث التي دونوها، حول الصراع الذي كان قائما حينئذ بين المسلمين والروم من جهة، وبين المسلمين والأرمن من جهة ثانية. وجدير بالذكر أن بعض المصادر الأرمينية زوّدتنا بتفاصيل دقيقة وجديدة عن

الفتوحات الإسلامية، وزيادة على ذلك فإن كتابها كانوا من معاصري هذه الأحداث البالغة الأهمية، بل وشهود عيان عليها في كثير من الأوقات، عكس المصادر الإسلامية التي اعتمدت في المقام الأول على الروايات الشفوية. ومهما يكن الأمر فالمصادر الأرمنية تشترك في كونها تنظر إلى الأحداث من زاوية واحدة، لذلك يجب التعامل معها بحذر، فهي تعتبر المسلمين كفارا، وتطلق عليهم عدّة أسماء، ومنها : الإسماعيلية Ismaélites نسبة إلى إسماعيل بن النبي إبراهيم عليهما السلام، الهجريين Agariens نسبة إلى هاجر زوجة النبي إبراهيم عليه السلام، السارازان Sarrazins لفظ يشمل جميع المسلمين، التادجيك Tadjics، المدينيين Madianites نسبة إلى المدينة المنورة. ومن أبرز المصادر الأرمنية المعتمدة في الدراسة:

1- سيبوس Sébeos : أسقف أرمني شاهد عيان على أحداث الفتوحات الإسلامية لأرمنية الممتدة بين سنتي 19-41هـ/640-661م، بالإضافة إلى نقله عن شهود عيان، كتب مصنفه "تاريخ هرقل" (Histoire D'Héraclius) خلال الربع الثالث من القرن السابع الميلادي، وتحدث في القسم الأخير منه عن الفتوحات الإسلامية لبلاد فارس وأرمنية وبلاد الروم، وبذلك فهو ينفرد دون سواه من المصادر الأرمنية والإسلامية والبيزنطية والسريانية بسرد تفاصيل هامة عن هذه الحقبة الزمنية. لكن يؤخذ عليه سرده للأحداث التاريخية دون شرح أو تعليق أو تفسير، إضافة إلى انتقاله من خبر إلى آخر بشكل مفاجئ. ولقد أدرك المؤرخون المعاصرون مدى أهمية هذا المصدر في تدوين تاريخ الفرس والروم والمسلمين، فشرعوا منذ سنة 1851م في إصدار العديد من الترجمات لهذا المصنف البالغ الأهمية، وترجم إلى اللغة الأرمنية الحديثة والألمانية والروسية والفرنسية، وأحسن وأدق هذه الترجمات تلك التي أنجزها باللغة الفرنسية المؤرخ فريدريك ماكليز Frédéric Macler بعنوان Histoire D'Héraclius par L'Evêque Sébéos في باريس سنة 1904م.

وسلّط الكتاب الضوء على موضوع البحث، بداية من الفصل الثلاثين إلى غاية الفصل الثامن والثلاثين، إذ تناول بالسرد والتفصيل أخبار الفتح الإسلامي لأرمنية، واستهلّ ذلك بذكر الغزوة الأولى للجيش الإسلامي على المنطقة عام 19هـ/640م، والتي انطلقت من العرق وبلاد الشام بهدف الوصول إلى مقاطعة الطارون Tarawn المتواجدة في الجهة الجنوبية الغربية من بلاد الأرمن، وختم كتابه بإظهار فرحته عقب اندلاع الفتنة بين الخليفة الراشدي

علي بن أبي طالب ووالي بلاد الشام معاوية بن أبي سفيان، وختم مصدره بذكر تولي معاوية بن أبي سفيان للخلافة الإسلامية عام 41/661م، وإبرامه معاهدة سلام مع الأرمن، نتج عنها دخول إقليم أرمينية تحت السيادة الإسلامية.

واعتمدت الدراسة كثيرا على هذا المصنف الثمين، خاصة فيما يتعلق بأسباب الفتوحات الإسلامية لأرمينية ومراحلها، وقد تحدث بالتفصيل عن المعارك التي وقعت بين المسلمين والروم أو بين المسلمين والأرمن في إقليم أرمينية، الأمر الذي جعله مفيدا للموضوع. لاسيما وأن سبيوس عاصر هذه الفترة ويعتبر شاهد عيان عليها، إضافة إلى ما نقله من أفواه الأرمن، حين أخبرنا أنّ "بعض الأسرى قصّوا عليه أحداث الفتوحات الإسلامية في إقليم أرمينية، بعد إطلاق سراحهم من طرف الجيش الإسلامي المرابط في المنطقة".

2- جيفوند Ghévond : عالم دين مسيحي برتبة فارداب Vardabed (يعود سبب إطلاق هذا اللقب عليه أنه كان يقوم بالتبشير والوعظ وتفسير الكتاب المقدس) ومستشارا للكنيسة الأرمينية، صاحب كتاب "تاريخ حروب وفتوحات العرب في أرمينية" (Histoire des guerres et des Conquêtes des Arabes en Arménie) يحتل كتابه مكانة بارزة ضمن مصادر تاريخ أرمينية في العهد الإسلامي، كونه يغطي الحقبة الزمنية للقرنين الأول والثاني الهجريين/ السابع والثامن الميلاديين، يبدأ تأريخه للأحداث من عام 11هـ/632م وينتهي عام 174هـ/788م، ويذكر أنه كتب مصنفه بأمر من الأمير شابوه البجراطي Chabouh de Bagratouni لذلك نلاحظ انحيازه التام لأسرة بجراط الأرمينية النافذة، وفي المقابل عداؤه لأسرة أردزروني، كما يؤخذ عليه انحيازه للأرمن ووصفه للفتوحات الإسلامية بالدموية، وهي من عادات مؤرخي الأرمن في العصر الوسيط. نقل الكثير عن سابقه الأسقف سبيوس حول الفتوحات الأولى لأرمينية، وكان شاهد عيان للأحداث التي سردها في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري الموافق للنصف الأخير من القرن الثامن الميلادي.

عاش الراهب جيفوند في فترة تاريخية مليئة بالحوادث والمواقف البارزة، ودون مشاهداته الحيّة، إضافة إلى ما سمعه شخصا من أخبار نقلها عن قادة الفتح وولاة أرمينية. وصار هذا المصنف فيما بعد مصدرا أساسيا للعديد من المؤرخين الأرمن الذين جاؤوا بعده، وتحدثوا عن هذه الحقبة الزمنية، مثل: أسوليك Asolik وصموئيل أنتسي Samuel Antsi ومختار أيريفانتسي Makhitar Airivantsi وغيرهم من المؤرخين الأرمن.

تضمّن الكتاب وصفا للمعارك المستمرة التي خاضها الجيش الإسلامي من أجل السيطرة على إقليم أرمينية، ووصف أيضا بدقة متناهية ثورة الأرمن ضد الحكم الإسلامي عام 703م، باعتباره شاهد عيان عليها. كما تطرق إلى الصراعات العنيفة التي جرت بين المسلمين والروم من جهة، وبين المسلمين والخزر من جهة ثانية. وأشار جيفوند إلى كثرة وثقل الضرائب المفروضة على الأرمن من قبل المسلمين، والتي كانت سببا رئيسيا للثورة على هؤلاء الأخيرين على حدّ قوله. ونظرا لكونه راهبا فقد رأى بأن الأحداث العسكرية التي جرت في المنطقة قدّرها الله، ونسب الانتصارات التي أحرزها الأرمن على المسلمين إلى العناية الإلهية، أما هزائمهم فقد اعتبرها عقابا من الله لهم لارتكابهم الذنوب والخطايا. وقد اعتمدت كثيرا على هذا المصدر البالغ الأهمية، لاسيما فيما يخص الصراع الإسلامي-الرومي أو الإسلامي-الأرمني على الإقليم، وثورات الأرمن ضد الحكم الإسلامي، وهنا ظهرت أهمية هذا المصنف في ملء الفراغ الذي تركته المصادر العربية والأرمنية الأخرى.

3- أسوليك Asolik : وهو المؤرخ ستيفان Stéphan الملقب بإتيان أسوليك Etienne Asolik لخبرته في الأغاني والترانيم الدينية، وعرف أيضا بالطاروننتسي Taronetsi لأنه ولد في إقليم الطارون. ولد سنة 927م، ويعتبر من مؤرخي أسرة بقرات الأرمينية العريقة، صاحب كتاب "التاريخ العالمي" (Histoire Universelle) يضم ثلاثة أجزاء، الجزء الأول يتحدث عن الفتوحات الإسلامية لأرمينية والتي نقلها عن المؤرخ الأرمني جيفوند، وتمثل أحداث الجزء الثالث من مصنفه مكانة هامة في تاريخ إقليم أرمينية، لكون أسوليك شاهد عيان لأغلب رواياته، ويشمل الأحداث من سنة 887م أي بداية تأسيس مملكة بقرات إلى سنة 1004م، لذلك اكتسب كتابه سمعة بالغة الصيت.

4- جون كاثوليكوس Jean Catholicos : بطريرك ومؤرخ، صاحب كتاب "تاريخ أرمينية" (Histoire D'Arménie) المعروف في أوساط العنصر الأرمني، نظرا لسلاسة أسلوبه وانفراده بذكر أحداث لم ترد في تصانيف أخرى، شارك بنفسه في صناعة الكثير منها، ويتعلق الأمر بالفترة الممتدة من منتصف القرن التاسع الميلادي إلى غاية سنة 925م. ويذكر أن مصنفه اكتسب مكانة مرموقة لكون كاتبه شاهد عيان لكثير من أحداثه التاريخية، وقد استفاد جون كاثوليكوس من بعض مصادر التاريخ الكنسي التي كانت موجودة في زمنه،

وكتابات المؤرخين الذين سبقوه مثل سبيوس وتوماس أردزروني Thomas Ardzrouni وغيرهم من المؤرخين الأرمن.

المصادر الإغريقية

واقترضى البحث الاعتماد أيضا على مصادر لاتينية ومن أهمها:

Theophanes : The chronicle of Theophanes.

ثيوفانيس: Theophanes ولد في مدينة القسطنطينية عام 760م، وتوفي في ساموتراقيا Samothrace عام 817م. كان أبوه القائد العام ستراتيجوس Strategos لجزر بحر إيجه، الأمر الذي سمح له بالعمل كموظف برتبة Strator بقصر الإمبراطور ليو الرابع Leo IV (775-780)، وتزوج بعدها من ميغالو Megalo ابنة أحد البطارقة، وآثر هو وزوجته حياة الرهبنة، فأقام ديرا على الشاطئ الشرقي لبحر البروبونتس Propontes (بحر مرمرة). وكان ثيوفانيس يكره الإمبراطور المعاصر لفترة حكمه نقفور الأول Nicephore I لكثرة الضرائب التي فرضت على الأديرة في عهده.

ألف ثيوفانيس حولية شهيرة بعنوان "التاريخ الزمني" (The chronicle of Theophanes) انتهى من تدوينها عام 814م، وأرخ فيها للحقبة الزمنية الممتدة بين سنتي 284 و813م، واتبع في ترتيب أحداثها النظام الحولي، فكان يذكر في مطلع تأريخه لكل عام ترتيبه منذ بداية الخليقة، وما يوافقها من السنوات الميلادية، ورتب أيضا سنوات حكم الإمبراطور البيزنطي ومن عاصره من ملوك فارس والخلفاء المسلمين، والبطارقة الشرقيين الأربعة: القسطنطينية، أنطاكية، بيت المقدس، الإسكندرية.

وترجع أهمية هذا المصنف إلى الاهتمام الذي أولاه لتاريخ الروم بصفة عامة، وتاريخ منطقة الشرق الأدنى الإسلامي بصفة خاصة، ويعتبر رفقة كتاب "التاريخ المختصر" للبطريك نقفور المصدرين اللاتينيين الرئيسيين لتاريخ القرنين السابع والثامن للميلاد. وتتضح مكانة هذا المصنف النفيس من كثرة الدراسات التي حظي بها، وفي هذا الصدد يذكر أن المؤرخان كورونا Corona ومورافيسك Moravcisk أنجزا حوالي مائة دراسة علمية حول ثيوفانيس وحوليته. وقام المؤرخ هاري تورتلدوف Harry Turtledove بترجمة النصف الأخير منها إلى اللغة الإنجليزية، بداية من أحداث سنة 602م.

وقد تقاطعت أحداث هذه الحولية مع موضوع الدراسة في الصراع الإسلامي-الرومي، لذلك خدمت البحث بتقديمها لرأي آخر حول مصير بعض المعارك التي جرت بين المسلمين والروم في إقليم أرمينية.

المصادر السريانية

وتطلب موضوع البحث أيضا العودة إلى بعض المصادر السريانية، ومنها:

Michel Le Syrien : Chronique de Michel le Syrien

ميخائيل السرياني Michel Le Syrien: ولد في ملطية عام 516هـ/1122م، بدأ حياة

الرهبة في سن مبكر متأثرا بأبيه الذي كان من رجال الدين، وانتقل في الرتب الدينية حتى صار رئيسا لدير مار برسوما Mar Barsouma، ثم اعتلى كرسي بطريركية السريان في أنطاكية بين عامي 561-596هـ/1166-1199م. توفي سنة 596هـ/1199م. ألف ميخائيل السرياني حولية تعدّ من أنفس المصادر السريانية، حيث أرّخ الأخبار على طريقة النظام الحولي، ويعاب عليه وضعه للخرافات والأساطير الدينية مع الروايات التاريخية، الأمر الذي صعب مهمة الباحثين في استخراج المعلومات التاريخية الصحيحة.

ويعتقد ميخائيل السرياني أن الاضطهاد الديني الذي مارسه الروم ضد الأرمن، أسوء بكثير من التجاوزات التي حدثت إبان الحكم الإسلامي، ويقرّ بأن المسلمين "يرون بأن معتقدات الديانة المسيحية غير صحيحة، ولكنهم لم يضطهدوا أحدا بسبب عقيدته أو مذهبه، كما فعل الروم".

نجد كذلك مصدرا سريانيا آخر لا يقل أهمية عن سالفه، ألفه ابن العبري (1226-1286م) تحت عنوان "تاريخ الزمان".

المراجع الحديثة

وفق ما وصل إليه البحث، هناك دراسة أكاديمية واحدة كان لها فضل سبق في خوض غمار هذا البحث في الوطن العربي، وهي "الحياة العامة في أرمينية دراسة في أوضاعها الإدارية والاجتماعية والاقتصادية 30هـ/651م-247هـ/862م" للأستاذ الدكتور صلاح الدين أمين طه، رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة بغداد، في سنة 1979م، ولم تنشر لحد الآن، وتعتبر أول دراسة عربية أكاديمية في هذا

الموضوع. تتكون الرسالة من خمسة فصول، إضافة إلى المقدمة والخاتمة، الفصل الأول عنوانه "جغرافية أرمينية" وهو فصل تمهيدي يتحدث عن الموقع الجغرافي لأرمينية وتضاريسها، والفصل الثاني جاء تحت عنوان "فتح العرب لأرمينية" غطى فيه مراحل الفتح الإسلامي لإقليم أرمينية، وتوقف عند سنة 33هـ/654م تاريخ إبرام معاهدة السلام الإسلامية-الأرمينية، والتي نصت على دخول أرمينية في ظل الحكم الإسلامي وفق شروط معينة. وعنوان الفصل الثالث "السكان والتنظيم الاجتماعي" تطرق فيه الدكتور إلى العناصر العرقية التي سكنت المنطقة، وطبقات المجتمع الأرمني في العهد الإسلامي. والفصل الرابع عنوانه "الإدارة العربية لأرمينية" وتضمن التقسيمات الإدارية في أرمينية إبان الفتح الإسلامي، وتناول كذلك المؤسسات الإدارية العربية. أما الفصل الخامس والأخير فقد جاء تحت عنوان "الحياة الاقتصادية في أرمينية" وتحدث فيه عن الأوضاع الاقتصادية في المنطقة في العهد الإسلامي. جدير الذكر أن الدكتور صلاح الدين أمين طه بقي يتابع ويكتب عن تاريخ أرمينية في العهد الإسلامي، من خلال مقالاته ذات الصلة بالموضوع. تقاطعت الرسالة المذكورة مع موضوع البحث في عدة نقاط، لذلك استقت منها كثيرا، خاصة مما ورد في فصلها الثالث والرابع، وتمكنت بفضلها أيضا من ربح الوقت والتعرف على المصادر والمراجع الأساسية التي تعالج البحث.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى ثلاث دراسات أكاديمية جزائرية، سبقتي إلى خوض غمار البحث في تاريخ الأرمن، وإن كانت كلها بعيدة في الزمان والمكان عن موضوع الدراسة، إلا أن قوائم مصادرها ومراجعها أنارت دربي، وخففت عني مشقة البحث. وهي على التوالي: "العلاقات الخارجية لمملكة أرمينيا الصغرى منذ منتصف القرن الثاني عشر الميلادي حتى سنة 1375م"، للأستاذة الدكتورة فاطمة بوعمامة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العصور الوسطى، جامعة الجزائر، السنة 1994م، غير منشورة، وتعتبر أول بحث أكاديمي حول الأرمن بالجزائر. أفادتني في التعرف على العديد من المصادر والمراجع التي خدمت الموضوع.

والثانية: "مملكة أرمينيا الصغرى بين المغول والمماليك 623-776هـ/1226-1375م" للأستاذ الدكتور محمد زرقوق، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر-2- أبو القاسم سعد الله، السنة 2012م، غير منشورة. وقد أفادت هذه الدراسة

موضوع البحث، في تحديد الإطار الجغرافي لأرمينية الصغرى، يضاف إليها قائمة المصادر والمراجع التي أفادنتي، لاسيما بعد أن قدم لي الأستاذ العديد منها، بارك الله جهوده. وجاءت الدراسة الثالثة تحت عنوان : "إمارة أرمينيا الصغرى بين السلاجقة والصليبيين 463-623هـ/1071-1226م" أيضا للأستاذ الدكتور محمد زرقوق، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر-2- أبو القاسم سعد الله، السنة 2018م، غير منشورة. أفادنتي في عنصر المؤثرات الاجتماعية والثقافية الموجود في الفصل السابع، وقائمة المصادر والمراجع التي تخدم موضوع دراستي.

ومن المؤرخين العرب الحديثين الذين تصدوا للكتابة في مواضيع ذات الصلة بالبحث، أديب السيد في كتابه "أرمينية في التاريخ العربي"، الصادر عن المطبعة الحديثة بحلب سنة 1972م. وقسم كتابه إلى قسمين، الأول تحدث فيه عن تاريخ الأرمن عبر العصور، والثاني تناول العلاقات العربية-الأرمينية. وقد أفاد الدراسة في بعض المعلومات والتحليلات ذات الصلة بالموضوع، بيد أنه يؤخذ عليه اعتماده الكامل على المصادر والمراجع العربية فقط، دون العودة إلى المصادر الأجنبية الأخرى التي تخدم الموضوع. نجد أيضا صابر محمد دياب حسين في كتابه "أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري"، الذي نشرته دار النهضة العربية في مصر سنة 1978م. احتوى على بابين، الأول عنوانه "أرمينية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي"، والثاني "أرمينية في العصر العباسي". استفاد منه البحث في بعض المعلومات والتفسيرات المتعلقة بالفتح الإسلامي لأرمينية، والتحويلات الإدارية التي عرفت أرمينية في ظل الحكم العباسي. إضافة إلى الدراسة التي قام بها عبد الرحمن محمد العبد الغني بعنوان "أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين 653-1064م/33-457هـ"، الصادر عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي في الكويت عام 1989م. وتكمن أهمية هذا الكتاب في معالجته لموضوعه من مختلف الزوايا والجوانب، اعتمادا على أصول عربية وأرمينية وبيزنطية وسريانية وغيرها من المصادر. واستفادت منه الدراسة بمعلومات وتحليلات خدمت الأحداث المرتبطة بالصراع الإسلامي-الرومي على إقليم أرمينية.

أما المراجع الأجنبية الحديثة، فسأكتفي بذكر ثلاثة منها خدمت موضوع البحث، وهي:

Laurent Joseph : L'Arménie entre Byzance et l'islam depuis la conquête arabe jusqu' en 886.

جوزيف لورون: في كتابه "أرمينية بين بيزنطة والإسلام بداية من الفتح العربي حتى سنة 886م". ويتضح من خلال العنوان التقاطع الموجود بينه وبين موضوع الدراسة في الإطار الزمني.

Grousset René : Histoire de l'arménie des origines a 1071.

روني جروسي (1885-1952م): ألف كتابا بعنوان "تاريخ أرمينية منذ القدم حتى سنة 1071م"، وهو مؤرخ فرنسي متخصص في تاريخ أرمينية، ويؤخذ عليه اعتماده بكثرة على المصادر الأرمينية والبيزنطية دون المصادر العربية، وظهر ذلك جليًا في آرائه المساندة للمؤرخين الأرمن والبيزنطيين ضد المؤرخين المسلمين، إذ أنه لم يقابل المصادر التي اعتمد عليها مع أمهات الكتب الإسلامية ذات الصلة المباشرة بالموضوع، ما جعل عمله مبتورا. على أية حال رغم انحياز الكثير من الدراسات الأجنبية إلى الأرمن، إلا أنه لا يمكن طمس جهودهم المضنية، التي وضعت اللبنة الأولى لتاريخ أرمينية في العهد الإسلامي.

Bournoutian George : A Concise History of the Armenian People.

جورج بournoutيان: مؤرخ أرمني ألف كتابا بعنوان "موجز تاريخ الشعب الأرمني"، صدر عام 2006م، وكان الغرض من تأليفه باللغة الإنجليزية هو أن يتمكن الأرمن القاطنين في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا، من الاطلاع على ماضيهم بموضوعية. المثير للانتباه في هذه الدراسة، اعتراف صاحبها بدور الفتح الإسلامي في توحيد إقليم أرمينية، ولم شمل الأرمن، بعدما كانت المنطقة مقسمة إلى قسمين، أرمينية الشرقية الخاضعة للفرس، وأرمينية الغربية التابعة للروم، وللمرة الأولى منذ عام 387م توحدت أرمينية الكبرى، وتعامل قادة الفتح مع العنصر الأرمني كمجموعة واحدة. كما أنه أثنى على اتفاقية السلام الإسلامية-الأرمينية عام 654/33هـ، التي أبرمها والي الشام معاوية بن أبي سفيان مع حاكم أرمينية تيودور الرشتوني، وفي هذا الصدد قال: "كانت المعاهدة مع معاوية جيدة بالنسبة للأرمن". وقد أفاد الكتاب البحث بتحليلاته الموضوعية الخاصة بالصراع الإسلامي-الأرمني

حول إقليم أرمينية. وتكمن أهمية الكتب الأرمينية الحديثة، في كونها تعتمد على العديد من المصادر الأرمينية الغير مترجمة، حتى أن بعضها لا يزال مخطوطا.

يضاف إلى المصادر والمراجع التي أشرنا إليها سابقا، عدد هائل من المصادر والمراجع العربية والأجنبية، التي خدمت الموضوع وظهر أثرها جليا في ثنايا الدراسة، زيادة على ذلك الكثير من المقالات والملتقيات والندوات والموسوعات المتخصصة، التي خدمت الموضوع في سرد الأحداث التاريخية وتحليل وتفسير أسبابها والظروف التي وقعت فيها.

ورغم توفر المادة العلمية في العديد من الأصول، إلا أن جمعها وترتيبها وتحليلها لم يكن سهلا، ويمكن القول أن تغطية أبرز الأحداث السياسية تطلب الجمع بين المصادر العربية والأرمينية واللاتينية والسريانية. ومن بين الصعوبات التي صادفت الدراسة، وجود شذرات متناثرة من المادة العلمية في ثنايا الكتب، لاسيما في الميدان الاقتصادي الذي اعتمد بالدرجة الأولى على كتب الجغرافيا والرحالة المسلمين، وفصل العلاقات الإسلامية-الأرمينية الذي اعتمدت فيه بشكل كبير على الندوات العلمية الدولية لمركز الدراسات الأرمينية في جامعة القاهرة. ومما لا شك فيه أن المصادر والمراجع الأرمينية تحدثت عن الموضوع بشكل واسع، غير أن مشكلة عدم معرفتي للغة الأرمينية حال دون استفادتي منها، الأمر الذي جعلني أعتمد على المصادر المترجمة إلى الفرنسية أو الإنجليزية.

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد أصبْتُ، ووفقت في إضافة دراسة جديدة ومفيدة للمكتبة الجزائرية والعربية والإسلامية، بقلم جزائري، أو على الأقل ساهم البحث في سد الثغرات التي أغفلتها الجهود السالفة عند تناولها لتاريخ أرمينية في العهد الإسلامي، خاصة بعد الجهود المضنية المبذولة في سبيل تقديم تلك الأحداث التاريخية وفق منهجية البحث التاريخي، بعيدا عن التحيز والقناعات الشخصية، رغم الغموض والتشابك والتعقيد والتداخل الموجود في الكثير من أخبارها، وعجز المصادر على اختلافها في تغطية بعض الفجوات الموجودة في الحدود الزمنية للموضوع.

وأرجو من الله أن يكتب لي أجر المحاولة والاجتهاد. ولا يفوتني في هذا المقام أن أقدم شكري وامتناني للأستاذة الدكتورة زكية كربال المشرفة على الأطروحة، وأدعو الله أن يكتب لها هذا العمل في ميزان حسناتها. وأتقدم بالشكر الجزيل لجميع أعضاء لجنة المناقشة، وأحييهم من هذا المنبر على قراءة البحث والصبر على النقص الذي اعتراه، ومناقشة هذا الموضوع الذي يحتاج إلى ملاحظاتهم وتصويباتهم لتصحيح الأخطاء، بهدف الوصول إلى عمل رصين ومفيد.

الفصل الأول

الجغرافيا والتطور التاريخي لأرمينية قبل السيادة الإسلامية

- 1- الإطار الجغرافي لأرمينية
- 2- تضاريس أرمينية
- 3- أصل الأرمن
- 4- انتشار المسيحية وظهور الأبجدية الأرمينية
- 5- خضوع أرمينية للساسانيين والروم 429-640م
 - أ- أرمينية الساسانية
 - ب- أرمينية الروم
- 6- الفتوحات الإسلامية لأرمينية 19-41هـ/640-661م
 - أ- دوافع الفتح الإسلامي لأرمينية
 - ب- الفتح الإسلامي لأرمينية

يتعرض هذا الفصل إلى الحديث عن المجال الجغرافي لأرمينية وتضاريسها، لما لهذين العنصرين من تأثير بارز على مسار الأحداث التاريخية قيد الدراسة، لاسيما وأن الموقع الجغرافي لهذا الإقليم وموارده الطبيعية وظروف بيئته الطبوغرافية، جعلت منه هدفا سهلا وسط جيرانه الطامحين إلى السيطرة عليه على مرّ التاريخ، فالجغرافيا أثّرت على تفكير العنصر الأرمني، وجعلته وسط جيران أقوىاء يضطّرّ في كثير من الأحيان إلى الميل نحو الطرف الأقوى، الذي يخدم مصلحته، ويحافظ على أَمْنِهِ وهُوِيَّتِهِ.

وباعتبار الجنس الأرمني من أعرق الأجناس في منطقة القوقاز، فقد عرضت لمحة تاريخية وجيزة حول أصل الأرمن، وتاريخهم عبر العصور التاريخية، وأشارت إلى القوى الكبرى التي اغتصبت أراضيهم وحاولت احتواءهم بشتى الطرق. وتحدثت كذلك عن اعتناق الأرمن للديانة المسيحية مطلع القرن الرابع الميلادي، وابتكارهم حروف اللغة الأرمينية مطلع القرن الخامس الميلادي، وهي أسس مترابطة تميّز بها العنصر الأرمني عن أعدائه التقليديين الفرس والروم المتنافسين على احتلال أرضه قبل الفتح الإسلامي.

وتطرّق الفصل أيضا إلى أسباب الفتح الإسلامي لإقليم أرمينية، والحملات العسكرية الاستطلاعية الرامية إلى إلحاقها بدار الإسلام. والملاحظ أن المنطقة بعيدة عن دار الخلافة، وتضاريسها وعرة، والوصول إليها يجعل الجيش الإسلامي في مواجهة مباشرة مع إمبراطورية الروم، العدو اللدود للإسلام والمسلمين، رغم ذلك قرّر قادة الإسلام خوض غمار الحرب، وباشروا في القيام بغزوات بين الحين والآخر بهدف التعرف على المكان، وجسّ نبض الأرمن لمعرفة مدى إمكانية تقبلهم للسيادة الإسلامية.

ويحاول هذا الفصل الحصول على إجابات لأسئلة متعلقة بدور إقليم أرمينية جغرافيا وتاريخيا، المثير للاهتمام عبر العديد من المحطات التاريخية، ومنها: من كان يسيطر على أرمينيا؟ وكيف كانت أوضاعها قبيل الفتح الإسلامي؟ لماذا كثّف

المسلمون حملاتهم العسكرية على أرمينية واستماتوا لإخضاعها تحت سيادتهم ؟ ما سرّ تفضيل الأرمن للحكم الإسلامي على الاندماج في إمبراطورية الروم ؟ لماذا منح المسلمون لأرمينية وبعض الإمارات القوقازية تنازلات عديدة كإعفائهم من الجزية أو منحهم حكما ذاتيا خاصا يختلف عن كل الأقاليم التي فتحها المسلمون ؟

1- الإطار الجغرافي لأرمينية¹

تقع أرمينية في منطقة القوقاز Caucase² المعروفة بجبالها الفاصلة بين قارتي آسيا وأوروبا،³ والتي سكنتها أقليات عرقية متعددة منذ القدم، ولعلّ من أبرزها الأرمن.⁴

¹ عرفت في المصادر الإسلامية بهذا الاسم والنسبة إليها أرميني، بينما نجد حذف التاء المربوطة في العديد من الدراسات المعاصرة وتكتبها بالألف أرمينيا، اقتداء بالاسم الرسمي لدولة أرمينيا Arménia الحاضرة (علما أن هذه الأخيرة لا تمثل إلا جزءا صغيرا من أرمينية القديمة) المستقلة عن الاتحاد السوفياتي في 21 سبتمبر 1991م، والتي تقع جنوب غرب قارة آسيا، تحدها من الشرق أذربيجان ومن الغرب مدينة ناخيتشيفان الأذرية وتركيا، وتجاورها شمالا جورجيا وجنوبا إيران. وتقدر مساحتها بحوالي 300 ألف كلم². أنظر: الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت. 626/1229م)): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، مج1، ص160؛ محمد الجابري: موسوعة دول العالم حقائق وأرقام، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ط.1، 2000م، ص.62؛ حمد بن ناصر العبودي: مواطن إسلامية ضائعة مشاهدات في مولدوفا وأرمينيا، ردمك، الرياض، ط.1، 1420هـ/2000م. ص.128 وما بعدها؛ دائرة المعارف الإسلامية: تر. محمد ثابت الفندي وآخرون، مكتبة محمد حسين هيكل، القاهرة، 1933م، مج.1، ص.637؛ راجع أيضا:

LAURENT (Joseph) : L'Arménie entre Byzance et l'islam depuis la conquête arabe jusqu' en 886, Fontemoing et Cie, Paris, 1919, p. 39.

² أطلق هذا الاسم على السلاسل الجبلية الموجودة في المنطقة، يسميها ابن الفقيه القَبْقُ، وعند المسعودي "جبل القبخ"، ونجدها في معجم البلدان للحموي القَبْقُ أو القَبْج، وتسمى حاليا القوقاز أو القوقاس أو القفقاس. أنظر: ابن الفقيه (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت. 340/951م)): البلدان، تج. يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت-لبنان، 1416هـ/1996م. ص.583؛ المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت. 346/957م)): مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، 1425هـ/2005م. ج. 1، ص.206؛ محمد عبد الرحيم، شفا فخرية، الغزالي ناهدة محي الدين: الموسوعة الجغرافية، دار الراتب الجامعية، بيروت-لبنان، ط. 1، 2004م، مج. 8، ص. 4.

³ GROUSSET (René) : Histoire de l'arménie des origines a 1071, payot, Paris, 1973, p. 14.

⁴ HERZIG Edmund and KURKCHIYAN Marina: The Armenians, RoutledgeCurzon, London and New York, ed. 1, 2005, p. 1.

وتتـــمـــتـــد من بـــــــلاد الخزر¹ وبحر
الخزر² شرقا إلى بحر بُنطُس³ وحدود الروم⁴ غربا ومن بلاد
الروس⁵ والصقالبة⁶ شمالا إلى حدود بلاد فارس وإقليم الجزيرة¹ والشام
جنوبا.²

¹ اتفق معظم الباحثين على أن الخزر شعب من أصل تركي، عاش في أواسط آسيا ثم انتقل إلى شرق أوروبا في فترة مبكرة وغير محددة، واستقر حول بحر قزوين ومناطق شمال القوقاز، وامتدت مملكتهم في أقصى اتساع لها إلى نهر الفولغا شمالا، ونهر الدنيبر غربا. محمد عبد الشافي المغربي: مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين في العصور الوسطى، دار الوفاء لندنيا، الإسكندرية، 2002م. ص. 37.

² يقع في الجهة الشمالية، يحده من الشرق جرجان وطبرستان، وغربا اللان وجبال القيق، وعلى شماله بلاد الخزر، وجنوبا إقليم الجبل والديلم، وهو بحر واسع ومغلق، يسمى حاليا بحر قزوين وهو بحر مالح ومغلق. يعتبر أكبر جسم مائي داخلي في العالم، وتحيط به كل من إيران وتركمانستان وكازاخستان وروسيا وأذربيجان. ابن الوردي (سراج الدين الحفيد (ت. 861/1457م)): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تج. أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1428هـ/2008م. ص. 243؛ دورلنغ كندرسلي: الموسوعة الشاملة الأرض وتضاريسها، تر: عماد الدين أفندي، دار الأصاله للثقافة، الجزائر، ط. 1، 2015م. ص. 250.

³ كلمة يونانية أطلقت قديما على البحر الذي يقع غرب القوقاز، ويمتد إلى خليج القسطنطينية حتى يتصل ببحر الشام (البحر الأبيض المتوسط حاليا) عبر مضيق البوسفور والدردنيل وبحر مرمرة. يسمى حاليا البحر الأسود. البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت. 739/1338م)): مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تج. علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1373هـ/1954م. ص. 225؛ دورلنغ كندرسلي: المرجع السابق، ص. 409.

⁴ جاء في كتاب "معجم البلدان" للحموي، أنهم جبل معروف في بلاد واسعة، يحدها شرقا وشمالا الترك والخزر والروس، وجنوبا الشام والإسكندرية، وغربا البحر والأندلس. الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 98-97.

⁵ بلادهم متاخمة للصقالبة والترك، وقد أطلق هذا الاسم في البداية على السكان الذين قطنوا في منطقة الدنيبر الأوسط، ثم أصبح يطلق على المنطقة التي نزلوا بها بعدما توسعت مساحتها مع الوقت. الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 79؛ كربال زكية: التطور السياسي والحضاري لروسيا من خلال كييف منذ منتصف القرن التاسع حتى الربع الأول من القرن الثاني عشر الميلادي، رسالة ماجستير، إشراف: موسى لقبال، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001-2002م. ص. 16.

⁶ الصقلاب الرجل الأحمر، وقيل الأبيض، بلادهم مجاورة لبلاد الخزر في أعالي جبال الروم، تمكنوا خلال القرن السادس الميلادي من السيطرة على مجال واسع يمتد من البحر الأسود جنوبا إلى خليج فنلندا شمالا، وحوض الفولغا الأعلى ونهر دون وبحر آزوف شرقا. الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 416؛ كربال: المرجع السابق، ص. 18.

وتتكون المنطقة من إقليمين رئيسيين: الأول يعرف بشمال القوقاز الذي يضم ممالك وأمم الشمال، وأهمها: بلاد الكرج³ التي استقر سكانها في نهر الكور الأعلى، مملكة الخزر، الصقالبة، ومملكة اللان⁴ المجاورة لنهر الكور.⁵

أما القسم الثاني فيسمى إقليم جنوب القوقاز، ويشمل أذربيجان⁶ وأران⁷ وأرمينية.⁸

¹ يسميه الحموي جزيرة أفور ويمتد بين نهري الدجلة والفرات وهو مجاور لبلاد الشام. الحموي: المصدر السابق، مج. 2، ص. 134.

² رجب محمود إبراهيم بخيت: الفتح الإسلامي لبلاد القوقاز (17-132هـ/639-750م)، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، 2010م، ص30؛ فايز نجيب إسكندر: بلاد الكرج بين المسلمين والبيزنطيين حتى أواخر القرن الثاني الهجري/ أواخر القرن الثامن الميلادي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 1988م. ص. 7-8؛ راجع أيضا: LAURENT (J.) : op. cit. p. 14.

³ حاليا دولة جورجيا.

⁴ تقع شمال شرق أرمينية. الحموي: المصدر السابق، مج. 5، ص. 8.

⁵ LAURENT (J.) : op. cit, p. 11-12.

⁶ خلال العصر الإسلامي كانت حدودها تطل على بحر الخزر شرقا، ومن الغرب تجاور أرمينية وجزء من إقليم الجزيرة، كما تحدها شمالا أرمينية، ومن الجنوب حدود العراق، وحاليا تقع جنوب حدود أذربيجان الحالية. ويقال أن اسمها مشتق من "آذر" أي النار، نسبة لبيوت عبادة النار التي اشتهرت فيها إبان فترة حكم الدولة الساسانية. رجب محمود إبراهيم بخيت: تاريخ الإسلام في أذربيجان من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول (22-132هـ/642-847م)، دار العلم والإيمان، كفر الشيخ، 2009م. ص. 33-34؛ دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، مج. 1، ص. 563.

⁷ سميت قديما ألبانية وعرفت كذلك بـ أتروباتين Atropatene، تصفها إحدى المراجع الأثرية بأذربيجان الشمالية، يحدها شرقا بحر الخزر، وغربا أرمينية، وشمالا بلاد الخزر، وجنوبا أذربيجان الجنوبية، وتمثلها اليوم دولة أذربيجان، إلا أن كتب التاريخ والجغرافيا الإسلامية تصنفها ضمن إقليم أرمينية. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت. 292هـ/904م)): البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د/ت)، ص. 208؛ البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت. 279هـ/892م))، فتوح البلدان، تح. عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987م. ص. 273-274؛ ابن خردادبه (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت. 280هـ/893م)): المسالك والممالك، ليدن، مطبعة بريل، 1889م. ص. 122؛ مروان المدور: الأرمن عبر التاريخ، منشورات دار نوبل، دمشق-سوريا، ط. 2، 1981م. ص. 150؛ محمود إسماعيل: مختصر تاريخ أذربيجان، تر: رفيق عليوف ورامز مرسالوف، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط. 1، دبي-الإمارات العربية المتحدة، 1416هـ/1995م. ص. 19؛ LAURENT (J.) : op. cit, p. 11.

⁸ بخيت، الفتح الإسلامي لبلاد القوقاز، ص. 33 وما بعدها.

وقسم الأرمن منذ القدم أرضهم إلى قسمين غير متكافئين: أرمينية الكبرى¹ Mez-Haik، وأرمينية الصغرى Pokr-Haik.² وتشكل أرمينية الكبرى إقليما رئيسيا في جنوب القوقاز وغرب آسيا، تمتد من نهر الفرات غربا إلى ملتقى نهري الكور le Koura والرس L'Arak's في الشرق، غير بعيدة عن بحر الخزر، ومن إقليم الجزيرة والشام جنوبا إلى بلاد الكرج شمالا،³ ويذكر بعض المؤرخين الأرمن أن حدودها الشرقية تطل على بحر الخزر. أما حدودها الغربية فشملت ما بين البحرين الروم⁴ والبنطس.⁵ وفلكيا تتحصر أرمينية الكبرى بين خطي طول 38° و 48° شرقا، وبين دائرتي عرض 37° و 41° شمالا، وتقدر مساحتها بحوالي 120 ألف ميل مربع، أي 19308 كلم².⁶ غير أن الجغرافيين المسلمون حصروا أرمينية الكبرى في المدن المحيطة ببحيرة وان وما جاورها، ويسميها ابن حوقل أرمينية الخارجة.⁷ وعلى أية حال فإنه من الصعب تحديد بدقة الأراضي الشاسعة التي كانت عبر العصور موطننا للعنصر الأرمني.⁸

¹ تعرف أحيانا أرمينية التاريخية، وهي الموطن الأصلي للأرمن، وبمفهوم الحاضر تشمل معظم أراضي شرق تركيا، والجزء الشمالي الشرقي من إيران، وأجزاء من جمهوريتي أذربيجان وجورجيا، وأرمينيا الحالية. بورنوتيان جورج: موجز تاريخ الشعب الأرمني من العصور القديمة إلى العصور الحديثة، تر: سحر توفيق، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2012م. ص. 15؛ أنظر أيضا خريطة أرمينية الكبرى، الملحق الثاني عشر، ص. 262.

² CANARD (Marius) : article « Arminiya » dans : Ency,Is I, E. J. Brill,Leiden,1986.t. p. 642 ; ارجع إلى خريطة أرمينية الصغرى، الملحق الثالث عشر، ص. 363.

³ LAURENT (J.) : op. cit, p. 299 ; Canard (M.) : op. cit. p. 634.

⁴ حاليا البحر الأبيض المتوسط.

⁵ خوريناتسي موسيس: تاريخ الأرمن من البداية حتى نهاية القرن الخامس الميلادي، تر: نزار خليلي، إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 1999م. ص. 34؛ خانجي أنطون: مختصر تواريخ الأرمن، دير الآباء الفرنسيكان، أورشليم، 1868م. ص. 10-11.

⁶ بورنوتيان جورج: المرجع السابق، ص. 15.

⁷ الحموي، المصدر السابق، مج. 1، ص. 160؛ ابن حوقل (أبي القاسم النصيبي (ت. 367/977م)): صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1992م. ص. 295.

⁸ MACLER Frédéric : La Nation Arménienne son passé, ses Malheurs, Librairie Fischbacher, 1924, p.7.

أما أرمينية الصغرى فتتمدد إلى منابع نهر هاليس¹ Halys،² غرب أرمينية الكبرى التاريخية، التي تختلف عنها بشكل جليّ جغرافيا وتاريخيا،³ وهي المنطقة التي أخضعها الملك آرام⁴ لحكمه قصد توسيع مملكته.⁵ كما عرفت عند اليونان القدماء بـ"برودين أرمينية"،⁶ وذكرت المصادر الإسلامية أن أرمينية الصغرى هي بلاد الكرج، ويسمّيها ابن حوقل بأرمينية الداخلة⁷ وهذا يعني أنها تقع شمال أرمينية الكبرى، وبذلك فهي تختلف عن المصادر والمراجع الأرمينية التي تجعلها غربها.

ويذكر المؤرخ المختص في التاريخ الأرمني جوزيف لورانت LAURENT Joseph أن اسم أرمينية الصغرى كان يشمل في البداية المنطقة الأرمينية الواقعة غرب نهر الفرات، ثم أطلق على المنحدرات الجنوبية لسهل قيليقيا⁸ وجبال طوروس،⁹ والمملكة الأرمينية التي تأسست في هذه المناطق خلال القرن الحادي عشر ميلادي.¹⁰ ويؤيده في ذلك الباحث محمد زرقوق الذي يذكر أن أرمينية الصغرى تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من آسيا الصغرى،¹¹ وعرفت بهذا

¹ يعرف حاليا بنهر قزل إرماق، يتواجد وسط تركيا الحالية ويصب في البحر الأسود.

² LAURENT (J.) : op. cit, p. 300-301.

³ Ibid, p. 39.

⁴ يرجع نسب الملك آرام حسب خانجي أنطوان إلى يافث بن نوح؛ خانجي، المرجع السابق، ص8-9.

⁵ بلاد آرام أو مملكة آرام موطنها الأصلي بلاد الشام وشمال غرب العراق، وينتمي سكانها إلى الشعوب السامية. نفسه، ص9.

⁶ كلمة يونانية ترجمتها "أرمينية الثانية"؛ خوريناتسي، المصدر السابق، ص49.

⁷ الحموي، المصدر السابق، مج1، ص160؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص295.

⁸ عبارة عن سهل مثلث الشكل، معزول عن الأناضول شمالا بجبال طوروس، وشرقا يجاور بلاد الشام، أما جنوبا فيطل على البحر الأبيض المتوسط. ويذكر أن الأرمن أسسوا مملكة قوية في هذه المنطقة امتدت زمنيا من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر للميلاد، لاسيما من عام 1198 إلى 1375م. أنظر:

MUTAVIAN (Claude) : Le Royaume Arménienne de Cilicie XII^e-XIV^e siècle, CNRS éditions, Paris, p. 14.

⁹ DUECK (Daniela), LINDSAY (Hugh) AND POTHECAR (SARAH): STRABO'S CULTURAL GEOGRAPHY, Cambridge university press, New York, 2005, p. 200;202.

¹⁰ Recueil des Historiens des Croisades Documents Arméniens, Imprimerie nationale, Paris, 1909, t. 1, p. xviii ; LAURENT (J.) : op. cit, p300-301.

¹¹ آسيا الصغرى: دولة تركيا حاليا.

الاسم عندما هاجر إليها الأرمن خلال ق4/10م تمييزاً لها عن موطنهم الأصلي أرمينية الكبرى.¹

وبناء على ما سبق نستشف أن الاختلاف في ترسم الحدود مرده إلى الظروف السياسية، فإقليم أرمينية كان دائم التقلص والامتداد تبعاً للأحداث التاريخية المتعاقبة، لأن أرضها كانت ميداناً للحروب بين القوى الكبرى المجاورة لها.

وفيما يخص المجال الجغرافي لأرمينية خلال الفترة (41-271هـ/661-885م) فإن المصادر الأرمينية المعاصرة لها، والمصادر الإسلامية المبكرة، قد خلت من مصطلح أرمينية الكبرى أو أرمينية الصغرى واكتفت باسم أرمينية، ولم تحدد المصادر الأرمينية مجالها الجغرافي لأن أرمينية كمملكة مستقلة كانت غير موجودة قبيل الفتح الإسلامي، وأرضها قسمت إلى جزأين قسم شرقي تابع للفرس وآخر غربي خاضع للروم، وبعد الفتح الإسلامي ضمها المسلمون إلى أقاليمهم المفتوحة وأضحت ولاية إسلامية في الفترة الممتدة من (41هـ/661م) إلى (271هـ/885م) وعليه فقد اكتفى المؤرخون الأرمن الذين كتبوا عن هذه الحقبة الزمنية مثل: سبيوس Sébéos² (عاش في القرن 1هـ/7م)، وجيفوند Ghévond³ (عاصر القرن 2هـ/8م)، وأسوليك Asolik⁴ وجون كاثولييكوس

¹ زرقوق محمد: إمارة أرمينيا الصغرى بين السلاجقة والصليبيين 463-623هـ/1071-1226م. أطروحة دكتوراه، إشراف: لطيفة بشاري، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، السنة 1438-1439هـ/2017-2018م. ص. 41-42؛ للمزيد أنظر:

R . H. C. D. Arm. op. cit. t. 1, p. xviii ; Mutavian Claude : op. cit. p 14 et sui.

² التعريف بالمؤرخ وكتابه موجود في المقدمة. للمزيد راجع أيضاً: فايز نجيب اسكندر: المسلمون والبيزنطيون والأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر "سبيوس" (11-40هـ/661-632م)، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1414هـ/1993م. ص. 14 وما بعدها.

³ السيرة الذاتية للمؤرخ دؤنت في المقدمة. أنظر: فايز نجيب اسكندر: أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني جيفوند (11-40هـ/661-632م)، دار نشر الثقافة، الاسكندرية، ج. 1، 1982. ص. 3 وما بعدها.

⁴ التعريف بالمؤرخ موجود في المقدمة. راجع أيضاً: فايز نجيب اسكندر: أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين، ج. 1، ص. 73-74.

Catholicos Jean¹ (عاش في القرن 3هـ/9م) بذكر المدن الأرمينية التي سيطر عليها المسلمون، دون الإشارة إلى حدود أرمينية.

فإذا أخذنا كتاب "تاريخ هرقل" (Histoire D'Héraclius) للمؤرخ الأرمني سبيوس المعاصر لفترة الفتوحات الإسلامية لأرمينية، وكتاب "تاريخ حروب وفتوحات العرب في أرمينية" (Histoire des guerres et des Conquêtes Arabes en Arménie) للراهب جيفوندا، نجد أنهما يذكران عدّة أقاليم ومقاطعات ومدن أرمينية خلال سردهما لأحداث الفتح وأوضاع أرمينية خلال الحقبة الإسلامية، حيث ذكرت بلاد ألوانك وبلاد الكرج، كمناطق مجاورة لأرمينية، وبلاد سيونيك وبلاد الطاييك ضمن الحدود الأرمينية، أما الأقاليم الأرمينية فتمثلت في: الطارون، جوجشن، أرتاز، كوجوفيت، جارني، سفهاكان جند، الفاسبوراكان، ووردت مقاطعتين: آارات وبغروندا، وفي سياق حديث هذين المصدرين عن مسار الفتوحات والأحداث التي وقعت خلال الحقبة الإسلامية ذكرت المدن الآتية: دوين، نقجوان، يرفان، درجان، بدليس، طرابيزون، جولاً، بزنونيك، اليوفيت، أردسبوى، أرتاشاط، شيراك، أوردورو، كارين، جزيرة برنونيك، جزيرة الثامار، قلعة أردزاب، القرى التي سكنها المار.²

أما الجغرافيون المسلمون مثل اليعقوبي (ت. 292هـ/904م)، والاصطخري (ت. 346هـ/957م)،³ وابن حوقل (ت. 367هـ/977م)، والمقدسي (ت. 380هـ/990م).¹ فقد

¹ للاطلاع على السيرة الذاتية للمؤرخ ارجع إلى المقدمة. للمزيد أنظر: فايز نجيب اسكندر: أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين، ج. 1، ص. 17-18.

² SÉBÉOS (L'évêque) : Histoire d'Héraclius, Traduit en français par F. Macler, ernest leroux, Paris, 1904, p99 et swiv ; GHÉVOND (Léonce) : Histoire des guerres et des conquêtes des Arabes en Arménie, traduit en français par Garabed V. Chahnazarian, Paris, 1856, p. 5 et swiv ;

³ أبو إسحاق الفارسي الاصطخري، عاش في بلاد فارس، وسافر كثيرا فزار بلاد ما وراء النهر والجزيرة العربية والشام ومصر وغيرها من المناطق. سمّى كتابه "الممالك والممالك"، واقتصر فيه على ذكر أقاليم العالم الإسلامي، وصف الجزيرة العربية وبحر فارس مع المحيط الهندي، وبلاد المغرب مع الأندلس وصقلية، ومصر والشام وبحر الروم وبلاد الجزيرة والعراق وإيران الجنوبية والهند وأرمينية وأذربيجان وبحر الخزر، وبلاد ما وراء النهر. يورد الاصطخري في كل إقليم معلومات تخص الحدود والمدن والمسافات وطرق المواصلات، ويضيف تفاصيل متفرقة عن الأجناس البشرية والإنتاج

أشاروا إلى حدودها في هذه الفترة ولكنهم اختلفوا فيها، فبعضهم جعل أذربيجان وأزان والكرج وأرمينية إقليمًا واحدًا،² باعتبار أن المنطقة ككل أسند لها الحكام المسلمون في العديد من الفترات واليا واحدًا، فصار لها تاريخ مشترك.³ وسماه الجغرافي المقدسي بإقليم الرّحاب،⁴ وعن حدود الإقليم يقول الإصطخري: " فأما أرمينية والران وأذربيجان فإن جمعناها في صورة واحدة، وجعلناها إقليمًا واحدًا، والذي يحيط بها مما يلي المشرق الجبال والديلم وغربي بحر الخزر، والذي يحيط بها مما يلي المغرب حدود الأرمن واللّان وشيء من حدّ الجزيرة، والذي يحيط بها مما يلي الشمال اللّان وجبال القبق، والذي يحيط بها مما يلي الجنوب حدود العراق وشيء من حدود الجزيرة".⁵

الفلاحي والتجارة والصناعة والحرف. كراتشكوفسكي أغناطيوس: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر. صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963م، ص. 199 وما بعدها.

1 اسمه الكامل شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البّناء الشامي، غير أنه اشتهر بالمقدسي نسبة إلى مسقط رأسه بيت المقدس. ولد عام 335هـ/946م، وترعرع في مدينة القدس بفلسطين، اشتهرت أسرته بمهنة البناء، أما المقدسي فقد اتجه إلى طلب العلم، إذ تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن في بيت المقدس، ثم ارتحل لطلب العلم في العراق وأخذ أصول المذهب الحنفي على يد القاضي أبي محمد السيرفي (ت. 368هـ/978م)، وكان عالما بارعا في القراءات، لاسيما قراءة عبد الله بن عامر (ت. 118هـ/736م) المنتشرة لدى أهل العراق. احتل المقدسي مكانة علمية بارزة، وعده الكثير من المستشرقين من أشهر الجغرافيين في التاريخ، مثل المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي Arnatyous KRATCHKOVSKI (1883-1951م) مؤلف كتاب "تاريخ الأدب الجغرافي العربي"، وكراميره QUARAMERE (1888-1966م). اطلع المقدسي على مؤلفات سابقه في مجال الجغرافيا والرحلات، وتجوّل بين مختلف أقطار العالم، ودوّّن ما شاهده وما سمعه عن المناطق التي زارها. تميز عن غيره من المؤلفين بدقّة ملاحظاته. المقدسي: المصدر السابق، ص. 5 وما بعدها.

2 ابن حوقل، المصدر السابق، ص. 285؛ أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر (ت. 732هـ/1331م)): تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، 1830م. ص. 386؛ راجع أيضا:

Unknown authorm : The regions of the world' A Parsian geography, trad : MINORSKY (V.), printed at the university press OXFORD, LONDON,p. 142.

³ CANARD (M.) : op. cit. p. 642.

⁴ المقدسي: المصدر السابق، ص. 313.

⁵ الإصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت. 346هـ/957م)): المسالك والممالك، تح. محمد جابر الحيني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2004م، ص. 108.

غير أن أغلبهم قسم أرمينية في العهد الإسلامي إلى أربع أرمينيات،¹ حيث نجد أرمينية الأولى والثانية والثالثة والرابعة،² ومن خلال الكور³ والقصبات⁴ والمدن التي ذكرت في كل قسم نستشف أن ولاية أرمينية الإسلامية كان يحدها شرقا بحر الخزر، وغربا بلاد الروم، وشمالا مرتفعات القوقاز وبلاد الخزر واللان، وجنوبا تجاور أذربيجان وإقليم الجزيرة والشام.⁵

وبناء على ما سبق نلاحظ أن المسلمين ضموا إقليمي أرّان والكرج إلى أرمينية وبالتالي فقد وسعوا من مساحتها، ويعتقد بعض المؤرخين أن ذلك يرجع إلى ارتباط هذه المنطقة بأرمينية تاريخيا ودينيا، ومقاومتها مجتمعة لفتوحات الإسلامية،⁶ بالإضافة إلى كونها تضم عدّة شعوب والأرمن أكبرها،⁷ بينما يذكر المؤرخ المختص في الدراسات الأرمينية فايز نجيب اسكندر أن المسلمين أطلقوا على كل هذا الإقليم أرمينية جريا على عاداتهم التي تنص على إطلاق اسم الجزء المعروف لهم على الكل المجهول، فقد عرف المسلمون الشعب الأرمني قبل غيره من الشعوب القوقازية لأن أرمينية كانت أقرب الأقاليم القوقازية إلى المسلمين وأول الخاضعين لسيادتهم.⁸ يضاف إليه الضعف السياسي لإقليمي الكرج وأرّان منذ فترة طويلة، والذي نجم عنه بروز الأرمن كطرف فاعل على الساحة السياسية للمنطقة.⁹

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 273-274؛ ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص. 122؛ الحموي، المصدر السابق، مج. 1، ص. 160؛ اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت. 292هـ/904م)): تاريخ اليعقوبي، تح. عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، 1431هـ/2010م. مج. 1، ص. 223.

² سيتم الحديث عنها بالتفصيل خلال التطرق للتقسيم الإداري لأرمينية أثناء الفتح الإسلامي.

³ مفرها كُورَة وهي "كل صُفْع يشتمل على عدّة قرى، ولا بد لتلك القرى من قَصَبَة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها ذلك اسم الكورة". الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 36-37.

⁴ القصبات: مفردا قَصَبَة ويقصد بها العاصمة.

⁵ أنظر خريطة أرمينية الكبرى، الملحق الثاني عشر، ص. 362.

⁶ صابر محمد دياب حسين: أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، مصر، 1398هـ/1978م، ص. 3.

⁷ CANARD (M.) : op. cit. p. 642 ; LAURENT (j.) : op. cit. p.9.

⁸ إسكندر: بلاد الكرج بين المسلمين والبيزنطيين، ص. 8-9.

⁹ LAURENT (j.) : op. cit. p.10-11.

2- تضاريس أرمينية

تتألف بلاد أرمينية من الناحية الطبيعية من مظاهر تضاريسية خاصة تميزها عن غيرها من البلدان المجاورة لها، إذ تخترقها مرتفعات جبلية متوازية،¹ تأخذ اتجاه شرق في جنوب شرقي، ولذلك فهي تقسم أرمينية إلى عدة مقاطعات منفصلة ومنعزلة عن بعضها البعض، وتتخللها ممرات صعبة تربط بينها،² كما أن حدودها الشمالية محجوزة بسلسلة جبال القوقاز³ الممتدة من بحر بنطس إلى بحر الخزر،⁴ وتقف حاجزا في وجه الاتصال المباشر بين أرمينية وجيرانها الخزر واللان والروس والصقالبة إلا من ممرين،⁵ يعرف أحدهما باسم باب الأبواب (دربند)⁶ ويقع بين بحر الخزر وبين السفوح الشرقية لهذه المرتفعات، أما الممر الثاني فاسمه باب اللان⁷ ويقع في القسم الأوسط منها.¹ ومن أشهر مرتفعات أرمينية جبال أرارات² Ararat

¹ MACLER (F.) : op. cit. p. 7.

² المدوّر: المرجع السابق، ص. 69.

³ تتألف من سلسلتين متوازيتين، وتعتبر حدًا فاصلا بين قارتي آسيا وأوروبا، فالأجزاء التي تقع شمالا تتبع قارة أوروبا، بينما الأجزاء التي تقع جنوبها تتبع قارة آسيا، وتشمل دولتي روسيا وجورجيا، أعلى قمة بها جبل البروز بروسيا ويصل ارتفاعه إلى 5642م. السيد خالد المطري: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز دراسة جغرافية، الدار السعودية، جدة-المملكة العربية السعودية، 1421هـ/2001م. ص. 68؛ الموسوعة الشاملة الأرض وتضاريسها: تر: عماد الدين أفندي، دار الأصالة للثقافة، الجزائر، ط. 1، 2015م، ص. 164؛ دورلنغ كنرسللي: المرجع السابق، ص. 164؛ للمزيد أنظر:

GROUSSET (R.) : op. cit. p. 14.

وجاء وصفها في إحدى المصادر ما نصه: "وجبل يخرج من جوف البحر عند الأبواب ماذا إلى باب اللان وهو إلى ناحية الجنوب من بلاد الخزر ومن بلاد صاحب السرير ويسمى عند باب الأبواب جبل القبق وفيه الأبواب ويمرّ هذا الجبل من باب اللان إلى قاليقلا إلى ناحية الشمال من قاليقلا ويسمى هناك جبال لازقة وبارقة". سُهراب: عجائب الأقاليم السبعة، ترجمة وتحقيق: هانس فون مزيك، مطبعة أدولف هولزهوزن، فينا، 1347هـ/1929م. ص. 115.

⁴ يبلغ طول سلسلة جبال القوقاز 1200 كلم، وأعلى جبالها جبل "الْبُرْز" إذ يبلغ ارتفاعه 5630م، وهو أعلى جبال أوروبا. عزت يوسف: تاريخ القوقاز، تعريب: عبد الحميد بك غالب، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1330هـ/1912م. ص. 11.

⁵ هذا التقسيم الطبيعي، وهذه الممرات ولاسيما الممران الحدوديان اللذان يقعان شمال أرمينية، كان لهما انعكاسات خطيرة على الأوضاع السياسية والعسكرية لأرمينية.

⁶ قدم لنا أبو الفداء في كتابه "تقويم البلدان" وصفا دقيقا عن جبال القوقاز التي يسميها جبل القيتق حين قال عنه: "ويمتدّ من باب الأبواب إلى بلاد الروم نحو مسيرة شهر وجانبه الجنوبي كالحائط لا طريق فيه كأنه نُحِتَ بقُدوم وعرضه مسيرة عشرة أيام ولا يسلك إلى بلاد الترك إلا بين ساحل بحر الخزر وبين طرف هذا الجبل وبين طرفه والبحر ثلاثة أميال". أبو الفداء: المصدر السابق، ص. 71.

⁷ باب اللان: يسمى حاليا دَارْبِيل.

التي تنقسم إلى قسمين جبل أارات الكبير وجبل أارات الصغير³ great Ararat و little Ararat. ونلاحظ أن أرمينية غنية بالثروة المائية فهي منطقة لتقسيم المياه بين عدد من الأنهار الهامة،⁴ فمنها ينبع نهر الرّسّ⁵ Arax ونهر الكر Kura ثم يصبان في بحر الخزر،⁶ ونهر الفرات Euphrate ونهر الدجلة Tigris اللذان يصبان في شطّ العرب.⁷ وبأرمينية بحيرتان كبيرتان هما أرجيش⁸ Van وسيفان⁹ Sevan بالإضافة إلى عدة بحيرات صغيرة منتشرة في المناطق الجبلية.¹⁰

¹ شريف إبراهيم: الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي، أطروحة دكتوراه (منشورة)، إشراف: سليمان حزين، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مطبعة شفيق، بغداد، (دون سنة)، ج. 1، ص. 299-300.
² لفظة آرا تعني النار، وكلمة أارات معناها جبل النار، نظرا لما كان يخرج في العصور السابقة من الحمم البركانية، في الفترة قيد الدراسة كان يقع وسط أرمينية ويطل على مدينة دبيل عاصمة ولاية أرمينية الإسلامية. يعتبر الأكثر شهرة في المقاطعة التي تحمل اسمه، ويصل ارتفاعه إلى 5205م. وجاء في الكتاب المقدس أنه الجبل الذي توقفت عنده سفينة نوح عليه السلام بعد الطوفان، ويسمى جبل نوح، وهو اليوم ضمن الأراضي التركية. أديب السيد: أرمينية في التاريخ العربي، المطبعة الحديثة، حلب، ط. 1، 1972م. ص. 24؛ كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، تعريب: بشير فرنسيس وكوركي عوّاد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. 2، 1985م. ص. 217؛ راجع أيضا:

GROUSSET (R.): op. cit. p. 18.

³ يعرفان عند البلدانبيين المسلمين مثل الاصطخري وابن حوقل والمقدسي بالحارث والحويرث، وجاء في "معجم البلدان" للحموي ما نصه: "الحارث والحويرث جبلان بأرمينية فوقهما قبور ملوك أرمينية ومعهم ذخائرهم... سميا بالحويرث بن عقبة والحارث بن عمرو الغنويين وكانا مع سلمان بن ربيعة بأرمينية، وهما أول من دخل هذين الجبلين فسميا بهما". الحموي، المصدر السابق، مج. 2، ص. 205.

⁴ ابن الجوزي (أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت. 597/1200م)): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح. محمود عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط. 2، بيروت-لبنان، 1995م، ج. 1، ص. 160-161؛ شريف: المرجع السابق، ج. 1، ص. 295.

⁵ يذكر اليعقوبي أن خلفه ثلاثمائة مدينة مخربة، وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله: "وأصحاب الرّسّ"، وجاء عند المقدسي أنه كان على نهر الرّسّ ألف مدينة هي الآن تحت جبلي الحارث والحويرث. اليعقوبي: المصدر السابق، ص. 208؛ المقدسي، المصدر السابق، ص. 319.

⁶ كي لسترنج: المرجع السابق، ص. 213.

⁷ نهر يتكون عند اجتماع نهري الدجلة والفرات في العراق، ويصب في الخليج العربي.

⁸ وتسمى كذلك ببحيرة وان أو فان.

⁹ تقع وسط أرمينية.

¹⁰ المدوّر: المرجع السابق، ص. 73.

ويتصف مناخ أرمينية عموماً بالقسوة والشدّة، وهذا ما عبّر عنه اليعقوبي حين قال: " كأرمينية النائية الباردة الصردة"¹. وقال عنها المقدسي: "بارد كثير الأمطار"². ويتنوع من منطقة إلى أخرى، ففي الشمال تتساقط الثلوج لمدة شهرين أو أكثر بشكل مستمر، وفي مناطق أخرى يطول فصل الشتاء لأكثر من ثمانية أشهر.³

3- أصل الأرمن

يتفق المؤرخون على أن الأرمن من الشعوب القديمة التي كانت تسكن إقليم القوقاز، إلا أنهم اختلفوا في سبب تسميتهم وأصولهم. فقد ظهر اسم أرمينية لأول مرة منقوشاً على صخرة في بلاد فارس تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد، إبان فترة حكم الملك الفارسي "داريوس الكبير" (521-485 ق م) وهي تشير لبلاد الأرمن بأرمينا Armina.⁴

ويرجح الجغرافي سترابو فرضية الأصل المشترك للأرمن والسريان والعرب.⁵ كما ورد اسم أرمينية وآرام من أصل واحد في اللغات السامية ويعني مرتفع، لأن أرضها مرتفعة، وهذه الفرضية تؤيد الرأي القائل أن الآراميين والأرمن في القديم كانا شعباً واحداً تجمعهم العادات والتقاليد واللغة،⁶ ويسمّيهم اليونان "آرمين" ويلقبهم الآشوريون بـ "آرمنيك"،⁷

¹ اليعقوبي: المصدر السابق، ص. 20.

² المقدسي: المصدر السابق، ص. 317.

³ وصف القزويني مدينة بَدَّ (تقع جنوب أرمينية حالياً هي تابعة لدولة لأذربيجان وتسمى مدينة بابك) فقال: "كثيرة الضباب قلماً تصحو السماء بها". القزويني (زكرياء بن محمد بن محمود (ت. 682/1283م)): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص. 511؛ المدور: المرجع السابق، ص. 74-75.

⁴ أحمد فؤاد رسلان: أرمينيا الأمة والدولة، دار الأمين، ط1، الجيزة، 1418هـ/1997م، ص. 23؛ المدور: المرجع السابق، ص. 109؛ جورج بورنوتيان: المرجع السابق، ص. 32-33.

⁵ STRABO: THE GEOGRAPHY OF STRABO, Tran. HORACE LEONARD JONES, Cambridge, Harvard university press, London, 1967, p. 252; DANIELA DUECK, HUGH LINDSAY AND SARAH POTHECAR: op. Cit. P. 245.

⁶ أديب السيد: المرجع السابق، ص. 23.

⁷ موسيس خوريناتسي: المصدر السابق، ص. 45-46.

ويطلق اسم Armenia في اللغة الإنجليزية و Arménie باللغة الفرنسية، بينما تسمى "أرمستان" في اللغتين الإيرانية والتركية ويقصد بها بلاد الأرمن. ويشير علماء الأنثروبولوجيا Anthropology¹ إلى الجنس المسمى الأرمني Armenoios الذي استقر في إقليم القوقاز والأناضول.²

ويتفق مؤرخا التاريخ القديم اليونانيان هيرودوت Hérodote واسترابون Strabon على أن الأرمن من الشعوب الهندو-أوروبية التي هاجرت من آسيا واستقرت غرب الأناضول، ثم انتقلت شرقا حتى وصلت إلى أرمينية،³ ومن هنا نجد أن الأرمن لم يكونوا من سكان المنطقة الأصليين. ومن مؤيدي هذه النظرية المؤرخ الأرمني استارجيان الذي ذكر أنهم من العنصر الآري،⁴ كالفرس والاندلساكسون والجرمان والصقالبة. وبعد رحلتهم التي انطلقت من آسيا الوسطى مرورا ببخيرة أورال وبحر الخزر وصلوا إلى سواحل بحر بئطس واستقروا مع غيرهم من الشعوب في البلقان، واستغرقت رحلتهم آلاف السنين ليصلوا إلى أرمينية بعد عبورهم لمضيق الدردنيل، وحروبهم مع الحيثيين⁵ والأورارديين¹ خلال القرن السابع قبل الميلاد. وهناك وجدوا قوما غيرهم فاندمجوا معهم.²

1 " هي الدراسة الشاملة للثقافات والمجتمعات على امتداد العالم، على الرغم من أنها في الأصل كانت تميل إلى التركيز على المجتمعات غير الغربية التي كان يطلق عليها (المجتمعات البدائية). وهناك نقاط اتصال هامة بينها وبين علم الاجتماع". مارشال جوردون: موسوعة علم الاجتماع، تر. محمد الجوهري وآخرون، المركز المصري العربي، مصر، ط. 2، 2007م. ج. 1، ص. 201.

2 رسلان: المرجع السابق، ص. 23.

3 هيرودوت: تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي-الإمارات العربية المتحدة، 1422هـ/2001م. ص. 392؛ المدور: المرجع السابق، ص. 102 وما بعدها؛ أنظر أيضا:

GATTEYRIAS (J. A.) : L'Arménie et les Arméniens, Leopold Cerf, Paris, 1882, p p. 7-8.

4 للتوسع أكثر حول ماهية العنصر الآري أنظر:

KHURUMIAN (R.) : Les Arméniens race- origines ethno-raciales, Vigot Frères éditeurs, Paris, 1941. p. 14 et sui.

5 المملكة الحيثية Kingdom of Hittite تأسست سنة 1650 ق م في بلاد الأناضول ضمن ما يعرف حاليا بآسيا الصغرى. للتوسع أثر حول المملكة الحيثية أنظر: صلاح رشيد الصالحي: المملكة الحيثية دراسة في التاريخ السياسي لبلاد الأناضول، دار الكتب والوثائق، ط. 2، بغداد، 2007م، ص. 16 وما بعدها.

غير أن أغلب المؤرخين الأرمن القدماء والمعاصرين يرجحون النظرية التي تقول أن الموطن الأصلي للأرمن هي أرمينية، وهم من نسل يافث بن نوح عليه السلام،³ سكنوا المنطقة منذ أن توقفت سفينة نوح عليه السلام على جبل أرارات.⁴ وفي هذا الصدد يقول المؤرخ أنطوان خانجي: "طائفنا الأرمينية تبتدئ من بعد الطوفان... مبدؤها من يافث بن نوح... قبل مجيء سيدنا يسوع المسيح بألفين ومائة وسبع سنين"⁵ ووفقا للروايات الأرمينية المبكرة التي دونت خلال القرنين الخامس والثامن الميلاديين، فإن عائلة نوح عليه السلام انتقلت بعد عدة أجيال إلى أرض بابل، ولكن قائد الأرمن هايك Haik أحد أحفاد يافث عاد إلى أرض الأرمن،⁶ وأسس الأمة الأرمينية

1 يذكر أنهم السكان الأصليون لإقليم أرمينية، أسسوا مملكة أورارتو قبل قدوم الأرمن إلى المنطقة. بيد أن الأرمن يعتبرون أنفسهم امتداد لهذه المملكة العريقة. الموسوعة العربية: هيئة الموسوعة العربية، دمشق، 1998م، مج. 1، ص. 933.
2 استارجيان (ك. ل.): تاريخ الأمة الأرمينية، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، 1951م. ص. 46؛ الموسوعة العربية: المرجع السابق، مج. 1، ص. 933.

3 تتفق المصادر العربية مع المصادر الأرمينية في أن نسل الأرمن ينحدر من يافث بن نوح عليه السلام. المقدسي: المصدر السابق، ص. 314؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 583؛ البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي) (ت. 487هـ/1094م): معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع، تح: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت-لبنان، 1364هـ/1945م. ج. 1، ص. 142؛ الحموي، المصدر السابق، مج. 1، ص. 160؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 614؛ للمزيد أنظر أيضا:

MACLER Frédéric : Trois Conférences sur l'Arménie, Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1929, p. 12.

4 ورد في التوراة العبرانية عن سفينة نوح عليه السلام ما نصه: " واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبل أرارات" سِفْرُ التَّكْوِينِ الأصحاح الثامن الآية الرابعة، وهو يتناقض التوراة السامرية التي ذكرت أن السفينة استقرت على جبل سرنديب الواقع في جزيرة سيلان (تعرف حاليا بدولة سريلانكا وتقع جنوب قارة آسيا)، وبما أن الأرمن نصارى فإنهم يؤمنون بما جاء في الكتاب المقدس الذي يتكون من التوراة العبرانية وكتاب الإنجيل. والحقيقة هي ما ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: "وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" الآية: 44 من سورة هود، والجودي وفق ما ذكره العديد من المفسرين جبل في إقليم الجزيرة. التوراة السامرية: تر: أبو الحسن إسحق الصوري، نشرها أحمد حجازي السقا، دار الأنصار، القاهرة، ط. 1، 1398هـ/1978م. ص. 11، 350-351؛ عبد الحكيم منصور: طوفان نوح عليه السلام في القرآن الكريم والأساطير القديمة، دار الكتاب العربي، دمشق، ط. 2، 2013م. ص. 109 وما بعدها.

5 يذكر خانجي أن أولاد نوح استقروا قرب أرمينية، وحينما كثر عددهم صاروا ينتقلون من مكان لآخر، فأحدهم يدعى هايكوس بن طوركوميوس بن كاميروس بن يافث بن نوح انتقل إلى أرض أرمينية، وهذه الرواية تتناقض مع ما جاء به المؤرخ الأرمني موسيس خوريناتسي (ت. 493م) حين قال: "هايک جدّ الأُمّة الأرمينية، الذي كان ابنا لتوركوم بن تيراس بن حام بن نوح" فهل جد الأرمن هايك ينحدر نسله من يافث أم حام؟ لذلك لا يمكننا التسليم بصحتها من الوجهة العلمية. موسيس خوريناتسي: المصدر السابق، ص. 45؛ أنطوان خانجي: المرجع السابق، ص. 23.

⁶ The Georgian Chronicle : Tran. Robert Bedrosian, Long Branch, New Jersey, 1991, p. 4-5.

وأصبح أول حاكم أرمني بعد انتصاره على القائد البابلي بيل Bel.¹ هذه الأسطورة كان الهدف من وضعها إيجاد مكانة للأرمن في تاريخ المسيحية، لما عرف به هؤلاء من إحساس فياض تجاه الديانة المسيحية، وبالتالي فقد وضعت الأرمن في مكان بارز ضمن التراث الإنجيلي.² وعلى أية حال فإن التفسيرات الأكاديمية الحديثة، تستمر في التأكيد على أن الأرمن شعب هندو-أوروبي، بينما يجادل الأكاديميون في أرمينية الحالية لترجيح التفسير الجديد الذي يقول أن الأرمن هم السكان الأصليون لأرمينية التاريخية، لاسيما بعد الاكتشافات الأركيولوجية الأخيرة الدالة على أن المنطقة الغربية فيما وراء القوقاز لها أصول بشرية قديمة.³

أما عن مملكة أرمينية فإن البحث عن جذورها يقودنا دوماً إلى مملكة أورارتو السابقة لها والتي سيطرت على الأراضي المحيطة ببحيرة وان (تقريباً: 870-610 ق م) وكان أول ملوكها آرامو Aramu. واتخذ ملوكها مدينة توشبا (مدينة فان الحالية) عاصمة لمملكتهم، وبحلول القرن الثامن قبل الميلاد امتدت حدودها من بحر قزوين شرقاً إلى نهر الفرات غرباً، ومن جبال القوقاز شمالاً إلى بحيرة أروميا⁴ جنوباً.⁵ وبعد تدهور أوضاع مملكة أورارتو تعاقب على حكمها كل من الميديين (بين 610-550 ق م)⁶ ثم الفرس الأخمينيين (بين 550-331 ق م)⁷ وبعدهم

¹ HHORENATZI Moyse: L'Histoire de la Grand-Arménie, Bibliothèque Royale, Paris, 1836, p. 30 et sui.

² بورنوتيان جورج: المرجع السابق، ص. 27-28.

³ نفسه، ص. 28-29.

⁴ بحيرة أروميا: وتسمى أيضاً كبوذان، وترتفع عن سطح البحر بـ 1220م، مياهها مالحة جداً، وحالياً تقع في دولة أذربيجان. المدور، المرجع السابق، ص. 74.

⁵ جورج بورنوتيان: المرجع السابق، ص. 19 وما بعدها.

⁶ أسس الميديون أول إمبراطورية في تاريخ إيران القديم، وهم ينتمون إلى العنصر الآري الذين سكنوا تحديداً في مناطق شمال وشمالي غرب إيران الحالية. ظهر الميديون في الوقت الذي كانت فيه منطقة الشرق الأدنى في صراع بين مختلف الإمبراطوريات القوية مثل الحيثيين والآشوريين والفراعنة ومملكة أورارتو الأرمينية. وكان ظهورهم في بادئ الأمر في شكل قبائل متفرقة، ثم انطوت تحت لواء القبيلة الميديية الكبرى في منطقة الهضبة الإيرانية، ومنها توسعوا نحو الغرب وأسقطوا الإمبراطورية الآشورية. للتوسع أكثر في الموضوع ارجع إلى: عادل هاشم علي: الدولة الميديية (745 ق م—550 ق م) أول إمبراطورية في تاريخ إيران القديم، مجلة دراسات إيرانية، ع. 13، 19-09-2019م، ص. 49.

⁷ نسبة إلى الملك الأخميني كورش الثاني الملقب بكورش الكبير (558-530 ق م) الذي ثار في وجه الميديين وتمكن في عام 550 ق م من الاستقلال بالمملكة الأخمينية، وأخضع بابل تحت سيطرته سنة 539 ق م. واستمرت هذه المملكة إلى غاية

تأسست المملكة الأرمينية الأولى بقيادة الأسرة اليروانتية Orontids Dynasty في ظل الحكم السلوقي (بين 331-189 ق م)¹ ثم انتقل الحكم إلى الأسرة الأردادشيسية Artasheses Dynasty وأسست المملكة الأرمينية الثانية والتي تميزت عن سابقتها بالاستقلال التام (بين 189 ق م- 1م)² وشهدت أزهى فتراتهما في زمن حكم ديكران الثاني (94-55 ق م) والذي يعرف بديكران الكبير أو العظيم،³ حيث وسع حدود مملكته الصغيرة وامتدت من بحر الروم إلى بحر الخزر، وضمت الأرمينيتان الكبرى والصغرى،⁴ وبلغت مساحتها 700000 كلم²، وأضحت أرمينية لفترة قصيرة إمبراطورية، لذلك يفتخر الأرمن إلى اليوم به ويعتبرونه أعظم حكامهم لأنه أقام الإمبراطورية الأرمينية الوحيدة، ولفخرهم به أضافوا إليه بعض الخصال القومية المتنافية مع ثقافته اليونانية والفارسية.⁵ وسبب استقلال أرمينية وازدهارها نقمة الإمبراطورية الرومانية، التي لن تسمح بظهور دولة قوية إلى جانبها، نظرا لما ينجم عن ذلك من تهديدات على أمنها

سقوطها على يد اسكندر المقدوني عام 331 ق م. الجنابي قيس حاتم هاني: محاضرات في تاريخ إيران القديم، جامعة بابل، العراق، (د/ت)، ص. 5.

¹ المملكة اليونانية السلوقية: نسبة إلى سلوقس نيكاتوروس Seleucos Nicatoros المؤسس، وكان أحد كبار القادة في جيش الاسكندر المقدوني، تميّز بشجاعته وسداد رأيه، وبعد وفاة الاسكندر استولى سلوقس على بابل، ونادى الناس به ملكا عليها، وشيّد دولة يونانية جديدة، وبدأ التأريخ السلوقي سنة 312 م. وتوسعت هذه المملكة لتضم إلى بابل فارس وأرمينية وغيرها حتى الهند. للمزيد أنظر: أسد رستم: تاريخ اليونان من فيليبوس المقدوني إلى الفتح الرومي، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 1965م، ص. 71 وما بعدها.

² المدوّر: المرجع السابق، ص. 115 وما بعدها.

³ HERZIG (E.) and KURKCHIYAN (M.): op. cit. p. 3; MACLER (F.): op. cit. p. 9.

⁴ KEVORK Aslan : Études historiques sur le peuple Arménien, Dujarric (G.), Paris, 1909, p. 98 et sui.

⁵ خوريناتسي: المصدر السابق، ص. 65؛ أديب السيد، المرجع السابق، ص. 40؛ المدوّر: المرجع السابق، ص. 149؛ جورج بورنوتيان: المرجع السابق، ص. 45، 47.

واستقرارها، لذلك كان لابد من الصدام بين القوتين، والذي انتهى في الأخير بهزيمة الأرمن وزوال دولتهم الفتية.¹

وبين سنتي (1-66م) كانت أرمينية عرضة للاضطرابات السياسية سببها تدخل الرومان والبارثيين² في شؤونها الداخلية، وفي سنة 66م وقّعت بارثيا Barthia وروما Rome معاهدة رhandeia وأقرت بموجبها الإمبراطوريتان باستقلال أرمينية، وأن تقوم بارثيا بتعيين ملكها، بشرط حصوله على موافقة روما. وبناء على ذلك ظهرت المملكة الأرمينية الثالثة (بين سنتي 66-429م) بقيادة الأسرة الأرشاغونية Arsacids Dynasty وتحت وصاية البارثيين والرومان،³ وبعد سقوط الأرشاغونية سنة 429م انقسمت أرمينية إلى قسمين: أرمينية الشرقية الخاضعة للإمبراطورية الساسانية، وأرمينية الغربية التي ألحقت بإمبراطورية الروم، واستمرت الحرب سجالات بين الفرس والروم على أرمينية حتى الفتح الإسلامي الأول لها سنة 19هـ/640م.

ومما سبق يتبين أن الأراضي الأرمينية كانت عبر العصور تتعرض للاعتداء من طرف القوى الكبرى، نظرا لموقعها الممتاز الفاصل بين مختلف الأطراف المتصارعة، ولأن المسيطر عليها يتمكن من تأمين حدوده وقهر أعدائه، وكنتيجة لما سبق نلاحظ استمرار هذا الصراع في الفترة قيد الدراسة، ضمن حلقة جديدة تتضمن أفول نجم الساسانيين وظهور المسلمين كقوة كبرى تنافس الروم والخزر في السيطرة على أرمينية.

¹ بول اميل: تاريخ أرمينيا، تر. شكري علاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص. 10.

² وهم من القبائل الهندو-أوروبية الفارسية التي هاجرت إلى بلاد فارس، من منطقة السهوب بين بحر قزوين وبحر الأورال، واستقرت في الأقاليم التي كانت تسمى بارتو ومنها جاء اسم البارثيون، وعرفوا أيضا باسم الأرشاقيين نسبة إلى مؤسس السلالة أرشاق الأول الذي سيطر على إقليم بارتو وبعض الأقاليم الشرقية الأخرى، وتمكن من قتل الحاكم السلوقي في إيران سنة 247ق م، ليكون هذا التاريخ بداية للحكم البارثي في بلاد فارس. الجنابي: المرجع السابق، ص. 6.

³ المدور: المرجع السابق، ص. 161، 167.

4- انتشار المسيحية وظهور الأبجدية الأرمينية¹

شهد الأرمن مطلع القرنين الرابع والخامس الميلاديين حدثين تاريخيين بارزين، يتمثل الأول في اعتناق المسيحية، أما الثاني فهو ابتكار الأبجدية الأرمينية.

قبل ظهور الديانة المسيحية كان الأرمن وثنيين نتيجة احتكاكهم بالآشوريين والفرس وغيرهم من الأمم التي سيطرت على أرضهم.² ومن أشهر آلهتهم الإله أهور مزادا Ahura-Mazde الذي عرف عندهم بجدّ الآلهة وخالق السماوات والأرض ومانح الحسنات، ونجد كذلك أناهيد Anahide التي عرفت بأُمّ الشعب وإلهة الخصب والأرض المنتجة.³

وجاء في الآثار الأرمينية أن التبشير بالمسيح والإنجيل في منطقة أرات بدأ على يد اثنين من تلامذته وهما برثلماوس Bartholomeus الذي بشر في غرب أرمينية، وثداوس Thddeus الذي عمل جنوبها، ونتج عن نشاطهما ارتفاع عدد المسيحيين في أرمينية، وهو ما دفع الساسانيين والروم إلى اضطهادهم. ويعود الفضل في انتشار الدين المسيحي بمختلف أنحاء أرمينية واستقراره في قلوب الأرمن⁴ إلى القديس جريجور المنور Illuminator⁵ وملك أرمينية

¹ ارجع إلى جدول الأبجدية الأرمينية ومقابلتها بالعربية واللاتينية، الملحق التاسع، ص. 359.

² الموسوعة العربية، المرجع السابق، مج. 1، ص. 936؛ للمزيد أنظر أيضا:

DOLENS Noël et KHATCH (A.): Histoire des anciens Arméniens, L'Union des étudiants Arméniens de L'Europe, Genève, 1907, p. 197 et suiv.

³ السيد أديب: المرجع السابق، ص. 31-32؛ راجع أيضا:

DOLENS (N.) et Khatch (A.): op. cit. p. 197 et suiv.

⁴ مازالت الديانة المسيحية في أرمينية إلى اليوم تعتبر المقوم الأساسي للهوية الأرمينية، وفي ذلك يقول أسقف أرمني معاصر: "إنّ الأرمني الذي لا ينتمي إلى المسيحية لا يعدّ أرمينياً. إيماننا وهويتنا الوطنية ينبعان من مصدر واحد". مجموعة من الباحثين: موسوعة عالم الأديان، Nobilis، بيروت، ط. 2، 2005م. ج. 15، ص. 11.

⁵ عاش في مرحلة سياسية قاسية أثناء فترة حكم الملك درطاد الثالث الذي عرف بتعصبه الشديد للديانة الوثنية، وقد اضطهده الملك وعذبّه، ثم سجنه لمدة عشر سنوات، وفي سنة 301م تمكن من معالجة الملك من مرض خبيث ألمّ به، وهذا ما دفع الملك إلى ترك ديانة آبائه واعتناق المسيحية، توفي القديس جريجور سنة 325م بعد أن أسهم في اعتناق الأغلبية الساحقة من الشعب الأرمني للديانة المسيحية. وحتى بعد وفاته بقي رجال الدين الأرمن محتفظين ببعض مستلزماته كالعصا والحداء، للتبرك بها واستعمالها أحيانا كوسيلة للحصول على لقب الكاثوليكوس. حبيب بدر وآخرون: المسيحية عبر تاريخها في المشرق، مجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت-لبنان، ط. 2، 2002م. ص. 358؛ أنظر أيضا:

TOURNEBIZE (F.) : Histoire politique et religieuse de L'Arménie, Revue de l'Orient Chrétien, 9^e année, Librairie A. Picard et fils, Paris, 1904, p. 537.

الرومان درطاد الثالث Dirdad III الذي يعتبر أول ملك في العالم يعلن المسيحية ديناً رسمياً لمملكته، وكان ذلك سنة 301م.¹ وتميزت هذه الديانة الجديدة باحتلالها مكان الأديان القديمة جمعاء.²

وبعد اختيار جريجور المنور رئيساً أعلى للكنيسة الأرمينية³ برتبة جثليق (كاثوليكوس) Patriarch⁴ شرع رفقة الملك درطاد في الدعوة إلى الدين المسيحي،⁵ ونبذ عبادة الأوثان باستخدام أسلوبين مختلفين، وهما الترغيب والقوة العسكرية حسب ما تقتضيه الضرورة، وتم

¹ بقي تاريخ اعتناق مملكة أرمينية الرومان للمسيحية سنة 301م محل جدل، لأنه من غير المحتمل أن يكون درطاد الثالث قد قبل ديانة كان يحاربها إمبراطوره دقلديانوس، والراجح أن درطاد الثالث وبعض قاداته قد اعتنقوا الديانة المسيحية عام 301م، لكنهم لم يعلنوا ذلك حتى صدور مرسوم ميلان Edict of Milan سنة 313م (أصدره الإمبراطور قسطنطين وبموجبه سمح للمسيحيين بممارسة شعائهم الدينية)، وتجدر الإشارة إلى أن الكنائس الأثيوبية والقبطية والسريانية كلها تدّعي أنها أول المؤسسات المسيحية. محمود سعيد عمران: الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، دار النهضة العربية، ط. 1، بيروت-لبنان، 1422هـ/2002م. ص. 25-26؛ جورج بورنوتيان: المرجع السابق، ص. 64؛ الموسوعة العربية، المرجع السابق، مج. 1، ص. 936؛ للتوسع أكثر أنظر:

Dulaurier Edouard : Histoire Dogmes, Traditions et liturgie de L'Eglise Arménienne orientale, A. Durand, éd. 3, Paris, p. 9 et sui.

² استارجيان: المرجع السابق، ص. 113؛ المدور: المرجع السابق، ص. 273-274؛ أحمد رسلان: المرجع السابق، ص. 36؛ مجموعة من الباحثين: المرجع السابق، ج. 15، ص. 26-27؛ للتوسع أكثر حول اعتناق الأرمن للديانة المسيحية، ارجع إلى:

KHORENATSI Moses : History of the Arménians, trad. THOMSON (R. W.), London, 1978, p. 124.

³ الكنيسة الأرمينية: تسمى حالياً بالكنيسة الأرمينية الرسولية نسبة إلى الرسولين ثداوس وبرثلماوس، وهي اليوم كنيسة: الكنيسة الأرمينية الأرثوذكسية الراقضة للمجمع الخلقدوني Chalcedon عام 451م وهي الكنيسة الأرمينية الأساسية. وتعتبر كنيسة مستقلة وتمثل القسم الأكبر من الأرمن في العالم، وتتضمن كتبها المقدسة كتابين في القديم وآخرين في العهد الجديد لم تعترف بهما أي كنيسة أخرى، وهي تاريخ يوسف وأسيناث، وصية البطارقة الإثني عشر، رسالة كورنثوس إلى س. بول، والرسالة الثالثة من س. بول إلى أهل كورنثوس، وتعد هذه الكنيسة من بين الكنائس الشرقية المتطرفة، أما الثانية فتعرف بالكنيسة الأرمينية الكاثوليكية التي أنشأت سنة 1740م، وهي تابعة لكنيسة روما. مجموعة من الباحثين: المرجع السابق، ج. 15، ص. 11-12؛ للمزيد راجع أيضاً:

ARTHUR Penrhyn Stanley : Lectures on the history of the eastern church, Printed by H. O. Houghton, Christ church, Oxford, ed2, 1862, p. 93.

⁴ وضعت الكنيسة الأرمينية تسع رتب لخدمة الدين، أعلاها الجثليق الذي يعتبر أكبر سلطة دينية وروحية لدى الأرمن، وللكاثوليكوسية الأرمينية اليوم مركزان واحد في إيتشميزاين بجمهورية أرمينيا، وآخر في أنطلياس بلبنان، ويعرف باسم كاثوليكوسية البيت الكبير لقبليقية. رمضان عبد الباسط سالم رفاعي: طائفة الأرمن في مصر تاريخاً وعقيدة، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، القاهرة، 1431هـ/2010م. ع. 28، ج. 2، ص. 52-53.

⁵ KHURUMIAN (R.) : op. cit. p. 16.

استبدال الهياكل الوثنية المهذمة بالكنائس، وبناء مدينة إيتشميازين Itchmiazin التي أصبحت المدينة المقدسة لمختلف طبقات الأمة الأرمينية، وأضحت كاتيدرائيتها مقرا للجنائز، وفيها شيد الكرسي البطريركي للكاتوليكيوس le siège Patriarcal du Catholikos منذ سنة 301م.¹ وفي خضم هذه الأحداث اعتنق غالبية الأرمن الديانة المسيحية، باستثناء بعض المقاطعات التي كانت تحت سيطرة ملوك وثنيين تابعين للفرس.² وقد نتج عن ذلك تدخل الجنائز ورجال الدين في الحياة السياسية لبلاد الأرمن على مرّ العصور،³ وحصولهم على امتيازات وثروات، لاسيما البطارقة الأوائل بسبب نسبهم من جريجور، وعلاقاتهم بالأسر الأرمينية الحاكمة.⁴

وظلت الكنيسة الأرمينية طوال الفترة الممتدة من 301م إلى 491م، أي بداية من عهد القديس جريجور المنور إلى عهد البطريرك بابغوين Patriarche Papguen، متوافقة تماما في العقائد والانضباط مع كنيسة القسطنطينية.⁵ بيد أنّ المجمع الخلقدونى⁶ الذي انعقدت أشغاله

¹ DULAURIER Edouard : op. cit. P. 20-21.

² Ibid. p. 24.

³ أحمد رسلان: المرجع السابق، ص. 36-37؛ جورج بورنوتيان: المرجع السابق، ص. 64-65؛ راجع أيضا: ARTHUR (P.) : op. cit. p. 93.

⁴ KEVORK (A.) : op. cit. p. 281.

⁵ DULAURIER (E.) : op. cit. P. 15.

⁶ يعتبر رابع مجمع مسكوني (اجتماع يضم مندوبي العالم المسيحي) والتي تعقد عادة لضرورة حتمية كظهور بدع يخشى عند انتشارها أن تحدث انقساماً في الكنيسة، ونجد في تاريخ الكنيسة ثلاثة مجامع مسكونية وهي: مجمع نيقية (325م) الذي أقرّ بتأليه المسيح ومساواته التامة مع الله، وكفر أريوس القائل بأن المسيح إنسان، ومجمع القسطنطينية (381م) الذي نص على ألوهية روح القدس (المسيح) ومساواته مع الأب، ومجمع أفسس (431م) الذي أدان نسطوريوس بالهرطقة بعد أن انتقد هذا الأخير استخدام لقب "والدة الإله" على العذراء (مريم)، ولقد اعترفت كافة الكنائس المسيحية شرقا وغربا، بهذه المجمع الثلاث، وتمسكت بمبادئ إيمانها، ونفذت قراراتها وقوانينها، أما المجمع الرابع فهو المجمع الخلقيدوني الذي انعقد بطلب من ملك الروم ماركيان، سنة 451م بمدينة خلقيدونية المطلة على الشاطئ الشرقي للبحر الأسود والمقابلة للقسطنطينية، وأقرّ بأنّ للمسيح طبيعتين (إنسانية وإلهية)، ولذلك رفضته الكنيسة الأرمينية التي تؤمن بأن للمسيح طبيعة واحدة إلهية فقط. كيرلس الأنطوني وباسيليوس: عصر المجمع، (بدون دار ومكان النشر)، أبريل 1952م. ص. 14 وما بعدها؛ نبيل نيقولا جورج بوخاروف: المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح أم هي ديانة بولس، (دون دار ومكان النشر)، 2007م. ص. 80-81؛ ف.سي. صموئيل: مجمع خلقيدونية- إعادة فحص، تج: عماد مورييس إسكندر، دار باناريون، مصر، 2009م. ص. 99، 253.

عام 451م شكّل علامة فارقة في تاريخ الكنيسة الأرمنية، إذ رفضت هذه الأخيرة سلطة المجمع وقراراته،¹ ولاسيما النص القائل بأن للمسيح طبيعتين متميزتين الأولى إنسانية والثانية إلهية،² الأمر الذي جعل الكنيسة الأرمنية -رغم غيابها عن المجمع-³ ترفض مذهب الطبيعتين (ديوفيزية Diophysites)،⁴ وتتمسك بمذهب الطبيعة الواحدة (المونوفيزية Monophysites)،⁵ وبذلك انفصلت عن كنيسة الروم والكنائس المسيحية الأخرى.⁶

ومما لا شك فيه أن قرار الانفصال الذي اتخذته الكنيسة الأرمنية مرتبط بالجانب السياسي،⁷ فوسط إطار جغرافي تسوده ديانتان رسميتان وهما الوثنية الساسانية وخلقيدونية الروم، كان لابد للأرمن أن يشكلوا مذهباً دينياً خاصاً وثقافة مختلفة ومميّزة.⁸ والجدير بالذكر أن

¹ HERZIG (E.) and KURKCHIYAN (M.): op. cit. p. 3; DULAURIE (E.) : op. cit. p. 32.

² ويذكر أن الإمبراطور زينو Zeno (474-491) رفض الالتزام بالعقيدة الخلقيدونية، وتمسك بمذهب الطبيعة الواحدة للمسيح. أنظر:

OSTROGORSKY George: HISTORY OF THE BYZANTINE STATE, Tran. JOAN HUSSEY, OXFORD, London, 1968, p. 55.

³ غياب الكنيسة الأرمنية عن المجمع الخلقيدوني كان سببه الحروب الدينية التي اندلعت في تلك الفترة بين الساسانيين والأرمن.

⁴ يضم هذا المصطلح كلمتين من أصل يوناني وهما "ديو" وتعني اثنين، و"فيزيس" ومعناها طبيعة، ومنه نجد أنه يعني "طبيعتين"، ويطلق على المسيحيين المؤيدين لمعتقد المجمع الخلقيدوني القائل بأن المسيح إلهاً وحيداً بطبيعتين، الأولى إلهية والثانية إنسانية، وهو إله كامل وإنسان كامل. ويلتر (ج.): الهرطقة في المسيحية، تر. جمال سالم، دار التنوير، بيروت-لبنان، 2007م. ص. 96.

⁵ يتكون هذا المصطلح من كلمتين يونانيتين وهما "مونوس" أي وحيد و"فيزيس" وتعني طبيعة، ولذلك فالمقصود به "ذو الطبيعة الوحيدة"، وفي العقيدة المسيحية يعني بأن للمسيح المتجسد طبيعة واحدة فقط وليست طبيعتين، لأن الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية انصهرتا معاً، وهذا يعني أنه لا توجد سوى الطبيعة الإلهية فقط، لأن الاثنين لا تتقابلان على نفس المستوى، وقد استخدم هذا المصطلح لأول مرة عقب مجلس خلقيدونية، لوصف كل من رفض قرار المجلس القائل بأن المسيح المتجسد هو أقنوم (شخص) واحد في طبيعتين. صموئيل: المرجع السابق، ص. 20-21؛

Livingstone (E. A.): The oxford dictionary of the christian church, oxford university press, New York, 1997, p. 1104-1105.

⁶ المدوّر: المرجع السابق، ص. 282-283.

⁷ Sarkissian Karekin : The council of Chalcedon and the Armenian church, The Armenian Church Prelacy, New York, ed2, 1975, p61.

⁸ Khurumian (R.) : op. cit. p. 16.

الأرمن اختاروا سنة 552م تقويماً جديداً يبدأ من هذه السنة، وكان الهدف منه إثبات استقلالهم الثقافي والديني تجاه أعدائهم.¹

وكان رجال الدين المسيحيين على علاقة وطيدة بملوك أرمينية، وشكل الوفاق القائم بينهما حاجزاً لدرء الأخطار المحدقة بهما باستمرار، لأن الكنيسة كانت تقاتل بقايا الوثنية، بينما كانت الملكية تقاوم النزاعات الانفصالية لدى السادة الإقطاعيين وأطماع القوى الخارجية المتصارعة عليها.²

وفي سنة 591م عقد الساسانيون والروم معاهدة جديدة تقضي بإعادة تقسيم أرمينية بين الطرفين، وكنتيجة لهذا الحدث عملت الكنيسة الأرمينية على جمع العناصر المبعثرة من شعبها، وخاصة الطبقة الأرستقراطية التي وصلت بين طرفي أرمينية، فأصبحت الكنيسة مركز المقاومة ضد محاولات الإدماج والاستيعاب من قبل أعدائها الشرقيين والغربيين، وقامت عبر التاريخ بدور يتجاوز الطقسية والروحية، وإليها يعود الفضل في جمع شمل الأمة الأرمينية، والمحافظة على كيانها وهويتها، وتنمية عاداتها وثقافتها.³

أما ظهور الأبجدية الأرمينية فيتنفق علماء اللغة والنحو المعاصرون على أن اللغة الأرمينية من فروع اللغات الهندو-أوروبية Indo-European.⁴ إذ بدأ الأرمن يفكرون في ضرورة إيجاد أبجدية خاصة بهم بعد اعتناقهم للمسيحية سنة 301م، لأن طقوسهم ومؤلفاتهم الدينية

¹ حبيب بدر وآخرون: المرجع السابق، ص. 364.

² عبد الرحمن محمد العبد الغني: أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين 653-1064م/33-457هـ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط1، 1989م، ص. 30-31.

³ رمضان عبد الباسط سالم رفاعي: المرجع السابق، ص53؛ حبيب بدر وآخرون: المرجع السابق، ص360.

⁴ الموسوعة العربية: المرجع السابق، مج. 1، ص. 936؛ المدور: المرجع السابق، ص289، 297.

كانت في تلك الفترة تدون بالحروف اليونانية Greek في أرمينية الروم، بينما استعمل الأرمن القاطنين في الأرمينية الساسانية الحروف الفارسية أو السريانية Syriac.¹

وفي فترة حكم الملك فاغارش (389-414م) قام القديس الأرمني ميسروب ماشتوتس² Mesrop Mashdotos بابتكار الحروف الأبجدية الأرمينية سنة 405م، مستفيداً من إتقانه للغات الرئيسية في زمانه وهي الفارسية والإغريقية والسريانية. ولقبت الأبجدية الأرمينية بـ"غرابار" Krapar وإلى جانبها لغة أخرى كانت متداولة في أوساط الأرمن سميت "اشخارابار" Achkharapar. وضمت أبجدية ميسروب ستة وثلاثين حرفاً، تدون من اليسار إلى اليمين، ومع مرور الوقت أضيف لها حرفين.

أعقب هذا الابتكار آثار مباشرة وبعيدة المدى شملت شتى المجالات بداية بالجانب الديني ومروراً بالميادين الأدبية والعلمية وحتى الاجتماعية.³ وعمل القديس ميسروب مع البطريرك القديس ساهاج Patriarche Saint Sahag على ترجمة الكتاب المقدس الإنجيل من اليونانية إلى الأرمينية، ويعتبر دلوري Dulaurier أن هذه النسخة تميّزت بالبساطة والسهولة في الأسلوب عن غيرها من الإصدارات الشرقية الأخرى.⁴

¹ Grousset :op. cit. p. 172.

² يصفه المؤرخ الأرمني موسي خوريناتسي Moyse HHorénatzi (عاش في القرن الخامس الميلادي) قائلاً: "المبارك مسروب، الذي يفوق في الفضيلة جميع معاصريه الأكثر فضيلة، الكبرياء لا يمكن أن يجد مكاناً في حياته، دائماً لطيفاً وخيراً، ومنشغل بأفكار وأفعال الخير، ونصائحه الثمينة وإيمانه المستقيم، ورجاؤه الثابت والصبور، ومحبه الصادقة، وتعليمه بلا ملل...". أنظر:

Moyse HHorénatzi : op. cit. p. 222.

³ استارجيان: المرجع السابق، ص153؛ المدور: المرجع السابق، ص298، 301؛ أحمد رسلان: المرجع السابق، ص37؛ الموسوعة العربية: المرجع السابق، مج. 1، ص. 936.

⁴ Dulaurier (E.) : op. cit. p. 25.

وعلى غرار العديد من شعوب المنطقة التي اندثرت لغتها، فقد تمسك الأرمن بعرقهم وحالتهم اللغوية.¹ ويذكر أن زمن تدوين اللغة الأرمينية تأخر إلى القرن الخامس الميلادي، حيث كتبت قبل ذلك بالأحرف اليونانية والسريانية، واستعملت هاتين الأبجديتين في الكتب الدينية المسيحية الطقسية والشؤون الإدارية ببلاد الأرمن. ويذكر أن اللغة الأرمينية مرت بثلاث مراحل أساسية: (الأرمينية القديمة - الأرمينية الوسطى - الأرمينية الجديدة)² ودخلت إليها العديد من الكلمات العربية، عبر حقبة زمنية مختلفة،³ أبرزها الفترة التي كان فيها إقليم أرمينية في ظل الحكم الإسلامي (41-271هـ/661-885م) بفعل الاحتكاك المباشر بين الأرمن والقبائل العربية المهاجرة إلى المنطقة بعد فتحها.

وبفضل الديانة الجديدة والأبجدية المبتكرة تميّز الشعب الأرميني عن غيره من شعوب المنطقة،⁴ وتمكن من الحفاظ على هويته واستقلاله الجزئي عن الروم والساسانيين، ولذا يمكن القول أن اعتناق الأرمن للمسيحية وابتكارهم للحروف الأرمينية يمثل منعرجا حاسما في تاريخ الأمة الأرمينية.

¹ DANIELA DUECK, HUGH LINDSAY AND SARAH POTHECAR: op. Cit. P. 203; Khurumian (R.) : op. cit. p. 16.

² تتنوع الأرمينية في عصرنا الحاضر إلى: "الأرمينية الشرقية في دولة أرمينيا وشمال غرب إيران، وهي قريبة للنسخة الكلاسيكية نوعا ما مع تبسيطها لنمط الكتابة، وتستخدم الأرمينية الغربية من قبل الأرمن الذين يعيشون في تركيا، والبلدان العربية، وفي منطقة الشرق الأوسط والمهجر، مع حفاظها على جذورها، وامتزاجها بالطابعين الكلاسيكي والشعبي" فضلا عن ذلك فإن اللغة الأرمينية الحديثة داخل الدولة الأرمينية، تحتوى على الكثير من اللهجات مثل لهجة مدن: يريفان، ديليجان، جوريس، قبان، آرارات، جارجي، جرمون، آرتاشات، سيفان، وغيرها من المدن الأرمينية. مرفات كوما أبدلا: الدخيل العربي في اللغة الأرمينية، مجلة الدراسات العربية الأوراسية، ع. 3، جامعة قازان الروسية، روسيا، نوفمبر 2018م. ص. 17-18.

³ نفسه، ص. 17.

⁴ Dolens Noël et Khatch (A.): Histoire des anciens Arméniens, L'Union des étudiants Arméniens de L'Europe, Genève, 1907, p. 9 ; Edmund Herzig and Marina Kurkchiyan: op. cit. p. 3.

5- خضوع أرمينية للساسانيين والروم 429-640م

تتميز أرمينية بموقعها الاستراتيجي الحاجز بين القوى الكبرى¹ ولذلك فقد كانت أرضها مسرحا للحرب بين القوى المتنافسة عليها منذ القدم، وتعرض وجودها للتهديد المستمر من قبل الجيران، قابله الأرمن بمقاومة وإرادة مستميتة للعيش.² وبحكم موقعها وسط هذا الصراع المحتدم، مثل الأرمن ورقة رابحة وفاصلة في كسب المعركة، فحاول كل طرف من أطراف النزاع جذب الأرمن إلى صفهم،³ الأمر الذي جعل هؤلاء الأخيرين مُتَّلين في الأمراء ورجال الدين يميلون تارة تجاه الفرس وتارة أخرى صوب الروم حسب الظروف وما تقتضيه مصالحهم الشخصية والعامة.⁴

وبعد توقيع معاهدة السلام بين الروم والساسانيين سنة 387م،⁵ فقدت المملكة الأرمينية استقلالها -رغم استمرار حكم الأسرة الأرشاغونية نظريا إلى سنة 429م- وأصبحت أراضي أرمينية مقسمة بين الساسانيين الذين استولوا على شرقها والروم الذين أخضعوا غربها.⁶ وبقيت مجزأة إلى شطرين إلى غاية عام 19هـ/640م.⁷

وفي هذه الفترة كانت أرمينية مسرحا لحرب سجال بين الفرس والروم، وكمثال على ذلك المعارك التي دارت بين الطرفين خلال سنتي 622 و623م. إذ يذكر الراهب الرومي ثيوفانيس

¹ دولة أرمينيا الحالية مازالت تمثل إلى اليوم حاجزا طبيعيا بين دول العالم الإسلامي في منطقة القوقاز من ناحية، وبين الشعوب الناطقة باللغة التركية من ناحية ثانية.

² Macler : T. C. Arm. p. 10.

³ GROUSSET, op. cit. p. 138-139.

⁴ Aslan Kevork : op. cit. p. 284.

⁵ Bournoutian George : A Concise History of the Armenian People, Mazda Publishers, California, 2006, p. 63.

⁶ Ibid. p. 164.

⁷ المدور: المرجع السابق، ص186.

Theophanes¹ أن ملك الفرس خسرو² Persian king Khosroes قام بهجوم مباغت ضد قوات الروم المتمركزة في إقليم أرمينية، وأدى ذلك إلى تدمير العديد من الأديرة وسلب ونهب الممتلكات. وردا على هذه الحملة، قاد الإمبراطور الرومي هيراكليوس³ Emperor Herakleios جيشا جرارا تجاه أرمينية وتمكن من طرد الفرس من أرمينية الروم.⁴

أ_ أرمينية الساسانية

تميزت هذه الفترة بكثرة الحروب الدينية أو ما يسمى بحرب أفارير Avarayr أو حروب وارطانانك Vartanank التي اندلعت سنة 449م بعد محاولة الساسانيين الوثنيين إجبار الأرمن المسيحيين على اعتناق الديانة المازدية⁵ Mazdaism،¹ فالتف الشعب الأرمني بمختلف طبقاته

¹ ولد في مدينة القسطنطينية عام 760م، عمل في قصر الإمبراطور ليون الرابع Leo IV بين سنتي 775-780م، بعدها اختار هو وزوجته حياة الرهبنة، وأقام ديرا على بحر البروبونتس Propontes (بحر مرمرة). كان شديد الكراهية للإمبراطور نففور الأول Nicephore I لأن هذا الأخير فرض فرض الضرائب على الأديرة. كتب ثيوفانيس حولية ذائعة الصيت بعنوان "التاريخ الزمني" أنهى كتابتها عام 814م، حيث أرّخ فيها للفترة الممتدة بين عامي 284-813م، واتبع فيها النظام الحولي، فكان يذكر بالترتيب السنوات الميلادية، وترتيب سنوات حكم أباطرة الروم ومن عاصرهم من ملوك الفرس والخلفاء المسلمين، إضافة إلى البطارقة الشرقيين الأربعة (القسطنطينية، بيت المقدس، أنطاكية، الإسكندرية). وترجع أهمية كتابه إلى الاهتمام الذي أولاه فيه لتاريخ الروم بصفة عامة وتاريخ منطقة الشرق الأدنى الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الميلاديين على وجه التحديد. توفي في مدينة ساموتراقيا Samothrace عام 817م. هاني عبد الهادي البشير: مدينة دمشق في القرنين السابع والثامن للميلاد في ضوء حولية الراهب البيزنطي ثيوفانيس، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، مصر، أبريل 2019م، مج. 1، ع. 51، ص. 2-3؛ للمزيد أنظر أيضا:

Theophanes : The chronicle of Theophanes, Introduction and notes by Harry Turtledove, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1982, p. viii et sui.

² يعرف بكسرى الأول الملقب بأنوشروان، تولى حكم الفرس الساسانيين خلال القرن السادس الميلادي، يذكر أنه دافع عن إمبراطورية الفرس ببراعة ووسّع حدودها، وحافظ على قوّة وثبات المقاطعات الداخلية. كان يتمتع بالسلطة المطلقة والنفوذ الواسع، حتى قيل أن كلامه اعتبر قانونا. أما وزيره الأول فكان الرجل الثاني في الدولة، وهو أقوى من الأمراء، غير أنه واجه في كثير من الأحيان أخطار عديدة جعلته يفقد حياته وممتلكاته. للتوسع أكثر أنظر: كاتوزيان هوما: الفرس إيران في العصور القديمة والوسطى والحديثة، تر. المعيني أحمد حسن، دار جداول، ط. 1، بيروت-لبنان، 2014م، ص. 71 وما بعدها.

³ تولى عرش الإمبراطورية في الفترة الممتدة بين سنتي (610 و641م)، واجه في بداية حكمه العديد من التحديات، فقد كانت الإمبراطورية في أمس الحاجة إلى إصلاح داخلي فضلا عن الخطر الفارسي الذي يواجهها من الشرق، وأخطار الآفار والسلاف من الغرب. للمزيد أنظر: عمران: المرجع السابق، ص. 69 وما بعدها.

⁴ Theophanes. op. cit. p. 14 et sui.

⁵ معتقد وثني يتمحور حول عبادة الطبيعة. كاتوزيان: المرجع السابق، ص. 85.

حول قائدهم وارطان ماميكونيان Vardan Mamikonian الذي نظم ثورة مسلحة،² وطلب العون من الروم المسيحيين ولكنهم رفضوا بحجة أنهم عاهدوا الساسانيين على الحياد حين تشب الحرب ضدهم، فاستعان وارطان بالكرج Georgians والأذريين المسيحيين، والتقى الطرفان عند سهل أفاراير Avarayr في 26 مارس 451م، فانهزم الأرمن وقتل قائدهم وارطان مع 1036 جندياً،³ أما الأسرى وكبار الرهبان فقد تمت محاكمتهم وأعدموا جميعاً لرفضهم الارتداد عن دينهم.⁴

ونجد كذلك ثورة ملك الكرج فاختانك جورجاسلان Vakhtang Gorgaslan الذي تحالف مع القائد الأرمني واهان ماميكونيان (ابن أخ وارطان) ضد عدوهم المشترك الساسانيين، واندلعت الحرب مجدداً من سنة 481م إلى 484م، حيث انتهت بانتصار سياسي للكرج والأرمن، وعلى إثرها عقدت معاهدة بين الطرفين نصت على الحرية الدينية التامة،⁵ وبذلك حقق الأرمن نصراً معنوياً مجيداً ضمن لهم حقوقهم في فترة كانت فيه القوة والحكم للغالب.⁶ وفي عام 485م تم

¹ Asolik Etienne (de Taron): Histoire universelle, trad. E. Dulaurier, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1883, T. 1, p. 116 ; Ostrogorsky, op. cit. P. 66.

² GROUSSET, op. cit. p. 201.

³ خلد الأرمن جميع شهدائهم في هذه المعركة بتدوين أسمائهم في الكنائس الأرمينية، ومازوا إلى اليوم يتذكرون هذه المعركة ويقدمون أبطالها. المدور: المرجع السابق، ص. 188.

⁴ استارجيان: المرجع السابق، ص. 159؛ المدور: المرجع السابق، ص. 187-188.

⁵ أبرمت هذه المعاهدة في نافاسارك Navacark وتضمنت البنود التالية:
- الدين المسيحي هو الدين الرسمي لأرمينية، وليس للملك الساساني أي حق في التدخل أو الأمر بالارتداد عنه، ولا تشجيع الساسانيين على ذلك.
- وجوب المساواة في انتخاب موظفي الدولة على أن يفضل العضو النافع للمصلحة العامة.
- على الملك (الساساني) أن لا يصغي للمنافقين والدّسّاسين، وأن يأخذ الأمور بالمشاورة والمحاكمة. استارجيان: المرجع السابق، ص. 160.

⁶ استارجيان: المرجع السابق، ص. 160؛ المدور: المرجع السابق، ص. 188-189.

التوصل إلى اتفاق مع الأمراء الأرمن يقضي بتعيين فاهان ماميكونيان Vahan حاكماً لأرمينية، ومنحه لقب مرزبان، وبقي في الحكم إلى سنة 505م.¹ وكان بمقدوره الانفصال وتشكيل مملكة أرمينية مستقلة، لكن خوفه من عواقب الصدام مع الفرس، وتمرد العائلات الإقطاعية، حال دون تحقيقه لمسعاها.² ويلاحظ أن الأرمن في هذه الفترة كانوا يفقدون حكمهم الذاتي، نتيجة قيامهم بالثورة ضد الفرس دفاعاً عن عقيدتهم.³

وبعد انتهاء فترة الحروب الدينية عاشت أرمينية الساسانية فترة من الاستقرار السياسي والاجتماعي (بين سنتي 491-640م) ويذكر أن الملك الفارسي قباد⁴ أظهر تسامحاً دينياً مع المسيحيين الأرمن أواخر سنوات حكمه، وسار على دربه ابنه كسرى أنوشروان⁵ (531-579م) وتجلت العلاقات المميزة بين الفرس والأرمن خلال هذه الحقبة الزمنية في تعيين أحد النبلاء الأرمن ويسمى مييج Mejiie حاكماً على إقليم أرمينية الفارسية.⁶

وكرّس الساسانيون احترامهم للنظام الديني والسياسي والاجتماعي الأرمني، إذ استبدلوا اسم الملوك الأرمن بحكام المقاطعات Marzpan⁷، وأبقوا على النظام الإقطاعي الأرمني، وبقيت

¹ عبد الرحمن محمد العبد الغني: المرجع السابق، ص. 34.

² Sébèos : op. cit. p. 3-4.

³ Ibid, p. 6-7.

⁴ تولى الحكم عام 488م، وسجن عام 497م بسبب اعتناقه لأفكار الحركة المزدكية التي ظهرت في عهده. إذ يذكر أن مزدك كان كاهناً يدعو لديانة أساسها الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي، فاجتذب العديد من الأتباع والمناصرين لديانته، الأمر الذي استفز النبلاء والكهنة وأدى إلى عزل قباد عن الحكم، وبعد عودة هذا الأخير إلى الحكم ابتعد عن مزدك وحركته. وفي عام 528م خضع قباد لضغوط أعدائه، إذ مكر بمزدك وأتباعه بعد دعوته لهم إلى مأدبة عشاء، تحولت إلى مذبحة، وبعد هذه الحادثة تمّ تجريم المزدكية في البلاد. توفي قباد عام 531م، وتولى ابنه الثالث كسرى الأول الذي لقب لاحقاً بأنوشروان -أي صاحب الروح الخالدة- زمام الأمور. للمزيد ارجع إلى: كاتوزيان: المرجع السابق، ص. 85-86.

⁵ كان لقبه الكامل أنوشروان العادل، لأنه وضع حداً لفترة شهدت الفوضى والهزائم الخارجية والانحدار الاقتصادي وضعف الحكومة، إلى جانب تمكنه من كبح تمرد الحركة المزدكية، وفرضه لحكم قوي على مركز الدولة في المحافظات، وإدخاله لإصلاحات هامة على النظام الضريبي والقضائي. للتوسع أكثر أنظر: نفسه، ص. 96-87.

⁶ Asolik, op. cit. t. 1, p. 115-116.

⁷ SEBEOS, op. cit. p. 4.

القوانين الأرمينية الموروثة سارية المفعول، وسمح لطبقة الأشراف الأرمن والمعروفة بـ"ناخارار" Nakharar¹ بتنظيم قواتها العسكرية الخاصة، مع ضرورة وضعها تحت تصرف الساسانيين في أوقات الحروب.²

فأرمينية الساسانية إدارياً تشكلت من مقاطعات يحكم كل منها مرزبان،³ يسيّر أمور مقاطعته وفق القوانين الأرمينية، ويستطيع تنظيم جيشه الخاص، والاهتمام بالجانب الحضاري لأُمته كالعمران والآداب وتأسيس المدارس، مقابل أن يكون تابعاً للساسانيين في سياسته الخارجية،⁴ ويدفع الضريبة السنوية المقررة.⁵

أما عن الحياة الاقتصادية في إقليم أرمينية الساسانية، فإنه من الثابت أن هذه المنطقة تمتاز منذ القدم بثرواتها الزراعية والحيوانية والصناعية والتجارية، وبالرغم من ذلك فإن من المصادر ما يشير إلى سوء الأحوال الاقتصادية للدولة الساسانية، بسبب الفوضى السياسية وطبيعة النظام الإقطاعي السائد، إضافة إلى الحروب بين آل ساسان والروم التي استنزفت الموارد الاقتصادية للبلاد. إذ كان للصراعات على السلطة داخل البلاط، الأثر البالغ في تعزيز الفوضى السياسية التي أدت إلى عدم الاهتمام بالجانب الاقتصادي.⁶ وبروز الطبقة في المجتمعات التابعة للدولة الساسانية، بفعل سيطرة الجيش على مقاليد الحكم في البلاد، حتى أضحى كل قائد أو حاكم يعتبر الولاية التي يليها "كأنها إقطاع وراثي على النمط القديم".⁷

¹ ويسمّون كذلك برجال الإقطاع.

² المدوّر: المرجع السابق، ص 190.

³ Bournoutian (G.): op. cit. p. 58.

⁴ هذا التنظيم يعرف حالياً بالحكم الذاتي.

⁵ المدوّر: المرجع السابق، ص 190-191.

⁶ الجبوري عدي سالم: دوافع الفتوحات الإسلامية في العصرين الراشدي والأموي: دار الحامد، عمان-الأردن، ط. 1، 1433هـ. 2012م. ص. 114.

⁷ كريستنسن أرثر: إيران في عهد الساسانيين، تر. الخشاب يحيى، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، (د/ت)، ص. 481.

وصار تحصيل الضرائب يتفاوت من سنة لأخرى، بفعل الحروب التي تفاجئ الدولة، فتقوم بفرض ضرائب إضافية لتزويد الجيوش بالعتاد والمؤن، يقع عبؤها في الغالب على الأقاليم الغربية،¹ لغناها بالموارد الطبيعية بمختلف أنواعها، ومن ضمنها إقليم أرمينية. وعليه فقد كان نظام تحصيل الضرائب جائرا وظالما. وجدير بالذكر أن مدينة دفين كانت مركزا بارزا للتجارة في المنطقة. يضاف إليها أن أرمينية ظلت ممرا استراتيجيا لقوافل الفرس والروم، ومن بين أهم المنتجات التي تصنع في أرمينية وتصدر إلى الأقاليم المجاورة: الفخار، النسيج، المجوهرات وغيرها من المنتجات.²

وفضلا عن ذلك فإن أوضاع الفلاحين في عموم الدولة الساسانية، ومنها أرمينية كان سيئا، فهم يقومون بخدمة الأرض، ويسخرون في أعمال متعددة، ومنها الخدمة في الجيش أثناء الحروب تحت قيادة صاحب الإقطاع. وكانوا ملزمين بدفع الضرائب للنبل أو للدولة أو لهما معا، زيادة على ذلك فهم يفقدون إلى قوانين تحميهم "وربما كان وضعهم أشد سوءا في إقطاعيات النبلاء، الذين لهم حق الحياة والموت على العبيد والناس. ولم يكن وضع الفلاحين تجاه الإقطاعيين النبلاء يعدو وضع العبيد الخاصين".³

ب- أوضاع أرمينية الروم

اختلفت الأحوال السياسية والاجتماعية في أرمينية الروم عن نظيرتها الساسانية، فقد حاول الروم إلغاء نظام الإقطاع الأرمني تمهيدا لسحق كل أشكال المقاومة التي أقامتها طبقة الأشراف الناخارار Nakharar، وكمثال على ذلك ما قام به الإمبراطور زنون⁴ Zeno حيث ألغى وراثة

¹ كريستنسن أرثر: المرجع السابق، ص. 112.

² Bournoutian (G.), op. cit. p. 58.

³ الدوري عبد العزيز: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط. 1، 2007م. ص. 21؛ كريستنسن: المرجع السابق، ص. 307.

⁴ تولى حكم الإمبراطورية بين عامي 474م و491م، لم يكن جلوسه على العرش سهلا بسبب المذهب الأيسوري الذي كان يعتقده في المسيحية، لذلك قامت ثورة ضده في العام التالي لتوليهِ العرش، وانتهى الأمر بطرده من الحكم سنة ونصف، ولكنه

ابن الناحارار لأبيه بعد وفاته، وأصدر قانونا ينص على اختيار الإمبراطور للناخارار المتوفى، وأحدث الإمبراطور جوستينيان الأول¹ Justinian 1 تغييرا آخر يقضي بإخضاع أرمينية الروم لحكم القناصل Consular ومن نتائج هذه السياسة التي رمت إلى إذابة المجتمع الأرمني في إمبراطورية الروم، وصول الأرمن إلى أعلى المراتب الإدارية والعسكرية.² على عكس الأقاليم الأخرى التي حكمها الروم، إذ أقروا فيها النظام الإقطاعي، الذي وصل في مناطق نفوذهم إلى نطاق وأهمية واسعين بحلول القرن السادس الميلادي.³

ولجأ هذا الإمبراطور إلى إدخال إصلاحات عميقة في أرمينية الروم عام 536م، لمحو هوية الأرمن وجعلها رومية في أسرع وقت ممكن.⁴ من خلال إلغاء امتيازات رجال الإقطاع، وتنظيم الأقاليم الأرمينية الخاضعة لحكمه في شكل مناطق إدارية وعسكرية، وإلغاء القوانين المحلية الخاصة بخلافة الآباء، بهدف تضيق الخناق على الأسر الإقطاعية الأرمينية.⁵ وقام أيضا بنزع ممتلكات هذه الأسر، وعزلها عن حكم المقاطعات الأرمينية، ووضع محلّها موظفين

تمكن من العودة مرة أخرى إلى عرشه عام 476م بعد قضائه على المتمردين. وفي هذه السنة سقطت روما على يد ادواكر Odoacer زعيم الهيرول الذي قرّر الوقوف إلى جانب الإمبراطورية البيزنطية، ولم يكن أمام زنون سوى قبول الأمر الواقع، فمنح ادواكر لقب نائب الإمبراطور، ومن المشاكل الخارجية الأخرى ظهور ثيودريك Théoderic زعيم القوط الشرقيين Ostrogoths الذي هدد الإمبراطورية، غير أن دبلوماسية زنون أفلحت في توجيهه إلى إيطاليا، حيث أسس لنفسه دولة هناك. للمزيد أنظر: محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص. 40 وما بعدها.

¹ حكم إمبراطورية الروم في الفترة الممتدة بين عامي 527 و565م، ويذكر أنه كان يميل إلى البساطة في العيش والتودّد في معاملة الناس، ويسهر على شؤون رعيّته حتى أطلق عليه لقب الإمبراطور الساهر. ورغم أنه عرف بالعزم والحزم إلا أنه كان شديد التأثر بأراء حاشيته، ولاسيما زوجته ثيودورا Theodora. للتوسع أكثر أنظر: نفسه، المرجع السابق، ص. 46 وما بعدها.

² المدور: المرجع السابق، ص. 192-193.

³ الدوري: المرجع السابق، ص. 21.

⁴ Bournoutian. op. cit. p. 64.

⁵ عبد الرحمن محمد العبد الغني: المرجع السابق، ص. 37.

من الروم.¹ وبذلك فقد رجال الإقطاع حكمهم الذاتي، لاسيما بعد تطبيق قوانين الإمبراطورية بالكامل على إقليم أرمينية الروم، الأمر الذي أثر سلبا على رجال الإقطاع. فالقانون الرومي ينص على حق البنات والأولاد الصغار في الميراث، وهكذا أُجبر رجال الإقطاع الأرمن على تقسيم أراضيهم الواسعة إلى ممتلكات صغيرة، معرضة للتفتت مع مرور الوقت.²

وقسم جوستينيان الأول أرمينية إلى أربعة وحدات إدارية وهي: أرمينية الأولى (الشمال الشرقي) وعاصمتها ثيودوسيوبوليس، وأرمينية الثانية (الشمال الغربي) وعاصمتها سيباستيا، وأرمينية الثالثة (الجنوب الغربي) ومركزها ميلتيني، وأرمينية الرابعة (الولايات الجنوبية) وعاصمتها مارتيروبوليس. ولضمان اندماج أرمينية الروم مع بقية أجزاء الإمبراطورية استقر الحكام وجامعوا الضرائب في كل مقاطعة.³

وأدى تمسك الأرمن بالمذهب الديني المونوفيزي إلى تدهور علاقاتهم مع إمبراطورية الروم، خاصة في عهد جوستينيان، وتطورت الأحداث بعد ذلك إلى انفصال ديني نهائي بينهما، وبالمقابل ساهم في تحسين العلاقات السياسية الأرمينية-الفارسية.⁴

وفي سنة 591م حدث تقسيم جديد حصل بموجبه الروم على القسم الأكبر من أرمينية، وأضحى خط الفصل بين الأرمينيتين يمتد من تفليس Tiflis شمالا إلى دارا Dara جنوبا، مروراً بدوفين Dvin وماكو Maku وبحيرة أروميا Armia.⁵ وهكذا توسعت مساحة أرمينية الروم على حساب أرمينية الساسانية، إثر فوز الروم في الحرب التي نشبت داخل أرمينية مع جيرانهم

¹ Grosset, op. cit. p. 240.

² Bournoutian. op. cit. p. 65.

³ Ibid. p. 64-65.

⁴ Grosset, op. cit. p. 237 ; Bournoutian. op. cit. p. 62.

⁵ المدور: المرجع السابق، ص. 191-192.

الساسانيين وانتهت بمعاهدة سلام، سلّم بموجبها الملك الساساني خسروف الثاني غالبية أراضي أرمينية إلى الإمبراطور موريس Maurice¹. وضم الروم أراضي أرمينية في مقاطعات تايبك Tayk وتوروبيران (تقليس) وشكلوا منها وحدات إدارية تكونت من:

- **أرمينية الداخلية:** Armenia Interior شملت مقاطعة كارين (قاليقلا) التي كانت تضم القسم الأكبر من أرمينية الكبرى Armenia Magna.

- **مقاطعة أرارات:** التي لقبت في هذه الفترة بأرمينية الأعرق².

عين الإمبراطور موريس حكاماً عسكريين في أرمينية التابعة للروم، وكانت عاصمتهم مدينة تيودوسيوبوليس. وتميّز هذا الإمبراطور باتخاذ خطوات جريئة ضد الأرمن، ومنها العمل على إكراه الكنيسة الأرمينية على قبول عقيدة كنيسة القسطنطينية الديافيزيتية، زيادة على تهجيرهم للأرمن غرباً رغبة منه في كبح جماح أمرائهم المتطلعين إلى الاستقلال السياسي، واستغلاله للفرسان الأرمن لتنفيذ عمليات عسكرية في بلاد البلقان.

استمر موريس في محاولة تحقيق سياسة جوستينيان في أرمينية والمتمثلة في إزالة حقوق الأمراء الأرمن الوراثة، وكانت العاقبة نشوء ثورة معادية في البلاد ضد الروم³. ورغم ذلك واصل الروم انتهاج سياسة الإدماج في أرمينية، والتي أدت إلى وصول العديد من الأرمن إلى مراتب إدارية مرموقة، وتوغلوا في الجيش والبحرية، وتمكن العديد منهم من الوصول إلى منصب الإمبراطور مثل الإمبراطور هرقل الأول Hirakl I⁴.

¹ تولى عرش الإمبراطورية وعمره 43 سنة، في الفترة الممتدة بين عامي 583 و602م، وكان ذكياً ومثقفاً، كما عرف بالعدل والحزم، فأحبه الناس والجيش واحترموه، وكان خبيراً بالشؤون الإدارية والمالية، ومعارضاً للتبذير، ويوجب الإنفاق بعقلانية وإلغاء كل الكماليات من النفقات. للتوسع أكثر ارجع إلى: محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص. 63-64.

² غيفونديان: المرجع السابق، ص. 28.

³ نفسه، ص. 28-29.

⁴ المدور: المرجع السابق، ص. 192 وما بعدها.

ويذكر الباحث مروان المدور في كتابه "الأرمن عبر التاريخ" أن التقسيم السياسي لأرمينية بين الروم والساسانيين لم يمنع الأرمن من النشاط الحضاري والسياسي والثقافي، بل استمروا يعملون من أجل البقاء والاستمرار ماديا وحضاريا.¹ غير أن المؤرخ الأرمني آرام تير-غيفونديان في كتابه "أرمينيا والخلافة العربية" يشير إلى تدهور أوضاع أرمينية في القسمين الساساني والرومي خلال هذه الفترة. وبعد إخضاع الجزء الأكبر من أرمينية أقام الروم نظاما إداريا جائرا لم يفلح قط في إرضاء سكان أرمينية الطامحين للتحرر وإقامة مملكتهم الخاصة. فالروم كانوا يرغبون في تحويل أرمينية إلى إحدى مقاطعاتهم بعد إزالة جميع ملامح الحكم الذاتي القومي، ولا يتأتى ذلك إلا بإلغاء حقوق عائلات الأرمن الوراثية، فأضعفت هذه السياسة أرمينية وفتحت المجال واسعا أمام الفتوحات الإسلامية لها.²

ومما لا شك فيه أن الأرمن كانوا يعيشون حياة أفضل في ظل الحكم الفارسي، ذلك لأنها كانت ملكية إقطاعية، وجد فيها رجال الإقطاع الأرمن مكانا مشرفا بينهم، حيث تمتعوا بنفس امتيازات السادة الإقطاعيين الفرس. فضلا عن ذلك فقد رحب الأرمن بالتعاون معهم منذ أن تخلّى الأكاسرة عن سياسة الاضطهاد الديني ضدهم. وعلى النقيض من ذلك كانت سياسة الروم ضدهم لأنها اعتمدت على إدارة مركزية قوية، وحرصت على احتواء كل العناصر البشرية داخل الكيان الإمبراطوري.³ وبرز الأرمن في الجيش الرومي كجنود من الدرجة الأولى، هذا من جهة، ومن جهة ثانية وجد الأرمن أن إدارة الإمبراطورية حريصة على الاضطهاد الديني بفرض الوحدة المذهبية على كل رعاياها،⁴ الأمر الذي باعد الهوة بين الطرفين، مما أدى إلى تمرد الأرمن على هذه السياسة الجائرة.

¹ المدور: المرجع السابق، ص. 193.

² نفسه، ص. 31.

³ عبد الرحمن العبد محمد العبد الغني: المرجع السابق، ص. 41.

⁴ SÉBÉOS : op. cit. p. 36.

وكانت الحرب بين الفرس والروم مدمّرة، مما نتج عنها الخراب في مناطق عديدة من الشرق الأدنى ولاسيما إقليم أرمينية.¹ وفي خضم هذه الأحداث ظهرت على ساحة الصراع قوة جديدة في شبه الجزيرة العربية،² لم يلق لها بالاً في بادئ الأمر الروم والفرس، ألا وهي بذور الدولة الإسلامية الناشئة، القائمة على الدين الإسلامي. حيث خرج الفاتحون صوب كل اتجاه، بهدف تبليغ الرسالة المحمدية إلى الناس كافة، وتأمين حدود دولتهم الفتية من الأعداء المتربّسين بها.

6- الفتوحات³ الإسلامية لأرمينية 19-41هـ/640-661م

أ- دوافع الفتح الإسلامي لأرمينية

لم يكن خافياً على المسلمين في مطلع العصر الراشدي حجم الخطر الرومي وما يستوجب الرد عليه من إعداد العدة وجمع الجموع بحكم ما أبداه الروم من استعداد لصد المد الإسلامي، فكان على الخلافة الإسلامية أن تكون بمستوى التحدي، وأكدت أحداث الفتح عموماً ما بدا من مؤشرات التحدي الرومي للإسلام والهادفة إلى القضاء عليه والحيولة دون مضيه إلى الأمم الأخرى، وشهدت هذه الفترة إلقاء الإمبراطور الرومي هرقل للعديد من الخطب القائمة على تحريض جنده على مواجهة المسلمين ومنعهم من تحقيق أهدافهم،⁴ الرامية للوصول إلى

¹ وسام عبد العزيز فرج: دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، مكتبة المهتدين، مصر، 1982م، ص. 157.

² SÉBÉOS: op. cit. p. 95.

³ "الفتح في اللغة نقيض الإغلاق، ويقصد به هنا افتتاح دار الحرب ودخول دار العدو، وجمعه فتوح، كما يأتي الفتح بمعنى النصر والغلبة...ولا يقتصر مفهوم الفتح على الانتصار العسكري فحسب، بل يتعداه إلى الانتصار في مختلف الميادين العسكرية والأدبية والأخلاقية، والتي سببت مجتمعة في دخول الأقوام في البلاد المفتوحة عسكرياً في دين الإسلام بقناعة ورضا، مما سبب انتصار عقيدة التوحيد على الشرك في تلك البلدان". عبد العزيز بن إبراهيم العمري: الفتوح الإسلامية عبر العصور، دار إشبيلية، ط. 2، المملكة العربية السعودية، 1419هـ، ص. 15.

⁴ الجبوري: المرجع السابق، ص. 256-257.

سواحل بحر بنطس (البحر الأسود)، والولوج عبر مضيق البوسفور، وصولاً إلى القسطنطينية،¹ التي بشر النبي صلى الله عليه وسلم بفتحها.

ورداً على هذه المخاطر،² استخدم المسلمون الهجوم كأحسن وسيلة للدفاع، حماية لدينهم وديارهم، وأثبتوا للروم مقدرتهم على مهاجمتهم في عقر دارهم كلما استوجب الأمر ذلك.³ وتجسيدا لذلك حقق المسلمون انتصارات ساحقة على الجيش الرومي المتواجد بالشام وفلسطين في معركتي أجنادين⁴ (13هـ/634م) واليرموك⁵ (15هـ/636م) من جهة،⁶ وسيطروا على إقليم الشام بأكمله.⁷ وعلى الجيش الفارسي في موقعتي القادسية⁸ (15هـ/636م) ونهاوند¹

¹ LAURENT (J.) : op. cit, p. 2.

² تجلّت هذه المخاطر في غزوة مؤتة التي وقعت بين المسلمين والروم في السنة الثامنة للهجرة. يضاف إليها غزوة تابوك في السنة التاسعة للهجرة. إذ انهزم المسلمون في غزوة مؤتة، ولكنهم تداركوا الوضع وانتصروا على الروم في تابوك، فعلى الرغم من عدم وجود مواجهة مباشرة مع الروم الذين آثروا الفرار شمالاً، وبذلك انتصر المسلمون دون قتال، حيث أخلوا مواقعهم للجيش الإسلامي. وتمخّض عن ذلك ظهور الدولة الإسلامية كقوة وحيدة قادرة على تحدي إمبراطورية الروم. كما نتج عن هذه الغزوة أيضاً سقوط هيبة الروم من نفوس العرب جميعاً مسلمهم وكافرهم على حدّ سواء، لأن قوة الروم في نظر العرب كانت لا تقاوم. للمزيد أنظر:

ابن كثير عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي: السيرة النبوية، مكتبة الصفا، القاهرة، ط. 1، 2006م، ج. 2، ص. 126 وما بعدها؛ هُني خير الدين: في رحاب السيرة النبوية، دار الإمام مالك، الجزائر، ط. 2، 2017م، ص. 502 وما بعدها.

³ الجبوري: المرجع السابق، ص. 262.

⁴ وقعت هذه المعركة في 28 جمادى الأولى في عام 13هـ/634م، بمكان يدعى أجنادين في فلسطين، حقق فيها المسلمون بقيادة أمير الدهاء عمرو بن العاص انتصاراً هاماً على الروم. محاسن نجاة سليم محمود: معجم المعارك التاريخية، دار زهران، عمان-الأردن، ط. 1، 1432هـ/2011م، ص. 29؛ أنظر أيضاً:

SÉBÉOS: op. cit. p. 96.

⁵ تعد من المعارك الحاسمة والمفصلية في تاريخ الإسلام والمسلمين، حدثت بين المسلمين والروم، وعرفت المعركة بهذا الاسم نسبة إلى نهر اليرموك الذي يصب في نهر الأردن. بدأت يوم الإثنين الخامس من رجب سنة 15هـ، شارك مع الروم اثنا عشر ألفاً من الأرمن، ومُنّي فيها الروم بهزيمة ثقيلة، وخسائر كبيرة، وكان النصر تاماً للمسلمين، الذين أصبح الطريق أمامهم مفتوحاً للتقدم إلى دمشق وشمال بلاد الشام. صالح أحمد العلي: الفتوحات الإسلامية، شركة المطبوعات، بيروت-لبنان، ط. 1، 2004م، ص. 235 وما بعدها.

⁶ ميخائيل السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، تر. مارغريفور شمعون، متروبوليت، حلب، ج. 2، ص. 314.

⁷ Vasiliev (A. A.): HISTORY OF THE BYZANTINE EMPIRE 324-1453, MADISON, Canada, 1952, p. 211.

⁸ قادها من الجانب الإسلامي الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص الذي اختاره الخليفة عمر بن الخطاب، أما الجيش الساساني فقد كان تحت قيادة رستم فروخزاد. حقق فيها المسلمون انتصاراً باهراً، وأصبحت مدينة المدائن عاصمة الإمبراطورية

(19هـ/640م) من جهة أخرى.² الأمر الذي أدى إلى القضاء على دولة الفرس في فترة وجيزة، واقتطاع أقاليم بالغة الأهمية من أراضي إمبراطورية الروم.³ ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن صفوف قوات إمبراطورية الروم، خلال هذه المواجهات، قد تدعّمت بكتائب من الجنود الأرمن، والتي أبدت فعالية منقطعة النظير في ساحة الوغى، الأمر الذي ساهم بشكل حاسم ولافت في هذا الصراع الثنائي الإسلامي - الرومي.

وهذا الأمر ليس بغريب على الروم الذين سبق لإمبراطورهم هرقل (610-640م) أن اعتمد على محاربين من أرمينية لمواجهة الفرس.⁴ إذ يذكر أن هذا الأخير اتخذ من أرمينية أرضاً لتجنيد الجند،⁵ حيث وضع على رأس هذا الإقليم عناصر من الطبقة النبيلة المحلية، منحهم صلاحيات عسكرية ومدنية،⁶ واستغلهم في حروبه على أعدائه الفرس وبعدهم

الساسانية محاصرة، وسقطت بعد الحصار. بعد هذه الهزيمة الساحقة هرب الملك يزدجرد إلى شرق المدائن، وترك أمامه خزائن إمبراطوريته مفتوحة للمسلمين، الذين تمكنوا من السيطرة عليها بالكامل وبسهولة، بفضل انتصارهم الكبير في القادسية. محاسيس: المرجع السابق، ص. 403.

¹ وقعت في خلافة عمر بن الخطاب، على مقربة من بلدة نهاوند الفارسية. حقق فيها المسلمون انتصاراً ساحقاً بقيادة النعمان بن مقرن على الفرس الساسانيين، غير أن النعمان استشهد في المعركة. وأدى هذا الانتصار إلى أقول نجم الدولة الساسانية في بلاد فارس، بعد أن دام حكمها 416 سنة. محاسيس: المرجع السابق، ص. 512.

² عبد الرحمن محمد العبد الغني: المرجع السابق، ص. 47.

³ Asolik, op. cit. t. 1, p. 196.

⁴ Bréhier (Louis), Le monde byzantin : Vie et mort de Byzance, Éditions Albin Michel, Paris, 1992, p. 55.

⁵ ذكر المؤرخ الحديث ليلي Lilie بأن العنصر البشري الأرمني مثل موردا هاما للجيش الرومي، وفي هذا الصدد يقول: "كان سكان أرمينية أكثر أهمية من كنوزها، لأنهم يمدون جيوشها من وقت لآخر بالعناصر العسكرية، وذلك لأن الروم اعتمدوا على العناصر الأجنبية لإمداد جيوشهم بدماء جديدة وعناصر قوية من الدول التي تسيطر عليها، والتي تدور في فلكها. وكان العامل البشري عندها وخاصة الأرمن هام جداً في تعاملها مع الشعوب التي تحت نفوذها". العبد الغني: المرجع السابق، ص. 188، نقلاً عن:

Lilie Die byzantinische Reaktion.

⁶ كان هذا الإجراء تمهيداً لظهور نظام التيمات Themes الذي ركز على ضرورة استقرار الجند بأقاليم آسيا الصغرى، ومن خلاله قسمت أقاليم إمبراطورية الروم التي لم يمسهما العدو بأي سوء إلى أقاليم عسكرية كبيرة. ولعل من أشهرها: ثغر الأرمينيا Arméniaque المتواجد في شمالي شرق آسيا الصغرى، والمتاخم لحدود أرمينية الغربية. السيد باز العريني: الدولة البيزنطية 323-1081م، دار النهضة العربية، بيروت، 1965م، ص 120-121.

المسلمين.¹ ففي معركة اليرموك انخرطت كتيبة أرمينية هائلة العدد في صفوف الجيش الرومي، بقيادة جيورجيوس Georgius.² ومن جهتهم استطاع الفرس تجنيد عددا لا بأس به من الجنود الأرمن، شاركوا معهم ضد المسلمين في موقعة القادسية،³ وقدّر عددهم بحوالي 4000 جندي، قتلوا إلى جانب القائد الفارسي رستم.⁴ لذلك كان لزاما على قادة الفتح التوغل داخل الأراضي الأرمينية، للقضاء على المصدر الأساسي للتجنيد العسكري لدى الفرس والروم.⁵

ويبدو أن الأهمية الإستراتيجية لموقع أرمينية كانت من أبرز الأسباب التي دفعت بالمسلمين إلى الإصرار على فتحها،⁶ لكونها مجاورة للحدود الشمالية للخلافة الإسلامية من ناحية، ومتاخمة لإمبراطورية الروم العدو للدود للإسلام والمسلمين، من ناحية ثانية.⁷ فالسيطرة على إقليم أرمينية بمثابة تأمين وتثبيت للفتح الإسلامي في بلاد الشام والجزيرة وأذربيجان،⁸ ضد أعداء أقوياء. ومما لا شك فيه أنه يعد مقدمة للقضاء على إمبراطورية الروم، إذ أن الخلفاء والقادة المسلمين أدركوا بثاقب بصيرهم وبصيرتهم أنها أفضل مكان لإقامة قاعدة عسكرية متقدمة، يستخدمونها في مواجهاتهم المنتظرة والحاسمة ضد الروم، الذين دخلوا معهم مرحلة صراع وجودي، يكون فيه البقاء للأقوى.

¹ Bréhier : op. cit. p. 57.

² فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لأرمينية، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، 1983م، ص22-23.

³ Sébèos, op. cit. p99.

⁴ Sebeos : op. cit. p. 99 ; Grousset (R.) : op. cit, p. 296.

⁵ Bréhier : op. cit. p. 61.

⁶ فايز نجيب اسكندر: الفتوحات العربية لأرمينية دراسة تاريخية مع عرض وتحليل ودراسة مقارنة للمصادر والمراجع، مجلة سيرتا، ع. 9/8، ديسمبر 1983م، ص. 37.

⁷ مرفات كوما أبديلا: المرجع السابق، ص. 18.

⁸ ولتر كي: بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، تر: نقولا زيادة، دار المهندسين، سورية، ط2، 2003م، ص239.

زيادة على ذلك، فإن أباطرة الروم رفضوا التخلي عن إقليم أرمينية، بل أولوه أهمية كبيرة، رغم التحديات والصعوبات التي واجهوها على حدودهم الأخرى مثل: منطقة البلقان في الشمال.¹ ومن جهتهم علم قادة الفتح أن السيطرة على بلاد الأرمن، بمثابة الدرع الواقعي الذي بقي ظهر الخلافة الإسلامية من اعتداءات الروم المتتالية، ويبني لها حاجزا رادعا يقيها من هجمات شعوب القوقاز الشمالية، مثل: اللان والأبخاز و الخزر، الذين زحفوا إلى شمال أرمينية بإيعاز وتحريض من إمبراطورية الروم، لمواجهة القوات الإسلامية الفاتحة لأرمينية.² وفي هذا الصدد يقول اليعقوبي واصفا أوضاع أرمينية السياسية بـ : "الحزنة التي يحيط بها الأعداء".³ إضافة إلى ذلك فإن امتلاك ذلك الدرع يمنح للدولة الإسلامية الفتية عمقا إقليميا، ويبعد عن حدودها الأخطار المحدقة بها، ويفسح المجال لقواتها بالتفرغ لاقتطاع أوصال إمبراطورية الروم،⁴ واختراق مجالها الجغرافي المترامي الأطراف، بغية الوصول إلى هدف المسلمين المنشود، ألا وهو فتح القسطنطينية، الذي بشر به الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن الإشارات التي أوردها البلاذري عند حديثه عن فتح أرمينية، ما يدل على دوافع أخرى، ففي هذا الصدد ذكر أن القائد حبيب بن مسلمة الفهري⁵ "كتب إلى عثمان يسأله أن يُشخص إليه من أهل الشام والجزيرة قوما ممن يرغب في الجهاد والغنيمة" لدعمه في إحكام

¹ ولتر كي: المرجع السابق، ص255.

² البلاذري: المصدر السابق، ص. 278؛ مرفات كوما أبدلا: المرجع السابق، ص. 18-19.

³ المصدر السابق، ص. 20.

⁴ مرفات كوما أبدلا: المرجع السابق، ص. 18.

⁵ حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك القرشي الفهري، ويكنى أبا عبد الرحمن، ولد قبل الهجرة بـ اثنتي عشرة سنة (610م)، أسلم عام الفتح سنة (8هـ/629م)، شهد معركة اليرموك وفتح الشام وإقليم الجزيرة ومدينة باب الأبواب، ويعرف بفتح شطر أرمينية وشرط بلاد الروم، حيث عمل على استعادة فتح مناطق شاسعة من أرمينية سنة (25هـ/645م). عيّنه الخليفة عثمان بن عفان واليا على أرمينية حتى سنة (35هـ/655م)، وشغلته الفتنة الكبرى بعد ذلك، وفي سنة (41هـ/661م) أعاده الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى منصبه في أرمينية، فمات بها سنة (42هـ/662م). كتب في مدحه البلاذري ما نصه: "وكان حبيب ذا أثر جميل في فتوح الشام وغزو الروم قد علم ذلك منه عمر ثم عثمان (رضهما) ثم من بعده". البلاذري: المصدر السابق، ص. 277؛ ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت. 230هـ/844م)): الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، ط. 2، بيروت-لبنان، 1997م، مج. 7، ص. 287؛ خطاب محمود شيت: قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، 1419هـ/1998م، ص. 173.

قبضته على مدينة قاليقلا¹ الأرمينية، بعدما بدر إلى مسامعه أن بطريق أَرْمِنْيَاقُس الرومي يعدّ العدة لمهاجمته.² من هذه الرواية نستشف أن الجهاد في سبيل الله بغية نشر الإسلام،³ هو الباعث الأول لهذا الفتح. فقد كانت الدعوة إلى الإسلام ونشره بين الناس المبدأ الأساسي الذي تبناه الفاتحون، باعتباره سياسة عامة لهم، أثناء سير الفتوحات على مختلف الجبهات، دون أن يكرهوا أحداً على اعتناق الإسلام،⁴ اقتداء بتعاليم دينهم التي تحرم ذلك، بل تدعوا إلى نشر السلم والأمن والمحبة بين الناس. كما أن الفتح كان يهدف إلى رفع الظلم عن المظلومين والمستضعفين الذين وقعوا بين أيدي الظالمين.⁵

وفي هذا الصدد يعترف المستشرق غوستاف لوبون Gustave le bon بالحنكة السياسية والبراعة الحربية التي تمتع بها الخلفاء الراشدون وقادة جيوشهم، إذ أنهم أعلنوا في كل مكان حلّوا به احترامهم لعقائد وعادات وتقاليدهم، واكتفوا بأخذ جزية ثقل بكثير عن تلك المفروضة من قبل الفرس أو الروم، في مقابل توفير الحماية. وأضاف أن الفاتحين قبل سعيهم لفتح أي بلد، كانوا يوفدون رسلاً حاملين إليه شروطاً للوفاق، تتضمن تخييرهم بين ثلاثة أمور: الإسلام

¹ ذكرت في المصادر الأرمينية باسم كارين Karin، وجاءت في المصادر الإغريقية بلفظ ثيودوسيوبوليس Théodosiopolis. وحسب المصادر الإسلامية فإن مدينة قاليقلا تقع شمالي غرب أرمينية، ويرجع ابن الأثير سبب تسميتها قاليقلا إلى " امرأة بطريق أرميناكس كان اسمها قالي بنت هذه المدينة فسمتها قالي قلة تعني إحسان قالي فعربتها العرب فقالت: قاليقلا". ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ. تح. أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط. 1، 1407/1987م. مج. 2، ص. 478. للمزيد راجع أيضاً:

Sébèos (L'évêque) : op. cit. p. 156.

² المصدر السابق، ص. 278.

³ والجدير بالذكر أن المصادر والمراجع الأجنبية تعتبر هذا الدافع حالة من التعصب الديني، وأحد الأسباب الرئيسية للانتصارات السريعة والمذهلة التي حققها المسلمون في قتالهم مع الفرس والروم. أنظر:

Vasiliev : op. cit. p. 207.

⁴ الجبوري: المرجع السابق، ص. 46.

⁵ العمري: المرجع السابق، ص. 18-19.

أو الجزية أو الحرب.¹ ويؤيده في ذلك المؤرخ فازيليايف Vasiliev الذي أشاد بالتسامح الديني للمسلمين تجاه المسيحيين، حيث تركوا لهم معابدهم وحققهم في أداء الطقوس الدينية، مقابل دفع ضريبة محددة بشكل منتظم والولاء السياسي.² على النقيض مما يروج له البعض، بأن غالبية الفاتحين الأوائل لم يكونوا أصحاب رسالة، بل استأثروا بما خلفته حركة الفتوحات من مكسبات مادية دنيوية.³

أما السبب المباشر الثاني فيتمثل في الغنيمة، فلم يكن خافيا على الفاتحين ما تنعم به أرض أرمينية وباطنها وبحيراتها من خيارات متنوعة، تصلح لأن تكون موردا أساسيا دائما من موارد بيت مال المسلمين، ينفق في تعزيز قدراتهم العسكرية بهذا الإقليم الحاجز بينهم وبين أعدائهم الروم والخزر. ومن ناحية أخرى فإن قادة الفتح الإسلامي كانوا أشد حرصا على توفير الموارد المعاشية لجنودهم، بغية تأمين استمرارية الفتوحات، وتطوير إمكانيات الخلافة اقتصاديا، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال الاستفادة من غنائم أهل البلاد المفتوحة. وهذا يدخل ضمن سياسة الخلفاء التشجيعية لدفع المقاتلة إلى الأمام، باتخاذ إجراءات تبدو ظاهريا بأن غايتهم الحصول على الغنائم، ولكن جوهرها الطموح إلى تحقيق الأهداف الكبرى للفتوحات،⁴ وعلى رأسها إيصال الرسالة المحمدية للناس كافة.

وكانت رسائل الخليفة الراشدي أبو بكر الصديق⁵ للقبائل العربية المستنيرة للجهاد، تحمل في طياتها نمطا يجمع الوعد بالجنة والنصر من الله، لمن يرغب في ثواب الآخرة، والفتح

¹ Le Bon Gustave : La civilisation des Arabes, Casbah, Alger, 2009, p. 114-115.

² Ibid. p. 217.

³ الجبوري: المرجع السابق، ص. 46.

⁴ نفسه، ص. 130.

⁵ عبد الله بن أبي قحافة، يلقب بالصديق، ويروى أنه أول من أسلم. تولى خلافة المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم عام 632/11هـ، في فترة عصيبة ظهر فيها المرتدّون، ولكنه تمكن في فترة وجيزة من القضاء على حركتهم، بفضل حنكته السياسية. ومن أشهر منجزاته أيضا الفتوحات الإسلامية التي انطلقت في عهده مشرقا ومغربا لتبليغ دين الله إلى الناس كافة، وفق ما نصت عليه تعاليم ديننا الحنيف. للتوسع أكثر أنظر: أمين القضاة: الخلفاء الراشدون، دار الأفاق، الجزائر، (د/ت)، ص. 13 وما بعدها.

وغنائم الروم للذين يطعمون في ثواب الدنيا. لذا فإن أفراد تلك القبائل اختلفوا في نياتهم من وراء تلبيتهم لنداء الخليفة، وكانوا كما يروى عنهم بين "محتسب وطامع". علاوة على ذلك فإن استجابة تلك القبائل، تعني قبولهم بترك ديارهم وأموالهم، وذلك يحتم على الخليفة تعويضهم بتوفير موارد اقتصادية،¹ تضمن لها العيش الكريم في مواطنهم الجديدة.

ويذكر الباحث الأرمني جان جاك سليمانيان أن المصادر الأرمينية القديمة تحدثت عن تسهيلات وجدها الفاتحون بمجرد اقترابهم من أرمينية، فحسب هذه الرواية فإن اليهود ساعدوا المسلمين في غزواتهم، وأرشدوا القوات الإسلامية في أرمينية. وأضافت أيضا أن سكان منطقة أسورستان² وفلسطين ومصر اليهود والمسيحيين رفضوا سياسة الاضطهاد الديني الممارس عليهم من طرف الروم،³ لذلك لم يقاوموا الفاتحين إبان غزواتهم، وهكذا سيطر المسلمون على تلك البلاد بسهولة تامة.⁴ وهذه الرواية تتوافق مع ما ذهب إليه غوستاف لوبون، حين أشار إلى الظلم الذي كان يمارس على السكان الأصليين في المناطق المفتوحة، وهذا ما جعلهم على أهبة الاستعداد لاستقبال أي غزو يخفف وطأة الاضطهاد عنهم.⁵ كما ساهمت الصراعات القائمة بين الأسر الأرمينية الكبرى في تسهيل حركة الفتح الإسلامي في الإقليم، لاسيما إذا علمنا أن

¹ قدامة (بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي أبو الفرج (ت. 328هـ / 948م)) : الخراج وصناعة الكتابة، تح. الزبيدي محمد حسين، دار الحرية، بغداد-العراق، 1981م. ص. 284؛ الجبوري: المرجع السابق، ص. 120.

² يقصد بها أذربيجان التاريخية (شمال إيران حاليا) وبلاد الجزيرة.

³ للمزيد حول اضطهاد الروم للكنيسة الأرمينية أنظر:

SÉBÉOS: op. cit. p. 139.

⁴ سليمانيان جان جاك: تاريخ الراهب غيفونت (632-787م) تعريب ودراسة في العلاقات العربية الأرمينية حتى القرن العاشر الميلادي، أطروحة دكتوراه، إشراف: لويس بوزيه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فرع الآداب العربية، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1994م، الحاشية رقم 3، ص. 57؛ أنظر أيضا:

Gandzakets Kirakos : History of the Armenians, trans. Bedrosian Robert, Sources of the Arménian Tradition, New York, 1986, p. 23.

⁵ Le Bon Gustave : op. cit. p. 114.

كل أسرة كان لها جيش خاص بها، وترفض التعاون مع الأسر الأخرى المعادية لها، وهذا يعني تشتيت الجيش الأرمني.¹

ولتنفيذ مشروع الفتح الكبير الذي تبناه المسلمون بات من الضروري ضمان أمن المناطق التي تم فتحها، وفي نفس الوقت تقطّن قادة الفتح إلى الأهمية القصوى التي تكتسيها منطقة أرمينية، في تقوية الجبهة الإسلامية وبالخصوص في مواجهة الروم، فتم التفكير ملياً، بعد استطلاعات عديدة، بضرورة فرض السيادة الإسلامية على أرمينية من خلال توجيه حملة عسكرية مجهز لها، بشكل محكم، في مستوى أهمية إقليم أرمينية.

ب- الفتح الإسلامي لأرمينية

تنفيذا لمشروع الفتح الإسلامي الواسع النطاق، بات من الضروري ضمان أمن المناطق التي تم فتحها، وفي نفس الوقت تقطّن قادة الفتح إلى الأهمية القصوى التي يكتسيها إقليم أرمينية، في تقوية الجبهة الإسلامية ولاسيما في مواجهة الروم. لذلك تم التفكير ملياً بعد استطلاعات عديدة، بضرورة فرض السيادة الإسلامية على أرمينية، من خلال توجيه حملة عسكرية مجهز لها بشكل محكم، تكون في مستوى أهمية المنطقة.²

واتفقت المصادر الإسلامية والأرمينية على أن المسلمين فتحوا أرمينية بعد فتحهم لبلاد الجزيرة وأذربيجان،³ والثابت أن الحملة الأولى للمسلمين على أرمينية كانت سنة 19هـ/640م.⁴ وفي هذا الصدد أورد المؤرخ الأرمني سبيوس أن سيطرة الجيش الإسلامي على مدينة دوين

¹ SÉBÉOS: op. cit. p. 100.

² زروق مصطفى وكربال زكية: معاهدة السلام (33هـ/654م) صفحة من العلاقات الإسلامية الأرمينية، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة-الجزائر، 2022م، مج. 6، ع. 2، ص. 140.

³ ابن العماد الحنبلي (أبي الفلاح عبد الحي: (ت. 1079هـ/1668م)): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1994م، ج. 1، ص. 32-33؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج. 4، ص. 281؛ اسكندر: الفتوحات الإسلامية لأرمينية، ص. 27؛ أنظر أيضاً:

SÉBÉOS : op. cit. p. 100 ; GHÉVOND : op. cit. p. 4.

⁴ BOURNOUTIAN : op. cit. p. 69.

الأرمينية كان في السنة الأخيرة لولاية الكاثوليكوس ايزر Ezr المقابلة لعام 640م/19هـ.¹ يضاف إليه حولية دينيس التي أوردت سقوط دوين في أول سنة 640م الموافق لأول شوال 19هـ.²

غير أن المؤرخين الأرمينيين جيفوند وأسوليك يذكران أن فتح دوين العاصمة الأرمينية تم عام 647م/27هـ.³ يضاف إليه ميخائيل السرياني Michel le Syrien الذي أدرج حملة الفاتح حبيب بن مسلمة على أرمينية عام 645م/25هـ.⁴

ويعد كتاب "فتوح البلدان" للبلاذري (ت279هـ/892م) من أهم المصادر العربية التي تحدثت عن الفتوحات الإسلامية لأرمينية، إذ أورد أن عياض بن غنم⁵ بعد فتحه لإقليم الجزيرة "... جازها إلى خلاط ... وانتهى إلى العين الحامضة من أرمينية".⁶ أما الطبري (ت310هـ/922م) فنذكر ضمن أحداث سنة 19هـ/640م، أن عياض بن غنم وجّه عثمان بن أبي العاص⁷ إلى أرمينية الرابعة.¹ كما أشار ابن كثير (ت774هـ/) إلى إمارة عثمان بن أبي

¹ SÉBÉOS : op. cit. p. 100-101.

² عبد الرحمن محمد العبد الغني: المرجع السابق، ص. 49.

³ GHÉVOND : op. cit. p. 6-8 ; ASOLIK: op. cit. P. 151.

⁴ ميخائيل السرياني: المصدر السابق، ج. 2، ص. 338.

⁵ عياض بن غنم الفهري القرشي "من رهط أبي عبيدة بن الجراح، وهو عياض بن غنم بن زهير بن أبي شدّاد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبّة بن الحارث بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة". ولد سنة أربعين قبل الهجرة الموافق لعام 573م، أسلم قبل صلح الحديبية، وشهد صلح الحديبية وغزا مع الرسول صلى الله عليه وسلم. كان من أبرز قادة الفتح الإسلامي في العراق والشام وبلاد الجزيرة وأرمينية. ويقال أنه أول من عبر الجزيرة نحو بلاد الروم، ومهّد للفتح الإسلامي في أرمينية. لقّب بفاتح الجزيرة وشرط أرمينية. استقر في بلاد الشام، وعيّن أميراً على مدينة حمص، وبقي في منصبه إلى غاية وفاته سنة 640هـ/20م. الخطيب البغدادي (أبي بكر أحمد بن علي (ت. 463هـ/1070م)): تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تج. مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط. 1، بيروت-لبنان، 1997م، ج. 1، ص. 196-197؛ خطاب: المرجع السابق، ص. 121 وما بعدها.

⁶ ص. 242.

⁷ أبو عبد الله عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان الثقفي، أسلم في شهر رمضان من السنة التاسعة للهجرة. في العهد الراشدي عينه الخليفة أبو بكر الصديق أميراً على الطائف، وعينه الخليفة عمر بن الخطاب أميراً على عمان والبحرين، وشارك في فتح بلاد فارس. زيادة على ذلك فقد لقّب بفاتح أرمينية الرابعة (القسم الجنوبي الغربي من أرمينية). كان صاحبياً جليلاً من أهل طائف من قبيلة ثقيف المشهورة بالشجاعة الفائقة، ولذلك عرف بشدّة ذكائه وتفقهه في الدين. ويذكر أنه بقي

العاص على الجيش الذي فتح أرمينية أول مرة.² ويتضح أن هذه الحملة الجنوبية كانت استطلاعية وتهدف إلى التعرف على الموقع الجغرافي للمنطقة وتضاريسها، لأن الجيش الإسلامي عاد بعدها إلى معسكره بإقليم الجزيرة. وفي سنة 22هـ توجه سراقه بن عمرو³ إلى شمال أرمينية وتمكن من فتح مدينة باب الأبواب،⁴ ولمّا تولى عثمان بن عفان الخلافة سنة 24هـ،⁵ أصدر أوامره إلى والي بلاد الشام معاوية بن أبي سفيان⁶ بأن يكرّس جهوده لضم هذا الإقليم إلى سيادة المسلمين.⁷ فأوكل هذا الأخير إلى حبيب بن مسلمة الفهري مهمة غزو أرمينية، فسار إليها في جيش قوامه ستة أو ثمانية آلاف من أهل الشام والجزيرة، ففتح مدينة

أميرا على البحرين وعمان حتى سنة ثمان وعشرين للهجرة، ثم انتقل للاستقرار في البصرة، وبقي فيها إلى غاية وفاته في خلافة معاوية بن أبي سفيان عام إحدى وخمسين للهجرة. خطاب: المرجع السابق، ص. 131 وما بعدها.

¹ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت. 310/923م)): تاريخ الرسل والملوك، تج. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1970م، ج. 4، ص. 53.

² ابن كثير (أبو الفداء الحافظ): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1413هـ/1992م، ج. 7، ص. 96.

³ كان سراقه بن عمرو بن لبنة صحابيًا جليلاً، لقّب بذا النور، يقال أنه أسلم متأخراً. وفي العهد الراشدي عيّنه الخليفة عمر بن الخطاب أميرا على البصرة، كما أرسله على رأس جيش إلى مدينة الباب الواقعة في شمالي شرق أرمينية، فتمكن من فتحها صلحا. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى الأهمية التي تكتسيها مدينة الباب، بفضل موقعها الإستراتيجي، إذ اعتبرها المسلمون قاعدة متقدمة باتجاه أرمينية وتركستان وإقليم القوقاز حتى حدود سيبيريا. استشهد في مدينة الباب سنة اثنتين وعشرين للهجرة الموافق لـ 642م. خطاب: المرجع السابق، ص. 141 وما بعدها.

⁴ ابن خلدون (عبد الرحمن (ت. 808/1406م)): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، ط. 1، بيروت، 1992م، مج. 2، ص. 537.

⁵ كان عهد الخليفة عثمان بن عفان مليئا بالفتوحات، وهي تكملة لما تمّ إنجازه أيام الخليفة السابق عمر بن الخطاب، إذ تواصلت هذه الفتوحات في البر والبحر طيلة عشرة أعوام، غير أن الفتنة التي حدثت في العامين التاليين جعلت البعض يظن أن عهد الخليفة عثمان لم يكن سوى اختلاف وفتنة. ونسوا أن هذا الأخير أضاف بلادا جديدة واسعة إلى دار الإسلام، في المغرب وقبرص وأرمينية وبلاد السند وغيرها من المناطق. ويقال أنه تولى "الخلافة اثنتي عشرة سنة يعمل ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئا، وإنه لأحب إلى قریش من عمر بن الخطاب، لأن عمر كان شديدا عليهم، فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم". السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضير جلال الدين (ت. 911/1505م)): تاريخ الخلفاء، تج. محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط. 1، مصر، 1952م، ص. 156؛ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي الخلفاء الراشدون والعهد الأموي، المكتب الإسلامي، ط. 8، بيروت، 2000م، ج. 3، ص. 223، 229.

⁶ معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، ابن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب أمير المؤمنين، أبو عبد الرحمن، القرشي، الأموي المكي. أظهر إسلامه يوم فتح مكة عام 8هـ، وروى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم. ولأه الخليفة عمر بن الخطاب بلاد الشام وأقرّه الخليفة عثمان عليها. تولى خلافة المسلمين عام 41هـ/661م إلى غاية وفاته عام 60هـ. الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت. 748/1374م)): سير أعلام النبلاء، تج. محب الدين أبي سعيد العمري، دار الفكر، ط. 1، بيروت، 1997م، ج. 4، ص. 285 وما بعدها.

⁷ الكعبي عبد الحكيم: عصر الخلفاء الراشدين، دار أسامة، الأردن، 2009م، ص. 198.

قالليقلا وأسكن بها ألفي رجل ومنح لهم القطائع،¹ وجعلهم مرابطين بها، ثم بلغه أن الروم يجهزون جيشا لاسترجاع قالليقلا، فأرسل إلى الخليفة عثمان بن عفان يطلب منه المدد، فأمدده بجيش قوامه ستة آلاف رجل من أهل الكوفة بقيادة سلمان بن ربيعة الباهلي،² غير أنه وصل بعد نهاية المعركة التي انتصر فيها المسلمون، فأقرّ عثمان حبيب على ما فتحه وكتب إلى سلمان بن ربيعة الباهلي يأمره بغزو أَران.³

ويبدو أن لجوء الخليفة عثمان إلى تقسيم الجيش الإسلامي الفاتح لأرمينية بين حبيب وسلمان جاء تقاديا للنزاع الذي حدث بين أهل الشام وأهل الكوفة حول الغنيمة أو الإمارة⁴ كما يرويه البعض.⁵ وبعد فتح حبيب لقالليقلا انتقل إلى المدن الأرمينية الأخرى التابعة لأرمينية الغربية، حيث فتح: خلاط، أَرْجِش، بَاجُنَيْس، دَبِيل، سراج طير، بغراوند، النَّشَوَى، البُسْفَرَجَان، السَّيْسَجَان، جُرْزَان، تَقْلَيْس... وغيرها، وموازة مع ذلك سار سلمان

¹ الحديث عن الإقطاع هنا لا يقصد به النظام الاجتماعي والزراعي الذي عرف في أوروبا خلال العصور الوسطى، وفي بعض المناطق من بلاد المشرق الإسلامي إبان العصر العباسي الثاني وما بعده، والذي تمثل في استيلاء أشخاص متنفذين على مقاطعات وضياع واسعة، يشرفون على استغلالها باستخدام العبيد. فالحديث عن الإقطاع في صدر الإسلام بعيد كل البعد عن الاستغلال "وإنما يعني ببساطة مجرد منح بعض القطع والمزارع لعدد قليل من المسلمين تقدّموا بطلبها من الرسول صلى الله عليه وسلم أو خلفائه من بعده". بشار قويدر: قضية الأرض في الدولة الإسلامية، مركز الطباعة لجامعة الجزائر، بوزريعة-الجزائر، (د/ت)، ص. 35.

² أبو عبد الله سلمان بن ربيعة بن يزيد بن عمرو بن سهم بن نضلة بن غنم ابن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار الباهلي الكوفي. كان صاحبيا جليلا، وقيل أيضا أنه أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وليس له صحبة. تولى قيادة الجيوش والقضاء على عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب، الذي حرص على تولية الصحابة مثل هذه المهام البالغة الخطورة. في معركة القادسية عام 14 هـ / 635م، ولّاه سعد بن أبي وقاص قيادة قوة عسكرية من الفرسان تتحرك في مقدّمة الجيش، بهدف استطلاع قوات العدو والحصول على المعلومات اللازمة قبل مواجهته، كما شارك في فتوح الشام، ومنها انتقل الكوفة وتولى القضاء فيها، ثم توجه إلى الجهاد في أذربيجان وأرمينية سنة 22 هـ / 642م. استشهد عام 32 هـ / 652م في معركة ضد الخزر ببلنجر. الأصبهاني (أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران (ت. 430 هـ / 1038م)): معرفة الصحابة، تح. محمد حسن محمد حسن إسماعيل ومسعد عبد الحميد السعدني، دار الكتب العلمية، ط. 1، بيروت-لبنان، 2002م، مج. 2، ص. 460؛ خطاب: المرجع السابق، ص. 157 وما بعدها.

³ البلاذري: المصدر السابق، ص. 277 وما بعدها؛ ابن خلدون: المصدر السابق، مج. 2، ص. 546-547.

⁴ حول فحوى هذا الخلاف روى البلاذري أنّ "...سلمان ورد وقد فرغ المسلمون من عدوهم، فطلب أهل الكوفة إليهم أن يشاركوهم في الغنيمة، فلم يفعلوا حتى تغالط حبيب وسلمان في القول وتوعد بعض المسلمين سلمان بالقتل... وكتب إلى عثمان بذلك، فكتب أن الغنيمة باردة لأهل الشام... وقد روى بعضهم أن سلمان وحبيب تنازعا الإمارة... والخبر الأول أثبت". المصدر السابق، ص. 278-279.

⁵ نفسه، ص. 278-279.

بن ربيعة الباهلي نحو مدن أرمينية الشرقية، وفتح: آرآن، البيلقان، برذعة، شمكور، قبة، خيزان، شروان، مسقط، الشابران، باب الأبواب... وغيرها، وتمت هذه الفتوحات عنوة و صلحا.¹

جدير بالذكر أن السيادة الإسلامية على أرمينية لم تتحقق على الرغم من هذه الحملات والغزوات، لأن الجيش الرومي كان بوسعه العودة لأرمينية بعد كل حملة إسلامية،² حتى أن بعض الدراسات تشير إلى أن الجيش الرومي تمكن سنة 27هـ/647م من استعادة أرمينية بالكامل.³ يضاف إليها تضاريس أرمينية الوعرة ولاسيما جبالها وأقسامها الإدارية غير المركزية، المساهمة في تشكيل جيوب لمقاومة قادرة على الصمود لمدة زمنية طويلة.⁴ وعلاوة على ذلك فإن إعلان الأرمن تبعيتهم للروم، ينجر عنه غزوا إسلاميا جديدا.⁵

وساهم سقوط الفرس وضعف إمبراطورية الروم في تحرير أرمينية من هيمنتها وتوحيد الأراضي الأرمينية،⁶ إذ أصبح تيودور الرشتوني Theodore Rashtuni زعيما لأرمينية، ووجد شطريها الرومي والساساني وبالتالي تراجع اعتماد الأرمن على الروم.⁷ ولصدّ الحملات الإسلامية المتتالية على أرمينية قام الروم بتعيين تيودور الرشتوني حاكما على أرمينية بصفة رسمية، ومنحوه لقب بطريق Patrice،⁸ وكلف بالدفاع عن بلاد أرمينية بالتعاون مع القائد

¹ البلاذري، المصدر السابق، ص. 280 وما بعدها.

² عبد الرحمن محمد العبد الغني: المرجع السابق، ص. 55؛ أنظر أيضا:

VARDAN : La Domination Arabe en Arménie, trad. MYLDERMANS (J.), Paris, 1927, p. 99.

³ فايز نجيب اسكندر: الفتوحات الإسلامية لأرمينية، ص. 43.

⁴ BOURNOUTIAN : op. cit. p. 70.

⁵ Gatteyrias : op. cit. p. 89.

⁶ Garsoïan Nina : The Arab invasions and the rise of the Bagratuni (640-884), ds. The Armenian people from ancient to modern times, Edited by Hovannisian Richard, St. Martin's Press, New York, 1997, v. 1. p. 117.

⁷ غيفونديان: المرجع السابق، ص. 34؛ أنظر أيضا:

BOURNOUTIAN : op. cit. p. 70.

⁸ مشتقة من الكلمة اليونانية Patrius، أصلها Pater، والمقصود بها زعيم العائلة النبيلة. ويعدّ الإمبراطور قسطنطين (306-337م) الباعث لهذه الرتبة، إذ كانت تطلق في البداية على قائد الجيوش الرومانية، ومع مرور الوقت أطلقت على عدد

الرومي بروكوب Procope¹. والظاهر أن هذا الأخير كان في خلاف دائم مع تيودور، وبرز هذا النزاع جليًا أثناء الحملة التي شنّها المسلمون على أرمينية سنة 22هـ/643م، إذ يذكر جيفوند أن الجيش الإسلامي توغل في الأراضي الأرمينية، وعندما أمر تيودور من القائد الرومي بروكوب بالتحرك لمواجهته، عارض هذا الأخير أوامره، وترك الأرمن لوحدهم في مواجهة مباشرة مع المسلمين. مما أدى إلى هزيمة الجيش الأرميني.²

وبعدها تواجه الجيش الإسلامي مع جيش الروم بقيادة بروكوب، وانتهت المعركة بانتصار حاسم لصالح المسلمين، رغم أن عدد جنود الروم كان يساوي ستة أضعاف عدد الجيش الإسلامي على حد قول المؤرخ الأرميني جيفوند.³ والمرجح أن هذه الحملة تمت بعد فتح أذربيجان سنة 21هـ/642م، إذ انطلق الفاتحون منها نحو أرمينية.⁴

وأوردت المصادر الأرمينية حملة أخرى للمسلمين على إقليم أرمينية، تمكنوا خلالها من السيطرة على قلعة أركاب⁵ Arcab البالغة الأهمية.⁶ وقد وقعت في 16 محرم 30هـ/ 8 أغسطس 650م، وفيها خرج الفاتحون من إقليم أذربيجان أيضا.⁷ وذكر سبيوس أنها وقعت

من زعماء ممالك الإفرنج والبورجاند. وفي عام 754م أطلق على بين Pépin زعيم الفرنجة الكارولنجيين، وكذلك أبنائه تسمية بطارقة الرومان Patrice Roman، منحهم إياها البابا إتيان الثاني Etienne II. وفي القسطنطينية غالبا ما كان يمنح هذا اللقب للأمراء الأجانب الذين كانوا يلجؤون إلى هذه المدينة. أنظر:

SÉBÉOS : op. cit. p. 100-101 ; Touati (F. O.) : op. cit. p. 169.

¹ SÉBÉOS : op. cit. p. 101 ; GHÉVOND : op. cit. p. 6.

² SÉBÉOS : op. cit. p. 108-109 ; GHÉVOND: op. cit. p. 5-8; BOURNOUTIAN : op. cit. p. 70.

³ Ibid. p. 7.

⁴ عبد الرحمن محمد العبد الغني: المرجع السابق، ص. 53.

⁵ من أقدم القلاع في إقليم أرمينية تقع حاليا في العاصمة الأرمينية يريفان.

⁶ Jacques de Morgan : Histoire du peuple Arménien depuis les temps les plus reculés de ses annales jusqu'à nos jours, Berger-Levrault, Paris, 1919, p. 116.

⁷ عبد الرحمن محمد العبد الغني: المرجع السابق، ص. 53.

عام 23هـ/643م¹ كما حدد تاريخها جيفوند في السنة السادسة والثلاثين من حكم الخلفاء الراشدين،² وأشار إلى وصول القوات الإسلامية إلى ناحية البسفرجان وسيطرتها على البلدات والحصون، حتى وصلت إلى مدينة النشوى، وعادت إلى إقليم الجزيرة محملة بالغنائم والأسرى.³ و جدير بالذكر أن هذه الحملات كانت استطلاعية، فبعد انتصار الجيش الإسلامي، كان يجمع الغنائم والأسرى ويعود بهم إلى مراكز الجند الإسلامي في أذربيجان وإقليم الجزيرة الفراتية.⁴ لذلك بقي حكم أرمينية متأرجح بين المسلمين والروم في هذه الفترة الزمنية. هكذا، تبين من خلال هذه المجهودات الحربية المبذولة من طرف الخلفاء الراشدين الأوائل ما تكتسيه منطقة أرمينية من أهمية قصوى بالنسبة للمسلمين، ليس على مستوى حركة الفتح فحسب، بل وأيضاً في إطار الصراع المير ضد إمبراطورية الروم، حول بسط كل قوة منهما لنفوذها السياسي والديني على مناطق جديدة.⁵ فالصراع بين الطرفين كان على أشده في أرمينية، لذلك كان على الروم بذل جهود جبارة في سبيل الحفاظ على مصدرهم الأساسي للتجنيد العسكري.⁶ وعقب الانتصارات العديدة التي حققها المسلمون في محاولاتهم لفتح أرمينية عام (33هـ/654م) أرسل معاوية بن أبي سفيان القائد حبيب بن مسلمة إلى أرمينية مطالباً بالخضوع للسيادة الإسلامية سلمياً وعرض عليهم اتفاقية،⁷ تضمن لهم الحكم الذاتي مقابل دفع الجزية،¹ بهدف إبعاد الأرمن عن الروم وتجنب انخراطهم في حركة التمرد.²

¹ SÉBÉOS : op. cit. p. 108; Morgan, op. cit. p. 116.

² GHÉVOND : op. cit. p. 9.

³ GHÉVOND : op. cit. p. 9-10 ; Garsoïan: op. cit. p. 118.

⁴ Garsoïan: op. cit. p. 118.

⁵ زروق وكربال: المرجع السابق، ص. 141.

⁶ Bréhier, op. cit. p. 61.

⁷ جاء في حولية الراهب ثيوفانيس أن سنة 651م شهدت عقد عدة معاهدات بين المسلمين بقيادة والي الشام معاوية بن أبي سفيان و رجل الإقطاع الأرمني باساجناتيس Pasagnathes the Patrician of the Armenians. اعتبرها الإمبراطور بروكوبيوس Prokopios تمرداً وخيانة له فتقدم بجيشه تجاه إقليم أرمينية ثم عاد أدراجه بعد أن فقد الأمل في عودة هذا الإقليم إلى سلطته. للمزيد أنظر:

Theophanes: op/ cit. p. 44.

وبناء على هذه التطورات عقد الأرمن اجتماعا ضم الأمراء والأشراف، وحضره أيضا الكاثوليكوس Catholikos³ نرسيس الثالث Nersis III،⁴ وانتهى باتفاق الجميع على الانضمام إلى حوزة المسلمين،⁵ وتم الصلح بين الأمير تيودور الرشتوني قائد الجيش الأرمني وحبيب بن مسلمة قائد الجيش الإسلامي، والموكل للفتح من قبل معاوية بن أبي سفيان،⁶ وحاول الروم

¹ يشبه الباحث فايز نجيب اسكندر هذه المعاهدة باتفاقية الدفاع المشترك المبرمة بين دولتين متحالفتين في وقتنا الحالي. فايز نجيب اسكندر: سبيوس Sébeos- المؤرخ الأرمني المعاصر للفتح الإسلامي لأرمينية- وصورة الآخر، الندوة الدولية للعلاقات الثقافية العربية-الأرمينية، مركز الدراسات الأرمينية، القاهرة، 2009م، ص. 159؛ للتوسع أكثر حول مضمون الاتفاقية ارجع إلى:

SÉBÉOS: op. cit. p. 133; GROUSSET : op. cit. p. 300-301 ; PASDIRMADJIAN : op. cit. p. 127 ; LAURENT : op. cit. p. 55-56.

² LAURENT (J.) : op. cit, p. 2.

³ يقصد به البطريرك الأرمني ويسمى أيضا الجليلي، حيث وضعت الكنيسة الأرمينية تسع رتب لخدمة الدين، وأعلىها الجليلي الذي يعتبر أكبر سلطة دينية وروحية لدى الأرمن، ولللكاثوليكوسية الأرمينية اليوم مركزان واحد في إيتشميازين بجمهورية أرمينيا، وآخر في أنطلياس بלבنا، ويعرف باسم كاثوليكوسية البيت الكبير لقلبيقية. ويسمى أيضا البطريرك Patriarche، وهي مأخوذة من الكلمة الإغريقية باتريارخيس Parriarches وتعني زعيم العائلة. وكان يطلق أولا على الزعماء الأوائل للعائلة، الذين ذكرهم العهد القديم (التوراة) باعتبارهم يتمتعون بحياة طويلة الأمد وخصبة جدا. أما الاستعمال الثاني: فقد استخدمت كلمة البطريرك كرتبة كنسية أعطيت للأساقفة الذين تولوا المقرات الأسقفية الخمسة الأساسية، وهي: روما، الاسكندرية، أنطاكية، بيت المقدس، القسطنطينية. والاستعمال الثالث: يخص زعيم الكنيسة الإغريقية، أما الرابع والأخير فإنه يتعلق بالمؤسسين الأوائل للأنظمة الدينية، مثل: القديس بازيل Saint Basile (عاش في القرن الرابع ميلادي) والقديس بينيديكت مينورسي Saint Be Nursie (480-547م). رمضان عبد الباسط سالم رفاعي: المرجع السابق، ص. 52-53؛ أنظر أيضا:

Touati (F. O.) : Vocabulaire Historique du moyen age, la boutique de histoire, Paris, 1995, p. 169 ; Livingstone (E. A.) : op. cit. p. 307.

⁴ اعتلى كرسي البطريركية الأرمينية بعد وفاة الكاثوليكوس ازر EZR سنة 641/20م، غير أنه اعتزل منصب الكاثوليكوس سنة 652/32م، وعاد إليه مرة أخرى سنة 658/38م، وبقي فيه إلى غاية وفاته سنة 661/41م، لقب نرسيس الثالث بالبناء لكثرة الكنائس والأديرة التي بنيت في عهده، إضافة إلى اهتمامه بالنشاط الزراعي، وهذا دليل على أن الكنيسة الأرمينية لم تتأثر بالحملة الإسلامية، بل واصلت عملها الحضاري، رغم أن نرسيس الثالث كان ضد الفتوحات الإسلامية وحليفا لبيزنطة، إلا أنه اضطر في الأخير إلى قبول السيادة الإسلامية بعد ضعف البيزنطيين مقابل تنامي قوة المسلمين في أرمينية. فايز نجيب اسكندر، الفتوحات الإسلامية لأرمينية، الحاشية رقم 181، ص. 103-104.

⁵ فايز نجيب اسكندر، الفتوحات الإسلامية لأرمينية، ص. 49، 54.

⁶ أديب السيد: المرجع السابق، ص. 65؛ أنظر للنص الكامل للمعاهدة في الملحق الرابع، ص. 355؛ للمزيد راجع أيضا: SÉBÉOS : op. cit. p. 133; Grousset, op. cit. p. 300.

إفشال هذه المعاهدة بالهجوم على أرمينية، لكن القائد الأرمني تيودور الرشتوني نجح في طردهم، بعد استنجاده بالقوات الإسلامية،¹ وفق ما تنص عليه المعاهدة المذكورة.²

ومن الدوافع المباشرة التي جعلت وجهاء الأرمن يسعون للارتقاء في أحضان الكيان الإسلامي، من خلال عقد معاهدة تحقق السلام للأرمن وتضمن أمن أراضيهم وتحافظ على مذهبهم الديني دون خوف،³ مستغلين في ذلك عجز الروم عن حمايتهم من هجمات المسلمين المتتالية، التي تمت بإيعاز من والي الشام معاوية بن أبي سفيان بين سنوات (21-26هـ/ 642-647م).⁴ وإن كانت هذه الغزوات قد فشلت في إخضاع إقليم أرمينية للحكم الإسلامي، فإنها سمحت للمسلمين بجمع عدد هائل من الغنائم الثمينة، ليعودوا إلى دمشق محملين بالكنوز والأسرى الأرمن هذا من ناحية.⁵ ومن ناحية ثانية عقب الهزيمة الأخيرة التي تعرض لها الأرمن على يد المسلمين، وجه الروم اللوم لحاكم أرمينية تيودور الرشتوني وسعوا لتغييره.⁶ وفي نفس الوقت حاول الإمبراطور -مستغلا فرصة الغزوات الإسلامية على أرمينية- فرض قرارات مجمع خلقيدونية على الكنيسة الأرمينية،⁷ وجعلها شرطا سابقا لأية مساعدة، فردّ عليه الأرمن بالرفض

¹ SÉBÉOS : op. cit. p. 138-139.

² علّق المؤرخ الأرمني جون كاثوليكوس Jean Catholicos على هذه المعاهدة قائلا: "فلما رأى تيودور والنخراي الآخرون كل هذا خافوا من وصول الغرباء، وخضعوا لسيطرتهم، وتحالفوا مع الموت، وأقسموا على الولاء للجحيم، وانفصلوا عن الإمبراطور". أنظر:

Catholicos Jean : Histoire d'Arménie, trad. (M. J.) Saint-Martin, Imprimerie royale, Paris, 1861, p. 74.

³ Gandzakets: op. cit. p. 23.

⁴ زروق وكربال: المرجع السابق، ص. 145.

⁵ Norwich (J. J.) : Histoire de Byzance 330-1453, trad. (D.) Peters, Perrin, France, 1999, p. 146.

⁶ SÉBÉOS: op. cit. p. 133; Garsoïan: op. cit. p. 118.

⁷ SÉBÉOS: op. cit. p. 136-138.

خلال مجمع كنسي انعقد سنة 649م في مدينة دوفين، حضره تيودور والكاثوليكيوس نرسييس III.¹

جدير القول إن القادة المسلمين لم يكتفوا باللجوء إلى الحل العسكري فحسب في إطار مشروع ضم أرمينية لدار الإسلام، بل إنهم آثروا استخدام الحل السلمي كلما وجدوا سبيلا لذلك، لفك خيوط الملف الأرمني الشائك. في الواقع تعود جذور الصلح بين المسلمين والأرمن إلى سنة 19هـ/640م، ففي هذه السنة وعقب الانتصار الذي حققه القائد عياض بن غنم على الأرمن، ألزم بطريق Patrice مدينة خلاط على كتابة صلح، تضمن ضرورة أن يدفع الأرمن جزية سنوية لبيت مال المسلمين، في مقابل ذلك حصل البطريق من لدن القائد على الأمان لشخصه وقومه، وهو الصلح الذي بقي ساري المفعول في عهد الفاتحين الذين أتوا بعده.²

ونقل البلاذري العديد من كتب الصلح التي عقدها الفاتحون مع الأرمن،³ ونصت في مجملها على حقن الدماء وحرية الديانة، مقابل دفع الجزية. باستثناء عهدين: الأول صلح مدينة تفليس الذي أضاف شروطا أخرى مثل ضرورة إيواء الأرمن للمسلم المحتاج أو الضال للطريق، والتعاون المشترك بين الطرفين لصدّ هجمات أعداء المسلمين. والثاني كتاب صلح سراقه بن عمرو وملك مدينة باب الأبواب شهربراز،⁴ وفيه طلب هذا الأخير إعفائه من دفع الجزية نظير نصرته للمسلمين على أعدائهم والامتنال لأوامرهم، فقبل سراقه وكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب بذلك فأجازه وحسنه. وبناء على وثيقة الصلح الأخيرة يتبين لنا أن المسلمين كانوا يفرضون الجزية على المغلوبين لقاء الدفاع عنهم وحمايتهم، فهي بدل الخدمة العسكرية،

¹ BOURNOUTIAN : op. cit. p. 70.

² زروق وكربال: المرجع السابق، ص. 141.

³ المصدر السابق، ص. 280 وما بعدها؛ ارجع إلى الملاحق رقم 1 و2 و3 و5 ص. 354 وما بعدها.

⁴ "رجل من فارس، أصله من أهل شهربراز، نصبه الفرس ملكا على مدينة باب الأبواب وما جاورها". الطبري، المصدر السابق، ص. 156.

وتسمى ضربية الدفاع، أما الذين يدافعون عن أنفسهم ويقاثلون عدوهم مع المسلمين فلا جزية عليهم.¹

وفي عام 35هـ/656م اندلعت الفتنة الكبرى،² عقب مقتل الخليفة عثمان بن عفان، وكان لها انعكاسات سلبية على الفتح الإسلامي لأرمينية، حيث استغل الروم الفرصة وأعادوا بسط نفوذهم على أرمينية بالكامل، مستغلين الفتنة الداخلية التي نخرت جسد الخلافة الإسلامية، بسبب الأحداث التي أدت إلى استشهاد الخليفة عثمان بن عفان سنة 35هـ/656م، والخلاف بين علي بن أبي طالب³ ومعاوية بن أبي سفيان، الذي توقف باستشهاد الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب سنة 40هـ/660م.

وللإشارة فإن هذا النزاع أدى إلى تفاوض والي الشام معاوية بن أبي سفيان مع الروم، فعقد معهم صلحا سنة 38هـ/659م، التزم بمقتضاه بدفع إتاوة سنوية، فتأثرت الأوضاع

¹ زروق وكربال: المرجع السابق، ص. 141-142.

² المراد بالفتنة ما وقع بين المسلمين في صدر الإسلام من القتال والنزاع والفرقة. أدى إلى ظهور الفرق الإسلامية، ولعل من أبرزها الخوارج الذين خرجوا عن طاعة الخليفة الراشدي عثمان بن عفان، وقتلوه سنة 35هـ/656م. وبعدها ظهرت فتنة أخرى بين الخليفة علي بن أبي طالب الذي طالب بالترتيب في تنفيذ القصاص حتى تستقر أحوال الدولة الإسلامية، والمطالبين بدم عثمان من الصحابة، والتي أدت إلى حدوث موقعة الجمل سنة 36هـ/657م. وبعدها حدث نزاع آخر بين الخليفة علي بن أبي طالب ووالي الشام معاوية بن أبي سفيان، بعدما طالب هذا الأخير بدم عثمان، ولكن الخليفة علي أصدر أوامره بعزله. وانتهت هذه الفتنة بمقتل الخليفة علي بن أبي طالب على يد الخوارج سنة 40هـ/660م. وحدث الصلح بعدما تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان في عام الجماعة سنة 41هـ/661م. أمحزون محمد: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، دار السلام، القاهرة، ط. 2، 2007م، ص. 199 وما بعدها. للمزير راجع أيضا: ملحم عدنان محمد: المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، دار الطليعة، بيروت، ط. 2، 2001م، ص. 83 وما بعدها؛ خالد كبير علال: تضارب روايات الفتنة الكبرى ومناهج تحقيقها، مجلة المبرز، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2005م، ع. 22، ص. 177-194؛ جدير بالذكر أنّ المؤرخ الأرمني سيبوس أشار في مصنفه "تاريخ هرقل" إلى هذه الفتنة، وأظهر سروره لتفرّق كلمة المسلمين، بيد أنه أنهى مصنفه بالحديث عن الانتصارات التي حقّقها الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، عقب تولّيه الخلافة. أنظر:

SÉBÉOS: op. cit. p. 149.

³ "علي بن أبي طالب الهاشمي رضي الله عنه، ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو الحسن. أوّل الناس إسلاما في قول كثير من أهل العلم. ولد قبل البعثة بعشر سنين .. فرّبني في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك... وزوجه بنته فاطمة. وكان اللواء بيده في أغلب المشاهد، ولما أخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه قال له أنت أخي". تولى الخلافة بعد استشهاد الخليفة عثمان عام 35هـ، وتُقل علي ليلة السابع عشر من رمضان سنة 40هـ. ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي (ت. 852هـ/1448م)): الإصابة في تمييز الصحابة، تج. عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط. 1، بيروت، 1995م، ج. 4، ص. 464، 468.

السياسية في أرمينية بهذه الوقائع، واستأنف الأمراء الأرمن علاقاتهم مع الروم.¹ ولا ريب أن الفتنة جعلت الأمراء الأرمن يستقلون بأجزاء كثيرة منها رغم أن أغلب مناطقها كان في معاهدات أمان مع المسلمين، الذين سعوا من جانبهم إلى استمالة العناصر المخلصة لهم، وأرسلوا بعض الأمراء من الأرمن الأسرى في دمشق لحكم إقليم أرمينية بعد فتحها في عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان 24-35هـ.²

لكن معاوية بن أبي سفيان تمكن عام (41هـ/661م)³ من إعادة السيادة الإسلامية إليها بموجب اتفاقية تمنح للأرمن الحكم الذاتي. وعين الأمير جريجوار ماميكونيان GRÉGOIRE Mamikonien⁴ حاكما عليها.⁵ ومهما يكن من أمر فإن المصادر العربية والأرمينية والرومية تؤكد في نهاية المطاف، أن السيادة الإسلامية على إقليم أرمينية بدأت سنة 41هـ/661م.⁶ وبذلك دخلت أرمينية في ظل الحكم الإسلامي مع بداية العهد الأموي، بعدما تأرجحت بين المسلمين والروم بين سنتي (19 و41هـ/640 و661م) وبقيت تحت السيادة الإسلامية إلى سنة 271هـ/885م، وفيها تم اختيار أشوط الأول البقراطوني ملكا على أرمينية من قبل الخليفة

¹ العريني: المرجع السابق، ص 143.

² طهوب صلاح: موسوعة التاريخ الإسلامي العصر الأموي، دار أسامة، الأردن، 2009م، ص. 17.

³ جدير بالذكر أن هذا العام يعرف عند المسلمين بعام الجماعة "لاجتماع الأمة فيه على خليفة واحد، وهو معاوية" وكان ذلك عقب اجتماع الحسن بن علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان في نواحي الأنبار، فاصطلحا، وتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية، وذلك في ربيع الآخر من عام 41هـ. الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت. 1374/748م)): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت، 2003م، مج. 2، ص. 385.

⁴ صهر القائد الأرمني ثيودور الرشتوني، كان رهينا لدى المسلمين، وبعد تولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة وانتصاره على البيزنطيين سنة 41هـ/661م، أطلق سراحه، وعيَّنه حاكما عاما على أرمينية، وأحسن إليه وأكرمه، وحظي جريجوار بقبول البطريرك الأرمني نرسيس الثالث وأشرف أرمينية، وتولى هذا المنصب من عام 41هـ/661م إلى غاية وفاته في معركة ضدّ الخزر سنة 681م. فايز نجيب اسكندر، الفتوحات الإسلامية لأرمينية، الحاشية رقم 237، ص. 114.

⁵ فايز نجيب اسكندر، الفتوحات الإسلامية لأرمينية، ص. 60 وما بعدها. أنظر أيضا:

GHÉVOND, op. cit. p. 13-14 ; BOURNOUTIAN : op. cit. p. 71.

⁶ محمد رفعت الإمام: العلاقات العربية الأرمينية: الماضي والحاضر، مركز الدراسات الأرمينية، القاهرة، ط. 1، 2009م. ص. 16.

العباسي المعتمد، تبعا للتغيرات السياسية الحاصلة آنذاك في بلاط الخلافة،¹ إذ ضعفت هذه الأخيرة، مما أجبر الخليفة على تقديم تنازلات، أدت إلى ضياع أرمينية من أيدي المسلمين.

ومن الحقائق التاريخية الثابتة التي يمكن استخلاصها في نهاية هذا الفصل:

أولا : يوجد تباينا واسعا في ترسيم الموضع الجغرافي لأرمينية، ويعود ذلك إلى الظروف السياسية التي أثرت عليه، لأن إقليم أرمينية كان دائم التقلص والامتداد موازاة مع الأحداث التاريخية المتعاقبة، لاسيما وأن أرضها كانت مسرحا للحروب بين القوى الكبرى المتصارعة عليها.

ثانيا : تتميز أرض أرمينية بوعورة تضاريسها، خاصة المرتفعات الجبلية المخترقة لإقليمها، الأمر الذي يصعب مهام الجيوش الهادفة للسيطرة عليها. يضاف إليها طول مدة فصل الشتاء والذي يصل لأكثر من ثمانية أشهر في بعض مناطقها، مما يؤثر سلبا على تحركات الجيوش.

ثالثا : يعتبر الأرمن من العناصر السكانية العريقة التي استوطنت إقليم القوقاز، وتمكنت في فترات زمنية متقطعة من تشكيل عدّة ممالك، ولعلّ من أبرزها المملكة التي حكمها ديكران

¹ قسم المؤرخون الخلافة العباسية إلى أربعة أدوار تميّز بعضها عن الآخر من حيث العناصر الأجنبية التي كانت تؤثر في الحكم، وهي: دور النفوذ الفارسي أو دور القوة ويمتد مائة سنة من 132-232/750-847م، كانت الخلافة فيه قوية، والخلفاء هم القابضون على مقاليد الحكم، وامتدت سلطة الخلافة على أقاليم دار الإسلام باستثناء الأندلس وجزء من شمال إفريقيا. وكانت أوضاع الدولة الداخلية والخارجية منتظمة على العموم. وسمي هذا العهد بالفارسي لأن أغلب رجال الدولة وخاصة الوزراء كانوا من العنصر الفارسي. بعده دور النفوذ التركي أو دور بدء الانحطاط ويمتد بين سنتي 232-945-847/334م أصبح الخلفاء بيد القادة الأتراك المتغلبين على الحكم، كانوا يخلعون وينصبون الخلفاء كما يحلو لهم. وانفصل عن الخلافة المركزية في بغداد مناطق واسعة، وشكل بعضها دولا مستقلة. وكانت النزاعات الداخلية على أشدها بين أفراد الأسرة العباسية على الحكم. نجد أيضا دور النفوذ البويهّي أو دور أمير الأمراء بين عامي 334-442/945-1055م، اقتصر دور الخلفاء في هذه الفترة على المركز الديني في الدولة فقط، تاركين السلطة في يد أمير الأمراء الذي تعاقب على تقلده أسرة البويهيين من الديلم. شهدت هذه المرحلة منازعات بين البويهيين على الحكم، الأمر الذي أثر سلبا على المواجهات الخارجية مع الروم والحركات الانفصالية المتمردة عن الدولة. وفي الأخير دور النفوذ السلجوقي والمغولي أو دور الانقراض بين عامي 447-656/1055-1258م، كان النفوذ في البداية للسلاجقة ثم انتقل في نهاية المطاف إلى المغول. المهاني رقيق: تاريخ الخلافة الأموية والعباسية، دار اليقظة العربية، دمشق، 1946م، ص. 110-112.

الثاني بين سنتي 94-55 ق. م. وضمت مملكته الأرمينيتان الكبرى والصغرى، غير أنها سرعان ما سقطت بفعل اعتداءات الأطراف المتصارعة على أراضيها عبر العصور.

رابعاً : ساهم تمسك الكنيسة الأرمينية بالمذهب الديني المونوفيزي، وابتكار حروف اللغة الأرمينية، في تميز الأرمن عن غيرهم من شعوب المنطقة، والحفاظ على هويتهم واستقلالهم الجزئي عن أعدائهم الروم والفرس، ومثل منعرجاً حاسماً في تاريخ الأرمن.

خامساً : قبل الفتح الإسلامي لإقليم أرمينية، كانت الحروب سجّالا بين الفرس والروم ، مسرحها أرمينية، وبعد معارك طاحنة بين الطرفين تم الاتفاق على تقسيم أرمينية بينهما إلى شطرين، الشرقي يحكمه الفرس والغربي يسيطر عليه الروم. والملاحظ أن الأرمن حافظوا على جميع مكونات هويتهم رغم محاولات الطمس التي طالتهم، على غرار سياسة الاضطهاد الديني المطبقة من قبل القوتين المتصارعتين، وخاصة في أرمينية الروم.

سادساً : بهدف الذود عن حدود الدولة الإسلامية وحمايتها من الأعداء المتربّسين بها، ولاسيما الروم، قام المسلمون بعدة حملات استطلاعية عسكرية تجاه إقليم أرمينية، بذلوا فيها جهوداً عسكرية وسياسية مضنية، وكلّلت في الأخير بالنجاح وإلحاق المنطقة بدار الإسلام سنة 41هـ/661م.

الفصل الثاني

النظام السياسي والاجتماعي

1- التنظيم السياسي

أ- ولاة أرمنية في العهد الإسلامي

- الولاة الأمويون في أرمنية

- الولاة العباسيون في أرمنية

ب- الأمراء والملوك

2- استقرار القبائل العربية في أرمنية

3- التنوع الإثني في أرمنية إبان الحكم الإسلامي

أ- الأكراد

ب- الفرس

ج- اليهود

4- طبقات المجتمع الأرمني في ظلّ الحكم الإسلامي

أ- العائلات الحاكمة

الأسرة الماميكونيانية

الأسرة البقراطونية

الأسرة الأردزرونية

الأسرة الأنترفاتسية

ب- الإقطاعيون

ج - الأحرار

د- الفلاحين

هـ - العبيد

يتحدث الفصل الثاني عن موضوعين رئيسيين، الأول: التنظيم السياسي لإقليم أرمينية إبان الحكم الإسلامي، إذ كان يدار من قبل سلطتين متكاملتين، الولاية المسلمين من ناحية، والبطارقة والملوك الأرمن من ناحية ثانية، وهي سابقة في تاريخ الفتح الإسلامي، فالمتعارف عليه أن الولاية على الأقاليم الإسلامية يشرفون على الشؤون الداخلية والخارجية التابعة لولايتهم، غير أن المسلمين عاملوا سكان أرمينية معاملة خاصة، بفعل الظروف الطبيعية والسياسية الموجودة في المنطقة.

أما الموضوع الثاني فيتطرق إلى التنظيم الاجتماعي، الذي تغير باستيطان القبائل العربية في المنطقة، إضافة إلى الأقليات العرقية الموجودة. كما تم أيضا تسليط الضوء على طبقات المجتمع الأرمني في العهد الإسلامي، ولاسيما الأسر الأرمينية النافذة التي عودتنا منذ القدم على صنع الأحداث التاريخية في الإقليم. وبناء على ذلك يحاول الفصل تسليط الضوء على أهم التغيرات التي شهدتها التنظيم السياسي لأرمينية في العهد الإسلامي، زيادة على ذلك اهتمامه بإبراز دور القبائل العربية المستقرة في المنطقة، والكشف عن طبقات المجتمع الأرمني، ونشاطاتها في ظل السيادة الإسلامية.

1- التنظيم السياسي

حافظ المسلمون خلال السنوات الأولى للفتح الإسلامي لأرمينية، على النظام الإداري الذي كان سائدا في البلاد قبل الفتح الإسلامي، احتراما لاتفاقيات الصلح المبرمة بين المسلمين والأرمن. غير أن التغيرات والتطورات السياسية والعسكرية التي حدثت بعد ذلك، أجبرت البلاط الأموي وبعده العباسي، على اتخاذ العديد من الإجراءات التي ساهمت بشكل فعال في إدخال تعديلات عميقة على النظام الذي كان قائما، وإعطائه صبغة إسلامية، تماشيا مع متطلبات كل حقبة زمنية مرت بها المنطقة، حيث صار لولاية أرمينية الإسلامية والي مسلم، وحكام محليين أطلق عليهم اسم الملوك أو البطارقة، وفق المنطقة التي خضعت لحكمهم. وبناء على ذلك يحاول الفصل

أ- ولاية أرمينية في العهد الإسلامي¹

بعد استقرار الحكم الإسلامي في أرمينية، صُنِفَتْ هذه الأخيرة ضمن نطاق الولايات الإسلامية، وعرفت في المصادر العربية بولاية أرمينية. وطوال فترة خضوع هذا الإقليم للمسلمين، عين الخلفاء عددا هائلا من الولاة أو العمال الذين أضيف لهم أحيانا، إلى جانب ولايتهم هذه، حكم إقليم أذربيجان، وأطلق عليهم الأرمن لقب أوسديغان Osdigans.²

ويرى الماوردي أن الوالي ملزم بالنظر في سبعة أمور: "قيادة الجيوش وترتيبهم في النواحي وتقدير رواتبهم، النظر في الأحكام وتعيين القضاة والحكام، جباية أموال الجزية والخراج، الحفاظ على الأمن والاستقرار في الولاية، ومحاربة البدع التي قد تغير أو تبدل الدين، الحكم بالعدل، وتطبيق تعاليم الدين الإسلامي، إمامة المسلمين في الصلاة، حماية الحجيج".³

أما إن كانت المنطقة ثغرا متاخما للروم، كما هو الحال بالنسبة لإقليم أرمينية، فيضاف للوالي مهمة أخرى، تتمثل في الجهاد في سبيل الله، ضد أعداء الإسلام والمسلمين، وإذا تحقق النصر، يجب على الوالي أن يقسم الغنائم على المقاتلين، ويقدم خمسها لأهل الخمس.⁴

يذكر أن المسلمين لقوا عناء شديدا في فتحهم لإقليم أرمينية، وتنظيمه وضبط شؤونه. ولذلك تدعّمت الأنظمة الإدارية المحلية الأرمينية في فترة الحكم الإسلامي، بنظام جديد سار جنبا إلى جنب مع التنظيمات الإدارية السالفة، إذ تعتبر هذه المنطقة الإقليم الوحيد في الخلافة الإسلامية الذي احتفظ بإدارة ثنائية، تتكون من الوالي المسلم الحاكم العام لأرمينية، ومعه البطارقة والملوك الأرمن المرتبطين به مباشرة، ويمثلون الإدارة المحلية في البلاد.

¹ أنظر جدول أبرز ولاية أرمينية في العهد الإسلامي، الملحق العاشر، ص. 360.

² Gatteyrias : op. cit. p. 89.

³ الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح. البغدادي أحمد مبارك، دار ابن قتيبة، ط. 1، الكويت، 1409هـ. 1989م. ص. 40.

⁴ نفسه، ص. 40-41.

ويذكر أن الخليفة اعتمد على العديد من العوامل في اختياره لولاية أرمينية، ومن أبرزها: تعيين القادة العسكريين الأكفاء المخلصين للخليفة، والاعتماد على أفراد البيت الأموي أو العباسي، واختيار الوالي من بين القبائل العربية التي استوطنت أرمينية، وصار لها وزن وقوة.¹

وقدم المؤرخون المسلمون روايات تفتقد لعنصر الوضوح، حول أسماء أوائل الولاة الذين عينهم الخلفاء لإدارة شؤون ولاية أرمينية الإسلامية بعد فتحها، إذ أفاد البلاذري بأن أول والي مسلم على أرمينية هو حذيفة بن اليمان العبسي،² الذي عينه الخليفة عثمان بن عفان، بعد فتح أرمينية من قبل حبيب بن مسلمة الفهري سنة 31هـ/652م، ومقتل سلمان بن ربيعة الباهلي حوالي سنة 32هـ/653م. إذ سار حذيفة إلى بردعة واستقر فيها، ووزع عماله في المدن الواقعة على طول المنطقة الممتدة من مركز قيادته إلى مدينة قاليقلا المجاورة لحدود الروم.³ غير أن خليفة بن خياط في تاريخه يورد رواية أخرى، أشارت إلى أن أول والي لأرمينية هو حبيب بن مسلمة الفهري، الذي عينه الخليفة عثمان بن عفان سنة 24هـ/644م واليا على بلاد الجزيرة، وضم إليه إقليمي أذربيجان وأرمينية، ثم عزله وولّى مكانه عمير بن سعد الأنصاري،⁴ وبعده سعيد بن عامر بن حذيم.⁵

¹ الطائي سناء عبد الله عزيز: سياسة تعيين ولاية أرمينية في العصر العباسي الأول 132-227هـ/750-841م. مجلة مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، 2018م. ج. 25، ص. 277.

² صحابي جليل، لقّب بحافظ سرّ الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ أبلغه بأسماء المنافقين، وأخبره بالفتن الواقعة للأمة. شهد غزوة أحد رفقة أبيه الذي استشهد فيها، كما اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم ليتجسّس على الكفار في غزوة الأحزاب. وفي العهد الراشدي ولّاه الخليفة عمر بن الخطاب على المدائن وبقي عليها حتى وفاته سنة 36هـ/656م. للتوسع أكثر أنظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج. 2، ص. 361 وما بعدها.

³ المصدر السابق، ص. 287؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 590؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 3، ص. 286؛ للتوسع أكثر حول مقتل القائد سلمان بن ربيعة الباهلي راجع أيضا: محمود شيت خطاب، المرجع السابق، ص. 157 وما بعدها.

⁴ "عمير بن سعد بن شهيد بن قيس بن النعمان بن عمرو الأنصار الأوسي" صحابي جليل. شهد فتح دمشق رفقة أبو عبيدة بن الجراح، وولّاه الخليفة عمر بن الخطاب على دمشق وحمص. للمزيد أنظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج. 2، ص. 558 وما بعدها.

⁵ "سعيد بن عامر بن حذيم بن سلمان بن ربيعة بن سعد بن جمح القرشي الجمحي" أسلم قبل غزوة خيبر التي وقعت عام 7هـ/629م، وشارك مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الغزو. وكان واعظا وفاضلا. في العهد الراشدي ولّاه الخليفة عمر بن الخطاب أجناد الشام، ويقال أيضا أن عمر بن الخطاب ولّى سعيد بن عامر حمص، وبقي عليها إلى غاية وفاته عام 19هـ/640م، فحينئذ تولّى معاوية بن أبي سفيان ولاية بلاد الشام بأكملها. ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت. 463هـ/1070م)): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح. علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط. 1، 1992م، ج. 2، 624-625.

وإذا رجعنا إلى حديث البلاذري، فإنه يقول أن عثمان بن عفان عزل حذيفة، وولّى مكانه صلة بن زُفر العبسي،¹ وأضاف رواية أخرى مفادها أن عثمان ولى المغيرة بن شعبة² أرمينية وأذربيجان، ثم عزله وولّى مكانه القاسم بن ربيعة³ إقليم أرمينية.⁴ وفي عهد الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب (35-40هـ/655-660م) عين هذا الأخير الأشعث بن قيس⁵ واليا على أذربيجان وأرمينية.⁶

ـ الولاة الأمويون في أرمينية

في العهد الأموي عين الخليفة معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661-679م) القائد حبيب بن مسلمة الفهري واليا على أرمينية سنة 41هـ/661م، فغزاها هذا الأخير، وأرجعها إلى السيادة الإسلامية صلحا، بعد اجتماع عقده نبلاء ورجال الدين الأرمن، والذين اتفقوا فيه على ضرورة الانصياع لبندود معاهدة السلام الإسلامية-الأرمينية المبرمة سنة 33هـ/654م.⁷ إلا أن ولاية حبيب لم تستمر طويلا، لأنه توفي بأرمينية سنة 42هـ/662م.⁸

¹ صلة بن زفر العبسي الكوفي، يعدّ من كبار التابعين، ثقة وفاضل، توفي في فترة ولاية مصعب بن الزبير على العراق عام 72هـ/691م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج. 4، ص. 517.

² "ابن أبي عامر بن مسعود بن معتب، الأمير أبو عيسى" من كبار الصحابة، شهد بيعة الرضوان، وغزا مع الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي العهد الراشدي شارك في معركتي اليرموك والقادسية. توفي وهو أمير على الكوفة عام 50هـ/670م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج. 3، ص. 22.

³ القاسم بن ربيعة بن أمية بن أبي الصلت الثقفي، كان عالما بالنسب، وهو من الثقة في رواية الحديث، فقد روى عنه أبو داود وابن ماجه والنسائي. المزي (جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت. 742هـ/1341م)): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تج. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط. 1، بيروت-لبنان، 1992م، ج. 23، ص. 348.

⁴ ويضيف أيضا البلاذري رواية أخرى تفيد بتولية عثمان عمرو بن معاوية بن المُنْتَفِق العُقَيْلي، كما ذكر أن بعضهم يقول وليها رجل يعود نسبه إلى بني كلاب بعد المغيرة بن شعبة لمدة 15 سنة، وبعده وليها العُقَيْلي. المصدر السابق، ص. 288؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 590.

⁵ "الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندة" كان أشعث الرأس لذلك عرف بالأشعث، وهو صحابي جليل، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أصيبت عينه في معركة اليرموك، وفي عهد الخليفة عثمان عيّن واليا على أذربيجان، وكان من قادة الخليفة علي بن أبي طالب في معركة صفين عام 37هـ/657م. توفي بالكوفة عام 40هـ/660م عن عمر يناهز ثلاثا وستين سنة. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج. 2، ص. 37.

⁶ البلاذري: المصدر السابق، ص. 287-288؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 590.

⁷ محمد رفعت الإمام: المرجع السابق، ص. 17؛ يذكر المؤرخ الأرمني جيفوند أن فترة خلافة معاوية بن أبي سفيان، شهدت استتباب للأمن والسلام في مختلف ربوع إقليم أرمينية. أنظر:

GHÉVOND : op. cit. p. 14-15.

⁸ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 3، ص. 286.

ويقال أن معاوية ولّى أيضا عبد الله بن حاتم¹ شؤون أرمينية،² فتمكن هذا الأخير من الحفاظ على الأمن والاستقرار فيها، وبقي في منصبه إلى غاية وفاته، فاستخلف معاوية أخوه عبد العزيز بن حاتم بن النعمان،³ الذي أعاد بناء وتحصين مدينة دُبيل، قسبة ولاية أرمينية الإسلامية ومركز حكمها الرئيسي. ونظرا لتوافد القبائل العربية على هذه المدينة، في شكل هجرات متتالية، فقد قام بتوسيع مسجدها الجامع، لكي يتمكن من استيعاب أعداد المسلمين المتزايد، بفعل هجرات القبائل العربية.⁴

ويذكر أن والي عبد العزيز بن حاتم جدّد بناء عدّة مدن أخرى، والتي كانت قبله مخربة، ومنها: النشوى، البيلقان، بردعة، وغيرها من المدن، ويقال أنه حفر فارقين (خندقين)⁵ حول مدينة بردعة، لحمايتها من غارات الخزر المتكررة على المنطقة. ويذكر أيضا أن الخليفة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان⁶ (60-64هـ/679-683م) عين عبيدة بن قيس⁷ واليا على أرمينية في فترة خلافته.

¹ "عبد الله بن حاتم بن النعمان بن عمرو بن عمارة بن عبد العزيز بن عبد العزى بن عامر بن عمرو بن ثعلبة بن عمرو بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان الباهلي" كان أبوه حاتم زعيم بني باهلة في بلاد الجزيرة، وهو الذي فتح مدينة مرو بعد الصلح الذي عقده مع أهلها. ابن عساكر (علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم ثقة الدين الدمشقي (ت. 571/1175م)): تاريخ مدينة دمشق، تج. عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، ط. 1، دمشق-سوريا، 1995م، ج. 11، ص. 379.

² البلاذري: المصدر السابق، ص. 288؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 589.

³ عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي، تولى شؤون أذربيجان وغزا الخزر في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، كما تولى حكم بلاد الجزيرة. توفي بأرمينية سنة 103هـ/721م. خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 329.

⁴ البلاذري: المصدر السابق، ص. 288؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 589.

⁵ البلاذري: المصدر السابق، ص. 288؛ غير أن خليفة بن خياط في تاريخه، أثناء حديثه عن أحداث سنة 85هـ/704م، أشار إلى استخلاف والي أرمينية محمد بن مروان، لعبد الله بن حاتم بن النعمان الباهلي، وبعد وفاة هذا الأخير ولّى محمد بن مروان أخاه عبد العزيز بن حاتم، الذي جدّد بناء مدن: دبيل والنشوى وبردعة، على حد قوله، ويؤيده في ذلك البلاذري في رواية أخرى نقلها عن الواقدي، وأضاف أن البعض يذكرون أن محمد بن مروان هو الذي جدّد بناء مدينة بردعة. ابن خياط خليفة: تاريخ خليفة بن خياط، تج. العمري أكرم ضياء، دار طيبة، ط. 2، الرياض، 1985م، ص. 291؛ البلاذري: المصدر السابق، ص. 288؛

⁶ "يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، الخليفة، أبو خالد، القرشي، الأموي، الدمشقي" كان على رأس الجيش حاول فتح القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية. تولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة 60هـ/679م، وواجه عدة تحديات أدت إلى مقتل الحسين ووقعة الحرة. توفي في 15 ربيع الأول 64هـ/683م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج. 4، ص. 36 وما بعدها.

⁷ "عبيدة بن قيس بن عمرو السلماني، الفقيه المرادي، الكوفي، أحد الأعلام. وسلمان جدهم. هو ابن ناجية بن مراد. أسلم عبيدة في عام فتح مكة بأرض اليمن، ولا صحبة له، وأخذ عن علي وابن مسعود، وغيرهما، وبرع في الفقه، وكان ثبّتا في الحديث". توفي عام 72هـ/691م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج. 4، ص. 41.

وروى البلاذري أيضا أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان¹ (65-86هـ/684-705م) قام بتعيين عثمان بن الوليد² واليا على أرمينية. ويذكر أن الفترة الأولى من حكم عبد الملك شهدت فتنا داخلية، ولعل من أبرزها ثورة عبد الله بن الزبير بمكة المكرمة،³ وثورة المختار الثقفي الذي خرج بالكوفة، وجهاز جيشا سنة 66هـ/686م لقتال المسلمين في أرمينية.⁴ زيادة على ذلك فقد سيطر مصعب بن الزبير على العراق بعد قضائه على حركة المختار الثقفي سنة 67هـ/687م.⁵ يضاف إلى ما سبق أن الأمراء الأرمن استغلوا هذه المرحلة العصبية التي يمرّ بها البلاط الأموي، في تحريض أهل أرمينية على التمرد عن الخلافة الإسلامية.⁶

كما انتهز إمبراطور الروم جستنيان الثاني⁷ Justinian II هذه الفرصة، ونقض معاهدة

¹ "عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الخليفة الفقيه، أو الوليد الأموي. ولد سنة ست وعشرين. سمع عثمان، وأبا هريرة، وأبا سعيد، وأم سلمة، ومعاوية، وابن عمر، وبريرة، وغيرهم. ذكرته لغزارة علمه" حكم بعد أبيه بلاد الشام ومصر، ثم حارب ابن الزبير وأخاه مصعب، وتمكّن من الانتصار والسيطرة على العراق ومكة والمدينة عام 72هـ، بعدها استقرت الأوضاع في أرجاء الخلافة الإسلامية. ويذكر أنه أول من سك العملة الإسلامية سنة 76هـ، وكتب عليها القرآن الكريم. توفي في شهر شوال عام 86هـ/695م، عن عمر يناهز الستين سنة. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج. 4، ص. 247 وما بعدها.

² "عثمان بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأمير أبو وهب الأموي. أبوه الوليد" صحابي جليل، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو آخر أمير المؤمنين عثمان بن عفان لأمه، وكان واليا على الكوفة في عهد أخيه الخليفة الراشدي عثمان بن عفان، ثم اعتزل في بلاد الجزيرة بعد الفتنة التي أدت إلى استشهاد عثمان. تولى عثمان بن الوليد ولاية أرمينية عام 85هـ/704م. الذهبي: المصدر السابق، ج. 3، ص. 413 وما بعدها.

³ البلاذري: المصدر السابق، ص. 288.

⁴ الطبري: المصدر السابق، ج. 6، ص. 33-34؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 4، ص. 37.

⁵ الطبري: المصدر السابق، ج. 6، ص. 116.

⁶ البلاذري: المصدر السابق، ص. 288.

⁷ حكم إمبراطورية الروم بين عامي 685-695م، وكان لا يزال في السادسة عشر من عمره. اتّصف بالذكاء والعزيمة وحبّه للمجد والعظمة، ففي سنة 689م نقض المعاهدة التي عقدها والده مع البلغار وقام بمهاجمتهم، وتمكّن من الانتصار عليهم، وأعقبها بحملة مماثلة ضد الصقالبة في بلاد البلقان، ونقل الكثير منهم ليشكّلوا خطّا دفاعيا في وجه هجمات المسلمين. وبدأ جستنيان في اختلاق الذرائع لتجديد الحرب مع المسلمين، إذ كانت الجزية التي تدفعها الدولة الأموية وفقا لمعاهدة 679م تدفع بعملة الروم الذهبية وهي الصلدي Solidi، وفي سنة 692م سكّ عبد الملك بن مروان نقودا إسلامية، ورفض جستنيان استلام الجزية بالعملة الإسلامية، وأعلن الحرب على المسلمين، ولما كان عبد الملك بن مروان منشغلا بالفتن الداخلية اشترى الصلح من الروم، وتمّ الاتفاق على أن يقوم الإمبراطور بسحب جيشه من حدود بلاد الشام، ويوقف غاراته عليها، مقابل أن يدفع عبد الملك بن مروان للإمبراطور 7 ونصف رطلا من الذهب كل يوم، وحصانا أصيلا وعبدا حبشيا، وأن يقتسم الطرفان ضرائب قبرص وأرمينية. للتوسع أكثر أنظر: عمران: المرجع السابق، ص. 82 وما بعدها.

الصلح التي أبرمها الروم مع المسلمين سنة 65هـ/685م¹ وحرك جيوشه لقتالهم، مما دفع بالخليفة عبد الملك إلى تقديم تنازلات مغرية للجانب الرومي، إذ عقد معهم معاهدة جديدة سنة 69هـ/689م، تعهد فيها هذا الأخير للإمبراطور بدفع كل سنة ثلاثمائة وخمسة وستين ألف قطعة ذهبية، وثلاثمائة وستين عبداً، وثلاثمائة جوادا كريما، كما اتفق الطرفان على تقاسم أموال الخراج المفروضة على إقليم أرمينية.²

الظاهر أن هذه الاتفاقية كانت لصالح إمبراطورية الروم، وكانت قاسية على الجانب الإسلامي، إلا أن الأحداث التي جرت بعدها، أبرزت دهاء وحنكة الخليفة عبد الملك، الذي أدرك بثاقب نظره وبصيرته، أن الزَّجَّ بجيشه في معارك متفرقة على عدة جبهات، يكون مصيره الهزيمة لا محال، لذلك فضّل مهادنة الجانب الرومي كما فعل معاوية بن أبي سفيان قبله، إبان فترة الفتنة الكبرى، قصد التفرّغ للقضاء على الفتن الداخلية التي تهدد بيت الخلافة الأموية، ثم العودة إلى ساحة الوغى والجهاد في سبيل الله. فلم تكن تلك المعاهدة إلا هدنة لربح الوقت فحسب.

وبعد قضاء الأمويين على الحركات المناوئة لهم، وعودة الاستقرار والهدوء إلى مختلف ربوع الخلافة الإسلامية، عين عبد الملك بن مروان أخاه محمد بن مروان³ واليا على أرمينية

¹ جاء في حولية الراهب ثيوفانيس أن الإمبراطور جستنيان عقد معاهدة مع الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة 686م، من بين شروطها تقاسم الجانبان بالتساوي للجزية المفروضة على إقليم أرمينية. أنظر:

Theophanes : op. cit. p. 61.

² العريني: المرجع السابق، ص. 157؛ راجع أيضا:

Theophanes : op. cit. p. 61-62.

³ " محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي " أبوه الخليفة الأموي مروان بن الحكم. تربي محمد تربية أبناء الخلفاء، إذ تلقّى علوم القرآن الكريم والحديث النبوي وعلوم الدين والتاريخ واللغة والأدب على جهازة العلماء في عصره، يضاف إليها العلوم العسكرية النظرية والعملية التي أخذها على المبرزين في تلك العلوم. وقف إلى جانب أخيه عبد الملك في مواجهة الفتن الداخلية التي كادت أن تعصف بالبلاط الأموي. استغلّ الأمراء الأرمن فترة تدهور الأوضاع السياسية في الدولة الإسلامية، وخرجوا عن سيادتها، وفي عام 692/73هـ توجه محمد بن مروان بجيشه الجرار صوب أرمينية وتمكّن من إعادة بسط السيادة الإسلامية في ربوعها، بعد معارك طاحنة خاضها ضد الأرمن والروم. ويلاحظ من تتبّع ميادين جهاد محمد بن مروان أن أكثر غزواته كانت دفاعا عن إقليم أرمينية، حتى لُقّب بمُستعيد فتح شطر أرمينية. توفي سنة 719/101هـ. للمزيد ارجع إلى: خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 325؛ ابن سعد: المصدر السابق، ج. 5، ص. 223؛ خطاب: المرجع السابق، ص. 193 وما بعدها.

سنة 73هـ/693م¹، فدخل المنطقة وقضى على التمرد الذي كان فيها، وصالحه أهلها، وتوجه منها غازيا الروم في الصائفة فحقق انتصارات باهرة عليهم. ويذكر الطبري أن هذه السنة شهدت أيضا معركة ضارية بين المسلمين والروم داخل أرمينية، قادها من الجانب الإسلامي عثمان بن الوليد، بجيش قوامه أربعة آلاف جندي، والذي تواجه مع الجيش الرومي المقدر بحوالي ستين ألف مقاتل، ورغم الفارق الكبير في العدد إلا أن النصر كان حليف المسلمين.²

ورغم الانتصارات الساحقة التي حققها المسلمون في أرمينية بقيادة واليها محمد بن مروان، إلا أن مدينة قاليقلا بقيت خارج نطاق الحكم الإسلامي، إلى غاية سنة 81هـ/700م، وفي هذا الصدد يذكر الطبري أن محمد بن مروان بعث في هذه السنة ابنه عبد الله، إلى مدينة قاليقلا، فتمكن من فتحها،³ وإعادة بسط السيادة الإسلامية عليها. ومما لا شك فيه أن من دواعي حرص والي أرمينية على ضرورة فتح هذه المدينة، هو إدراكه لمدى أهميتها، وموقعها الإستراتيجي، لاسيما أنها مجاورة للحدود الشرقية لإمبراطورية الروم، وسكنتها العديد من القبائل العربية منذ أيام فتحها الأول حوالي سنة 24هـ/644م، الأمر الذي جعل من إعادة فتحها وتثبيت جذور المسلمين فيها، ضرورة لا مفرّ منها.

وبناء على رواية خليفة بن خياط فإن إقليم أرمينية بين سنتي 82 و83هـ/701 و702م⁴، شهد تمرّدا من قبل الأرمن، إلا أن محمد بن مروان تمكن من القضاء عليه، فسأله الصلح وكان لهم ذلك، لكنهم كانوا يستغلون فرصة غيابه، ويتمردون على عماله، مثلما جرى مع عامله نبيح بن عبد الله العنزي، وأبا شيخ بن عبد الله الغنوي،

¹ يذكر خليفة بن خياط أن تاريخ تعيين محمد بن مروان واليا على أرمينية، كان سنة 83هـ/702م، إلا أن التاريخ السابق أصح لأنه يتوافق مع مجريات الأحداث الواقعة في المنطقة. المصدر السابق، ص. 289.

² الطبري: المصدر السابق، ج. 6، ص. 194؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج. 4، ص. 129-130؛ أنظر أيضا: Theophanes : op. cit. p. 64.

³ الطبري: المصدر السابق، ج. 6، ص. 331.

⁴ بيد أن الراهب ثيوفانيس صنف هذا الحدث في سنة 703م. أنظر:

Theophanes : op. cit. p. 70.

وعمر بن الصدي الغنوي، الذين قتلوا على حين غرة بعدما أوكل إليهم محمد بن مروان تسيير شؤون الإقليم في فترات غيابه،¹ الأمر الذي دفع بهذا الأخير إلى عدم التسامح مع المتمردين ولجأ إلى تصفيتهم. ويضيف الراهب ثيوفانيس أن أمراء أرمينية تمردوا على المسلمين وقتلوا العديد منهم، وردّا عليهم سيّر محمد بن مروان جيشاً جرّاراً أعاد من خلاله إخضاع أرمينية للمسلمين، وجمع نبلاء الأرمن وأحرقهم أحياء.²

وفي عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك³ (86-96هـ/705-714م) شهدت أرمينية عدّة تغيرات وتطورات سياسية، استدعت في كل مرة القيام بحملات تأديبية للقضاء على التمرد الحاصل فيها، إذ يقال أن محمد بن مروان غزا أرمينية سنة 88هـ/707م، واستقر فيها في فصل الصيف والشتاء،⁴ وبدخول سنة 89هـ/708م انطلق القائد مسلمة بن عبد الملك⁵ بجيشه من أرمينية، وغزا الخزر من ناحية باب الأبواب، وحقق انتصارات باهرة

¹ خليفة بن خياط: المصدر السابق، 288-289.

² Theophanes : op. cit. p. 70.

³ "الوليد الخليفة، أبو العباس الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، الدمشقي الذي أنشأ جامع بني أمية. بويع بعهد من أبيه، وكان مترفاً، دميماً، سائل الأنف، طويلاً أسمر... أنشأ أيضاً مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وزخرفه، ورزق في دولته السعادة. فتح بوابة الأندلس، وبلاد الترك... وغزا الروم مرّات في دولة أبيه... مات في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، وله إحدى وخمسون سنة. وكان في الخلافة عشر سنين سوى أربعة أشهر". الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج. 4، ص. 348.

⁴ خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 302.

⁵ "مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي" أبوه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان. نشأ في ظروف مناسبة لاستكمال متطلبات شخصيته دينياً وفكرياً وإدارياً وسياسياً وعسكرياً، باعتباره من بيت السلطة والملك، وأهله أمراء وقادة وخلفاء. وتربّى مسلمة في كنف أبيه بعد استعادة الوحدة للدولة الإسلامية بجو ساد الاستقرار، فبدت ملامح شخصية مسلمة واضحة في وقت ميّز من عمره، لاسيما في الدين والتفقه فيه والتمسك بتعاليمه، واتقانه للغة العربية وعلومها، والسياسة وقضاياها، والإدارة ومشاكلها. غزا أرض الروم عدّة مرّات وحقق انتصارات باهرة عليهم، وكان على رأس القوات الإسلامية التي حاولت فتح القسطنطينية عام 98هـ/716م، ويذكر أن أخاه الخليفة سليمان بن عبد الملك استشاره حول فتح القسطنطينية فأشار عليه بأن يدع ما دونها من البلاد ويفتحها عنوة، فمتى ما فتحت فإن باقي ما دونها من البلاد والحصون تصبح بيد المسلمين، فقال سليمان: هذا هو الرأي. توفي مسلمة في بلاد الشام عام 120هـ/738م. للمزيد ارجع إلى : ابن سعد: المصدر السابق، ج. 5، ص. 223؛ خطاب: المرجع السابق، ص. 221 وما بعدها.

عليهم، أثمرت بفتحه العديد من الحصون والمدائن.¹ وفي سنة 90هـ/709م أوكّل الخليفة الوليد بن عبد الملك لابنه العباس مهمة غزو مدينة أرزن فغزاها، ثم قفل راجعا إلى دمشق.²

وجدير بالذكر أن الخليفة الوليد منذ توليه مقاليد الحكم، ترك عمّه محمد بن مروان في منصبه واليا على إقليم أرمينية وأذربيجان وبلاد الجزيرة إلى أن عزله سنة 91هـ/710م،³ وعيّن أخاه مسلمة بن عبد الملك مكانه.⁴ ومن المعروف أن هذه الفترة عرفت عدّة هجمات من قبل مملكة الخزر على إقليم أرمينية، الأمر الذي دفع بالوالي الجديد إلى اتخاذ تدابير صارمة للحد من هذه الغارات التي أثقلت كاهل أهل أرمينية، وأقلقت مركز السلطة الإسلامية في دمشق، حيث أدرك مسلمة أن أحسن طريقة للدفاع هي الهجوم، فبادر إلى غزو مملكة الخزر مباشرة عقب تولّيه لشؤون المنطقة، واتخذ من مدينة باب الأبواب مركزا عسكريا لتعبئة جيشه وتنفيذ غزواته، وبعد معارك عديدة بين الطرفين تمكن الجيش الإسلامي من فتح عدة حصون ومدائن، وبذلك امتد نفوذ والي أرمينية إلى ما وراء مدينة الباب.⁵

ويذكر أن والي أرمينية مسلمة بن عبد الملك تمكن سنة 95هـ/714م، من فتح مدينة باب الأبواب، بعد معارك طاحنة خاضها ضد أعدائه، والتي اضطرته إلى تهديمها وتخريبها، ثم جدّد بناءها حوالي سنة 104هـ/723م، كما فتح أيضا مدينة شروان وغيرها من المدن،⁶ ورغم أن هذه الرواية لا تشير إلى طبيعة العدو الذي حاربه المسلمون في المنطقة، إلا أن طريقة سرد الوقائع في الرواية المذكورة، تجعل القارئ يظن بأن هجوما قويا نفذه الخزر، نتج عنه فرض سيطرتهم عليها، مما استدعى تدخلا من قبل والي المسلم لإعادتها إلى ملك دار الإسلام. وربما شهدت المدن السالفة الذكر تمرّدا قاده أهلها، وسيطروا فيه على المنطقة،

¹ الطبري: المصدر السابق، ج. 6، ص. 441.

² خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 303.

³ إلا أن خليفة بن خياط أورد رواية أخرى مفادها أن الخليفة الوليد بن عبد الملك أقر محمد بن مروان على ولاية الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، إلى غاية وفاته، غير أن الرواية المذكورة في المتن أثبت. نفسه. ص. 311.

⁴ خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 303.

⁵ الطبري: المصدر السابق، ج. 6، ص. 454؛ خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 303.

⁶ خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 307.

وتمكنوا من طرد الحاميات الإسلامية المتمركزة فيها، إلا أن التحليل الأول أقرب إلى الصواب، لأن الطبري ذكر أن مدينة باب الأبواب كانت مركزاً عسكرياً تتجمع فيه القوات الإسلامية، ولا يقطنها إلا عدد قليل جداً من الأرمن، نظراً لخطورتها المتمثلة في مجاورتها لمملكة الخزر.

وانتقلت ولاية أرمينية إلى عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الذي تولى شؤونها للمرة الثانية، في فترة خلافة سليمان بن عبد الملك¹ (96-99هـ/715-718م) وشهدت هذه المرحلة استقراراً سياسياً ملحوظاً، حتى أن خليفة بن خياط قال "لم تغز أرمينية حتى مات سليمان"² إلا أن البلاذري أخبر بأن سليمان ولّى عدي بن عدي³ على إقليم أرمينية.⁴ وعين خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز⁵ (99-101هـ/717-719م) عبد العزيز بن حاتم بن النعمان والياً على بلاد الجزيرة وأذربيجان وأرمينية، ثم ولّاها عدي بن عدي مرة

¹ "سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخليفة أبو أيوب القرشي الأموي، بويع بعد أخيه الوليد سنة ست وتسعين... وكان ديناً فصيحاً مفوهاً عادلاً محباً للغزو... جهز جيوشه مع أخية مسلمة برا وبحرا لمنازلة القسطنطينية، فحاصرها مدة حتى صالحوا على بناء مسجدها... عاش تسعاً وثلاثين سنة، قسّم أموالاً عظيمة، ونظر في أمر الرعية، وكان لا بأس به، وكان يستعين في أمر الرعية بعمر بن عبد العزيز". للتوسع أكثر أنظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج. 5، ص. 112 وما بعدها.

² المصدر السابق، ص. 319.

³ "عدي بن عدي بن عميرة بن فروة بن زرارة بن الأرقم بن النعمان بن عمرو بن وهب بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن ثور بن مربع بن معاوية بن ثور، وهو كندة الكندي، أبو فروة الجزري، سيد أهل الجزيرة... كان ناسكاً فقيهاً، وهو صاحب عمر بن عبد العزيز، وولي الجزيرة وأرمينية وأذربيجان لسليمان بن عبد الملك وكان ثقة..." توفي في بلاد الجزيرة سنة 120هـ/737م. خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 350؛ المزني: المصدر السابق، ص. 535.

⁴ المصدر السابق، ص. 289.

⁵ "عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أمير المؤمنين، أبو حفص، القرشي الأموي، المدني ثم الدمشقي" ولد في المدينة المنورة عام 60هـ/679م. ويذكر أنه كان كثير التردد على المسجد النبوي لينهل من العلوم الدينية، على يد ثلة من صغار الصحابة وكبار التابعين، وكان كبير أشياخه عبد الله بن عمر عم أمه، فكان يتردد عليه ويأخذ عنه الحديث النبوي، وأطال عمر الجلوس إلى أعيان العلم في المدينة، وأخذ عن سيد التابعين سعيد بن المسيّب، وبرع في العلم مع التقوى والورع، وقد أثرت هذه العلوم في تكوين شخصيته. تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة عام 99هـ/717م، بعد وفاة ابن عمه الخليفة سليمان بن عبد الملك، فقد كان هذا الأخير قد أوصى له بالخلافة قبل وفاته، تجلّت في عهده مظاهر الحق والعدل والحكمة والإصلاح. ويذكر أن حركة الجهاد في عهده كانت محدودة لانشغاله بالإصلاحات الداخلية، وردّ المظالم، وتقوية أركان الدولة الإسلامية، زيادة على ذلك فإن مدّة خلافته كانت قصيرة، ولم تسمح له بتوسيع رقعة الفتوحات بعد الإصلاح الداخلي البالغ الأهمية الذي حققه. للتوسع أكثر أنظر: عبد الستار الشيخ: عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، دار القلم، ط. 2، دمشق، 1996م، ص. 15 وما بعدها.

ثانية.¹ ويذكر المؤرخ الأرمني جندزاكيتس Gandzakets أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان يعامل المسيحيين معاملة حسنة، وخاصة العنصر الأرمني منهم، إذ أمر بإعادة الأسرى الأرمن الذين اعتقلهم محمد بن مروان إلى بلادهم دون فدية،² وأعاد الأمن والسلام إلى إقليم أرمينية.³ ويصف المؤرخ الأرمني جيفوند الخليفة عمر بن عبد العزيز قائلاً: "كان أشرف وأنبأ أنباء أمته".⁴

وولى الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان⁵ (101-105هـ/719-723م) على أرمينية معلق بن صفار،⁶ وبعده الحارث بن عمرو،⁷ ثم عزله سنة 104هـ/722م وولى مكانه الجراح بن عبد الله،⁸ الذي استقر في مدينة بردعة، واشتكى له أهلها من كثرة اختلاف الموازين والمكايل، فغيرها بما يحقق العدل والوفاء، كما أن هذا الوالي والقائد العسكري الفذ اشتهر بكثرة غزواته للخزر، وتحديه لهم في عديد المرات بعقر دارهم.⁹

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 289؛ خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 323.

² Gandzakets: op. cit. p. 25 ; Ghévond : op. cit. p. 41.

³ Ghévond : op. cit. p. 41.

⁴ Ibid.

⁵ "يزيد بن عبد الملك الخليفة أبو خالد القرشي الأموي الدمشقي، استخلف بعهد عقده له أخوه سليمان بعد عمر بن عبد العزيز... لما توفي عمر بن عبد العزيز قال يزيد: سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز... مات لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة فكانت دولته أربعة أعوام وشهر. وعهد بالخلافة إلى أخيه هشام، ثم من بعده لولده الوليد". للمزيد أنظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج. 5، ص. 151-152.

⁶ "معلق بن صفار بن فلحس بن حبيب المختار بن موقد النار البراني الحمصي ولاه يزيد بن عبد الملك أرمينية..." للتوسع أكثر أنظر: ابن عساكر: المصدر السابق، ج. 9، ص. 369.

⁷ "الحارث بن عمرو الطائي: وال، من القادة. ولي إمرة البلقاء في خلافة عمر بن عبد العزيز، ثم ولي أرمينية، وبعثه سليمان بن عبد الملك إلى المدينة. ثم كان واليا على أذربيجان سنة 108هـ. وأغار عليه الترك سنة 111هـ، فهزمهم بعد قتال شديد واستباح عسكرهم. وكان حيا سنة 112هـ". الزركلي خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط. 17، بيروت-لبنان، 2007م، ج. 2، ص. 156.

⁸ "الجراح بن عبد الله الحكمي نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة من مذحج، وكان الحكم أكبر أبناء سعد العشيرة وبه يكنى ومذحج من القبائل اليمنية من كهلان بن سبأ، والجراح يكنى: أبا عقبة، دمشقي الأصل والمولد" أغفلت المصادر ذكر حياته الخاصة، واقتصرت على ذكر توليه للمناصب الإدارية والقيادية في الجهاد. تولى الجراح قيادة عدة جيوش توجهت إلى مملكة الخزر بهدف تأديبها، بسبب هجمات السلب والنهب المباشرة التي قاموا بها. ويذكر أنه استشهد عام 112هـ/730م، في خضم معركة طاحنة دارت بين المسلمين والخزر. خطاب: المرجع السابق، ص. 339 وما بعدها.

⁹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 289-290؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 21؛ خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 333.

وبقي الجراح في منصبه واليا على أرمينية وأذربيجان في بداية عهد الخليفة هشام بن عبد الملك¹ (105-125هـ/723-742م) إلى غاية سنة 107هـ/725م، حيث عزله واستخلفه بأخيه مسلمة بن عبد الملك.² وعرفت هذه الحقبة الزمنية حروبا ضارية بين المسلمين من جهة، ومملكة الخزر من جهة ثانية. وبحلول سنة 111هـ/729م عزل هشام بن عبد الملك أخاه مسلمة عن ولاية أرمينية وأذربيجان، وأعادها إلى الجراح بن عبد الله الحكمي.³ ومما لا شك فيه أن المعارك الطاحنة التي خاضها المسلمون في تلك الحقبة ضد الخزر، جعلت خليفة المسلمين يسعى لتحقيق المصلحة العامة، حتى لو اقتضى الأمر عزل أخيه، لتولية قائد المرحلة، أملا في تحقيق النصر، وإلحاق هزيمة نكراء بالخزر الذين عاثوا في أرض أرمينية فسادا.

والظاهر أن هذا التعيين جاء متأخرا، في وقت كانت شوكة الخزر فيه قد قويت، وازدادت نفوذا وسيطرة على المنطقة، وخير دليل على ذلك هو مقتل الوالي الجراح بن عبد الله الحكمي على يديهم سنة 112هـ/730م، خلال إحدى المعارك الطاحنة التي دارت بين الفئتين في نواحي مدينة أردبيل الأذرية.⁴

وبعد هذه الفاجعة الأليمة التي هزّت بلاط الخلافة الأموية، خاصة وأن الخزر صاروا أكثر قوة، وباتوا أقرب إلى العاصمة الإسلامية دمشق، بعدما وصلت غاراتهم إلى أذربيجان، قرّر الخليفة تعيين سعيد بن عمرو الحرشي⁵ واليا على أرمينية وأذربيجان، وأوكل إليه مهمة

¹ "هشام بن عبد الملك بن مروان الخليفة أبو الوليد القرشي الأموي الدمشقي. ولد بعد السبعين. واستخلف بعهد معقود له من أخيه يزيد... استخلف في شعبان سنة خمس ومائة إلى أن مات في ربيع الآخر وله أربع وخمسون سنة... كان لا يدخل لبيت المال لهشام شيء، حتى يشهد أربعون قسامه. لقد أخذ من حقه، ولقد أعطي الناس حقوقهم". للمزيد أنظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج. 5، ص. 352-353.

² خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 337.

³ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 67؛ خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 341.

⁴ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 70؛ خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 342.

⁵ "سعيد بن عمرو بن أسود بن مالك بن كعب بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، واسم الحريش معاوية بن كعب بن قيس عيلان بن مضر" لم يكن سعيد من زعماء قبيلته، بل تقدّم في المناصب بكفاءته إذ احترف القتال، مما جعله يلفت أنظار المسؤولين في الدولة بفضل شجاعته، إذ فرض بجهده نفسه على الحكام. ساهم في توطيد الأمن الداخلي للدولة الأموية والقضاء على كثير من الحركات الانفصالية، زيادة على ذلك فقد انتدب للمهام الجهادية البالغة الخطورة. ففي عام 103هـ/721م استعمل سعيد بن عمرو على خراسان، وقضي على أعداء المسلمين فيها. وفي عام 112هـ/730م، استشهد الجراح بن عبد الله الحكمي في أرمينية، ولما سمع الخليفة هشام بن عبد الملك بالخبر، دعا

طرد الخزر من المنطقة، وتحقيق الأمن والاستقرار في ربوعها، فسار الحرشي إلى أرمينية مسرعا على البريد، وأتبعه جنوده، وخاض حروبا دامية مع الخزر، انتهت بانتصار المسلمين،¹ وعاد أعداؤهم إلى مملكتهم وهم يجرون أذيال الهزيمة.

وفي سنة 113هـ/731م عزل هشام سعيد بن عمرو الحرشي، وولّى أخاه مسلمة على أذربيجان وأرمينية للمرة الثانية، غير أن هجمات الخزر المتتالية على المنطقة أجبرت الخليفة على تغيير رأيه وعزل أخيه سنة 114هـ/732م، وتعيين ابن عمه مروان بن محمد بن مروان² واليا على بلاد الجزيرة وأذربيجان وأرمينية،³ لما يتمتع به هذا الأخير من مهارة في الحروب، وحسن تدبير إذا حمي الوطيس في ساحة الوغى. ولم يخيب مروان ظن الخليفة،

سعيد بن عمرو، وقال له: "ما رأيك؟" قال: "تبعثني على أربعين دابة من دواب البريد، ثم تبعث إليّ كل يوم أربعين رجلا، ثم اكتب إلى أمراء الأجناد يوافوني" فأخذ هشام برأيه. وسار سعيد إلى أرمينية وخاض فيها معارك ضارية ضد الخزر، حتى تمكّن من الانتصار عليهم وإخراجهم منها. "كانت هذه الغزوة من أروع أعمال الحرشي القتالية، فقد جاء أرمينية والمسلمون فيها أسرى وسبايا، فأعاد إليهم حريتهم وكرامتهم. وجاءها وهي تحت سيطرة الخزر، فاستعاد فتحها، وكان الميزان العسكري إلى جانب أعداء المسلمين، فجعل هذا الميزان إلى جانب المسلمين، وكان الخزر هم الذين يقاتلون المسلمين ويأسرونهم، فأصبح المسلمون هم الذين يقاتلون الخزر ويأسرونهم، وكان المسلمون يخافون الخزر، فأصبح الخزر يخافون المسلمين، وكانت مدن المسلمين محاصرة أو محتلة، فأصبحت مدن الخزر مفتوحة أو محاصرة". التوسع أكثر ارجع إلى: خطاب: المرجع السابق، ص. 359 وما بعدها.

1 الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 70.

2 "مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي. أبوه محمد بن مروان بن الحكم أخو عبد الملك بن مروان بن الحكم، من قادة الفتح الإسلامي ومن أبرز ولاة بني أمية ومن البيت المالكة" ولد ببلاد الجزيرة سنة 691/72م، في فترة كان أبوه محمد بن مروان واليا على بلاد الجزيرة وأرمينية. اكتسب عن أبيه خبرة عملية في معرفة أرجاء ولاية أرمينية، زيادة على ذلك فقد تلقى العلوم النظرية والعملية في بيئة مليئة بقيادة الفتح وجنوده، لذلك اكتسب مهارة وخبرة قيادية، وصار أحد البارزين المرشحين لتولي أعلى المراكز القيادية. ولأه الخليفة هشام بن عبد الملك على بلاد الجزيرة وأرمينية، فكان خير قائد لها، إذ عمل على نشر الأمن والاستقرار في أرجائها، وخاض معارك ضارية ضد القوات الخزرية. ولما استقرّ في أرمينية أقام مسكنه في جزيرة سيفان الواقعة وسط بحيرة سيفان، وقام بنقل غنائه وأسراه إلى الجزيرة. بوبع مروان بن محمد بالخلافة عام 127هـ/744م، في فترة شهدت ضعفا وانكسارا للبلاط الأموي، فحاول لمّ شمل الأمويين لمواجهة الحركات الانفصالية، ولكن جهوده باءت بالفشل. ويذكر أنه قتل في مصر على يد العباسيين سنة 132هـ/750م. خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 408؛ خطاب: المرجع السابق، ص. 403 وما بعدها؛ أنظر أيضا:

Gatteyrias : op. cit. p p. 89-90.

3 الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 90؛ خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 345؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 4، ص. 406.

إذ بمجرد وصوله إلى أرمينية، جازها إلى مملكة الخزر وألحق بهم هزيمة نكراء، وخرب العديد من مدنها، ونهب وسبوا الكثير من أهلها.¹

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الغارات التي شنّها المسلمون على بلاد الخزر، والتي جعلت عاليها سافلها على يدي القائد المحنك مروان بن محمد، كانت كرد فعل على الهجمات المتكررة التي قام بها الخزر على إقليم أرمينية وأذربيجان، إذ يذكر أن هؤلاء الأخيرين كانوا إذا دخلوا قرية أفسدوها وخربوها وسبوا أهلها، ممّا دفع بالمسلمين إلى معاملتهم بالمثل حتى يستشعروا مدى جسامة الأفعال الدنيئة التي قاموا بها.

وتشير العديد من المصادر الإسلامية إلى أن الفترة الممتدة بين 117 و121هـ/735 و738م، شهدت العديد من الانتصارات المتتالية، التي حقّقها المسلمون على الخزر، انطلاقاً من الأراضي الأرمينية ومروراً ببلاد الخزر ووصولاً إلى غاية ممالك جبال القوقاز،² وتجدر الإشارة إلى أن الفضل في ذلك يرجع إلى القائد الفذ مروان بن محمد الذي خاض العديد من الحملات التأديبية ضدهم، حتى تظاهر العديد منهم باعتناق الدين الإسلامي، للحفاظ على أرواحهم وممتلكاتهم في بلادهم.

وأورد الطبري معطيات مهمة تدل على مدى عبقرية وحرص وإتقان وتنظيم مروان لعمله، حتى صار من أحسن الولاة المسلمين الذين تعاقبوا على حكم إقليم أرمينية، وفي هذا الصدد يروي أنه كان ينتقل إلى بلاط الخلافة مرّة كل سنتين، يرفع فيها للخليفة هشام تقريراً مفصّلاً حول الأوضاع العامة التي تسود ثغر أرمينية، والمعلومات المتعلقة بديوان الجند المرابطين فيها، وأهم المقترحات والتوجّهات السياسية والعسكرية، التي يراها مناسبة لمواجهة

¹ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 4، ص. 406-407.

² البلاذري: المصدر السابق، ص. 292-293؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 160، 99؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 590؛ خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 348-349؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 5، ص. 442.

أعداء الإسلام والمسلمين مستقبلاً.¹ ومما لا شك فيه أن هذه الإجراءات ساهمت كثيراً في تحقيق النصر على الأعداء ونشر الأمان والاستقرار في المنطقة.

ومن بين أهم الأسباب التي جعلت مروان ينجح في مساره العسكري، اعتماده على جواسيس يتقاضون مبالغ مالية ضخمة، لقاء خدماتهم المتمثلة في جمع المعلومات عن الأوضاع السائدة في الإقليم، وحتى الأقاليم المجاورة له. وفي هذا الصدد يذكر الطبري أيضاً رواية مفادها أن مسلم بن ذكوان عامل يزيد بن الوليد² ورد على مروان المقيم في مدينة خلاط، وبعد أن لَبَّى طلبه أخبره بضرورة مغادرته، لأن الأوضاع في بلاد الجزيرة غير مستقرة، وستشهد عدة تغيرات خلال الست أو السبع ليالي القادمة، فتعجب مسلم من هذا الخبر، وسأله عن المصدر الذي يستقي منه معلوماته، فأجابه مروان: "ليس من أهل هوى إلا وقد أعطيتهم الرضا حتى أخبروني بذات أنفسهم".³

وما إن وصل عامل يزيد إلى الجزيرة في طريق عودته، حتى تلقاها بخبر مقتل الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك،⁴ وطرده واليه على الجزيرة، وسيطرة عبد الملك بن مروان بن محمد عليها.⁵ وأشارت الرواية أيضاً إلى أن والي أرمينية كان يؤم المسلمين في الصلاة.⁶ وهي تدخل ضمن المهام الواجبة عليه، باعتباره ممثل الخليفة في البلاد.

وبقي مروان بن محمد في منصبه طوال فترة حكم الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (125-126هـ/742-743م)⁷ وفي خضم الفتنة التي حدثت في البلاط الأموي على

¹ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 296.

² وقعت هذه الحادثة قبل تولي يزيد بن الوليد للخلافة.

³ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 282-283.

⁴ "الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الخليفة أبو العباس الدمشقي الأموي. ولد سنة تسعين... وقت وفاة أبيه كان للوليد نيف عشرة سنة، فعقد له أبوه بالعهد من بعد هشام بن عبد الملك، فلما مات هشام، سلمت إليه الخلافة... عاش ستاً وثلاثين سنة، وكان مصرعه في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة فتملك سنة وثلاثة أشهر..." تذكر بعض الروايات سوء تصرفه وسيرته، الأمر الذي ساهم في تدهور أوضاع الدولة الأموية في أيامها الأخيرة. للمزيد أنظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج. 5، ص. 371 وما بعدها.

⁵ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 284.

⁶ نفسه، ص. 282-283.

⁷ خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 367.

السلطة، كتب مروان رسالة إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان، يأمره فيها بحث الناس على تجنب الفوضى والحفاظ على أمن واستقرار الدولة الإسلامية، وقال فيها أيضا: "وأنا مشغل بأعظم ثغور المسلمين... والناس سكون والثغور محفوظة".¹

أشارت الرسالة إلى الموقع الإستراتيجي لإقليم أرمينية بالنسبة للمسلمين، إذ اعتبره واليها في تلك الفترة أهم منطقة، تدبّ عن حدود الخلافة. إضافة إلى أن التجربة التي خاضها هذا الوالي في بلاد الأرمن، مكنته من استخلاص عدّة عبر، تلت الأحداث التي سمع عنها أو عايشها في الولاية، وعلى رأسها استغلال الأمراء ورجال الدين الأرمن لفترات الفتن والاضطرابات الداخلية في بلاط الخلافة، واتخاذها فرصة للقيام بالثورات الداخلية، بغية التخلص من السيادة الإسلامية. وهذا ما يفسّر دعوة مروان بن محمد إلى تجنب إثارة الفتن، وتغليب منطق العقل، والمصلحة العامة على المصالح الخاصة، للحفاظ على الهدوء والاستقرار الموجود في الثغور. ورغم الجهود الجبارة التي بذلها مروان بن محمد، والرامية إلى تجنب سفك الدماء، والحفاظ على استقرار الأوضاع السياسية داخل البيت الأموي، بواسطة التداول السلمي على السلطة، إلا أن الصراع على الحكم في تلك الفترة كان قد بلغ أوجّه، وأدّى إلى مقتل الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة 126هـ/743م، فاستخلف مروان بن محمد على بلاد الجزيرة وأذربيجان وأرمينية عاصم بن عبد الله،² وتوجه بنفسه إلى بلاد الشام.³

ويورد الطبري رواية تدل على أن مروان محمد كان على خلاف مع الخليفة الأموي الجديد يزيد بن الوليد بن عبد الملك⁴ (126هـ/743م) الأمر الذي جعله يترك أرمينية، ويطلب بدم الوليد، ولمّا وصل إلى مدينة حرّان راسله الخليفة، داعيا إياه إلى ضرورة مبايعته

¹ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 238.

² عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي. خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 367.

³ خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 367.

⁴ "يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الخليفة أبو خالد القرشي الأموي الدمشقي. الملقب بالناقص لكونه نقص عطاء الأجناد... استولى على دار الخلافة في سنة ست وعشرين، ولكنه ما متع ولا بلغ ريقه... مات في السابع من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة فكانت دولته ستة أشهر". للمزيد أنظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج. 5، ص. 375-376.

درا للفتنة وحفاظا على حدود الدولة الإسلامية، مقابل بقاء مروان بن محمد في منصبه، فبايع هذا الأخير، وأرسل وفدا رفيع المستوى من أعيان بلاد الجزيرة، تحت قيادة محمد بن عبد الله بن عُلَثة إلى دمشق،¹ لمقابلة الخليفة وإطلاعه على مستجدات الأحداث في المنطقة.

وبعدما صار مروان بن محمد خليفة للمسلمين (127هـ-132هـ/744-750م) ولّى أذربيجان والجزيرة وأرمينية عاصم بن عبد الله، إلا أن هذا الأخير قتل في خضم ثورة الضحاك بن قيس داخل الإقليم،² فولى مروان مكانه عبد الله بن مسلم، وبعد وفاته ولّى إسحاق بن مسلم.³ وأثناء فترة الاضطرابات السياسية التي عاشتها الخلافة الأموية في أيامها الأخيرة، خرج هذا الأخير إلى بلاد الجزيرة عقب مقتل آخر خلفاء بني أمية، فولاه أهلها عليهم، واختار أهل مدينة بردعة مسافر بن بجير واليا عليهم، إلى غاية قيام الخلافة العباسية سنة 132هـ/750م.⁴

- الولاة العباسيون في أرمينية

ومع بداية العهد العباسي تولّى شؤون أرمينية محمد بن صول،⁵ الذي اهتم بتوطيد حكمه ونفوذه، وإعادة الأمن والاستقرار لإقليم أرمينية، بعد فترة الفوضى والفساد التي أعقبت سقوط الخلافة الأموية. وأقام العديد من الحصون والبروج والقلاع العسكرية، لتحسين المنطقة ضد هجمات الخزر من الناحية الشمالية الشرقية، والروم من الناحية الغربية. يضاف إليها اهتمام العباسيين بتعيين الولاة المناسبين للمنطقة التي تعدّ من أبرز ثغور الدولة

¹ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 295 وما بعدها؛ راجع أيضا:

Theophanes : op. cit. p. 109.

² سيتم الحديث عن هذه الثورة في الفصل الثالث.

³ إسحاق بن مسلم بن ربيعة العقيلي العامري الهوازني عامل مروان بن محمد على أرمينية. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج. 3، ص. 174.

⁴ المصدر السابق، ص. 447؛ خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 407.

⁵ عزام خالد: موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العباسي، دار أسامة، الأردن-عمان، 2009م، ص. 93.

الإسلامية،¹ وشحنها بالجنود الذين شجعوهم على الاستيطان رفقة أهاليهم، بفضل رفع قيمة رواتبهم بعشرة دنانير، ومنح كل واحد منهم معونة قدرها مائة دينار، وبناء المساكن لإقامتهم.²

ويذكر أن الخليفة أبو العباس السفاح³ (132-136هـ/750-755م) ولّى شؤون أرمينية والجزيرة لأخيه أبو جعفر المنصور،⁴ وبقي هذا الأخير واليا على المنطقة إلى أن أمره الخليفة بالسير إلى مكة المكرمة لإقامة الحج، فسار إليها واستخلف مكانه مقاتل بن حكم العتكي حتى مات السفاح.⁵ إلا أن الطبري يورد روايات تقيد بتعيين ولاية آخرين على أرمينية في هذه الحقبة الزمنية، إذ يقول أن سنة 133هـ/751م عرفت تعيين صالح بن صبيح على أرمينية، وفي السنة الموالية تم عزله، واستخلفه يزيد بن أسيد⁶ على المنطقة.⁷

¹ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 238؛ الطائي سناء: المرجع السابق، ص. 281.

² الطائي سناء: المرجع السابق، ص. 281.

³ ولد أبو العباس السفاح عام 104هـ، أبوه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وكان أبوه قد عهد إلى أخيه إبراهيم الإمام، ولما شعر باقتراب أجله عهد لأخيه أبي العباس بأمر الدعوة. في يوم الجمعة 13 ربيع الثاني عام 132هـ بويج السفاح بالخلافة في مسجد الكوفة، سمي بالسفاح لكثرة ما أرافقه من دماء خصومه الأمويين. قام بتهدئة الأوضاع الداخلية وتنظيم شؤون الدولة الإسلامية، فعين أقاربه على الولايات لأنه يثق فيهم، وفي هذا الصدد عين أخاه أبو جعفر المنصور على الجزيرة الفراتية وأرمينية. كما أنه قام بتشديد عدّة أعمال عمرانية، إذ أمر ببناء الأبراج وجعل المنارات على طريق الحج من الكوفة إلى مكة، وأسس مدينة الهاشمية، لكنه توفي قبل أن يتم بناءها، وكانت عاصمته الأولى الكوفة، ثم انتقل إلى الحيرة، وبعدها الأنبار. توفي عام 136هـ/755م. المهايبي رقيق: تاريخ الخلافة الأموية والعباسية، مطبعة دار اليقظة العربية، دمشق، 1946م، ص. 113 وما بعدها.

⁴ ولد أبو جعفر المنصور عام 101هـ، أبوه محمد بن علي العباسي، وأمه سلامة البربرية، وكان اليد اليمنى لأخيه السفاح في القضاء على الثائرين. وعقب وفاة السفاح بويج له بالخلافة عام 136هـ/755م. ويذكر أنه واجه عدة ثورات داخلية، تمكن من القضاء عليها. أما خارجيا فقد واجه إمبراطورية الروم التي حاولت استغلال فترة الاضطرابات الداخلية للدولة الإسلامية، ولكنه تمكن من صد هجماتها، يضاف إليها هجمات الخزر على بلاد الأرمن، والتي منيت في الأخير بالفشل لأن المنصور عرف كيف يحدّ منها، ويخضع أهل أرمينية، ويوطّد نفوذه في بلادهم. أما أعماله العمرانية فتعدّ عاصمته الجديدة بغداد من أبرز منجزاته العمرانية. بعد أن هدأت أحوال الخلافة الداخلية والخارجية، أوصى المنصور بالخلافة لابنه محمد المهدي. توفي المنصور عام 158هـ/774م. البلاذري: المصدر السابق، ص. 294؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 590؛ المهايبي رقيق: المرجع السابق، ص. 119 وما بعدها.

⁵ خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 414.

⁶ "يزيد بن أسيد بن زافر بن أسماء السلمي، من بني بهثة بن سليم بن منصور" في غزوة محمد بن مروان على أرمينية سنة 692هـ/73م، سببت أمه من ناحية السيسجان، وكانت ابنة بطريقها. تولّى شؤون إقليم أرمينية إبان فترة حكم الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور وابنه المهدي. عرف بغزواته ضد الخزر والروم. توفي عام 162هـ/779م. البلاذري: المصدر السابق، ص. 289.

⁷ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 460، 465؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 590.

وفي عهد الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور (136هـ-158هـ/755-774م) تم تولية يزيد بن أسيد السلمي شؤون البلاد، الذي فتح باب اللان وشحنه بالجنود، لحماية حدود الدولة الإسلامية.¹ ويذكر أن هذا الوالي قاد العديد من الحروب ضد الخزر، في الثغور الشمالية لإقليم أرمينية، غير أن المنصور أراد مهادنة مملكة الخزر اتقاء لشركهم، ولتخفيف الضغوطات على الجنود المرابطين في الحدود، فأوعز إلى يزيد بن أسيد بمصاهرة ملك الخزر، فتزوج هذا الأخير ببنت خاقان² الخزر، إلا أنها توفيت رفقة جنينها أثناء فترة النفاس.³

وبعد عزل يزيد بن أسيد تولى شؤون أرمينية الحسن بن قحطبة الطائي،⁴ الذي انتفض الأرمن في عهده، بقيادة رئيسهم موشائيل الأرمني، مما اضطره إلى طلب المساعدة من الخليفة، فأرسل له أمداداً، تمكن بفضلها من القضاء على هذه الثورة، واسترجع الأمن والسكينة في البلاد.⁵ وفي سنة 153هـ/770م عين أبو جعفر المنصور بكار بن مسلم العقيلي والياً على أرمينية.⁶

ويورد الطبري ضمن أحداث سنة 158هـ/774م، رواية مفادها أن والي أرمينية⁷ بعث برسالة إلى المنصور، يتحدث فيها عن عدم طاعة الجنود له، حتى أنهم استولوا على بيت مال المسلمين، فردّ عليه الخليفة: "اعتزل عملنا مذموماً، فلو عقلت لم يشغبوا، ولو قويت لم

1 البلاذري: المصدر السابق، ص. 295.

2 لقب يطلق على ملك الخزر.

3 نفسه، ص. 295.

4 الحسن بن قحطبة الطائي: ولد عام 97هـ/716م، وهو أحد أبرز القادة العباسيين الأوائل، عينه الخليفة أبو جعفر المنصور والياً على إقليم أرمينية عام 136هـ/753م، ثم أوكل إليه مهمة إخماد الثورات الداخلية رفقة أبي مسلم الخرساني عام 137هـ/754م. كما عرف أيضاً بحروبه ضد الروم الذين لقبوه بالثنتين. توفي في مدينة بغداد عام 181هـ/797م. الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 479-480؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 590؛ الزركلي: المرجع السابق، ج. 2، ص. 211.

5 البلاذري: المصدر السابق، ص. 295؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 590.

6 الطبري: المصدر السابق، ج. 8، ص. 43.

7 لم يرد اسمه في الرواية، وربما يكون بكار بن مسلم العقيلي.

ينهبوا".¹ ومنها تستخلص أن طبيعة الإقليم تطّبت تعيين ولاّة أصحاب كفاءة وقدرة عالية على تسيير شؤون البلاد، وإلا فالعواقب ستكون وخيمة على الوالي والخلافة الإسلامية على حد سواء. إضافة إلى أن البلاذري أشار إلى أن البطارقة الأرمن، كانوا يعملون على جسّ نبض أي والي مسلم جديد عليهم، فإن كان صارما وحازما معهم، أدّوا له ما عليهم من جزية وخراج، وانصاعوا لأوامره، أما إن لاحظوا عليه طيبة ومسامحة، فإنهم يستخفون بأوامره.²

ويذكر أن الخليفة هارون الرشيد³ (170-193/786-808م) كانت له علاقات متميّزة مع أهل أرمينية، وفي عهده توطدت العلاقات الإسلامية-الأرمينية، وكان على رأس ولاية أرمينية في هذه الفترة يزيد بن مزيد الشيباني،⁴ الذي عرف بحسن سيرته وتدبيره وسخائه. إلا أنه عزل سنة 172هـ/788م.⁵ ومن ولاّة أرمينية في هذه الحقبة أيضا، نجد الفضل بن يحيى⁶ الذي تولّى شؤون إقليم أذربيجان وأرمينية،⁷ وخزيمة بن خازم⁸ الذي وصفه البلاذري

1 الطبري: المصدر السابق، ج. 8، ص. 97.

2 المصدر السابق، ص. 296.

3 هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، أبو جعفر، خامس الخلفاء العباسيين وأشهرهم، نشأ في دار الخلافة بالعاصمة بغداد. أوكل له والده مهمة غزو عاصمة بلاد الروم القسطنطينية، الأمر الذي دفع بالملكة إيريني Irène على مصالحته، مقابل دفع جزية قوامها سبعين ألف دينار في كل عام إلى بيت مال المسلمين. بويج هارون بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي عام 170هـ/786، فتحمّل المسؤولية، وازدهرت الخلافة في عهده. وكان على علاقة طيبة مع ملك فرنسا كارلوس الكبير الملقب بشارلمان Charlemagne. برع الرشيد في الأدب والتاريخ والحديث والفقه، وكان شجاعا كثير الغزوات حتى قيل أنه يحج سنة ويغزو سنة. دامت ولايته 23 عاما وشهران وأيام، توفي عام 193هـ/809م. للتوسع أكثر أنظر: الزركلي: المرجع السابق، ج. 8، ص. 62.

4 "يزيد بن مزيد بن زائدة، أمير العرب أبو خالد الشيباني، أحد الأبطال والأجواد...وُلّي اليمن، ثم وُلّي أذربيجان وأرمينية للرشيد، وقتل رأس الخوارج الوليد بن طريف. كان يزيد مع فرط شجاعته وكرمه من دهاة العرب..." مات في مدينة بردعة الأرمينية عام 185هـ/801م. للمزيد أنظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج. 9، ص. 72-73.

5 الطبري: المصدر السابق، ج. 8، ص. 236؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 590؛ الطائي سناء: المرجع السابق، ص. 284.

6 "الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي: وزير الرشيد العباسي، وأخوه في الرضاع. كان من أجود الناس. استوزره الرشيد مدة قصيرة، ثم ولاه خراسان سنة 178هـ فحسنت فيها سيرته، وأقام إلى أن فتك الرشيد بالبرامكة (سنة 187هـ) وكان الفضل عنده ببغداد، فقبض عليه وعلى أبيه يحيى، وأخذهما معه إلى الرقة، فسجنهما وأجرى عليهما الرزق، واستصفي أموالهما وأموال البرامكة كافة. توفي الفضل في سجنه بالرقة". قال عنه ابن الأثير: "كان الفضل من محاسن الدنيا لم ير في العالم مثله" ابن الأثير: المصدر السابق، ج. 6، ص. 69؛ الزركلي: المرجع السابق، ج. 5، ص. 151-152.

7 الطبري: المصدر السابق، ج. 8، ص. 242؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 590.

8 "خزيمة بن خازم بن خزيمة بن عبد الله النهشلي التميمي" من أبرز القادة العسكريين في العهد العباسي، إبان فترة حكم الخليفة هارون الرشيد وأولاده الأمين والمأمون من بعده، ويقال أن له دور هام في تولية هارون الرشيد الخلافة العباسية، بسبب المكانة المرموقة التي يتمتع بها، فهو ينتمي إلى عائلة عباسية عريقة. زيادة على ذلك فإن والده خازم بن خزيمة من زعماء بني العباس المشهورين. بعد تولّيه لشؤون أرمينية ضرب النقود باسمه وأرققها بالقباب الخلفاء العباسيين هارون

بأشد وأقصى الولاة سلطة،¹ ربما لأنه أقدم على تصفية الموالين لسلطة الروم من بطارقة وأبناء ملوك.²

ومن ولاة أرمينية في عهد الخليفة المأمون³ (198-218هـ/813-833م) عيسى بن محمد بن أبي خالد الذي أوكلت له مهمة محاربة بابك الخرمي،⁴ المناهض للخلافة العباسية في المنطقة، إلا أن هذا الأخير قتله. وفي سنة 209هـ/824م عين المأمون صدقة بن علي الملقب بزريق، واليا على إقليم أذربيجان وأرمينية ومهمة القضاء على ثورة بابك.⁵ ومن ولاة المنطقة في هذه الحقبة التاريخية أيضا، خالد بن يزيد بن مزيد⁶ الذي يقال أنه خالط البطارقة الأرمن كثيرا، وقبِلَ هداياهم، ونتج عن هذا الإجراء فسادهم وطغيانهم عليه، وعلى من بعده من عمال المأمون.⁷

وتولّى إقليم أرمينية في عهد الخليفة المعتصم بالله⁸ (218-227هـ/833-841م) الحسن بن علي الباذغيسي الملقب بالمأموني، غير أنه لم يمارس صلاحياته كاملة، لأنه

الرشيد والهادي والأمين والمهدي. شريف شريف يحي محمود: نقود خزيمية بن خازم حاكم أرمينية وأران (135-203هـ/735-803م)، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2024م، ع. 16، ص. 879.

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 296؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 590؛ خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 463.

² اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج. 2، ص. 378؛ الطائي سناء: المرجع السابق، ص. 283.

³ ولد عبد الله المأمون بن هارون الرشيد عام 170هـ/786. تولّى الخلافة عقب مقتل أخيه الأمين عام 198هـ، واستقر في خرسان حتى عام 204هـ، حيث انتقل منها إلى العاصمة العباسية بغداد، واستمر في منصبه حوالي عشرين سنة. كان المأمون سياسيا محنكا، يعرف جيدا كيف يختار بطانته ومستشاريه، وتجلّى نجاحه السياسي عندما انتقل إلى العاصمة بغداد، إذ كان على دراية تامة بما يحدث في مختلف ربوع الدولة الإسلامية. وكان كثير الاستماع إلى المناظرات والمناقشات العلمية المبنية على الحجة والدليل للإقناع. حارب المأمون الروم في عدة معارك انتصر فيها عليهم، وفتح العديد من حصونهم. توفي عندما كان غازيا لبلاد الروم عام 218هـ/833م. المهاني: المرجع السابق، ص. 164 وما بعدها.

⁴ الطبري: المصدر السابق، ج. 8، ص. 581؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 5، ص. 455.

⁵ المصدر السابق، ص. 601.

⁶ "خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة، أبو يزيد الشيباني، أحد الأمراء الولاة الأجواد في العصر العباسي. وهو ممدوح أبي تمام. ولاة المأمون مصر سنة 206هـ... فلما انتقضت أرمينية انتدبه الوائق، فتجهز في جيش عظيم وزحف يريد فاعتل في طريقه. ومات قبل بلوغها. كان يكنى في السلم بأبي يزيد، وفي الحرب بأبي الزبير" توفي عام 230هـ/845م. الزركلي: المرجع السابق، ج. 2، ص. 301.

⁷ البلاذري: المصدر السابق، ص. 296؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 590.

⁸ أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد، ولد عام 177هـ. في عهد أخيه المأمون كان واليا على بلاد الشام ومصر، وأوصى له المأمون بولاية العهد. تولى الخلافة العباسية عام 218هـ/833م. كان الروم في عهده يغيرون من حين لآخر على حدود البلاد الإسلامية، الأمر الذي دفع بالمأمون إلى إعلان النفير في جنده، وسار بنفسه صوب بلاد

عامل أهل المنطقة باللّين والحسنى، الأمر الذي أدّى إلى ازدياد فساد البطارقة ورجال الإقطاع الأرمن، وخروجهم عليه، فأثر ذلك سلّبا عليه وعلى من خلفه من بعده.¹ وتولّى أرمينية في هذه الفترة كذلك علي بن الحسين بن سبّاح القيسي، الذي قلّ من شأنه أهل أرمينية، ولقبوه باليتيم لضعفه وهوانه عليهم.² وفي هذا الصدد أشار البلاذري إلى أن العهد العباسي الثاني عرف تعيين ولاّة على المنطقة "يقبلون من أهلها العفو ويرضون من خراجها بالميسور".³ وذلك راجع إلى ضعف الخلافة العباسية في هذه الفترة وانحسار نفوذها.

وولّى الخليفة المتوكل على الله⁴ (232-247هـ/846-861م) يوسف بن محمد بن يوسف المروزي إقليم أرمينية سنة 234هـ/848م، غير أن هذا الأخير أحكم قبضته بقوة على البطارقة والأحرار الأرمن، الأمر الذي دفعهم إلى التحالف ضده مع المتغلبة⁵ في البلاد، وتنظيم ثورة ضده أدّت إلى مقتله، فاستخلفه المتوكل بالقائد بُغا الكبير⁶ الذي قضا على التمرد الحاصل في المنطقة، وأعاد الأمن والاستقرار إلى مختلف ربوعها.⁷

الروم، ففتح مدينة عمورية عام 223هـ، وغنم ما فيها ودمّرها وقتل الكثير من جنودها انتقاما لقتلى المسلمين، وأسر العديد منهم. وبينما كان المعتصم يجهز جيشه للزحف نحو بلاد الروم، إذا به يكتشف مؤامرة داخلية دنيئة تحاك ضده، ولحسن الحظ فإنه قبض على الخونة وأعدمهم، واضطر بعدها إلى عقد معاهدة صلح مع إمبراطور الروم، وعاد إلى عاصمته الجديدة سامراء، ودخلها وسط احتفال بهيج. أصيب المعتصم في أيامه الأخيرة بمرض شديد أدّى إلى وفاته في مدينة سامراء في ربيع الأول عام 227هـ/842م. المهاني: المرجع السابق، ص. 173 وما بعدها.

1 البلاذري: المصدر السابق، ص. 296؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 590.

2 اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج. 2، ص. 435.

3 نفسه، ص. 435؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 590.

4 اسمه جعفر وأبوه المعتصم بن الرشيد. تولّى الخلافة بعد وفاة أخيه الواثق عام 232هـ/847م. شعر المتوكل بازدياد نفوذ الأتراك في عهده وتحكمهم في مفاصل الدولة، فأراد أن يتخلص منهم، ولكن محاولاته باءت بالفشل، حيث نقل عاصمته من سامراء إلى دمشق عام 243هـ أملا في التخلص من نفوذهم، ولكنهم أحدثوا الفوضى واضطروه إلى الرجوع. وكانت الحروب مع الروم قائمة على الحدود بين الطرفين، وعرف المسلمون بالغزو في الصوائف والشواتي، يستغلونها للتوغل في أرض الروم والدفاع عن الثغور الإسلامية. قتل المتوكل على يد القادة الأتراك عام 247هـ/861م. المهاني: المرجع السابق، ص. 182 وما بعدها.

5 الذين خرجوا عن سيطرة الحكم العباسي في المنطقة، ويعرفون أيضا بالخوارج أو الحركات المناهضة للخلافة.

6 مملوك تركي صار من كبار الأمراء في بغداد أيام الخليفة العباسي المتوكل. كان له دور حاسم في سحق الحركات المناهضة للحكم العباسي في أرمينية. توفي عام 248هـ/862م. الزركلي: المرجع السابق، ج. 5، ص. 283.

7 البلاذري: المصدر السابق، ص. 296-297.

وشهدت سنة 248هـ/862م تولية علي بن يحيى الأرمني،¹ على إقليم أرمينية وأذربيجان، من قبل الخليفة المستعين² (248-252هـ/862-866م).³ كما تولى شؤون أرمينية العلاء بن أحمد على عهد الخليفة المعتز⁴ (252-255هـ/866-868م).⁵

وفي هذه الفترة توطدت علاقة العباسيين بالعائلة الأرمينية البقرطونية، إلى درجة أن الولاة العرب في العهد العباسي الثاني كانوا لا يبرحون دار الإمارة في مدينة دُبَيْل. وموازة مع ذلك كان أمير الأمراء الأرمن أشوط البقرطوني، يمارس صلاحيات واسعة في مختلف أنحاء البلاد، وتمكن في فترة وجيزة من تكوين جيش أرمني، مهمته الحفاظ على الهدوء والنظام في البلاد.⁶

ومع مرور الأيام ازدادت مكانة أشوط لدى البلاط العباسي، وفي سنة 271هـ/885م عين الخليفة المعتمد⁷ (256-279هـ/869-892م) أشوط الأول البقرطوني ملكا على إقليم

¹ أحد القادة والأمراء العباسيين المشهورين أرمني الأصل، إسلامي النشأة، لا تعرف سنة ولادته على وجه التحديد، والراجح أنه ولد في العقد الأخير من القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد. ونظرا للمواصفات العالية التي كان يتصف بها، من رجولة وفروسية وشجاعة فائقة وحسن سيرة، فضلا عن الكفاءة والإخلاص والولاء التي أثبتتها عند الخلفاء، فقد أهله هذه الموصفات ليؤدي دورا مهما في خدمة الخلفاء العباسيين طيلة حياته، وبخاصة في الجانبين الإداري والحربي، واستشهد أثناء جهاده للروم سنة 249هـ/863م.. حظي القائد علي بن يحيى الرمني بمكانة خاصة عند خلفاء بني العباس، وكان من المقربين إليهم، بدءا بالخليفة المعتصم بالله (218-227هـ/833-841م) الذي لقي عنده كل القبول والتقدير، ومن تلك المكانة أن علي بن يحيى تدخل في قضية محمد بن عبيد الله الورثاني الذي تمرد بورثان، فاستطاع علي بن يحيى أن يحصل للورثاني على الأمان من الخليفة بعد أن استقدمه بنفسه إليه فعفا عنه تقديرا لمكانة علي عنده. طه خضر عبيد: القائد علي بن يحيى الأرمني (ت249هـ/863م). ودوره الحربي والإداري، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية، العراق، 2012م. مج. 11، ع. 4، ص. 325.

² بعد مقتل الخليفة المتوكل، ولّى قادة الجند الأتراك بعده المستعين خليفة عام 248هـ/862م، ولكنهم تولوا الحكم الفعلي في مكانه، وقاموا بتضييق الخناق على المستعين الذي فرّ من بطشهم نحو بغداد أملا في التخلص منهم، ولكنهم حاصرو بغداد لمدة سنة كاملة، وأجبروه على التنازل عن الخلافة للمعتز، مقابل أن يضمّنوا له العيش الكريم في المدينة المنورة، بيد أن أحد رجال الخليفة المعتز قتله غيلة وهو في طريقه إلى الحجاز عام 252هـ/866م. المهاني: المرجع السابق، ص. 185.

³ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 259.

⁴ "الخليفة أبو عبد الله، محمد وقيل: الزبير بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد هارون بن المهدي العباسي. ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، واستخلف وهو ابن عشرين سنة أو دونها...بويع وقت خلع المستعين" في زمن المعتز (252-255هـ/866-868م) سيطر الأتراك على الدولة بشكل تام، وازداد طغيانهم. وعندما تأخر المعتز عن تقديم المال لهم تأمروا عليه وقتلوه. للمزيد أنظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج. 12، ص. 533 وما بعدها؛ المهاني: المرجع السابق، ص. 185-186.

⁵ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 361.

⁶ السيد أديب: المرجع السابق، ص. 146.

⁷ "المعتمد على الله الخليفة، أبو العباس، وقيل: أبو جعفر، أحمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم أبي إسحاق بن الرشيد، الهاشمي العباسي السامري. وأمه رومية واسمها فتيان. ولد سنة تسع وعشرين ومائتين...استخلف بعد قتل

أرمينية.¹ وبذلك انتهى عصر ولاية الخلافة في المنطقة، التي عرفت مرحلة الاستقلال النسبي أو الهدوء الحذر، تمهيدا للاستقلال التام، بسبب ضعف النفوذ العباسي وانحساره في هذه البلاد من جهة، وازدياد قوة ومكانة أمير الأمراء الأرمن من جهة ثانية.

ب- الأمراء والملوك²

ترك الخلفاء الأمويون والعباسيون الذين أخضعوا إقليم أرمينية لسيطرتهم، الحكام المحليين لهذه المنطقة يمارسون مهامهم السابقة للفتح الإسلامي، سواء تعلق الأمر بملوك أرمينية الشرقية المنتدبين من قبل الساسانيين، أو أمراء أرمينية الغربية المعيّنين من قبل أباطرة الروم.

ويقصد بالأمراء، البطارقة الأرمن الذين ينتسبون إلى عائلات مرموقة ومعروفة في البلاد، ويعين البطريق في مقاطعته، لكي يستمد قوته ونفوذه من بني جلدته، يضاف إليها قوة الجيش الذي ينفذ أوامره. ويخضع الأمراء الأرمن لسلطة والي أرمينية المسلم، ويشكلون الوساطة بينهم وبين السكان، كما أن خروج أي واحد منهم عن سلطة الوالي يمثل تمردا عن الخلافة. أما مناصبهم فكانت وراثية، وينصّ العرف على تقسيم تركة المتوفي منهم بين أولاده، الأمر الذي أدّى إلى تجزئة مقاطعاتهم.³

ومن واجبات البطريق حماية مقاطعته من الاعتداءات الخارجية، مثل صدّ غارات الخزر والروم، والمحافظة على النظام العام، والسهر على تحقيق الأمن والاستقرار، والنظر في المشاكل اليومية التي يواجهها السكان، وإقامة العدل، وفرض الضرائب وتأمين جبايتها،

المهتدي بالله في سادس عشر رجب سنة ست وخمسين ومائتين" دام حكمه 23 عاما، كان أخوه الموفق الخليفة الفعلي، وقائد الجند، يدير شؤون الدولة بمفرده دون الرجوع للخليفة، وليس للمعتمد سوى الخطبة وضرب النقود. مَرّت الدولة الخلافة العباسية في هذه الفترة بأوقات عصيبة ولعل من أخطرها ثورة الزنج (255-270) التي تمكّن الموفق من اخمادها بصعوبة. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج. 12، ص. 541؛ المهاني: المرجع السابق، ص. 186 وما بعدها.

¹ استارجيان: المرجع السابق، ص. 171؛ السيد أديب: المرجع السابق، ص. 146؛ أنظر أيضا:

Gatteyrias : op. cit. p. 94; Macler: op. cit. p p. 20-21.

² أنظر جدول الأمراء الأرمن في ظل الحكم الإسلامي، الملحق الحادي عشر، ص. 361.

³ صلاح الدين أمين طه: الحياة العامة في أرمينية دراسة في أوضاعها الإدارية والاجتماعية والاقتصادية 30/651م- 247/862م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة بغداد، 1989م، ص. 189.

والتنسيق والتعاون مع والي أرمينية في مختلف القضايا التي تخص البلاد، والانصياع لأوامر هذا الأخير، ويضاف إليها القضاء على المتغلبين الخارجين عن سلطة الخلافة الإسلامية في المنطقة.¹

وكان البطارقة في العهد الإسلامي يعينون من قبل الخليفة، بعد اقتراحهم من قبل والي، ومن الأمثلة على ذلك: تعيين الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان للأرميني كريكور ماميكونيان أميرا على أرمينية، عام 41هـ/661م، والذي ساد في عهده السلام في أرمينية.² وتعيين الخليفة مروان بن محمد لأشوط بقرطوني بطريقا في أرمينية.³ ويذكر أن والي يزيد بن أسيد السلمي طلب من الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور تعيين ساهاك البقرطوني بطريقا على أرمينية، وعين الخليفة المهدي⁴ (158-169هـ/775-786م) أنتزفاستي أميرا في أرمينية، كما عين الخليفة هارون الرشيد في عام 190هـ/806م أشوط بن سنباط البقرطوني بطريقا على إقليم أرمينية.⁵

واستحدث الخليفة المعتصم (218-227هـ/833-841م) في فترة خلافته، منصب أمير الأمراء في إقليم أرمينية، إذ عين سهل بن سنباط بطريقا للبطارقة، ومنح له تاج الإمارة، ترمينا للمجهودات الجبارة التي بذلها في إلقاء القبض على الخارجي بابك الخرمي. ويمكن القول أن هذا الإجراء يعد من أولى محاولات المسلمين الرامية إلى توحيد أرمينية تحت قيادة محلية واحدة. ويبدو أن صاحب هذا المنصب كانت له صلاحيات كبيرة، سواء تعلق الأمر بإشرافه على البطارقة والتنسيق فيما بينهم، أو تنفيذ الأوامر التي يقررها البلاط

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 296؛ صلاح الدين أمين طه: المرجع السابق، ص. 191.

² GHÉVOND : op. cit. p. 14-15.

³ Ibid. p. 111.

⁴ "المهدي الخليفة أبو عبد الله محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي، الهاشمي العباسي" نشأ في بيت الخلافة، وعني أبوه بتربيته وتعليمه. تولى الخلافة بعد وفاة المنصور، في فترة كانت فيها الحروب دائمة مع الروم، إذ كانت الصوائف والشواتي لا تنقطع من قبل المسلمين. وبالمقابل لم تتوقف غارات الروم على الثغور الإسلامية، وكانت المعارك بين الطرفين تشمل البر والبحر، أبلى فيها المسلمون بلاء حسنا. ففي عام 163هـ أغار الروم على بلاد المسلمين وعاثوا في المدن الحدودية فسادا، ومن بينها مدينة مرعش التي أوقدوا فيها النيران، وبمجرد وصول الجيش الإسلامي إليهم بقيادة الحسن بن قحطبة، حتى تراجعوا الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج. 7، ص. 401.

⁵ الطائي سناء: المرجع السابق، ص. 278.

العباسي. كما يمكن اعتباره أداة تواصل بين والي أرمينية المسلم من جهة والبطارقة الأرمن من جهة أخرى.¹

أما الملوك فيذكر أن الساسانيين كانوا يطلقون لقب الملك على أصحاب الثغور، مثل مملكة اللّآن وغيرها من الممالك الواقعة على أطراف الدولة الساسانية،² وبالرغم من ذلك فإن الجغرافيين المسلمين في إطار وصفهم للمدن التابعة للحكم الإسلامي يَصِفُون عدة ممالك، إذ ذكر ابن خردادبة ملك مدينة مَسَقَط،³ الذي سمّاه البلاذري صاحب مسقط، كما تحدث هذا الأخير عن ملوك الجبال الممتدة ممالكهم شمال إقليم أرمينية، وأضاف للممالك التي سيطروا عليها كلمة شاه المقابلة للملك أو الحاكم، ففي هذا الصدد ذكر: شَرَوَانشَاه، لِيرَانشَاه، طَبَرْسَرَانشَاه، وغيرها من الممالك.⁴ وكانت صلاحياتهم مطابقة لمهام الأمراء المذكورة سابقا.

ومن ناحية ثانية فإن انتقال أرمينية إلى مملكة قوية، أمر غير مقبول لدى المسلمين، ولذلك ظل لقب الملك الأرمني شكليا فقط. كما أضحي هذا الاسم متداولاً لدى معظم رجال الإقطاع في أقاليمهم المسيطرين عليها.⁵ ومما لا شك فيه أن هذه الممالك التي أنشأها الأكاسرة الساسانيون، قد نصّبوا على رأسها ملوكاً من بني جلدتهم، بقيت وظائفهم وراثية في خلفائهم طوال العهد الإسلامي،⁶ لاسيما وأنهم صالحوا قادة الفتح الإسلامي وولّاه أرمينية، وأذعنوا لأوامرهم.⁷

¹ الطائي: المرجع السابق. ص. 278.

² كريستنسن: المرجع السابق، ص. 356.

³ المصدر السابق، ص. 124.

⁴ المصدر السابق، ص. 291.

⁵ SEBEOS, op. cit. p. 100.

⁶ كريستنسن: المرجع السابق، ص. 53.

⁷ البلاذري: المصدر السابق، ص. 291.

2- استقرار القبائل العربية في أرمينية

بعد القضاء على حركات الردّة في عهد الخليفة أبو بكر الصديق (11-13هـ) تطلعت القبائل العربية المقيمة بأطراف الشام والعراق، إلى خدمة الدولة الإسلامية الفتيّة لمساعدتها على مواجهة جيوش الفرس والروم.¹ وبناء على ذلك كان لهذه القبائل مساهمة فعّالة في الفتوحات الإسلامية. وحين استتب الأمن والسلام في أرمينية، بدأت القبائل العربية تزحف نحوها لتقيم في حواضرها، وتبدأ فيها حياة جديدة، وتجعل منها موطنًا ومستقرًا لها.² إذ أن تأمين السيطرة الإسلامية على إقليم أرمينية تطلب وجود قوات عربية متميّزة، ولذلك استقرت فيه قبائل عربية متعددة تنسب أصولها إلى الجزيرة العربية.³

وشهدت السنوات الأولى من الفتح الإسلامي لأرمينية هجرات جماعية قبلية أولية، استقرت بادئ الأمر في أرباض أقاموها إلى جانب المدن، ليكونوا عونًا وحماية للحاميات الإسلامية فيها. ومع مرور الوقت اتجهت أنظارهم صوب قلب المدن نفسها، فاستقروا فيها وغدوا بعد أجيال جزءًا منها، مثل: قاليقلا، خلاط، دبيل، تغليس، ملازكرد، أرجيش، وغيرها من المدن.⁴

وفي سنة 24هـ / 644م، أوكل الخليفة الراشدي عثمان بن عفان إلى حبيب بن مسلمة الفهري مهمة غزو أرمينية، فغزاها بجيش قوامه ثمانية آلاف من أهل الشام والجزيرة، وتمكن من فتح مدينة قاليقلا، وكتب إلى والي الشام معاوية بن أبي سفيان يسأله أن يرسل

¹ الكاتب سيف الدين: أطلس تاريخ العرب والإسلام، دار العزة والكرامة، الجزائر، ط. 4، 2010م، ص. 31.

² أديب السيد: المرجع السابق، ص. 77.

³ صلاح الدين أمين طه: استيطان القبائل العربية في أرمينية 30-247هـ. مجلة رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1986م. مج. 7، ع. 20، ص. 201.

⁴ أديب السيد: المرجع السابق، ص. 78؛ محمد رفعت الإمام: المرجع السابق، ص. 19؛ أنظر أيضًا:

Pasdermajian (H.): Histoire de l'Arménie depuis les origines jusqu'au traité de Lausanne, Librairie orientale H. 2 éd. Paris, 1964, p. 128 ; Grosset, op. cit. p. 315.

قوما من أهل الشام والجزيرة ممن يرغبون في الجهاد والغنيمة، فلبى معاوية طلبه بإرساله لألفي جندي، أسكنهم مدينة قاليقلا، ومنح لهم أراضي محدّدة، جعلهم مرابطين فيها.¹

ومما لا شكّ فيه أن أصول هؤلاء الجنود تنتمي إلى القبائل اليمنية أو القيسية التي استوطنت الشام والجزيرة بعد الفتح الإسلامي لهذه الأقاليم. وقد أقطعهم معاوية الأراضي الزراعية التي لا حق لأحد فيها، أو التي هجرها أهلها، لتكون مداخلها مصدرا ثابتا لأرزاقهم. إضافة إلى أن القبائل العربية لم تشتغل في زراعة هذه الأراضي، بل اعتمدوا على سكان البلاد الأصليين في استغلالها، وجلب الحاصل إليهم لقاء مبالغ مالية معينة.²

ويذكر أن الفاتح حبيب بن مسلمة الفهري هدف من خلال هذا الإجراء إلى إنشاء قواعد عسكرية ثابتة في الأماكن الإستراتيجية لإقليم أرمينية، لتأمين المدن التي فتحها من هجمات الروم، لاسيما وأن مدينة قاليقلا تعدّ من أهم المنافذ المؤدّية إلى أرمينية، وأن موضعها مهم جدا بالنسبة للمسلمين بفضل موقعها الاستراتيجي المواجه لحصن الأرمنيّاق الرومي الذي كان مصدر الخطر الدائم على أرمينية، لكثرة ما فيه من القواعد العسكرية التابعة للروم.³

ولا ريب أن القوات العسكرية الإسلامية المستقرة في أرمينية طوال هذه الحقبة الزمنية، قد اصطحبت معها عائلاتها، الأمر الذي أدى إلى نمو أعداد المسلمين في المنطقة مع قدوم كل جيش إسلامي رفقة ذويهم.⁴ ولعل هذه الخطوة كانت تهدف إلى زيادة قوة المقاتلين، الذين يربطون حروبهم مع الأعداء بالدفاع عن عوائلهم. إضافة إلى مساهمتهم في إقامة الأمن والسلم بالمناطق المفتوحة التي يستقرون فيها.

ومن المدن الأخرى الرئيسية ذات الموقع الاستراتيجي التي غدت مركزا لاستقرار القبائل العربية مدينة باب الأبواب التي وطّن فيها مسلمة بن عبد الملك أربعة وعشرين ألف

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 277.

² صلاح الدين أمين طه: استيطان القبائل العربية، ص. 202.

³ نفسه، ص. 99.

⁴ طه: الحياة العامة، ص. 103.

مقاتل،¹ نظرا لأهمية هذه المدينة فهي منفذ الخزر للدخول إلى أرمينية، لذا وجب تحصينها وتعميرها بالمقاتلين القادرين على الدفاع عن المدينة وإيقاف الهجمات الخزرية. ويروي ابن الأعثم صاحب كتاب "الفتوح" أن مسلمة بن عبد الملك نظم إسكان هؤلاء المقاتلين، حيث أمر بتقسيم المدينة إلى أربعة أقسام فجعل قسما لأهل دمشق، وقسما لأهل حمص، وقسما لأهل فلسطين، أما القسم الأخير فخصصه لأهل الشام والجزيرة.²

ويرجع الاصطخري نسل هؤلاء المقاتلين من أهل الموصل وديار ربيعة والشام، سكنوا المناطق الممتدة من باب اللان حتى مدينة باب الأبواب، وأشار إلى رسوخ اللغة العربية في أعقابهم.³ وأضاف المسعودي أن المؤن والأقوات كانت تأتيهم من البر من ثغر تفلّيس. وفي العهد العباسي ازدادت أهمية باب اللان نظرا لكثرة هجمات الخزر على أرمينية، مما اضطر والي أرمينية يزيد بن أسيد السلمي إلى مضاعفة أعداد الجيش الإسلامي به، فأسكن فيه أعدادا هائلة من الجنود النظاميين الذين يأخذون أرزاقهم من ديوان الجند.⁴ ويضيف البلاذري أن يزيد بن أسيد السلمي أمر ببناء مدينة أرجيل الصغرى ومدينة أرجيل الكبرى وأسكن بهما قبائل عربية قادمة من فلسطين.⁵

وفي العهد العباسي تواصلت هجرات القبائل العربية نحو إقليم أرمينية، حيث بدأت في عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، إذ استوطنت العديد من القبائل اليمنية على حدود كورة أران، وقبائل نزارية في مدينة ملازكرد، وقبائل أخرى تعود أصولها إلى بني ربيعة وتغلب ووائل وشيبان، وسكنت المناطق المتاخمة لحدود أرمينية الجنوبية-الغربية.⁶ ووفق معطيات المؤرخ والجغرافي اليعقوبي الذي عاش ردحا من الزمن في أرمينية، بدأت أولى الموجات الكبرى للاستقرار العربي في أرمينية، في حقبة الخليفة العباسي هارون الرشيد

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 291.

² ج. 8، ص. 259.

³ المصدر السابق، ص. 193.

⁴ البلاذري: المصدر السابق، ص. 295.

⁵ نفسه.

⁶ محمد رفعت الإمام، المرجع السابق، ص. 19.

(169-193هـ/786-809م)¹ المعروف بصلاته المتميزة مع الأرمن. ومما لا شك فيه أن هذه الهجرة كانت بإيعاز منه، قصد توطيد الأمن في أرمينية، وزيادة التلاحم وتوثيق العلاقات الإسلامية-الأرمينية.

وركز ولّاه أرمينية خلال القرنين الأول والثاني للهجرة على إسكان القبائل العربية في المدن الإستراتيجية الرئيسية. فإلى جانب توطين الحاميات العربية في مدن ناخجوان ودبيل وباب الأبواب، أوطنوا حاميات أخرى في مدينتي جنزة وقاليقلا.² وفي هذا المقام يذكر القزويني أن مدينة جنزة "أهلها أهل سنة وجماعة" يحسنون استعمال مختلف أنواع الأسلحة الحربية، لكون مدينتهم تقع على الثغر المجاور لبلاد الكرج. كما كانت مدن شكي وبرذعة وكسال قواعد للحاميات العربية. فقد نزل مسلمة بن عبد الملك مدينة برذعة، كما نزلها الجراح بن عبد الله الحكمي، ونزل مروان بن محمد بمدينة كسال.³

ويقال أيضا أن هذه القبائل العربية استوطنت بشكل خاص، في المناطق المتاخمة لحدود أرمينية الجنوبية-الغربية القريبة من موطنها الأصلي مثل "ديار بكر" التابعة لإقليم الجزيرة. وليس من الصدفة انتساب العديد من العلماء المسلمين الذين عاشوا في القرون الوسطى إلى نواحي أرمينية الجنوبية، ومنهم على سبيل المثال: الشاعر "عبد الرحمن بن يحيى الديبلي" و"حداد بن عاصم النشوي" و"ابن الأزرق الفارقي" والفقيه "أبو الحسن علي بن محمد بن منصور الأرجيشي" والوزير "أبو النصر المنازي" والأديب الذائع الصيت والغني عن التعريف "أبو علي القالي" صاحب كتاب "الأمالى" وغيرهم من العلماء. ومثلت مقاطعة "أغجنيك" المسماة في المصادر الإسلامية "أزان" أولى المناطق التي قطنت فيها أعداد كبيرة من القبائل العربية.⁴

¹ مرفات كوما: المرجع السابق، ص. 22.

² صلاح الدين أمين طه: استيطان القبائل العربية، ص. 204.

³ المصدر السابق، ص. 522.

⁴ مرفات كوما: المرجع السابق، ص. 20، 22.

وجاء في كتاب "البلدان" للمؤرخ والجغرافي اليعقوبي أن بلاد الكرج من منازل "عيسى بن إدريس بن معقل بن شيخ بن عمير العجلي أبي دلف". وأضاف أنها لم تكن مشهورة قبل الفتح الإسلامي لها، غير أن أوضاعها تبدلت بعد فتحها واستقرار العليين فيها، خاصة بعد بنائهم للحصون والقصور، التي تنسب إلى أبي دلف وإخوته وأهل بيته، كما أضافوا لها أربعة رساتيق. أما بالنسبة لسكانها فنجد العجم، وما كان من آل عيسى بن إدريس العجلي، ومن انضم إليهم من سائر القبائل العربية الأخرى.¹

ويرى المؤرخ الأرمني جورج بournoutian أن الغزات السابقة لأرمينية على غرار الفرس والروم، سيطروا على أرمينية بهدف السلب والنهب، والهيمنة على المنطقة الحدودية الفاصلة بينهم وبين منافسيهم. بيد أن العرب كانوا مختلفين إذ ضمت قواتهم قبائل عديدة، منحت إقطاعيات من طرف الخليفة. وفي الوقت الذي بدأ فيه العرب يستوطنون إقليم أرمينية، كان الأرمن في المقابل يتعرضون للإبادة والتهجير والاضطهاد الديني.² غير أنه لم يذكر المصادر التي تثبت صحة هذا الإدعاء.³

ومهما يكن الأمر فإن استقرار القبائل العربية في أرمينية ساهم في تأسيس عدة سلالات عربية، في مناطق مختلفة منها، ومهدت هذه الخطوة لبداية مرحلة جديدة للاحتكاك بين المسلمين والأرمن،⁴ وكان للقبائل العربية دورا بارزا في حماية أرمينية من سيطرة الروم طيلة قرنين من الزمان، كما تعاونوا من الأرمن لصد هجمات الخزر المتتالية، مقدمين بذلك عشرات الآلاف من الضحايا في سبيل تحقيق الأمن والسلم في هذا الإقليم. ولم تكتف القبائل العربية بالاستقرار والدفاع عن أرمينية فحسب، بل بادرت أحيانا بالهجوم على الأعداء، مثل الخزر والإمارات المتعاونة معهم المتواجدة على طول امتداد جبال القوقاز،

¹ ص. 83-84.

² Bournoutian. op. cit. p. 70.

³ أضاف بournoutian أن هذا الإجراء أثر بصورة خطيرة على تاريخ أرمينية في العصر الحديث. أنظر: Bournoutian. op. cit. p. 70.

⁴ مرفات كوما: المرجع السابق، ص. 20.

وفرضوا عليهم الجزية، كقلعة بيت السرير وتومان واللكز وحمزين وسدان وفيلان... وغيرها من الإمارات الأخرى.

ويذكر أن العرب اندمجوا مع السكان الأصليين، إذ اشتغل العديد من أفراد القبائل العربية بالرعي والزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من المهن، فنقلوا خبراتهم التي اكتسبوها في بلادهم الأصلية إلى إقليم أرمينية فتفاعلت مع حضارته، مما أدى إلى تقدمه وتطوره في شتى المجالات.¹

3- التنوع الإثني في أرمينية إبان الحكم الإسلامي²

مثل المجال الجغرافي لأرمينية في العهد الإسلامي موطنًا للعديد من الأجناس، فبالإضافة إلى الأرمن والقبائل العربية التي تم الحديث عنها سابقًا، نجد فئات أخرى استقرت بالمنطقة، ونذكر منها:

أ- الأكرد

يقال أن الكرد من أقدم الشعوب التي استقرت في المنطقة منذ فجر التاريخ.³ والملاحظ أن المصادر الإسلامية اختلفت كثيرًا حول أصولهم، فمنهم من يرجعهم للأصل العربي، وآخرون يقولون أنهم أعراب فارس، وفريق آخر يذكر أن الكرد من نسل أكراد بن فارس بن أهلوا بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهناك من يرى أن الكرد والكرج (الجورجيون) من أصل واحد، إلا أنه يقال للمسلمين منهم الكرد، وللكتاب الكرج، وغيرها من الروايات العديدة، وشأنهم في ذلك شأن الأقوام الأخرى المختلف في نسبها، مثل الروم والبربر والفرس.⁴

¹ مرفات كوما: المرجع السابق، ص. 207-208.

² أنظر خريطة التوزيع العرقي لسكان أرمينية في العهد الإسلامي، الملحق الرابع عشر، ص. 364.

³ قيتولي صلاح الدين أيمن منصور: تحليل جغرافي لتواجد الكرد في دول الجوار (دراسة في الجغرافية السياسية)، مجلة جامعة رابارين، مج. 7، ع. 4، العراق، ديسمبر 2020م، ص. 432، 446.

⁴ الخليل أحمد محمود: صورة الكرد في مصادر التراث الإسلامي، دار اراس، أربيل-العراق، ط. 1، 2012م. ص.

ومع بداية حركة الفتح الإسلامي كان الكرد مشتركين مع الفرس في الدفاع عن بلاد فارس،¹ ورغم ذلك فإن الجيوش الإسلامية ألحقت بهم هزائم أدت إلى سقوط مملكة الفرس. وأفاد البلاذري بأن الفاتح سلمان بن ربيعة الباهلي لما فتح كورة أران، دعا عشيرة من عشائر الأكراد إلى الإسلام، ويسمون بأكراد البلاسجان، ولكنهم قاتلوه، فانتصر عليهم، الأمر الذي دفع بالكثير منهم إلى دفع الجزية، كما أن بعضهم الآخر اعتنق الإسلام.²

ومما لا شك فيه أن الإسلام انتشر بعدها في أوساط القبائل الكردية القاطنة في إقليم أرمينية، ورغم اعتناق غالبية الكرد للإسلام، وبقاء الأرمن على ديانتهم المسيحية، فإن العلاقات الأرمينية-الكردية بقيت على ما كانت عليه سابقا، مبنية على التعاون والوئام والتعايش المشترك.³

ب- الفرس

ذكر البلاذري في سياق حديثه عن أوضاع إقليم أرمينية قبل الفتح الإسلامي، أن الملك الساساني قُبَاذ شَدَّ في كُورَة أران مدن: البيلقان وبرذعة وقَبْلَة، وباب اللّان، وأقام على سُدّ اللين ثلاثمائة وستين مدينة.⁴ ومما لا شك فيه أن هذه المدن والحصون والأبراج كانت موطنًا للجنود وأهاليهم على حد سواء. وجاء بعده ابنه كسرى أنوشروان الذي بنى مدن: الشَّابِران ومَسَقَط وباب الأبواب، وأسكن فيها قوما من السِّياسِيجِينَ،⁵ وهم الحاميات التي أَعَدَّها الساسانيون خصيصا للذود عن حدودهم في المنطقة، ويذكر أن هذا الأخير أسكن

¹ زكي بك محمد أمين، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، تر. عوني محمد علي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. 2، 2005م، ص. 197.

² المصدر السابق، ص. 286.

³ عثمان فارس: الكرد والأرمن العلاقات التاريخية، مؤسسة ماركريت، العراق، ط. 2، 2013م، ص. 43.

⁴ المصدر السابق، ص. 273.

⁵ نفسه، ص. 273-274.

أيضا قوما من الفرس في مدينة قاليقلا المجاورة لإمبراطورية الروم،¹ وبنا مدينة صغديبل، وأسكنها قوما من الصُغد الفارسيين.²

ويبدو أن سلطان كسرى أنوشروان قد توسع عما كان عليه أبوه قباد، حتى شمل أماكن أخرى في كور البسفرجان والسيسجان وجرزان، وكان الهدف من وراء هذا الإجراء هو تحصين الشريط الحدودي الفاصل بين إقليم أرمينية الساسانية من ناحية، وأرمينية الروم وحدود مملكة الخزر من ناحية أخرى، ولتحقيق ذلك بنا أنوشروان على طول امتداده الحصون والقلاع والأبراج، ومنها: باب بارقة وباب لازقة وباب سمسخي وباب فيروز قباد وقلعة الجرديمان، وغيرها من الأبواب والحصون. وسكن الفرس في الممالك التي رتبها أنوشروان على امتداد مرتفعات جبال القوقاز، وهي مملكة السرير ومملكة فيلان ومملكة طبرسران ومملكة اللكر ومملكة ليران ومملكة شروان ومسقط وزريكران، وكان نظام الحكم في هذه الممالك ملكيا وراثيا.³

وأدت الانتصارات التي حققها هرقل على الفرس في مطلع القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، إلى زوال الكثير من حصون ومدائن الفرس السياسيجين وانحسار نفوذهم في إقليم أرمينية. والظاهر أن هؤلاء الفرس انتقلوا للعيش في المدن الأرمينية الأخرى، إذ يذكر أن الروم بعد سيطرتهم على إقليم أرمينية الفارسية، حافظوا على التنظيم الإداري الموجود فيها، كما أبقوا على الجاليات الفارسية ولم يطردوها. وفي هذا الصدد يقال أن قسطنطين بن هرقل اعترف بسلطة الحاكم الفارسي جانشير على كورة أران، ولقبه بالطريق.⁴

¹ Ostrogorsky (G.) : op. cit. p. 71.

² البلاذري، المصدر السابق، ص. 274؛ ابن خردادبه: المصدر السابق، ص. 123؛ ابن الفقيه، المصدر السابق، ص. 584؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 410؛ نفسه، مج. 2، ص. 125.

³ ابن خردادبه: المصدر السابق، ص. 124؛ الاضطخري: المصدر السابق، ص. 185-186؛ صلاح الدين أمين طه: سكان إقليم أرمينية بعد الفتح العربي له، مجلة التربية والعلم، ع. 3، جامعة الموصل-كلية التربية، 1981م. ص. 11.

⁴ البلاذري: المصدر السابق، ص. 277؛ صلاح الدين أمين طه: سكان إقليم أرمينية، ص. 11-12.

وإبان فترة الحكم الإسلامي، شكل الفرس غالبية سكان كورة أران، الأمر الذي دفع بالمسلمين إلى إبقاء حكمها بيدهم، وبذلك استمر الحكم في أسرة جانشير، إلى غاية مقتل آخر حكامها "فارازتردات" سنة 206هـ/821م. ويذكر أن الحكام الفرس تعاونوا مع والي أرمينية المسلم، وساهموا بشكل فعال في الحفاظ على الأمن والسلم في المنطقة، وهذا يظهر من خلال مساعدة البطريق سهل بن سنباط ذو الأصول الفارسية، والي أرمينية في إلقاء القبض على بابك الخرمي الذي ثار على الخلافة العباسية. كما ترك المسلمون حكام الفرس الذين ينتمون إلى الأسرة خسروثية في كورة جرزان، يمارسون مهامهم تحت سلطة والي أرمينية المسلم، إلى غاية سنة 173هـ/800م.¹

وتجدر الإشارة إلى احتفاظ المسلمين بالتنظيمات الإدارية التي أوجدها كسرى أنوشروان بالمنطقة، إذ يذكر البلاذري أن والي أرمينية مروان بن محمد بن مروان صالح ملك اللكر وملك السرير وملك زريكران، وغيرها من الممالك الواقعة على امتداد جبال القوقاز،² ونصت اتفاقيات الصلح على دفع الجزية والخراج مقابل منح الحكم الذاتي لهذه الممالك.³

جدير بالذكر أن الفرس الذين استوطنوا إقليم أرمينية في الفترة قيد الدراسة، كانوا على الديانة الزرادشتية،⁴ وهذا ما تشير إليه كتب الصلح، ومنها كتاب صلح حبيب لأهل دبيل، الذي أعطى الأمان لمجوس المدينة، مقابل أداء الجزية والخراج.⁵

¹ طه: سكان إقليم أرمينية، ص. 12.

² المصدر السابق، ص. 292-293.

³ نفسه.

⁴ نسبة إلى شخص اسمه زرادشت، عاش في القرن الثامن قبل الميلاد، ويقال أن موطنه الأصلي أذربيجان. يعتبره الفرس نبيا لهم، ويذكر أنه أنشأ دينا يقوم بالأساس على السلوك القويم، ورفض الآلهة الموجودة آنذاك، باستثناء إله واحد اسمه ناهورا مزاد، مما اعتبره البعض طريقا للعبادة الوحداية. ومن مميزات هذه الديانة عن سابقتها: الحديث عن الحياة الآخرة، والتوجه نحو إصلاح المجتمع وتطوير أنماط معيشته. العباداني عبد الله مبلغ: تأريخ الديانة الزرادشتية، تر. كلهور عبد الستار قاسم، مؤسسة موكرياني، إيران، ط. 1، 2011م، ص. 45 وما بعدها.

⁵ البلاذري: المصدر السابق، ص. 282؛ أنظر الملحق الثاني، ص. .

ج- اليهود:

ذكرهم البلاذري في إطار حديثه عن كتاب الصلح الذي كتبه القائد حبيب بن مسلمة الفهري لأهل ديبيل، إذ قدم هذا الأخير الأمان لليهود المقيمين في المدينة، مقابل أدائهم للجزية والخراج.¹ ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن بعض المناطق في إقليم أرمينية أثناء حقبة السيطرة الإسلامية، كانت عسكرية، لما تشكّله من خطورة على السكان. وفي هذا الصدد يقول الطبري في خضم حديثه عن مدينة باب الأبواب، أن عدد الأرمن فيها قليل جدًا، وإنّما يسكنها الطُّرَّاء،² والجنود المسلمون، والتجار الذين يتاجرون فيها، بسبب كثرة غارات الخزر عليها.³

4- طبقات المجتمع الأرمني في العهد الإسلامي

احتفظ النظام الاجتماعي لإقليم أرمينية منذ القدم باستقرار ملحوظ، فالتنظيم الذي كان سائدًا في العهد الساساني والرومي، استمر في العهد الإسلامي.⁴ ويمكن القول أن المجتمع الأرمني في هذه الفترة، تكون من خمس طبقات متباينة من حيث المكانية الاجتماعية والمهام المنوطة بها. الأولى تمثلها العائلات الحاكمة، والثانية الإقطاعيون، والثالثة شملت الأحرار، والرابعة الفلاحين، والخامسة والأخيرة طبقة العبيد.

أ- العائلات الحاكمة

تسمى طبقة النبلاء العظيمة.⁵ وأفاد الحموي أن الفرس لمّا حكموا أرمينية أقرّوا نبلاءها على ولايتهم للمنطقة،⁶ واعتمدوا عليهم في إدارة شؤون البلاد. وهذا من مصلحتهم، لأن هذا الإجراء من شأنه أن يمتص غضب الأرمن عليهم من جانب، ويقلل من فرص

¹ المصدر السابق، ص. 282؛ أنظر الملحق الثاني: ص. 354.

² سكان أتوا إليها من أماكن مختلفة، أي ليسوا من سكان المنطقة الأصليين.

³ المصدر السابق، ج. 4، ص. 156.

⁴ PASDERMADJIAN (H.) : op. cit. p. 141.

⁵ Ibid. p. 143.

⁶ المصدر السابق، مج. 1، ص. 161.

الاحتكاك بين الطرفين، من جانب آخر. وكان هؤلاء النبلاء أمراء، يتوارثون الحكم عن آبائهم، ويحكم كل واحد منهم مقاطعة تضم عددا من المدن والقرى، ومنحت لهذه المقاطعات الحكم الذاتي، منذ العهد الساساني والرومي، وفي الفترة الإسلامية أبقى المسلمون عليها،¹ ومن أهم الأسر الأرمنية العريقة التي ساهمت في تسيير الشؤون الداخلية لأرمنية نجد:

الأسرة الماميكونية

تعد من الأسر الكبرى في أرمنية،² ويقال أنها دافعت بقوة عن استقلال إقليم أرمنية، ووقفت بحزم ضد التوسع الساساني في البلاد، خاصة بعد محاولة هؤلاء الآخرين، إجبار الأرمن المسيحيين على اعتناق الديانة الزرادشتية، إذ يقال أن أهل أرمنية في تلك الفترة التقوا حول قائدهم وارطان ماميكونيان Vardan Mamikonian.³ وبما أن هذه العائلة كانت معادية للساسانيين فمن الطبيعي أن تتال إعجابا وتأيدا من قبل الروم، ففي سنة 34هـ/655م، عين الإمبراطور قنسطن الثاني "موشيل ماميكونيان" حاكما على إقليم أرمنية،⁴ وجاء هذا القرار كرد فعل على توقيع الزعيم الأرمني تيودور الرشتوني لمعاهدة السلام مع معاوية بن أبي سفيان سنة 33هـ/654م.

وبعد استقرار الحكم الإسلامي في أرمنية بداية من سنة 41هـ/661م، عين الخليفة معاوية بن أبي سفيان كريكور ماميكونيان حاكما على أرمنية،⁵ وبقي في منصبه، لكن أيادي الغدر قد طالته، حيث قتله الخزر سنة 65هـ/685م. غير أن المسلمين لم يعينوا بعده أحدا من أسرته لخلافته، ونتج عن ذلك تدهور علاقة هذه العائلة بالمسلمين، وإعلانها الثورة

¹ طه: سكان إقليم أرمنية، ص. 26-27؛ راجع أيضا:

LAURENT (J.) : op. cit. p. 63 ; PASDERMADJIAN (H.) : op. cit. p. 142-143.

² LAURENT (J.) : op. cit. p. 63 ; PASDERMADJIAN (H.) : op. cit. p. 142.

³ استارجيان: المرجع السابق، ص. 159؛ المدور: المرجع السابق، ص. 187-188؛ طه: سكان إقليم أرمنية، ص. 27.

⁴ غيفونديان آرام تير : أرمنية والخلافة العربية، تر. كشيشيان ألكسان، نادي الشبيبة السورية الثقافي، سوريا، 2017م، ص. 50.

⁵ GHÉVOND : op. cit. p. 14-15.

على الخلافة العباسية سنة 154هـ/771م، بإيعاز ودعم من إمبراطور الروم قسطنطين الخامس، إلا أن المسلمين تحالفوا مع عائلات أرمنية أخرى مثل البقراطونيين والأردزونيين، وتمكنوا من القضاء على تمردهم. ونتيجة لما سبق خسرت الأسرة الماميكونية جميع ممتلكاتها في مقاطعة الطارون الواقعة جنوبي-غرب أرمنية.¹

الأسرة البقراطية²

ظهر اسمها في العهد الإسلامي بتعيين مروان بن محمد "أشوط بن فاساك بقراطوني" بطريقاً على أرمنية حوالي سنة 114هـ/732م، وأدى هذا الإجراء إلى إثارة حفيظة الماميكونيين. ويذكر أن البقراطونيين تعاونوا مع المسلمين للحفاظ على أمن واستقرار إقليم أرمنية في العهد الأموي، نظراً لما تمتعوا به من مكانة اجتماعية وسط أهل أرمنية، باعتبارهم من ضمن أهم العائلات الكبرى والمرموقة في البلاد، كما أنهم وقفوا مع مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، في معاركه التي خاضها ضد العباسيين، الأمر الذي دفع بهؤلاء الآخرين إلى إبعادهم عن إدارة أرمنية.³

غير أن الأسر الحاكمة التي اعتمد عليها العباسيون فشلت في تسيير شؤون إقليم أرمنية وضبطه، مما دفع بالعباسيين إلى الاستجداء بالعائلة البقراطية.⁴ وفي هذا الصدد عين الخليفة هارون الرشيد عام 190هـ/806م "أشوط بقراطوني" حاكماً على أرمنية، تحت

¹ طه: الحياة العامة، ص. 111-112.

² للتوسع أكثر حول أصول الأسرة البقراطية وأمرائها، ارجع إلى: قسطنطين السابع بُورفيرُوجنيُتُوس: إدارة الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، 2001م، ص. 44 وما بعدها.

³ GHÉVOND : op. cit. p. 111 ; LAURENT (J.) : op. cit. p. 57 ; PASDERMADJIAN (H.) : op. cit. p. 142-143.

⁴ ومن الأهمية بمكان، الإشارة إلى أن الخلفاء العباسيون عملوا على زرع بذور الفتنة، في أوساط الأسر الأرمنية، ليتجنبوا اتحادها ضدهم. للمزيد ارجع إلى:

PASDERMADJIAN : op. cit. p. 121.

إشراف والي المنطقة المسلم، وبقي في منصبه إلى غاية وفاته سنة 211هـ/826م، واستمر أحفاده في إدارة شؤون أرمينية طوال فترة الحكم الإسلامي.¹

الأسرة الأردزرونية

يذكر أنها كانت تعد من أعرق وأكبر العائلات في أرمينية،² منحها الخليفة العباسي المنصور إدارة كورة البسفرجان سنة 136هـ/754م، بعد أن تمكنت من طرد الأسرة البقراطونية منها، وبحكم علاقتهم الوطيدة مع الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور (136هـ-158هـ/755-774م) وسعوا نفوذهم إلى القسم الجنوبي الشرقي من إقليم أرمينية، وبذلك ازداد نفوذها وتأثيرها على أهالي أرمينية، مما دفع بوالي أرمينية خازم بن خزيمة إلى التضييق على نبلائها، خشية أن تزداد قوة هذه العائلة، وتشكل خطرا على الحكم الإسلامي في المنطقة.³

الأسرة الأننزفاتسية

مقرها الرئيسي في منطقة أننزفاتسي المتواجدة جنوبي شرق بحيرة وان، برز دورها السياسي في عهد الخليفة العباسي المهدي (158-169هـ/775-786م) الذي عين "تاجات أننزفاتسي" حاكما على أرمينية، لكبح جماح نفوذ العائلة الأردزرونية، غير أن هؤلاء الأخيرين هجموا على البلاد عام 168هـ/785م، وتمكنوا من قتله.⁴

وتجدر الإشارة إلى ورود أسماء العديد من الأسر الأرمينية الأخرى، إلا أن دورها في هذه الحقبة التاريخية، كان في بعض الأحيان ثانويا، وفي كثير من الأوقات منعما.

¹ طه: سكان إقليم أرمينية، ص. 29.

² LAURENT (J.) : op. cit. p. 63 ; PASDERMADJIAN (H.) : op. cit. p. 142.

³ طه: الحياة العامة، ص. 113-114.

⁴ نفسه، ص. 115.

ويرجع بعض المؤرخين الأرمن سبب أفول نجم العديد من الأسر الأرمنية النافذة في العهد الإسلامي، إلى تأثير الجزية والخراج المرتفع المفروض عليها، مما أجبر الكثير من الأسر النبيلة، التي سحقت تحت وطأة الضرائب، على الدخول تحت لواء أسر أخرى أكثر ثراء وأقوى مكانة، أو تلك التي لها امتيازات نظرا لعلاقاتها الوطيدة مع المسلمين، ونتج عن ذلك تراكم السلطات والممتلكات في أيدي عدد قليل من العائلات النبيلة. كما ساهمت هذه التطورات والتغيرات في التقليل من تجزئة ملكية الأراضي، وكذا تشتيت السلطات الإدارية التي لطالما ميّزت النظام الإقطاعي الأرمني، وبذلك هيأت هذه الأحداث والإجراءات لميلاد قوة أرمنية جديدة، قابلة للوحدة،¹ والتي جسدتها فعليا المملكة البقرطونية سنة 271هـ/885م، بعد انحسار النفوذ الإسلامي في البلاد.

ب- الإقطاعيون

يعرفون أيضا بالنخاريين، ويرث النخار السلطة السياسية عن والده باعتباره الولد الأكبر في الأسرة النخارية، وتصنف هذه الفئة في المرتبة الثانية بعد النبلاء،² ويشكلون الإدارة المركزية للنظام الإقطاعي الأرمني، حيث نجد مع كل أمير نبيل مجموعة من النخاريين الذين يقودون ويسهرون على تنظيم جيشه، ومنه نجد أن المهنة الرئيسية لهذه الطبقة هي الحرب.³ ويقال أن الصراعات الداخلية بينهم كانت مستمرة، حتى وقت تعرض بلادهم للأخطار الخارجية، إذ كانوا يساندون الفرس أو الروم، ومن بعدهم المسلمين لتحقيق أطماعهم الشخصية.⁴ وعلى الرغم من تعاقب العديد من الملوك على أرمنية، إلا أنهم فشلوا

¹PASDERMADJIAN (H.) : op. cit. p. 143.

² LAURENT (J.) : op. cit. p. 63 ; PASDERMADJIAN (H.) : op. cit. p. 142.

³ إستانرجيان (ك. ل.): المرجع السابق، ص. 163؛ للمزيد راجع أيضا:

Grousset (René) : op. cit. p. 300 ; PASDERMADJIAN (H.) : op. cit. p. 142.

⁴ LAURENT (J.) : op. cit. p. 55.

في ترويض هذه الطبقة وإخضاعها لسلطتهم، الأمر الذي أدى إلى غياب سلطة مركزية في البلاد، وهشاشة نظام الحكم فيها.¹

ويذكر أنهم كانوا وراء إقرار معاهدة السلام الأرمينية-الإسلامية سنة 33هـ/654م.² إضافة إلى دورهم في تحريض سكان أرمينية على التمرد عن الحكم الإسلامي، في خلافة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/684-705م)، بعدما تبادر إلى أسماعهم أخبار الفتن الداخلية التي حدثت داخل البلاط الأموي، وفي هذا الصدد يقول البلاذري: "ولما كانت فتنة ابن الزبير انتقضت أرمينية وحالف أحرارها وأتباعهم".³

وأورد خليفة بن خياط في تاريخه، أن والي أرمينية محمد بن مروان، بعد قضائه على هذا التمرد سنة 84هـ/703م، جمع العديد من النخاريين في كنائسهم وبيعهم وقراهم، في مدينة النشوى وكورة البسفرجان وحرقتهم،⁴ وذكر البلاذري هذه الرواية، إلا أنه في الأخير قال خوّفهم، وليس حرقهم،⁵ والراجح هو ما ذهب إليه هذا الأخير، إذ لا يعقل أن يرتكب محمد بن مروان هذا الخطأ الجسيم مع الأسرى، داخل الأماكن المقدسة.

ويقال أيضا أن هذه الطبقة ساهمت بشكل لافت في تمرد الأرمن الذي وقع سنة 154هـ/771م، بقيادة النخار "ارتقازد المامكوني" وأخوه "ميشيل"، وأيدهم في ذلك كل النخاريين الأرمن، مما جعل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يرسل قوات خرسانية، تحت إمرة الحسن بن قحطبة الطائي، بهدف القضاء عليهم.⁶

¹ LAURENT (J.) : Op. cit. p. 101.

² إستاريجيان: المرجع السابق، ص. 163؛ للمزيد راجع أيضا: Grousset (René) : op. cit. p. 300 ; PASDERMADJIAN (H.) : op. cit. p. 142.

³ المصدر السابق، ص. 289.

⁴ ص. 290.

⁵ المصدر السابق، ص. 289.

⁶ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 480؛ طه: سكان إقليم أرمينية، ص. 33.

ج- الأحرار

تعد هذه الطبقة من أتباع النخرار، إذ يشكلون جيشاً صغيراً، يسهر على حمايته.¹ ويذكر أنهم استولوا على معظم أراضي الإقليم، فكل واحد منهم امتلك ضيعة خاصة به.² باستثناء ممتلكات الكنيسة من الأراضي، وتتكون هذه الفئة من كل السكان الأرمن، ما عدا رجال الدين وطبقة الحرفيين، مثل التجار والصناع وعمال المناجم، وأهل بعض الصناعات الريفية.³

د- الفلاحين

يقال أن هذه الطبقة شملت معظم سكان إقليم أرمينية،⁴ وتشكلت من المزارعين الذين يعملون في الأراضي التابعة لرجال الكنيسة أو الإقطاع، وهؤلاء الأخيرين يمتلكون الأراضي الوراثة.⁵ ويذكر أن هذه الفئة كانت تبذل مجهودات مضيئة لمضاعفة الإنتاج الفلاحي، في ظل الازدهار التجاري الذي أدى إلى كثرة الطلب على المنتجات الأرمينية.⁶ لذلك يمكن القول أن طبقة الفلاحين صارت شبيهة إلى حد بعيد بطبقة الأقبان.⁷

¹ GROUSSET: op. cit. p. 300.

² PASDERMADJIAN (H.) : op. cit. p. 142.

³ طه: سكان إقليم أرمينية، ص. 33-34؛ غيفونديان: المرجع السابق، ص. 75 وما بعدها؛ أنظر أيضاً:

LAURENT (J.) : op. cit. p. 57 ; PASDERMADJIAN (H.) : op. cit. p. 142-143.

⁴ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 299.

⁵ غيفونديان: المرجع السابق، ص. 75 وما بعدها؛ راجع أيضاً:

LAURENT (J.) : op. cit. p. 60 ; PASDERMADJIAN (H.) : op. cit. p. 142.

⁶ PASDERMADJIAN (H.) : op. cit. p. 140.

⁷ Ibid, p. 141.

ويذكر المؤرخ الأرمني باسديرماجيان PASDERMADJIAN أنه مع النقص المسجل في عدد المنخرطين في الجيش اضطر النخاريون إلى تجنيد الفلاحين، مشكلين بذلك نوعاً من الميليشيات، التي يمارسون عليها حق الحياة والموت.¹

ج- العبيد

سخرت هذه الفئة لخدمة الطبقات السابقة الذكر، من جميع النواحي، ولاسيما في الميدان الزراعي،² لأن هذا النشاط يحتاج إلى أعداد هائلة من العمال، قصد زيادة الإنتاج.

ومن الأمور التي يمكن استخلاصها من هذا الفصل:

أولاً : تدعّمت الأنظمة الإدارية المحلية الأرمينية في فترة الحكم الإسلامي، بنظام جديد سار جنباً إلى جنب مع التنظيمات الإدارية السالفة، إذ تعتبر هذه المنطقة الإقليم الوحيد في الخلافة الإسلامية الذي احتفظ بإدارة ثنائية، تتكون من الوالي المسلم الحاكم العام لأرمينية، ومعه الأمراء والملوك المرتبطين به مباشرة، ويمثلون الإدارة المحلية والفعالية في البلاد.

ثانياً : مهّد استقرار القبائل العربية في إقليم أرمينية لبداية مرحلة جديدة للاحتكاك الإسلامي-الأرمني، إذ كان لهذه القبائل دوراً فعالاً في حماية أرمينية من سيطرة الروم طيلة قرنين من الزمن. إضافة إلى تعاونهم مع الأرمن لصدّ هجمات الخزر، وتحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة.

ثالثاً : مثّل المجال الجغرافي لإقليم أرمينية في العهد الإسلامي، موطناً للعديد من الأقليات العرقية مثل الأكراد والفرس واليهود. وهذا دليل واضح على أن الحكم الإسلامي للمنطقة أنشأ بيئة اجتماعية مناسبة للناس كافة، لا سيما إذا علمنا أن المسلمين عرفوا بالتسامح الديني، عكس سابقيهم من الفرس والروم الذين مارسوا الاضطهاد الديني على سكان المنطقة.

¹ Ibid, p. 142.

² Ibid, p. 143.

رابعاً : احتفظ التنظيم الاجتماعي لإقليم أرمينية منذ القدم باستقرار ملحوظ، فالنظام الذي كان سائداً في عهد الفرس والروم، استمر إبان العهد الإسلامي.

الفصل الثالث: التنظيم الإداري في أرمينية الإسلامية

1- أقسام أرمينية إبان الحكم الإسلامي

أ- أرمينية الأولى: بلاد أَران

- مدينة باب الأبواب - مدينة البيلقان - مدينة شروان - مدينة الشابران - مدينة قبله -
مدينة باجروان - مدينة برذعة - مدينة جنزة - مدينة بَرَزْنَج - مدينة شَكِّي - مدينة شمكور
- مدينة مسقط - مدينة كَسَال - مدينة كركر - مدينة شماخي - مدينة بَاكُوَه - مدينة
الْقَمِيرَان - مدينة أُوذ

ب- أرمينية الثانية: بلاد الكرج

- مدينة تفليس - مدينة بَرَزَنْد - مدينة خان - قلعة الجَرْدَمَان - مدينة صُغْدُبِيل

ج- أرمينية الثالثة: السيسجان والبسفرجان

- مدينة دُبِيل - مدينة أردشاط - مدينة النشوى - مدينة بركري - مدينة سِرَاج طَيْر - مدينة
وان - مدينة مَكْس - مدينة بَغْرُونْد

د- أرمينية الرابعة: مقاطعة الطارون

- مدينة خِلَاط - مدينة قاليقلا - مدينة شِمَشَاط - مدينة ملاذكرد - مدينة أَرَجِيش - مدينة
بَذَلِيس - مدينة بَاجُنَيس - مدينة أَرَزَن الروم - مدينة مَيَّافَارِقِين

2- الدواوين والمؤسسات الإدارية الإسلامية

أ- ديوان بيت المال

ب- ديوان الخراج

ج- ديوان البريد

د- ديوان الجند

هـ- نظام القضاء

و- نظام الحجابة

يتناول هذا الفصل عنصرين أساسيين، الأول: أقسام إقليم أرمينية في ظلّ الحكم الإسلامي، حيث تشير العديد من كتب الجغرافيا والرحالة المسلمين، إلى وجود أربعة أجزاء متميزة، ضمّ كلّ منها الكثير من المدن المعروفة على المستويين المحلي والخارجي. وعلاوة على ذلك فقد تطرق الفصل إلى الاختلاف الموجود بين الجغرافيين حول هذه التقسيمات ومسمّياتها والمدن التابعة لها، ومما لاشك فيه أن هذا التباين كان نتيجة حتمية لتباعد فترات تدوين هذه الأحداث من مصدر إلى آخر، لذلك أولى الفصل أهمية بالغة للكتب التي دوّنت في فترة موضوع الدراسة أو القريبة منها، بهدف تمحيص المادة التاريخية، للوصول إلى التقسيم الإداري والمدن التي جدّد بناءها المسلمون في فترة حكمهم.

أما العنصر الثاني فيتعرض إلى طبيعة المؤسسات الإدارية الإسلامية الموجودة في المنطقة خلال الفترة المذكورة، إذ تطلّب التواجد الإسلامي في الإقليم إقامة دواوين إسلامية، يشرف عليها المسلمون لتنظيم شؤونهم في مجالات الحياة المتعددة مثل: البريد، القضاء، الجيش، وغيرها من الميادين ذات الأهمية البالغة في حياة سكان الإقليم. ومن هذا المنطلق حاول الفصل البحث عن إجابات صحيحة للتساؤلات التالية: كيف كان التقسيم الإداري لإقليم أرمينية في العهد الإسلامي؟ وما هي أبرز الدواوين التي أقامها المسلمون في المنطقة؟ وإلى أي مدى ساهمت هذه الأخيرة في تنظيم الشؤون الإدارية لسكان أرمينية.

1- أقسام أرمينية إبان الحكم الإسلامي¹

هناك تباين كبير في تحديد أقسام إقليم أرمينية، إذ يذكر أنها ضمّت أربعة أقسام²: أرمينية الأولى: أبرز مدنها أران والسيسجان وبرذعة والبيلقان وقبلة وشروان وتغليس، أرمينية الثانية: وتشمل جُزران، صُغدبيل، باب فيروز، قُبَاد، اللّكز، أرمينية الثالثة: أهم مدنها: ديبيل، البُسْفُرجان، نَشَوَى، سراج طَيْر، بَغْرُونْد، أرمينية الرابعة: ومن مدنها قاليقلا، شمشاط،

¹ أنظر خريطة أقسام أرمينية الأربعة، الملحق الخامس عشر، ص. 365.

² البلاذري: المصدر السابق، ص122؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج1، ص160.

خِلاط، أَرْجِيش، بَاجُنَيْس.¹ وأضاف الجغرافيون الذين جاءوا بعد جغرافيين القرن الرابع الهجري أسماء المدن الجديدة التي أنشأها المسلمون بعد الفتح، وهو ما يفسر لنا الاختلاف الموجود بينهم وبين من سبقهم.²

بيد أن اليعقوبي ينفرد في كتابه "البلدان" بتقسيمه لأرمينية إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول يضم خلاط وقاليقلا وما بينهما، والقسم الثاني تغليس ونواحيها، أما القسم الثالث فيشتمل على برذعة والبيلقان ومدينة الباب.³ ورغم ذلك فإنه أورد في تاريخه أن أَرَّان وجُرَّزان والبسُفَرَّجان والسيسجان كانت تسمى أرمينية الرابعة.⁴ ويضيف اليعقوبي أنه ألف كتابا في أخبار بلاد الروم ورجالها ومدنها وحصونها وموانئها وجبالها وشعابها وأوديتها وبحيراتها ومواقع الغارات عليها، ولو وصلنا لمكنا من تغطية العديد من الثغرات حول هذه التقسيمات، خاصة وأنه عاش في أرمينية لمدة طويلة، وثبت أنه كان فيها عام 260هـ/873م.⁵

واقتبس المسلمون هذا التنظيم الإداري المحلي عن إمبراطور الروم جستنيان الأول (527-567م) الذي أعاد تقسيم أرمينية الغربية سنة (536م)، لحمايتها من هجمات الساسانيين، فقسمت أرمينية آنذاك إلى أربع أرمينيات، الأولى تقع في الشمال الشرقي وتضم إقليم تيودوسيوبوليس وتطل على بحر بنطس، والثانية في الشمال الغربي وتشمل ملطية، والثالثة قبادوقية في الجنوب الغربي، والرابعة ميافارقين تقع في الجنوب الشرقي.⁶ ويذكر

¹ البلاذري، المصدر السابق، ص272-273؛ ابن خردادبه، المصدر السابق، ص122؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج1، ص160.

² خطاب: المرجع السابق، ص22.

³ اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت. 292هـ/904م)): البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د-ت)، ص208.

⁴ اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت. 292هـ/904م)): تاريخ اليعقوبي، تج. عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، 1431هـ/2010م، مج1، ص223.

⁵ اليعقوبي: البلدان، ص5.

⁶ إسكندر: بلاد الكرج بين المسلمين والبيزنطيين، الحاشية رقم 8، ص9.

للمزيد من التفاصيل أنظر:

Saint-Martin (M. J.) : Mémoires historique et géographiques sur L'Arménie, l'imprimerie royale, Paris, 1818, T.1, p.17 et swiv.

البعض أن أرمينية قبل الفتح كانت مكونة من خمسة عشر إقطاعية تخضع جميعها للملك الأرمني في تسيير أمورها العامة، ولكل منها ميزانيتها الخاصة، وجيشها، وإدارتها تحت قيادة أمير إقطاعي، وكان واجبا على كل إقطاعية أن تقدم إلى الملك مبلغا معيناً من المال وعددا من الجنود في حالة اندلاع الحروب.¹

ويقسمه أيضا بعض الجغرافيين والرحالة المسلمين إلى مجموعة من الكُور،² وهذا اللفظ يقابل في مدلوله مصطلح المقاطعات لدى الروم.³ وكل كورة كانت تضم مجموعة من المدن وقصبة، وفي هذا الصدد يورد ابن رسته في كتابه "الأعلاق النفيسة" ما نصه: "كور أرمينية أرّان، وجُرْزان ونَشوى وخِلاط ودُبيل وسِراج، وصُغْدِيل وباجُنيس وأزْجيش، وسيسْجان ومدينة الباب"⁴ وفي موضع آخر أضاف كورتان: برذعة وأرْزَن.⁵ وجاء في "معجم" الجغرافي البكري أن "أرّان بلد مذكور في رسم السيسْجان"⁶ وبذلك فهو يتناقض مع ما ذكره ابن رسته.

بيد أن العديد من المصادر والمراجع المتعلقة بالحقبة الزمنية المذكورة، تشير إلى وجود أربعة أقسام وهي: أرمينية الأولى والثانية والثالثة والرابعة، وتقع على الترتيب في الشمال الشرقي ثم الشمال الغربي ثم في الجنوب الشرقي والرابعة تقع في الجنوب الغربي لمجموع إقليم أرمينية.⁷ وفيما يلي وصف لهذه الأقسام ومدنها، كما ذكرت في الأثر، طوال الحقبة قيد البحث.

1 اسكندر: المسلمون والبيزنطيون والأرمن، ص29.

2 الكُور: مفرها كُورَة وهي "كل صُنْع يشتمل على عدّة قرى، ولا بد لتلك القرى من قَصَبَة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها ذلك اسم الكورة". الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 36-37.

3 الجدير بالذكر أن أرمينية الكبرى قسمت إلى أربع مقاطعات في عهد الإمبراطور الرومي جستنيان. LAURENT, op. cit. p. 40.

4 ابن رسته أبي علي محمد بن عمر: كتاب الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، 1891م، مج. 7، ص. 106.

5 نفسه، ص. 98.

6 ج. 1، ص. 134.

7 اسكندر: بلاد الكرج، ص. 14.

أ- أرمينية الأولى: بلاد أَرَّان

يقال أن اسم أَرَّان أعجمي، وهي ولاية أرمينية واسعة وكثيرة المدن، يفصلها عن أذربيجان نهر الرس، فكل ما جاوره من ناحية المغرب والشمال، فهو تابع لكورة أَرَّان، وما كان من جهة المشرق فيدخل ضمن حدود أذربيجان.¹ وقدم الإصطخري تحديدا دقيقا لكورة أَرَّان، حين ذكر بأن حدودها الشمالية تصل إلى مدينة باب الأبواب، مروراً بمدينة تفليس غرباً، وإلى الجنوب نجد نهر الرس، ومكان يسمى بحجيران.² كما أن الجغرافيين المسلمين صنفوها إدارياً ضمن قسم أرمينية الأولى.³

وبفضل عبور نهري الكر والرس على كورة أَرَّان، فإن تربتها فيضية وخصبة، صالحة لأنواع عديدة من الزراعة. وحتى صحراء البلاسجان⁴ المعروفة بجودة تربتها، يقال أنها كانت تضم أكثر من خمسة آلاف قرية،⁵ مما يدل على انتعاش النشاطات الاقتصادية فيها، إلا أنها صارت في عهد الرحالة أبي دلف (عاش في القرن 4هـ/10م) خراباً، مع بقاء حيطانها وأبنيتها قائمة.⁶

وكانت هذه الكورة مصدر إزعاج بالنسبة للساسانيين، نظراً لسيطرة الخزر عليها، واتخاذها قاعدة خلفية لتنفيذ غاراتهم، حتى بلغت أحياناً الدينور،⁷ مما دفع بالملك قُباد بن فيروز إلى اجتياح بلاد أَرَّان بجيش قوامه اثنا عشر ألف جندي، تمكن بفضل من إخضاع

1 الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 136.

2 المصدر السابق، ص. 190.

3 البلاذري، المصدر السابق، ص 272-273؛ ابن خردادبه، المصدر السابق، ص 122؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 1، ص 160.

4 تطل على بحر الخزر، ويمر عليها نهر الرس. أبو دلف: الرسالة الثانية لأبي دلف رحالة القرن العاشر، تح. بولغاكوف بطرس وخالدوف أنيس، عالم الكتب، القاهرة، 1970م، ص. 49.

5 نفسه.

6 "يقال إن تلك القرى كانت لأصحاب الرس الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن ويقال إنهم رهط جالوت قتلهم داود وسليمان عليهما السلام لما منعوا الخراج وقتل جالوت بأرمية". نفسه، ص. 49-50.

7 تتواجد ضمن الإطار الجغرافي لدولة إيران الحالية. وصفها الرحالة اليعقوبي بقوله: "مدينة جليلة القدر وأهلها أخلاط من الناس من العرب والعجم افتتحت أيام عمر. وهي التي تسمى: ماه الكوفة، لأن مالها كان يحمل في أعطيات أهل الكوفة ولها عدة أقاليم ورساتيق". اليعقوبي: البلدان، ص. 76.

المنطقة الممتدة من نهر الرّسّ جنوباً إلى مدينة شروان شمالاً.¹ ولتأمين المنطقة وضمان بقائها تحت حكم الساسانيين، شيد قباز عدة مدن فيها، ومنها: البيلقان، بردعة، قبله، وأضاف إليها تحصينات عسكرية بالغة الأهمية، تمثلت في سدّ اللبن المتواجد بين شروان وباب اللّان. وملك الساسانيين بعده ابنه كسرى أنوشروان فبنى بأرّان مدن: الشّابّران، مسقط، باب الأبواب، وأبواب شكى والقَمِيران، وأبواب الدُّودَانِيَّة² والدُّرْدُوقِيَّة³. ويقول الأنصاري أن قباز وابنه "بنيا في سهل أرّان ما يزيد على ثلاثين مدينة".⁴ إلا أنه تجنب ذكر أسمائها.

وأورد البلاذري قائمة لمدن أرمينية تابعة لكورة أرّان، وضمت: شروان، بردعة، البيلقان، قبله، شكى، الشّابّران، مسقط، باب الأبواب،⁵ وأضاف الإصطخري والقزويني لها مدينتي تغليس، وجنزة،⁶ وزاد المقدسي عدة مدن، منها: ملازكرد، القلعة، خان، شمكور، برديج، الشماخية، باكوه، الأبخان، تبلا.⁷ ويبدو أن أهمية المدن المضافة برزت بعد الفتح الإسلامي لأرمينية، وبعضها زال دورها وخربت بعد تأسيس مدينة باب الأبواب،⁸ ذات الموقع الإستراتيجي والمجاورة للخزر أعداء المسلمين.

بيد أن الرحالة المسلمون لم يوردوا معلومات دقيقة حول أقسام أرمينية والمدن التابعة لها، إذ نجد أن الإصطخري ذكر مدينة تغليس ضمن كورة أرّان،⁹ بينما أورد الحموي أنها "قصة ناحية جُرزان" كما أضاف هذا الأخير أن مدينة بردعة تقع في أقصى أذربيجان.¹⁰ وربما يرجع هذا الاختلاف إلى اتساع حدود بعض المدن أو تقلصها الناتج عن الفتح

1 البلاذري: المصدر السابق، ص. 273.

2 "هم أمة يزعمون أنهم من بني دودان بن أسد بن خزيمة. نفسه، ص. 274.

3 نفسه، ص. 273-274.

4 الأنصاري (شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب الدمشقي (ت. 1327/727م)): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الامبراطورية، بطربرغ، 1281/1865م. ص. 189.

5 المصدر السابق، ص. 273-274.

6 الإصطخري: المصدر السابق، ص. 187؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 493.

7 المصدر السابق، ص. 314.

8 البلاذري: المصدر السابق، ص. 273.

9 المصدر السابق، ص. 187.

10 الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 379؛ مج. 2، ص. 35.

الإسلامي لها، كما ساهمت الأحداث السياسية أيضا في تغيير حدود الكور والمدن. وعلى أية حال فإنه من الثابت أن أبرز مدن بلاد أَران طوال فترة الحكم الإسلامي لأرمينية هي:

- مدينة باب الأبواب

تعرف أيضا بـ"دربند" وتقع في أقصى شمالي شرق أرمينية، وتطل على بحر الخزر. بناها كسرى أنوشروان، إذ كان الأكاسرة شديدي الاهتمام بهذا الموضع، لعظم خطره،¹ نظرا لكونه المنفذ الرئيسي الرابط بين إقليم أرمينية من جهة، والأقاليم الواقعة خلف مرتفعات القوقاز والتي يقطنها الخزر واللان من جهة ثانية. لذلك عمل الساسانيون على منع مرور هؤلاء الأخيرين من هذا الطريق، وصدوا هجماتهم، ببناء الحواجز والقلاع على طول هذا الممر، ففي عهد يزدجرد بن بهرام (399-421م) شيد حائطا باللبن² والطين في هذه المنطقة، وبعده بنى قباذ (488-531م) سدّ اللبن وبنا عليه ثلاثمائة وستين مدينة.³

وبالرغم من الأموال الطائلة التي صرفت في تشييد هذه التحصينات، والجهود المضنية المبذولة من أجل صمود المنطقة أمام عنصر الخزر، إلا أنها لم تفلح كلية في الحد من هجماتهم، بسبب هشاشة البناء المكوّن من اللبن والطين، إذ يمكن ثلمه بسهولة أثناء الغارات الخاطفة. لذلك اهتدى كسرى أنوشروان إلى بناء حائط وسدّه بالصّخر والرّصاص، وقدر عرضه بنحو ثلاثمائة ذراع،⁴ ويمتد من جبال القوقاز إلى غاية بحر الخزر، ويتواصل امتداده حوالي ثلاثة أميال⁵ في البحر،¹ أملا في حماية المدينة من أي هجوم بحري أو بري.

¹ القزويني: المصدر السابق، ص. 507.

² طوب يتكون من مزيج من التربة والطين وغيرهما من المواد.

³ ابن الفقيه، المصدر السابق، ص. 584.

⁴ هناك عدد كبير من الأذرع في الإسلام، غير أن نقطة الانطلاق لجميع الحسابات هي ذراع مقياس النيل القديم في جزيرة الروضة، والذي يعود إلى عام 246هـ/861م، ويبلغ معدل طول هذه الذراع 54.04 سم بالضبط، وهي ما يسمى بالذراع السوداء العباسية. هنس فالتر: المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، تر. العسيلي كامل، منشورات الجامعة الأردنية، عمان-الأردن، 1970م، ص. 83.

⁵ الميل يساوي حوالي 2 كلم، ويقدره البعض بـ 1.609 كلم، والبعض الآخر بـ 1.852 كلم. يستخدم حاليا في البحر كوحدة لقياس المسافات. هنس: المرجع السابق، ص. 95.

وأشار البلاذري إلى الطريقة التي بني بها السد، حيث ذكر أنّ أنوشروان أمر بنقل الحجارة في السفن، ورميها في البحر حتى إذا ظهرت فوق سطح البحر بنا عليها السد.² ولمّا فرغ من بنائه أقام على مدخله أبواباً حديدية، ووُكِّل مائة فارس بحراسته، بعدما كان موقعه يحتاج إلى نحو خمسين ألفاً من الجند قبل بناء السد.³ وهكذا تمكن الساسانيون من تأمين حدودهم الشمالية، والتخلص من غارات الجيوش الخزرية التي استحال عليها العبور في ظل التطورات السابقة الذكر.

وأضاف أنوشروان إلى المدينة مرساً متميزاً للسفن، متواجد في وسطها، بني بين مرتفعين مطلين على بحر الخزر، ويضم سداً فيه باباً مغلقاً على الماء، وفي المعبر الذي تمرّ عليه السفن سلسلة ممدودة، عليها قُفل، إذ لا يدخل أي مركب أو يخرج إلا بأمر صاحب القفل.⁴ وكان الهدف من حماية هذا المرسى هو ضمان أمن المدينة، وتنظيم مرور السفن التجارية المارة فيه، لاسيما إذا علمنا أنها مجاورة لإقليم جرجان وطبرستان والديلم، وغيرها من الأقاليم، ومشهورة بثياب الكتان الذي ذاع صيته في المنطقة.⁵ وذكر المسعودي أن سد باب الأبواب لا يزال "باقٍ إلى وقتنا هذا، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة".⁶

ويذكر أن حذيفة بن اليمان غزا مدينة الباب عام 30هـ، وفيها تبين له اختلاف أهل الأمصار في قراءة القرآن، فسار إلى الخليفة عثمان بن عفان وأخبره، فجمع الخليفة

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 276.

² أورد المسعودي رواية أخرى عن طريقة بناء هذا السد، حيث قال: "فبنى السور في البحر على أزقاق البقر المنفوخة بالصخر والحديد والرصاص، فكلما ارتفع البناء نزلت تلك الأزقاق إلى أن استقرت في قَرَار البحر، وقد ارتفع السور على الماء، وغاصت الرجال حينئذ بالخناجر والسكاكين إلى تلك الأزقاق فشققوها، وتمكن السور على وجه الماء في قرار البحر". مروج الذهب: ج. 1، ص. 201. غير أن هذه الرواية بعيدة عن الصواب، وهي أقرب إلى الخيال، فكيف يمكن لأزقاق البقر المنفوخة أن تكون أساساً للسد في البحر؟ وتدحضها رواية البلاذري المتناسبة مع العقل، لأنها تجعل الحجارة أساساً لبناء السد في الماء، وهو أمر بديهي معمول به حتى وقتنا هذا.

³ المصدر السابق، ص. 276.

⁴ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 291.

⁵ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 184.

⁶ مروج الذهب، ج. 1، ص. 201.

الصحابة، وقام بنسخ الصحف التي كتبت أيام الخليفة عمر بن الخطاب، وبعث إلى كل ولاية إسلامية مصحفا يعتمد عليه.¹

وشيدت بمدينة باب الأبواب حصون عديدة منها: باب اللان، باب صول، باب الشابران، باب لازقة، باب بارقة، باب صاحب السرير، باب سمسجن، باب فيلان شاه، باب إيرانشاه، باب طبرسران شاه، باب طارونان، وغيرها من الأبواب.² ومما لا شك فيه أن هذه التحصينات تحتاج للترميم من حين لآخر بهدف المحافظة عليها، وفي هذا الصدد يذكر أن والي أرمينية مسلمة بن عبد الملك أمر بإعادة بناء هذا السدّ وتحصينه، عقب انتصاره على خاقان الخزر سنة 112هـ/731م.³

واعتبرت مدينة باب الأبواب مركزا إداريا مهما بالنسبة للمسلمين، إذ كان بها دار الإمارة، يقيم فيه الأمير لتسيير شؤون مدينته. ومن الثوابت الأثرية على أهمية هذه المدينة، ضرب النقود الإسلامية فيها، منذ سنة 115هـ/734م في أيام ولاية مسلمة بن عبد الملك.⁴

- مدينة البيلقان

تعرف في المصادر الأرمينية باسم فيداكران Phaidagaran⁵ ويشير المقدسي إلى صغر مساحتها، وجواد أهلها.⁶ وهي مجاورة لمدينتي باب الأبواب وبرذعة، وتتواجد في المنطقة السهلية الخصبة المنحصرة بين نهري الكر والرس، قبل التقائهما في المصب الرئيسي المتجه إلى بحر الخزر.⁷ قيل أن أول من أنشأها قباز ملك الساسانيين، لصد

¹ ابن خلدون: المصدر السابق، مج. 2، ص. 557.

² ابن الفقيه، المصدر السابق، ص. 586.

³ مؤلف مجهول: العيون والحدائق في معرفة الحقائق، مكتبة المتنبي، بغداد، (د/ت)، ج. 3، ص. 90.

⁴ المصدر السابق، ص. 151.

⁵ كي لسترنج: المرجع السابق، ص. 212.

⁶ مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص. 315.

⁷ ابن رسته: المصدر السابق، ص. 89.

هجمات الخزر، وهناك رواية أخرى تذكر أن أول من استحدثها، هو بيلقان بن أرمني بن لُطَي بن يونان.¹ وهي معروفة بحصانتها وبنائاتها المشيدة.²

ونظرا لخصوبة تربتها، ووقوعها بين نهري غزيرين، فقد شملت أنواع متنوعة من المحاصيل الزراعية. ويذكر أن والي أرمينية عدي بن عدي بن عميرة الكندي، حفر نهرا في هذه المنطقة التي "كان يصيب أهلها العطش"³ قبله فأخذ هذا النهر اسمه،⁴ يضاف إليه نهر الحسن الذي حفره والي أرمينية الحسن بن قحطبة الطائي.⁵ ومن أبرز منتجاتها الزراعية نجد: القطن والحنطة والحبوب المختلفة، وغيرها من المزروعات الأخرى.⁶

- مدينة شَرَوَان

مجاورة لمدينة باب الأبواب، بناها كسرى أنوشروان فعرفت باسمه، ثم خُفِّت مع مرور الأيام، بإسقاط الشطر الأول من اسمه.⁷ ويقال أن قصة النبي موسى عليه السلام مع الخضر كانت فيها، قال الله تعالى: "قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ"⁸ فالصخرة التي نسي عندها موسى عليه السلام الحوت موجودة في مدينة شروان، والمقصود بالبحر بحر الخزر.⁹

¹ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 533.

² Mustawfi Hamd-Allah : The geographical part of the Nuzhat-al-Qulub, tran. Le Strange (G.), Brill, Leyden, 1919, p. 92.

³ ابن الأعمم أبي محمد أحمد الكوفي: كتاب الفتوح، تح. شيري علي، دار الأضواء، ط. 1، بيروت-لبنان، 1991م، ج. 7، ص. 212.

⁴ البلاذري، المصدر السابق، ص. 289؛ ابن الأعمم: المصدر السابق، ج. 7، ص. 212.

⁵ البلاذري، المصدر السابق، ص. 295.

⁶ Mustawfi (H.): op. cit. p. 92.

⁷ القزويني: المصدر السابق، ص. 600؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 339.

⁸ سورة الكهف: الآية: 63.

⁹ ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص. 124؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 584؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 600؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 339؛ للمزيد راجع أيضا:

MUSTAWFI (H.) : op. cit. p. 92.

تمتد مساحتها من ضفة نهر الكر جنوباً إلى مدينة باب الأبواب شمالاً،¹ وأشار الرحالة المقدسي إلى مساحتها الشاسعة وأرضها السهلية الخصبة، ومسجدها الجامع المتواجد بين أسواقها، مما يدل على استقرار القبائل العربية فيها. إضافة إلى اعتماد سكانها على الحجارة في بناء بيوتهم، كما أفاد أيضاً بوجود نهر يخترقها،² إلا أنه تجنب ذكر اسمه. ويبدو أن هذا النهر استعمل للسقي والزراعة التي ازدهرت بفعل توفر العوامل الطبيعية الملائمة في المنطقة. وذكر المستوفي أن جبايتها وصلت إلى نحو مليون دينار سنوياً،³ مما يدل على الرخاء الاقتصادي الذي عرفته المدينة. وقيل أيضاً أن مدينة شَمَاخي كانت قسبة لولاية شروان،⁴ وذكر الحموي أن هذه الأخيرة كان حاكمها يدعى شروانشاه.⁵

- مدينة الشابران

تتواجد بالقرب من مدينة باب الأبواب، وتبعد عن شروان بحوالي ثلاثة أيام،⁶ أي نحو عشرين فرسخاً،⁷ بناها وحصنها كسرى أنوشروان،⁸ لتأمين حدود بلاده من الأعداء المتربّسين بها. غير أن رحالة القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي المقدسي ذكر بأنها

¹ MUSTAWFI (H.) : op. cit. p. 93.

² المصدر السابق، ص. 315.

³ MUSTAWFI (H.) : op. cit. p. 93.

⁴ جعل "لسترنج" من مدينة شروان إقليماً، وذكر بأن قصبته الشماخية، وتعرف اليوم باسم شماخي أو شماخي. الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 339؛ لسترنج: المرجع السابق، ص. 214.

⁵ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 361.

⁶ مسافة تقدر بنحو 90 إلى 120 كلم.

⁷ الفرسخ يتألف من ثلاثة أميال، أي أن طول الفرسخ قدر بحوالي 6 كلم. الحموي (ي.): المصدر السابق، مج. 3، ص. 303؛ ابن عبد الحق (ص.): المصدر السابق، ج. 2، ص. 770؛ هنس: المرجع السابق، ص. 94.

⁸ البلاذري: المصدر السابق، ص. 273؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 584؛ الحموي (ي.): المصدر السابق، مج. 3، ص. 303؛ راجع أيضاً:

MUSTAWFI (H.) : op. cit. p. 93.

تفتقد إلى تحصينات عسكرية،¹ إذ ربما تكون قد انهارت بفعل العوامل الطبيعية مع مرور الزمن، كما أن الولاة المسلمين لم يفكروا في إعادة تحصينها من جديد، احتراماً منهم لكتب الصلح التي أبرمت مع حكامها، ولأن الغلبة فيها للنصارى الأرمن، على حد قول المقدسي،² وهي إشارة منه إلى وجود قبائل عربية استوطنت مدينة الشابران. وأضاف الحموي أن المدينة السابقة الذكر فيها منبر،³ يعني مسجد، ما يعزز فرضية استقرار العديد من القبائل العربية فيها.

وتصنف هذه المدينة عند الجغرافيين المسلمين على قائمة المدن الأرمينية الصغيرة اللطيفة، الخصبة والواسعة المرافق،⁴ مما يدل على وفرة إنتاجها الزراعي، وانتعاش الحركة الاقتصادية فيها، وأفاد المستوفي بأن منتجاتها الفلاحية تتركز على الحبوب بمختلف أنواعها، ولا سيما الحنطة،⁵ بسبب توفر العوامل الطبيعية المساعدة على نموها.

- مدينة قبلية

مدينة عريقة قريبة من باب الأبواب، أنشأها الملك الساساني قباذ أب كسرى أنوشروان،⁶ في إطار مشروعه الواسع الرامي إلى حماية حدود بلاده من غارات الخزر، تتميز بصغر حجمها، وخصوبة أراضيها، وكثرة مرافقها،⁷ المتمثلة في الفنادق والحمامات والخانات. فبالرغم من ضيق مساحة هذه المدينة إلا أنها عرفت ازدهار اقتصادياً، بسبب وفرة منتجاتها الزراعية، لاسيما الحنطة والحبوب الأخرى على اختلاف أنواعها، إضافة إلى اهتمام الفلاحين في المدينة، بتربية دودة القز المنتجة للحير، مما جعلها تشتهر بإنتاجه

¹ المصدر السابق، ص. 315.

² نفسه.

³ المصدر السابق، مج. 3، ص. 361.

⁴ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 187-188؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 294؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 361.

⁵ MUSTAWFI (H.): op. cit. p. 93-94.

⁶ الحموي: المصدر السابق، مج. 4، ص. 307.

⁷ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 187-188؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 294.

محليا وخارجيا،¹ وعرفت المنطقة أيضا بدباغة الجلود، حتى ذاع صيت نوع معين من فراء الحيوانات، سمي القندس، ونظرا لجودته وندرته، فقد تميّز بثمنه الباهض.²

ووصفها المقدسي في قوله: "حصينة النهر خارج البلد والجامع ناء على تل"³ وهي إشارة تدل على تمركز القوات الإسلامية فيها، واتخاذها قاعدة عسكرية خلفية، لمجابهة غارات الخزر، كما أن وجود الجامع يعني بالضرورة استقرار العديد من القبائل العربية فيها. ولم يكن اختيار موضعها البعيد عن نهر الكر، والمتواجد على تل، محض الصدفة، فبفضل هذا الموقع تمكن أهل المدينة من التخلص من هجمات الخزر البحرية، يضاف إليه وقوعها على مرتفع ملائم لتشييد التحصينات العسكرية.

- مدينة باجروان

يذكر الحموي أنها مجاورة لمدينة باب الأبواب، وقريبة من شروان.⁴ ويقال أنها القرية التي استطعما أهلها، في قصة موسى عليه السلام مع الخضر.⁵ ولم يقدم المؤرخون أي تفاصيل أخرى حولها في فترة تبعيتها للحكم الإسلامي.

- مدينة برذعة

تعد من أكبر المدن الأرمينية، إذ تقدر مساحتها بنحو فرسخا في فرسخ.⁶ وتبعد عن نهر الكر بحوالي فرسخين، ولها نهر يتخللها، يستعمله أهلها في الشرب وسقي زروعهم.⁷ بعد سيطرة الملك الساساني قباد على المدينة، أعاد بناءها، والراجح أن التعمير شمل الأبراج

¹ Mustawfi. op. cit. p. 94.

² MINORSKY (V.) : op. cit. p. 144.

³ المصدر السابق، ص. 315.

⁴ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 313.

⁵ ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص. 124؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 600؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 339.

⁶ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 290.

⁷ المقدسي: المصدر السابق، ص. 315؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 380.

والقلاع والطرق والأسوار وقنوات المياه، لتوفير الجو الملائم لاستقرار الجيش الساساني، ليتمكن هذا الأخير من الصمود أمام الهجمات المتكررة للخزر والروم. وبقيت أسوار هذه المدينة صامدة حتى أيام الفتح الإسلامي،¹ إذ أورد الحموي أن سلمان بن ربيعة الباهلي قاد حملة لفتح مدينة بردعة، في عهد الخليفة عثمان بن عفان "فأغلق أهلها دونه أبوابها".²

وكانت دار الإمارة وقصبة أُران في العهد الإسلامي،³ إذ يصفها ابن حوقل بأَمَّ كورة أُران "وعين تلك الديار"⁴ ويعتبرها المقدسي بغداد إقليم أرمينية.⁵ وإبان فترة الحكم الأموي شيد المسلمون بها مسجدا جامعاً فيه بيت مالهم، اقتداء ببيوت أموال الشام الموجودة في مساجدها، وأفاد الاصطخري بأنه "بيت مال مرصص السطح وعليه باب حديد، وهو على تسعة أساطين"⁶ ويبدو مما سبق أن بيت المال بأرمينية كان يتعرض للاعتداء في فترات معينة، وهذا ما دفع بالمسلمين إلى تحصينه.

وعرفت مدينة بردعة بنشاطها الزراعي الواسع، لقربها من نهر الكر، حيث يذكر أن فيها موضعاً يدعى "الأندراب" يتميز بكثرة البساتين وتنوع ووفرة المحاصيل الزراعية،⁷ ويذكر البلاذري أن والي أرمينية الحسن بن قحطبة الطائي كان يمتلك "الباغ"⁸ الذي يعرف بباغ الحسن ببردعة والضياع المعروفة بالحسنية⁹ واشتهرت هذه المدينة طوال الفترة قيد الدراسة، بأحسن المرافق والفنادق والخانات والحمامات، بسبب كثرة الأموال وانتعاش النشاط التجاري

¹ طه: الحياة العامة، ص. 139-140.

² المصدر السابق، مج. 1، ص. 380؛

³ الاصطخري: المصدر السابق، ص. 184.

⁴ المصدر السابق، ص. 290.

⁵ المصدر السابق، ص. 315.

⁶ المصدر السابق، ص. 184.

⁷ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 290؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 380.

⁸ يقصد به البستان.

⁹ المصدر السابق، ص. 295.

فيها.¹ الناتج عن كثرة أسواقها، فعلى سبيل المثال نجد سوق الكُرْكِي الذي "ينتابه الناس من كل مكان حتى من العراق".²

- مدينة جنزة

تعرف أيضا باسم "كَنْجَه" ويقال أنها أعظم مدينة في كورة أَرَّان،³ تبعد عن مدينة برذعة بحوالي تسعة فراسخ.⁴ وأورد المستوفي أن المسلمين شيدوا هذه المدينة الجميلة عام 39هـ/659م،⁵ غير أن معطياته خاطئة، لأن جنزة بُنيت قبل الفتح الإسلامي لأرمينية، إذ كانت تحتوي على أعظم بيت نار في الكورة، خرّبه الإمبراطور هرقل بعد احتلالها، انتقاما لسيطرة الساسانيين على بيت المقدس في تلك الفترة.⁶ كما أن القزويني وصفها بالمدينة القديمة والعريقة،⁷ وهي إشارة أخرى تدل على وجودها قبل الفتح الإسلامي.

سكن المسلمون في هذه المدينة مع بداية الفتح الإسلامي حوالي سنة 39هـ/659م،⁸ ويبدو أن القبائل العربية التي استوطنت المنطقة، تميزت بالكثرة والقوة والشدة، تماشيا مع مستلزمات هذا المكان القريب من الأعداء، الذي يتطلب التحصين والعتاد والعدة. إذ يذكر القزويني في كتابه "آثار البلاد" أن المسلمين في هذا الثغر القريب من بلاد الكفّار، يغلب

¹ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 290.

² الاصطخري: المصدر السابق، ص. 183.

³ الحموي: المصدر السابق، مج. 2، ص. 171؛ ابن عبد الحق: المصدر السابق، ج. 1، ص. 351.

⁴ الاصطخري: المصدر السابق، ص. 193.

⁵ MUSTAWFI (H.) : op. cit. p. 93.

⁶ طه: الحياة العامة، ص. 162؛ للتوسع أكثر راجع أيضا:

BAYNES (Norman H.) : The successors of Justinian, The Macmillan company, New York, 1913, v. 2, p. 293-294.

⁷ المصدر السابق، ص. 522.

⁸ MUSTAWFI (H.) : op. cit. p. 93.

عليهم "ممارسة السلاح واستعمال آلات الحرب"¹ استعدادا لأي غارة محتملة من قبل أعدائهم الكرج المجاورين لهم من جهة الشمال.

يعبر مدينة جنزة نهر "قردقاس" الذي ينبع من بلاد الكرج، وينزل إلى المدينة عبر قناة تحتوي على طريقين للمياه، يضاف إليه نهر درودان المتدفق من جبل شامخ يدعى "مرا".² ومما لا شك فيك أن هذين النهرين يستخدمهما أهل المدينة في الشرب، وسقي مزارعهم وبساتينهم، وممارسة مختلف النشاطات التي تحتاج إلى الماء، وهذا ما يفسر وصف ابن حوقل لها، بالمدينة الحسنة والعامرة والكثيرة الخيرات.³ كما أفاد هذا الأخير بأن أهلها "ذوو مروءة وأخلاق طيبة مرضية ومجاملة ومحبة للغرباء وأهل العلم"⁴ وعرف عن سكانها المسلمين تمسكهم الشديد بعقيدة أهل السنة والجماعة، حتى أنهم لا يدعون أحدا يستوطن منطقتهم، إذا لم يكن على مذهبهم، حتى لا يشوش عليهم اعتقادهم.⁵

واشتهر أهل جنزة بتربية دود القز وإنتاج الإبريسم، الذي تفوق على ما تنتجه المناطق الأخرى، بحسنه وجودته.⁶ وللمدينة قلعة تابعة لها تعرف بـ"هرك" وتبعد عنها بحوالي مرحلة، محاطة بالبساتين والمياه الجارية، وتتميز بمناخها المعتدل في فصل الصيف، لذلك يقصدها سكان جنزة صيفا، إذ كان لكل عائلة منهم موضع يقيمون فيه، حتى تنخفض درجة الحرارة، وتتميز أعيان القلعة عن غيرهم بمساكنهم الفاخرة.⁷

¹ القزويني: المصدر السابق، ص. 522.

² نفسه.

³ المصدر السابق، ص. 291.

⁴ نفسه؛ كما وصفهم القزويني بأهل الصلاح والخير والديانة. المصدر السابق، ص. 522.

⁵ القزويني: المصدر السابق، ص. 522.

⁶ نفسه.

⁷ نفسه.

- مدينة بَرَزَنْج

تعرف أيضا لدى بعض الجغرافيين المسلمين باسم برديج،¹ بينها وبين مدينة برذعة ثمانية عشر فرسخا، وصفت بالمدينة الصالحة، وهي إشارة تدل على صلاح أهلها، وكثرة خيراتها. تعتبر من المدن البالغة الأهمية في المنطقة، لاحتوائها على معبر نهر الكر، الذي يمر الناس منه إلى مدن: باب الأبواب، شروان، شماخي.² ويصنفها الرحالة ابن حوقل ضمن المدن الصغيرة اللطيفة، التي تتميز بخصوبة أراضيها، وسعة مرافقها،³ ومما لا شك فيه أن وقوعها على نهر الكر، أدى إلى ازدهار النشاط الزراعي فيها.

وساهم الموقع الإستراتيجي الذي تتمتع به مدينة برزنج، بشكل لافت في تنشيط الحركة الاقتصادية في المنطقة، حتى صارت تعرف بالمركز الرئيسي للمتاجر والبضائع المتداولة في ناحية أَرَّان،⁴ حيث ساعد موقعها المتواجد على الطريق التجاري الممتد إلى مدينة باب الأبواب،⁵ ومنها إلى المدن المطلة على بحر الخزر، في تداول السلع الأرمينية والتشهير لها خارج البلاد.

- مدينة شَكِّي

تسمى أيضا شَكَّن⁶ تتواجد شمال مدينة برذعة، على نهر الكُرّ، شيدها كسرى أنوشروان وحصّنها، وجعل لها أبوابا،⁷ لحمايتها من الأعداء. فتحت صلحا سنة 24هـ / 644م على يد

¹ ابن حوقل، المصدر السابق، ص. 294.

² ابن عبد الحق صفى الدين عبد المومن البغدادي: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح. البجاوي علي محمد، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط. 1، 1412هـ/1992م، مج. 1، ص. 182؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 300؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 382.

³ المصدر السابق، ص. 294؛ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 187-188.

⁴ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 300؛ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 187-188.

⁵ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 300.

⁶ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 589.

⁷ البلاذري: المصدر السابق، ص. 274؛ الإصطخري: المصدر السابق، الحاشية (c) ص. 189؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 584؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 357.

القائد سلمان بن ربيعة الباهلي،¹ في عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان.

تتميّز بتضاريسها السهلية المجاورة لنهر الكَر، إذ ساهم هذا الأخير في زيادة خصوبتها، ووفرة منتجاتها الزراعية، وذكرت عند كل من الاصطخري وابن حوقل ضمن المدن الأرمينية الصغيرة المساحة، واللطيفة، والخصبة، الواسعة المرافق.² الأمر الذي يثبت أن المدينة شهدت ازدهارا ورُقياً في الجانب الاقتصادي، سواء تعلق الأمر بالناحية الزراعية، أو جوانب أخرى، كالصناعة والتجارة.

إذ ينسب إلى هذه المدينة نوع من الجلود يعرف باسمها: "الجلود الشكّية" الذائع صيتها على نهر الكَر.³ وجاء عند المقدسي أن لمدينة شكّ سوقا للمسلمين، يحتوي على مسجد جامع،⁴ مما يدل على ازدهار النشاط التجاري في المنطقة، نظرا لما تتمتع به من موارد اقتصادية، كما نستشف من كلامه أن القبائل العربية استوطنت هذه المدينة وعمرتها، حتى صار لها سوقا خاصا بها.

غير أن المؤرخ المسعودي (ت. 346هـ/957م.) سمّاها مملكة شكّين، مما يوحي بأنها تطوّرت في عصره، حتى أضحت مملكة، وذكر أن أهلها نصارى، ويعيش بينهم جماعة من المسلمين، يمارسون التجارة وغيرها من المهن، وقال أن ملكهم يدعى آزر بن نبيه بن مهاجر،⁵ وهو اسم يوحي بأنه عربي، مما يدل على سيطرة القبائل العربية على المنطقة، رغم قلة عدد أفرادهم مقارنة بالمسلمين، على حد قول كل من المسعودي والمقدسي.⁶

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 286؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 589.

² الاصطخري: المصدر السابق، ص. 187-188؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 294؛ المقدسي: المصدر السابق، ص. 315؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 357.

³ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 357.

⁴ المقدسي: المصدر السابق، ص. 315.

⁵ المسعودي: مروج الذهب، ج. 1، ص. 156.

⁶ المسعودي: مروج الذهب، ج. 1، ص. 156؛ المقدسي: المصدر السابق، ص. 315.

- مدينة شمكور

يذكر ابن الفقيه أنها مدينة قديمة،¹ وهي إشارة تدل على وجودها قبل الفتح الإسلامي لأرمينية، وهي محاذية لمدينة بردعة، ويفصلها نهر الكُرّ عن مدينة تقليس.² تعرف بصغر مساحتها، وخصوبة أراضيها، ووفرة منتجاتها الزراعية، وكثرة مرافقها.³ وجاء في كتاب "الصبح الأعشى" للقلقشندي أن هذه المدينة "بها منارة في غاية الارتفاع والشُّهوق"⁴ مما يدل على استقرار القبائل العربية فيها.

فتحها سلمان بن ربيعة الباهلي في خلافة عثمان بن عفان، حوالي سنة 24هـ/644م، ومنذ ذلك الحين وهي تتمتع بالاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي، حتى دمرها قوم يعرفون بـ"السناوردية"⁵ خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، مستغلين فترة غياب والي أرمينية يزيد بن أسيد السلمي. ففي هذا الصدد روى الطبري ضمن حوادث سنة 162هـ/778م أن والي أرمينية غزا الروم من باب قاليقلا، وتمكن من فتح ثلاثة حصون، وسبى وأسر الكثير منهم.⁶

وبقيت مدينة شمكور منذ ذلك الحين مخربة، حتى قام بغا الكبير والي أرمينية، بإعادة تعميرها سنة 240هـ/854م، وأسكن فيها قوما من الخزر أعلنوا إسلامهم، وأحاطها بالأسوار

¹ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 589.

² الاصطخري: المصدر السابق، ص. 189.

³ الاصطخري: المصدر السابق، ص. 187-188؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 294؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 364.

⁴ القلقشندي أبي العباس أحمد: الصبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م، ج. 4، ص. 363.

⁵ يذكر الإصطخري أنهم قوم من الأرمن سكنوا خلف مدينتي بردعة وشمكور، ووصفهم بأهل الفساد والعبث والتلصص. أما الحموي فيقول عنهم: "قوم تجمّعوا أيام انصراف يزيد بن أسيد عن أرمينية فغلظ أمرهم وكثرت بوائقهم". ومما لا شك فيه أنهم من المواليين للروم. الاصطخري: المصدر السابق، ص. 192؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 364.

⁶ الطبري: المصدر السابق، ج. 8، ص. 143؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 589؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 364.

والأبراج لتحصينها من هجمات الأعداء، وشيد فيها العديد من الأسواق بهدف تنشيط الحركة التجارية في المنطقة. ويقال أن بغا سمّاها "المتوكلية"¹ نسبة إلى الخليفة العباسي المتوكل.

- مدينة مسقط

تتواجد على ساحل بحر الخزر، وهي مجاورة لبلاد اللّكز² ومدينة باب الأبواب³، أحدثها كسرى أنوشروان بن قُبادز الساساني، أثناء بنائه لمدينة باب الأبواب⁴، وحصّنها بالأسوار والأبراج في إطار مشروعه الواسع الرامي إلى الحد من غارات الخزر على بلاده. وفي العهد الإسلامي وصفها الحموي بالبستان الواسع المطل على بحر الخزر، تقطنه القبائل العربية ذات الشوكة والقوة⁵، وهو وصف ملائم لما جرت عليه عادة الولاة المسلمين في أرمينية، إذ كانوا يوطنون على أطرافها القبائل العربية الشديدة البأس، لتأمين حدود بلادهم من أي هجوم محتمل.

- مدينة كَسال

فتحها حبيب بن مسلمة خلال حملته الأولى على أرمينية عام 24هـ/644م صلحا، يستوجب حقن الدماء، والحفاظ على دور العبادة والبيوت والممتلكات، مقابل دفع إتاوة عن رؤوسهم وأرضهم⁶.

¹ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 589؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 364.

² بلدية خلف مدينة باب الأبواب، سميت على اسم مشيّدّها، وقال الحموي: "لكز والكز والخزر وصقلب وبلنجر بنو يافث بن نوح عليه السلام، عمّر كل واحد منهم موضعا فسمي به، وأهلها مسلمون موحدون ولهم لسان مفرد ولهم قوة وشوكة وفيهم نصارى أيضا". المصدر السابق، مج. 5، ص. 22.

³ الحموي: المصدر السابق، مج. 5، ص. 127.

⁴ البلاذري: المصدر السابق، ص. 273؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 584؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 5، ص. 127.

⁵ الحموي: المصدر السابق، مج. 5، ص. 127.

⁶ البلاذري: المصدر السابق، ص. 285.

– مدينة كركر

تتواجد شمالي شرق أرمينية، سمّاها ابن خرداذبه "كركرة" وهي من ضمن المدن القديمة الحصينة التي شيدها أنوشروان لحماية بلاده من الأعداء.¹ لم يقدم المؤرخون والرحالة المسلمون أي تفاصيل عنها بعد الفتح الإسلامي، مما يدل على أنها كانت بمنأى عن الأحداث العسكرية التي وقعت في المنطقة. ومن المحتمل أيضا أن أهميتها تراجعت بعد بناء سدّ مدينة باب الأبواب.²

– مدينة شماخي:

تسمى أيضا الشماخية،³ تقع في الطرف الشمالي لكورة أران،⁴ بناها كسرى أنوشروان⁵ وحصّنها لتكون خطا دفاعيا ضمن خطوط الدفاع السابقة الذكر، الهادفة لصد هجمات الخزر. ويوردها ابن حوقل ضمن المدن الأرمينية الصغيرة الخصبة العامرة، والواسعة المرافق،⁶ وأضاف المقدسي أنها تقع أسفل جبل، وتتميّز بوفرة مياهها وكثرة بساتينها، ويعتمد أهلها على الحجارة والجص في بناء مساكنهم.⁷ وذكر الجغرافي الإصطخري أن مدينة شماخي لا تحتوي على مسجد،⁸ ممّا يدل على عدم استيطان القبائل العربية فيها، وخلوّها من المسلمين.

¹ المصدر السابق، ص. 123؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 584.

² ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 584.

³ المقدسي: المصدر السابق، ص. 315؛ لسترنج (ك.): المرجع السابق، ص. 214.

⁴ البغدادي بن عبد الحق : المصدر السابق، ج. 2، ص. 810.

⁵ MUSTAWFI (H.) : op. cit. p. 93.

⁶ المصدر السابق، ص. 294؛ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 187؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 361.

⁷ المقدسي: المصدر السابق، ص. 315.

⁸ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 361.

– مدينة بأكوه

تسمى أيضا "بأكويه" أو "بأكّة"، تطل على بحر الخزر،¹ إذ تقع جنوبي شرق إقليم أرمينية، ويصنفها كل من المسعودي وأبو دلف والحموي ضمن أعمال أو نواحي مدينة شروان.² وهي مشهورة بعيون النفط التي تسيل دون انقطاع، ليلا ونهارا، حتى عرفت لدى بعض المؤرخين باسم النقّاطة.³ وتشتهر أيضا بزراعة الحبوب المختلفة، ووفرة إنتاج الفواكه، ولاسيما العنب والتين والرمان، وغيرها من الفواكه والغلات.⁴

ويقال أنها طيبة الهواء وعذبة الماء، الأمر الذي جعل الناس يستقرون فيها ويعمّرونها. ويذكر أن أهلها يبنون مساكنهم على الصخور، ونجد في المدينة قلعتين واسعتين، متقنتي البناء، والقلعة الكبيرة منهما مجاورة لبحر الخزر. وأفاد الباكي في كتابه "تلخيص الآثار" أن تجار المنطقة كانوا يحملون من مدينة باكوه يوميا أكثر من مائتي حمل بعير،⁵ وهي إشارة تدل على ازدهار النشاط التجاري فيها، ولاسيما تجارة النفط المتدفق من عيونها.

– مدينة القمبيران

تقع في الجزء الشمالي الشرقي من أرمينية، بناها كسرى أنوشروان بكورة أَران، ليتمكن من صدّ هجمات الخزر على بلاده.⁶ غير أن الرحالة والجغرافيين المسلمين لم يذكروا عنها

¹ المسعودي أبي الحسن علي بن الحسين: التنبيه والإشراف، المكتبة التاريخية، مصر، 1938م، ص. 53؛ أبو دلف: الرسالة الثانية لأبي دلف رحالة القرن العاشر، تح. بولغاكوف بطرس وخالدوف أنيس، عالم الكتب، القاهرة، 1970م، ص. 45؛ المقدسي: المصدر السابق، ص. 315؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 328.

² المسعودي: التنبيه، ص. 53؛ أبو دلف: المصدر السابق، ص. 45؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 328.
³ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 190؛ أبو دلف: المصدر السابق، ص. 45-46؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص. 53.

⁴ MUSTAWFI (H.): op. cit. p. 93.

للمزيد إراجع أيضا إلى: طه: الحياة العامة، ص. 160، نقلا عن: الباكي: كتاب تلخيص الآثار.

⁵ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 190.

⁶ البلاذري: المصدر السابق، ص. 274.

أي معطيات بعد الفتح الإسلامي، عدا أنها من فتوح سلمان بن ربيعة الباهلي سنة 24هـ/644م.¹

– مدينة أُوذ

تقع بناحية أَران، فتحها القائد سلمان بن ربيعة الباهلي سنة 24هـ/644م.²

ب- أرمينية الثانية: بلاد الكرج³

لم يحدد الجغرافيون المسلمون موقعها بدقة، ولكن الظاهر أنها تقع في الجزء الشمالي الغربي من إقليم أرمينية، وتعدّ جبال القوقاز شمالا حدا طبيعيا يفصلها عن إقليم شمال القوقاز والقارة الأوروبية.⁴ ويذكر الحموي أن كلمة كُرج، تعرّبت فصارت جُرز، وهم أمة نصرانية عظيمة، يمتاز أهلها بالشدة والقوة.⁵

وقبل الفتح الإسلامي لأرمينية، كانت هذه الكورة تابعة للفرس الساسانيين، إذ يقال أن كسرى أنوشروان أقام فيها مدينة صُغْدَبِيل، وأسكنها قوما من الصُغْد الفارسيين،⁶ وحصّنها بسلسلة طويلة من التحصينات العسكرية، لدرء أخطار هجمات الخزر والروم القادمة من بحر بنطس (البحر الأسود).⁷ وفي هذا الإطار بنى العديد من الأبواب، ومنها على سبيل المثال: باب اللان، وباب سَمَسَخِي، وقلعة الجَرْدَمَان، وقلعة شَمَشُلْدِي، ومدينة بَلَنَج،⁸ وغيرها

¹ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 589.

² ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 589؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 277.

³ بالنظر إلى الخريطة ص. ، يمكن القول أن هذا القسم يضم جزءا كبيرا من دولة جورجيا الحالية.

⁴ البلاذري، المصدر السابق، ص 272-273؛ ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص 122؛ الحموي، المصدر السابق، مج 1، ص 160.

⁵ الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص 125.

⁶ البلاذري، المصدر السابق، ص. 274؛ ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص 123؛ ابن الفقيه، المصدر السابق، ص. 584؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 2، ص. 125.

⁷ البلاذري، المصدر السابق، ص. 274؛ ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص 123؛ ابن الفقيه، المصدر السابق، ص. 584.

⁸ البلاذري، المصدر السابق، ص. 274؛ ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص 123؛ ابن الفقيه، المصدر السابق، ص. 584.

من القلاع والحصون لمواجهة غارات الخزر من ناحية، كما بنى العديد من القصور المحصنة، ومنها: قصر باب فيروز قباد، وقصر باب لازقة، وقصر باب بارقة المطل على بحر بنطس،¹ لصدّ هجمات الروم من ناحية ثانية.

فتحت بلاد الكرج أو كورة جُرْزَان كما يسمّيها المسلمون، في عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان، إذ يذكر أنه بعث القائد حبيب بن مسلمة الفهري إلى المنطقة عام 24هـ/644م، فصالح أهلها مقابل أداء الجزية، وإطعام أفراد الجيش الإسلامي من حلال طعام أهل الكتاب.² وأفاد الحموي بوجود موضع في مملكة الجُرْزِيَّة، يعرف بمسجد "ذي القرنين"³ مما يدل على استيطان القبائل العربية في هذه المنطقة، أو اعتناق أفراد من الجرزية للدين الإسلامي. وأضاف هذا الأخير بأن أهل جرزان النصارى كانوا يؤدون الخراج إلى أمير مدينة تفليس منذ فتحها، إلى زمن الخليفة العباسي المتوكل (232-247هـ/846-861م).⁴

أما أبرز مدن الكورة فهي:

- مدينة تفليس

تعد قصبة كورة جرزان،⁵ ويمرّ عليها نهر الكرّ، لذلك فمن الطبيعي أن تكون أراضيها خصبة وصالحة لأنواع مختلفة من المزروعات، وذكر الاصطخري وغيره من الجغرافيين المسلمين، أنها مدينة أصغر من مدينة باب الأبواب، يحيط بها سوران من طين، وتحتوي على ثلاثة أبواب.⁶ وصفها الحموي بالمدينة القديمة الأزلية،⁷ فقد بناها كسرى أنوشروان

¹ البلاذري، المصدر السابق، ص. 274؛ ابن خردادبه: المصدر السابق، ص. 123.

² البلاذري، المصدر السابق، ص. 274، ص. 277؛ البكري: المصدر السابق، ج. 2، ص. 376؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 2، ص. 36؛ نفسه، مج. 2، ص. 125.

³ الحموي: المصدر السابق، مج. 2، ص. 125.

⁴ نفسه.

⁵ الحموي: المصدر السابق، مج. 2، ص. 35؛ ابن عبد الحق: المصدر السابق، ج. 1، ص. 266.

⁶ الاصطخري: المصدر السابق، ص. 185؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 292؛ أبو دلف: المصدر السابق، ص. 46؛ القلقشندي: المصدر السابق، ج. 4، ص. 361؛ الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تج. عباس إحسان، مكتبة لبنان، ط. 2، بيروت، 1984م، ص. 139.

⁷ الحموي: المصدر السابق، مج. 2، ص. 35.

وأمنها بالتحصينات لصد هجمات أعدائه، وبعد الفتح الإسلامي أعاد القادة المسلمون تحصينها، نظرا لموقعها الجغرافي الخطير، المجاور للأعداء، إذ أورد القزويني أن أميرها إسحاق بن إسماعيل، قام بتحسينها.¹

فتح المسلمون مدينة تفلّيس في بداية عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان، حوالي سنة 24هـ/644م، ويقال أن حبيب بن مسلمة سار إلى المدينة لفتحها، فجاءه بطريق كورة جرزان يلتبس منه الصلح والأمان، فكتب لهم حبيب صلحا لأهل تفلّيس،² ينص على منح الأمان على أنفسهم، وحرية المعتقد، مقابل دفع الجزية.³ وأشار ابن حوقل إلى وجود دار الإمارة في المدينة، ويؤيده في ذلك الحموي الذي ذكر أن أهل كورة جرزان كانوا يدفعون الجزية إلى أمير مدينة تفلّيس.⁴

وينفرد الحموي بمعلومات مفادها أن أهل مدينة تفلّيس اعتنقوا الإسلام، وبقيت المنطقة تحت سيطرة المسلمين، إلى غاية سنة 515هـ/1121م، ففي هذه السنة خرج من جبال الأبخاز المجاورة للمدينة، قوم من النصارى الكرج، واستولوا عليها.⁵ وجاء عند القزويني أن سكان المدينة خليط من المسلمين والنصارى، إذ كان يسمع الآذان من أحد جانبي نهر الكرّ،

¹ الاضطخري: المصدر السابق، ص. 186؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 292؛ المقدسي: المصدر السابق، ص. 315؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 518.

² أفاد البلاذري أن رسول بطريق كورة جرزان أحضر هدية خاصة للقائد حبيب بن مسلمة، لكن هذا الأخير قوّمها وعدّها ضمن أموال الجزية المفروضة عليهم، وهذا بيان على صدق ونزاهة هذا الصحابي الجليل. وفيما يلي نص كتاب الصلح: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل تفلّيس من مَنجَلِيس، من جرزان القَرْمِز بالأمان على أنفسهم، وبيعهم، وصوامعهم وصلواتهم، ودينهم، على إقرار بالصغار والجزية، على كل أهل بيت دينار، وليس لكم أن تجمعوا بين أهل البيوتات تخفيفا للجزية، ولا لنا أن نفرّق بينهم استكثارا منها، ولنا نصيحتكم وضلعكم على أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ما استطعتم وقرى المسلم المحتاج ليلة بالمعروف من حلال طعام أهل الكتاب لنا، وإن انقطع برجل من المسلمين عنكم فعليكم أدأؤه (إيصاله) إلى أدنى فئة من المؤمنين إلا أن يحال دونهم، وإن أنبتم وأقمتم الصلاة فأخواننا في الدين وإلا فالجزية عليكم، وإن عرض للمسلمين شغل عنكم فقهركم عدوكم فغير مأخوذين بذلك ولا هو ناقض عهدكم، هذا لكم وهذا عليكم شهد الله وملأنته وكفى بالله شهيدا". المصدر السابق، ص. 283-284؛ الحموي: المصدر السابق، ص. 2، ص. 36.

³ البلاذري: المصدر السابق، ص. 283-284.

⁴ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 292؛ الحموي: المصدر السابق، ص. 2، ص. 125.

⁵ الحموي: المصدر السابق، ص. 2، ص. 36.

ومن الجانب الآخر تفرع أجراس الكنيسة،¹ وتميز المسلمون في المنطقة بالأدب، وحب الضيافة، والميل إلى مذاهب أهل السنة والجماعة، والاهتمام البالغ بعلم الحديث النبوي.²

وأورد الرحالة أبو دلف بأن مدينة تفلّيس تعتبر أقصى منطقة في إقليم أرمينية، يصلها الإسلام إذ "لا إسلام وراءها"³ وهذا ما يفسر وصف كل من الاصطخري وابن حوقل لها حين أوردوا ما نصه: "وهي ثغر جليل كثير الأعداء من كل جهة".⁴ أما أوضاعها الاقتصادية إبان فترة الحكم الإسلامي، فقد عرفت كغيرها من المدن الأرمينية ازدهارا اقتصاديا، إذ اشتهرت بوفرة المنتجات الزراعية، ولاسيما الفواكه، إضافة إلى اهتمام أهلها بتربية النحل، مما أدى إلى انخفاض سعر العسل، الذي وصل في أحد الأيام إلى درهم مقابل عشرين رطلا.⁵

وأشار ابن حوقل إلى وجود مطاحن الحنطة⁶ على نهر الكر،⁷ الذي يمر بدوره في وسط المدينة، ويذكر الرحالة المقدسي أن أهل المدينة ربطوا بين جانبي النهر بجسر من الحجارة، وأضافوا فوقها الخشب.⁸ وعلى ضفتي هذا النهر أقيمت الكثير من البيوت، بانتظام، على شكل مدرجات،⁹ وهي مسقّفة بخشب الصنوبر المتواجد بكثرة في غابات المدينة.¹⁰ وأدى استعمال هذه المادة إلى سهولة احتراق المدينة بالكامل خلال حملة عسكرية عليها، ففي هذا الصدد ذكر القزويني أن المدينة أحرقتها بالكامل جنود القائد بغا، أثناء مواجهتهم لثورة إسحاق بن إسماعيل مولى بني أمية، في عهد الخليفة العباسي المتوكل.¹¹

¹ القزويني: المصدر السابق، ص. 518.

² ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 292.

³ المصدر السابق، ص. 46؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 2، ص. 36.

⁴ الاصطخري: المصدر السابق، ص. 186؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 292.

⁵ الرطل ما يقارب حاليا 408 غرام. الاصطخري: المصدر السابق، ص. 186؛ المنيع عبد الله بن سليمان: بحث في تحويل الموازين والمكاييل الشرعية إلى المقادير المعاصرة، ص. 11.

⁶ تؤكد هذه المعطيات أن المدينة عرفت وفرة في إنتاج الحبوب.

⁷ المصدر السابق، ص. 292؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 2، ص. 36.

⁸ المقدسي: المصدر السابق، ص. 315؛ أبو دلف: المصدر السابق، ص. 46.

⁹ Mustawfi (H.) : op. cit. p. 94.

¹⁰ القزويني: المصدر السابق، ص. 518.

¹¹ المصدر السابق، ص. 518.

كما أفاد الحميري في كتابه "الروض المعطار" أن المغول استولوا عليها سنة 618هـ/1221م، وأشعلوا في دورها النار "حتى صارت جمرة واحدة".¹

ويقال أيضا أنها مدينة كثيرة الخيرات، ورخيصة الأسعار "يزيد رخاؤها على سائر البلدان الراخية والنواحي الرفهة والخصبة".² وتميّزت المدينة بحماماتها الطبيعية، المشيّدة على عين ينبع منها الماء الحار، ومنها حمّام خاص بالمسلمين، لا يدخله غيرهم.³

- مدينة بَرَزَنْد

مجاورة لمدينة تفليس،⁴ ويذكر المقدسي أنها بلدة صغيرة.⁵ وكان الأفشين أول من عمّرها، واتخذها مركزا عسكريا له، بعد أن تدهورت أوضاعها وصارت خرابا.⁶

- مدينة خانان

تتواجد شرق مدينة تفليس، تحتوي على قلعة مشهورة، تسمى قلعة التراب، أقيمت على تل عال، لضمان حصانتها من غارات الأعداء.⁷

¹ الحميري: المصدر السابق، ص. 139.

² ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 292.

³ الاضطخري: المصدر السابق، ص. 185-186؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 292؛ أبو دلف: المصدر السابق، ص. 46؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 2، ص. 36؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 518؛ للمزيد أنظر إلى:

Minorsky (V.) : Stadies in Caucasian History, Tolyor's Foreign press, London, 1953, p. 144.

⁴ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 382.

⁵ المصدر السابق، ص. 317.

⁶ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 382.

⁷ الاضطخري: المصدر السابق، ص. 189، 193؛ وانظر أيضا:

Mustawfi (H.) : op. cit. p. 94.

– قلعة الجرّمان

تقع بين مدينتي بردعة وتقليس، إذ تبعد عن هذه الأخيرة بحوالي اثني عشر فرسخا، ويذكر المستوفي أن أحد روافد نهر مدينة شمكور يمرّ عليها.¹ ومما لاشك فيه أن أهل المنطقة يستعملونه في الشرب، وسقي مزروعاتهم، وغيرها من النشاطات. بناها كسرى أنوشروان،² إذ تعد إحدى أهم القلاع المحصنة والمسلحة في المنطقة، والمستعملة لصد هجمات الخزر.

– مدينة صُغْدِيل

تتواجد في الجانب الشرقي من نهر الكر، قبالة مدينة تقليس. شيدها كسرى أنوشروان، وأسكنها قوما من الصُغْد الفارسيين، وحصّنها وسلّحها.³ وتجدر الإشارة إلى أن البلاذري، أفاد بفتح العديد من المدن، أثناء روايته لحوادث الفتح الإسلامي لأرمينية، بقيادة حبيب بن مسلمة الفهري، وفي هذا المقام ذكر: جوارح، كسفريس، كستجي، شَوْشْت، بَازْلِيْت،⁴ وغيرها من المناطق التي لم يورد الرحالة والجغرافيون المسلمون أي معطيات عنها.

ج- أرمينية الثالثة: السيسجان والبسفرجان

تضمّ مقاطعتين رئيسيتين، الأولى تعرف بكورة السيسجان،⁵ وتقع غرب كورة أرّان.⁶ وقبل الفتح الإسلامي لأرمينية كانت هذه الكورة خاضعة لنفوذ خاقان الخزر، غير أن كسرى

¹ الاصطخري: المصدر السابق، ص. 193؛ راجع أيضا:

MINORSKY (V.) : op. cit. p. 292-293.

² البلاذري: المصدر السابق، ص. 274؛ ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص. 123؛ ابن الفقيه، المصدر السابق، ص. 584.

³ البلاذري، المصدر السابق، ص. 274؛ ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص. 123؛ ابن الفقيه، المصدر السابق، ص. 584؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 410، مج. 2، ص. 125.

⁴ البلاذري: المصدر السابق، ص. 285.

⁵ نفسه، ص. 272-273؛ ابن خرداذبه، المصدر السابق، ص. 122؛ الحموي، المصدر السابق، مج. 1، ص. 160.

⁶ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 297؛ ابن عبد الحق: المصدر السابق، ج. 2، ص. 766.

أنوشروان استولى عليها، وبنى فيها العديد من الحصون والقلاع، منها: قلعة الكلاب، ساهيونس، وأسكنها قوما من السَيَاسِيَجِيَّة، عرفوا بالقوة والبأس والنجدة.¹

غزاها حبيب بن مسلمة الفهري عام 24هـ/644م، في عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان، وكتب مع أهلها صلحا منحوا بموجبه حرية العبادة، مقابل دفع الجزية والخراج.² بيد أن المؤرخين والرحالة لم يقدموا أي معلومات أخرى عن مدنها خلال العهد الإسلامي.

أما المقاطعة الثانية فتعرف بالسفرجان Vaspurakan،³ ومن أهم مدنها:

- مدينة دُبَيْل Dvin

تقع على نهر يدعى الأكراد.⁴ فتحت صلحا على يد القائد حبيب بن مسلمة في عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان، حوالي سنة 24هـ/644م.⁵ وجاء في كتاب صلح دبيل: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من حبيب بن مسلمة، لنصارى أهل دَبَيْن ومجوسها ويهودها، شاهدتهم وغائبهم أني أمنتكم على أنفسكم، وأموالكم، وكنائسكم، وبيعكم، وسور مدينتكم، فأنتم آمنون، وعلينا الوفاء لكم بالعهد، ما وفيتم وأديتم الجزية والخراج شهد الله، وكفى به شهيدا" وختم حبيب بن مسلمة.⁶

وفي ظل الحكم الإسلامي صارت مدينة دُبَيْل قصبة أرمينية ودار إمارتها.⁷ ونظرا لأهميتها البالغة فقد أحيطت بسور من طين، وأمنت بحصن منيع ووثيق.⁸ وللمدينة أبواب عدة، منها: باب كيدار، باب تغليس، باب آني، وغيرها من الأبواب.¹

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 274.

² نفسه.

³ البلاذري، المصدر السابق، ص 272-273؛ ابن خردادبه، المصدر السابق، ص 122؛ الحموي، المصدر السابق، مج 1، ص 160.

⁴ يسمى حاليا نهر كارني قارى.

⁵ البلاذري: المصدر السابق، ص. 274.

⁶ البلاذري: المصدر السابق، ص. 282؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 2، ص. 439.

⁷ الاضطخري: المصدر السابق، ص. 188؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 294؛ القلقشندي: المصدر السابق، ج.

4، ص. 353.

⁸ الاضطخري: المصدر السابق، ص. 188؛ المقدسي: المصدر السابق، ص. 316.

ويذكر الاصطخري أن معظم أهلها نصارى، ويستفاد من كتاب صلح دُبيل أن هذه الأخيرة كان يسكنها أيضا اليهود والمجوس،² وبعد الفتح الإسلامي استوطنتها العديد من القبائل العربية،³ وبنى فيها المسلمون العديد من المساجد، ومنها المسجد الجامع، المجاور للبيعة (الكنيسة)،⁴ وأفاد المقدسي بأن الجامع يقع على رابية كبيرة، يسهر على تسييره والعناية به الأكراد.⁵ وهذه إشارة تدلّ على دخول الكثير من الأكراد في الإسلام. وساعدت العوامل الطبيعية المتمثلة في التربة الخصبة والعيون والمياه الجارية، في انتعاش القطاع الزراعي بالمنطقة، إذ عرفت بكثرة الخيرات، لاسيما البساتين والفواكه والمزروعات بمختلف أنواعها.⁶

- مدينة أردشاط Artaxata

تقع قرب مدينة دبيل، بناها الملك الأرمني درطاد خلال القرن الأول للميلاد.⁷ وتعدّ من أهم مراكز إنتاج القرمز المستعمل في الصباغة، حتى غلب على اسمها، إذ أطلق عليها المؤرخون المسلمون قرية القَرْمَز، واشتهرت به داخل إقليم أرمينية وخارجها.⁸ وتعد من فتوح حبيب بن مسلمة حوالي سنة 24هـ/644م.⁹

- مدينة النشوى: وتعرف عند أهلها باسم نَخْجوان، بناها وعمرّها كسرى أنوشروان.¹⁰ وتتواجد في المنطقة السهلية الممتدة على طول نهر الرس، وسفوح جبال الحارث،¹¹ بناها

1 المقدسي: المصدر السابق، ص. 316.

2 البلاذري: المصدر السابق، ص. 282.

3 أديب السيد: المرجع السابق، ص. 78؛ الإمام محمد رفعت، المرجع السابق، ص. 19.

4 الاصطخري: المصدر السابق، ص. 188؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 294؛ المقدسي: المصدر السابق، ص. 316.

5 المقدسي: المصدر السابق، ص. 316.

6 ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 290.

7 اميل: المرجع السابق، ص. 14.

8 البلاذري: المصدر السابق، ص. 281؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 146؛ راجع كذلك:

Pasdermadjian : op. cit. p.141.

9 البلاذري: المصدر السابق، 281.

10 الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 422؛ نفسه، مج. 5، ص. 287.

11 تعرف حاليا بالقوقاز الصغرى.

وحصنها كسرى أنوشروان،¹ واتخذها ثغرا ينطلق منه، لمواجهة أعدائه الخزر والروم.² فتحها القائد حبيب بن مسلمة حوالي سنة 24هـ/644م صلحا، على أن يؤدي أهلها الجزية والخراج، مقابل تركهم على عقيدتهم، وحماية كنائسهم.³ وصارت في العهد الإسلامي قسبة كورة البسفرجان، ويقال أن المسلمين أولوا لها أهمية بالغة، لموقعها الاستراتيجي المجاور لمركز الإدارة الإسلامية في مدينة ديبيل، إذ يورد القلقشندي في كتابه "الصبح الأعشى" عبارات تدل على أن المسلمين أعادوا بناء جدارها، وتقوية حصونها، لاعتراض غارات الخزر.⁴

- مدينة بركري

تقع على الطريق التجاري الرابط بين بلاد الجزيرة وأذربيجان من ناحية، وبين الجزيرة وديبل وبرذعة وباب الأبواب من ناحية ثانية. حصّنت المدينة بسور محيط بها، بداخله قلعة حصينة، مما يدل على أهميتها. ويمر عليها نهر ينبع من أحد الجبال المجاورة لها، يستخدمه أهلها في الشرب، وسقي بساتين الفواكه المنتشرة في المنطقة.⁵

- مدينة سراج طير

¹ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 584.

² ابن خردادبه: المصدر السابق، ص. 123.

³ الحموي: المصدر السابق، مج. 5، ص. 287.

⁴ ج. 4، ص. 362؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 584.

⁵ الأنصاري: المصدر السابق، ص. 190؛ طه: الحياة العامة، ص. 177-178؛ أنظر أيضا:

صنّفها البلاذري إدارياً ضمن قسم أرمينية الثالثة،¹ ومنه نجد أنها تقع جنوبي شرق إقليم أرمينية، كانت هذه المدينة تحت سيطرة الساسانيين قبل الفتح الإسلامي،² وفتحت صلحا على يد حبيب بن مسلمة حوالي سنة 24هـ/644م.³

- مدينة وان

تطل على بحيرة أرجيش،⁴ ويذكر الحموي أنها قلعة بين مدينة خلاط ونواحي تقيس.⁵ اشتهرت في العهد الإسلامي بإنتاج البُسْط.⁶

- مدينة مَكْس

تتواجد بالقرب من بحيرة أرجيش، وفتحت صلحا على يد القائد حبيب بن مسلمة حوالي سنة 24هـ/644م.⁷

- مدينة بَغْرَوْنْد

معدودة في قسم أرمينية الثالثة،⁸ ولكن لم يقدم الرحالة المسلمون أيّ معلومات عنها.

هـ - أرمينية الرابعة: مقاطعة الطارون

تقع في الجزء الجنوبي الغربي من ولاية أرمينية الإسلامية، وتعرف عند الأرمن بمقاطعة الطارون Tarawn.⁹ نجد فيها العديد من المدن، منها:

¹ المصدر السابق، ص. 273؛ ابن خرداذبه، المصدر السابق، ص. 122؛ الحموي، المصدر السابق، مج. 3، ص. 203.

² ابن خرداذبه، المصدر السابق، ص. 123.

³ نفسه، ص. 282.

⁴ لسترنج: المرجع السابق، ص. 217.

⁵ المصدر السابق، مج. 5، ص. 355.

⁶ نفسه.

⁷ البلاذري: المصدر السابق، ص. 281.

⁸ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 467.

⁹ يجاور وادي أراذاني Aradzani أي شرق نهر الفرات، غرب بحيرة فان Van، عاصمته مدينة موش Mouch، ويعتبر من المناطق الخصبة في الإقليم، وكان تحت سيطرة أسرة ماميكونيان، ويمثل مهد الديانة المسيحية في أرمينية. ونظرا لموقعه الجغرافي فقد تأثر سكانه في عاداتهم ولغتهم ببلاد الشام، إذ بقيت السريانية منتشرة في بلاد الطارون ردحا طويلا من الزمن، ولم يستخدموا الأرمينية إلا بعد انتشارها في كل أنحاء أرمينية. ويذكر أن هذه المقاطعة حظيت باهتمام

- مدينة خلّاط

تطل على بحيرة أرجيش،¹ وهي من فتوح الصحابي عياض بن غنم، إذ يقال أنه سار من بلاد الجزيرة متوجها إليها، فصالحه بطريقها مقابل دفع هذا الأخير للجزية.² وفي ظل الحكم الإسلامي قام المسلمون بتحصينها وتعميرها، ويذكر المقدسي أن مسجدها الجامع يقع وسط الأسواق.³ ويضيف ابن حوقل أن: "أهلها ذوو مال ويسار، وبها اليوم المتاجر

والأسواق الجادة ومقصد التجار"⁴ مما يدل على ازدهار النشاط التجاري فيها.

وتتميز مدينة خلّاط بأرضها السهلية الخصبة، ووفرة المياه، إذ يذكر المقدسي أن هناك نهر يعبر عليها،⁵ مما أدى إلى انتشار النشاط الزراعي فيها، ولاسيما بساتين الفواكه.⁶

- مدينة قاليقلا⁷ Théodosiopolis

ذكرت في المصادر الأرمينية باسم كارين Karin،⁸ وجاءت في المصادر الإغريقية باسم ثيودوسيوبوليس Théodosiopolis -بمعنى مدينة ثيودوسيوس- نسبة إلى الإمبراطور

بالغ من قبل الروم لقربها من حدودهم، ولكونها الممر الرئيسي للولوج إلى وسط أرمينية، أو التوغل في أراضي دار الإسلام. البلاذري: المصدر السابق، ص. 297؛ اسكندر: الفتوحات الإسلامية لأرمينية، الهامش رقم 130، ص. 92.

¹ لسترنج: المرجع السابق، ص. 217.

² الحموي: المصدر السابق، مج. 2، ص. 380-381.

³ المصدر السابق، ص. 316؛ أنظر أيضا:

MUSTAWFI (H.): op. cit. p. 101.

⁴ المصدر السابق، ص. 295.

⁵ المصدر السابق، ص. 316؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 524.

⁶ المقدسي: المصدر السابق، ص. 316؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 524؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 2، ص. 380.

⁷ تعرف كذلك بأرض الروم، فقد ذكر الجاحظ أن امرأة من بني ضبة هجت زوجها فقالت:

فليته كان أرض الروم منزهة وأنتي قبله صيرت بالسين

ومما لا شك فيه أنها إشارة منها إلى بعد مسافة مدينة أرض الروم، المتواجدة في أقصى حدود دار الإسلام في تلك الحقبة الزمنية. الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر (ت. 250هـ): كتاب الحيوان، دار الكتب العلمية، ط. 2، بيروت-لبنان، 2003م. ج. 7، ص. 98.

⁸ تعرف عند الجغرافيين الأرمن باسم أرمينية العليا، ولم تسمى بهذا الاسم لأنها أعلى من بقية المدن الأرمينية، بل لأنها أعلى نقطة من الأرض كلها، بحسب التقليد المحلي القديم، فالمياه تجري في الاتجاهات الأربعة للمدينة، بفضل وجود

الروماني ثيودوس الثاني (408-450م)، وحسب المصادر الإسلامية فإن مدينة قاليقلا تقع شمالي غرب أرمينية، ويرجع ابن الأثير سبب تسميتها قاليقلا إلى "امرأة بطريق أرميناكس كان اسمها قالي بنّت هذه المدينة فسمّتها قالي قلة تعني إحسان قالي فعربتها العرب فقالت: قاليقلا".¹ ويضيف القزويني أن صورتها كانت معلقة على باب المدينة، وهي تنسب إلى أسرة بقرات الأرمينية العريقة.²

كانت هذه المدينة تحت سيطرة الساسانيين قبيل الفتح الإسلامي.³ وفتحت على يد القائد حبيب بن مسلمة حوالي سنة 24هـ/644م، وسكن فيها حوالي ألفي جندي رفقة أسرهم.⁴ وطوال فترة الحكم الإسلامي لأرمينية اتخذت قاليقلا ثغرا عظيما لمواجهة الروم.⁵ وفي هذا الصدد أورد الأصفهاني (ت. 356هـ/967م) ضمن أحد الأبيات الشعرية مقطعا يدل على أنها كانت ساحة للوغى، يقول فيه:

وارفع بصوتك تدعو من بذي عَدَنٍ ومن بِقَالِي قَلَا بالويل والحرب⁶

كما عرفت في العهد الإسلامي بوفرة إنتاجها من البُسُط المصدرة إلى عدة مناطق داخل إقليم أرمينية وخارجها.⁷ وإليها ينسب النحوي واللغوي أبو علي القالي (ت. 356هـ/966م) صاحب كتاب "الأمالِي" في اللغة.¹

أربعة أنهار، نهر الفرات باتجاه الغرب، نهر أراكس نحو الشرق، نهر الغيل نحو الجنوب، ونهر جوروخ أو تشوروخ باتجاه الشمال. للمزيد أنظر:

Macler : op. cit. p. 9.

¹ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 2، ص. 478؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 589؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 551؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 4، ص. 299.

² المصدر السابق، ص. 551.

³ الحموي: المصدر السابق، مج. 4، ص. 299.

⁴ البلاذري: المصدر السابق، ص. 277-278.

⁵ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 295.

⁶ الأصفهاني (أبي الفرج علي بن الحسين (ت. 356هـ/967م)): كتاب الأغاني، دار إحياء التراث العربي، ط. 2، بيروت-لبنان، 1997م، ج. 23، ص. 48.

⁷ القزويني: المصدر السابق، ص. 551؛ راجع أيضا:

MUSTAWFI (H.) : op. cit. p. 97.

- مدينة شمشاط

ذكر الحموي أنها تقع في طرف أرمينية،² وأفاد لسترنج أنها تتواجد على الضفة الجنوبية من نهر أرسناس،³ فهي تقع ضمن نطاق المنطقة الحدودية الغربية،⁴ بين أرمينية وإمبراطورية الروم، لذلك تعتبر من المنافذ البالغة الأهمية والخطورة في المنطقة. يقال أنها "سميت بشمشاط بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام لأنه أول من أحدثها"⁵ غير أن الأنصاري في كتابه "نخبة الدهر" يقول أنها من انجازات كسرى أنوشروان الذي بناها وحصنها،⁶ في إطار سياسته الرامية إلى الحد من هجمات الروم على بلاده. ويذكر ابن خردادبه أن قبر الصحابي صفوان بن المعطل السلمي موجود فيها.⁷ وبعد فتحها اتخذها المسلمون ثغرا لمواجهة الروم.⁸

- مدينة ملاذكرد⁹

تقع في الجزء الجنوبي الغربي من إقليم أرمينية، ويذكر أن المسلمين أعادوا تحصينها بعد الفتح الإسلامي، تميّزت بكثرة المساجد، ويقال أن مسجد الجامع بني على حافة السوق.¹⁰ وعرفت المنطقة بنشاطها الزراعي المتنوع وكثرة البساتين.¹¹

1 ابن خلكان (أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت. 681هـ / 1282م)): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تج. يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، ط. 1، بيروت-لبنان، 1998م، ج. 2، ص. 228-229.

2 المصدر السابق، مج. 3، ص. 362.

3 المرجع السابق، ص. 149.

4 يذكر الاصطخري أنها تتواجد غربي نهر دجلة وشرقي نهر الفرات. المصدر السابق، ص. 75.

5 الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 362.

6 ص. 190.

7 المصدر السابق، ص. 123؛ أنظر أيضا:

MUSTAWFI (H.): op. cit. p. 97.

8 الاصطخري: المصدر السابق، ص. 75.

9 تقع حاليا في محافظة موش المتواجدة شرق تركيا.

10 المقدسي: المصدر السابق، ص. 315.

11 نفسه، ص. 315.

- مدينة أرجيش

تطل على البحيرة المعروفة باسمها في أرمينية الرابعة،¹ وهي مدينة قديمة، يقال أن أكثر أهلها نصارى،² مما يدل على استيطان القبائل العربية فيها. ويذكر المستوفي أن المدينة اشتهرت بإنتاج القطن والحنطة، وغيرها من المحاصيل الزراعية،³ بسبب وجود التربة الخصبة ووفرة المياه فيها.

- مدينة بذليس

تقع بالقرب من مدينة خلاط، وفتحت صلحا سنة 19هـ/640م، على يد القائد عياض بن غنم.⁴ وذكر المقدسي أن المدينة يجري فيها نهر يقسمها إلى جانبين،⁵ مما جعل أهلها يستغلون مياهه في سقي بساتينهم الكثيرة، ولاسيما أشجار التفاح الذي "يضرب به المثل في الجودة والكثرة والرخص، ويحمل إلى بلدان كثيرة".⁶ كما عرفت المدينة بقلعتها المبنية بالحجارة.⁷

- مدينة باجنيس

تقع جنوبي غرب أرمينية، وقبل الفتح الإسلامي كانت في قبضة الروم ثم استولى عليها الفرس الساسانيون.⁸ فتحها القائد عياض بن غنم سنة 19هـ/640م، واستوطنتها العديد من القبائل العربية، ولعل من أشهرها قبيلة بني سليم.⁹ وعرفت المنطقة خلال العهد الإسلامي بكثرة إنتاجها للمعادن.¹⁰

¹ لسترنج: المرجع السابق، ص. 217.

² الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 144.

³ MUSTAWFI (H.): op. cit. p. 97.

⁴ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 358-359.

⁵ المصدر السابق، ص. 316.

⁶ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 358-359.

⁷ المقدسي: المصدر السابق، ص. 316.

⁸ ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص. 123.

⁹ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 314.

¹⁰ نفسه.

- مدينة أرزن الروم

تجاور مدينة خلاط، قديمة البناء، وهي مدينة مشهورة.¹

- مدينة ميفارقين

يعدّها الكثير من الجغرافيين المسلمين ضمن بلاد الجزيرة، إلا أن الاصطخري ذكرها مع المدن الأرمينية.²

2- الدواوين والمؤسسات الإدارية الإسلامية

تطلب تسيير شؤون ولاية أرمينية بعد فتحها، تنظيماً يتماشى مع التطورات الحاصلة في بيت الخلافة الإسلامية، وعلى رأسها إنشاء الدواوين التي ظهرت في زمن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (13-24هـ / 634-644م)، وعرفت العديد من التغيرات والتطورات إبان العهدين الأموي (41-132هـ / 661-750م) والعباسي (132-656هـ / 750-1258م). زيادة على ذلك فإن هيبة المؤسسات الإدارية وفاعلية نشاطاتها تظهر من خلال جهازها القضائي الملزم بتحقيق العدل والمساواة بين المسلمين المستوطنين الجدد من جهة، وأهل الذمة أصحاب الأرض من جهة أخرى.

أ- ديوان بيت المال

يذكر الاصطخري أن بيت المال في أرمينية، كان متواجدا في مدينة برذعة،³ ويضيف ابن حوقل أنّه شبيه بالذي اتخذه بنو أمية في مصر وغيرها من الولايات الإسلامية.⁴ وهو يختص بجمع الموارد المختلفة التي تؤول إلى بيت المال، كأموال الجزية والخراج والزكاة

¹ القزويني: المصدر السابق، ص. 494.

² الاصطخري: المصدر السابق، ص. 111.

³ المصدر السابق، ص. 184؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 291.

⁴ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 291.

والغنيمة والفبيء، وغيرها من الموارد. كما يقوم القائمين عليه أيضا، بإنفاق هذه الموارد على مرافق الولاية وفق نظام دقيق يكفل الحقوق للجميع، مثل دفع مستحقات الجنود والموظفين، وتقديم أموال الزكاة لمستحقيها،¹ وبناء المدن والقلاع والمساجد وغيرها من المشاريع ذات المصلحة العامة. وفي هذا الصدد يذكر البلاذري أن والي أرمينية مسلمة بن عبد الملك، لما دخل مدينة باب الأبواب أمر بتفريق الأموال على أهلها،² وأمر ببناء مخزين للطعام والشعير، ومقرّا لتخزين السلاح، وصهريجا لتجميع المياه، ودعا أيضا إلى ضرورة ترميم المدينة، مما أكسب هذه الأخيرة شرفا ومكانة مرموقة بين المدن المجاورة لها.³

غير أن هذه الأموال قد يذهب جزء منها إلى أشخاص آخرين، إذ يورد الطبري أن يزيد بن الوليد بن عبد الملك قبل تولّيه للخلافة، اشترى ضيعة واحتاج إلى مبلغ من المال قدره أربعة آلاف دينار، فأرسل إلى والي أرمينية مروان بن محمد يطلب منه المبلغ، ففضى الأخير حاجته، وأضاف له مبلغا آخر قدره ألف درهم،⁴ ويبدو من خلال الرواية أنه أخذ النقود من بيت مال المسلمين في أرمينية، وإن صحّت هذه الرواية، فإن هذا الأمر يتنافى مع نصوص التشريعات الإسلامية ويمثّل تجاوزا خطيرا، لأن أموال بيت مال المسلمين تتفق في مواطن محدّدة، ولا يحقّ لأيّ مخلوق مهما كانت رتبته في الحكم إنفاقها في سبيل تحقيق مصالح شخصية.

ويورد الأصفهاني أيضا معلومات مفادها أن الفضل بن يحيى الذي عينه الخليفة هارون الرشيد واليا على إقليمي أرمينية وأذربيجان، أتى إليه عامله على أرمينية، وقدم له تقريرا حول أوضاع المنطقة، وطلب منه أمورا خاصة، فنقّذ له طلباته، وأضاف أيضا أن العامل أهدى

¹ فركوس دليلة: تاريخ النظم الإسلامية، أطلس للنشر، الجزائر، 1995م، ج. 2، ص. 91.

² ويضيف البلاذري أن: "أهل الباب اليوم لا يدعون عاملا يدخل مدينتهم إلّا ومعه مال يفرّقه عليهم". المصدر السابق، ص. 291.

³ البلاذري: المصدر السابق، ص. 291.

⁴ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 282-283.

له مبلغا ماليا قدره ثلاثين ألف دينار، وترك للفضل حرية التصرف فيه، بأن يشتري به ما يحب، على حد قول هذا الأخير.¹ ويقال أن والي أرمينية خالد بن يزيد بن مزيد المعين من قبل الخليفة المأمون، امتدحه الشاعر أبو تمام فأعطاه مبلغا ماليا باهضا، قدره عشرون ألف درهم، وأضاف له نفقة لسفره.² إلا أن الكثير من المؤرخين لا يعولون على روايات الأصفهاني في كتابه "الأغاني" لكثرة ما فيها من المبالغات والافتراءات.

ويقال أن بيت المال في إقليم أرمينية بني بشكل محكم ومحصن،³ قصد حمايته من السرقة والنهب، لأن الأوضاع السياسية والعسكرية في المنطقة كانت تشهد من حين لآخر ثورات يقودها البطارقة الأرمن أو المتغلبون أو الخوارج، وأول ما تقع عليه أعين هؤلاء بعد سيطرتهم على الإقليم هو بيت المال، الذي يوفر لهم مدخولا يساعدهم على الاستمرار في حركاتهم المناهضة لدار الخلافة، وتنمية نشاطاتها.

وأورده الطبري في خضم سرده لحوادث سنة 158هـ/774م، رواية تظهر نوعا آخر من التمردات، التي تتسبب في ضياع أموال المسلمين، إذ ذكر أن الجند خرجوا عن طاعة والي أرمينية "وكسروا أقفال بيت المال، وأخذوا ما فيه"⁴ وأفادت الرواية أيضا أن الوالي في تلك الفترة كان ضعيف الشخصية، ولم يكن في المستوى، الأمر الذي جعل الجنود يخرجون عن طاعته.

¹ الأصفهاني: المصدر السابق، ج. 5، ص. 131-132؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 8، ص. 242؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 590.

² الأصفهاني: المصدر السابق، ج. 16، ص. 531؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج. 2، ص. 15-16.

³ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 184.

⁴ الطبري: المصدر السابق، ج. 8، ص. 97.

ب- ديوان الخراج

يتلخص دوره في جمع المحاصيل الزراعية أو الأموال المفروضة على أراضي أهل الذمة،¹ إذ يقوم كل بطرق وملك في إقليم أرمينية بجمع ما هو مفروض على ناحيته من خراج، ويقدمه إلى عامل لدى الوالي حينما يأتي لاستلامه، في وقت محدد متعارف عليه بين الطرفين.² ويستفاد من رواية البلاذري حول تأدية الخراج، أن البطارقة كانوا يعملون باستمرار على مداراة أي والي جديد، فإن رأوه قويًا ويمتلك جيشًا متماسكًا وذا عدّة، وصارما وعفيًا لا يقبل هداياهم، والتي تعدّ من المنظور الإسلامي رشاي، ففي هذه الحالة يذعنون له بالطاعة، ويؤدّون ما عليهم من الخراج، أما إن كان غير ذلك فإنهم يستخفّون بأوامره، كما هو الحال بالنسبة لخالد بن يزيد بن مزيد، الذي خالطهم وقبل هداياهم، فعصوا أوامره ورفضوا أداء ضريبة الخراج في وقته، وبذلك أفسدهم على نفسه، وجرّاهم على من بعده من الولاة.³

وكانت مهمة عامل الخراج ذات أهمية بالغة، لأنه دائماً في الواجهة، وطبيعة عمله تجعل حياته معرضة للخطر باستمرار، وفي هذا الصدد يذكر اليعقوبي في تاريخه، أن عامل خراج أرمينية أبي الصباح الذي عينه الوالي الفضل بن يحيى، تعرض للقتل على يدي أهالي مدينة بردغة، وأدّى ذلك إلى انتشار انتفاضة عارمة في مختلف أنحاء البلاد، وتزامنت مع ظهور حركة الخارجي أبي مسلم الشاري في المنطقة.⁴

ج- ديوان البريد

عبارة عن مصلحة تنظم الاتصالات ووسائل النقل بين إقليم أرمينية ومركز الخلافة، ويقال أن أول من اهتم بهذا الديوان هو الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، وشهد

¹ فركوس دليّة: المرجع السابق، ج. 2، ص. 97.

² البلاذري: المصدر السابق، ص. 296.

³ المصدر السابق.

⁴ مج. 2، ص. 375.

هذا المجال تطورا ملحوظا بلغ أوجّه في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان.¹ وبهدف تيسير وظيفة عمال البريد أنشئت العديد من المحطات على طول الطرق، وسميت بالمنازل، وتحتوي على خيول يمتطيها حاملوا الرسائل، المتنقلون والمتنابون على حملها من محطة إلى أخرى. كما يستفاد من خدمات هذه المحطات أيضا أثناء فترة سفر الخلفاء أو الولاة أو القادة العسكريين.²

وأفاد الطبري بمعطيات بالغة الأهمية حول الدور العسكري لمحطات البريد، التي أقامها المسلمون على الطريق الرابط بين العاصمة الأموية دمشق وإقليم أرمينية، لتتبع مستجدات الأحداث في هذا الثغر البالغ الحساسية، فخلال حديثه عن أخبار سنة 112هـ/730م، تكلم عن مقتل والي أرمينية الجراح بن عبد الله الحكمي في المعركة التي خاضها ضدّ الخزر في أدريجان، وأضاف بأن الخليفة هشام بن عبد الملك لما علم بالخبر، أرسل إلى المنطقة القائد سعيد بن عمرو الحرشي رفقة تسعة وثلاثين مقاتل من جنوده، على أربعين دابة من الدواب المخصصة للبريد، وأتبعه في كل يوم بأربعين جندي يمتطون دواب البريد، حتى اكتمل عدد الجنود، وبذلك تمكن الحرشي من مباغته العدو والانتصار عليهم، وتحرير أسرى المسلمين وأهل الذمة من بين أيديهم.³

ويقال أيضا أن الخليفة المعتصم (218-227هـ/833-841م) لشدة عنايته واهتمامه بسماع أخبار عدوّه الخارجي بابك الخرمي، ونظرا للحواجز التي قد تعتري الطرق أحيانا كالتلج وغيره، فإنه أعاد ترتيب المحطات الرابطة بين مقرّ حكمه في مدينة سامراء ومعسكر قائده الأفشين الواقع في مدينة برزند الأرمينية، بهدف تبادل المعلومات والأخبار في وقت

¹ فركوس دليلة: المرجع السابق، ج. 2، ص. 89.

² نفسه، ص. 89-90.

³ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 70؛ ابن خياط خليفة: المصدر السابق، ص. 342.

قصير، فكانت الرسائل تنتقل من فارس إلى آخر، عابرة للمروج ورؤوس الجبال، ليلاً ونهاراً، حتى تصل إلى مقر إقامة الأفشين في مدة لا تتجاوز الأربعة أيام أو أقل.¹

وروى اليعقوبي أنه لما ولي المعتصم خالد بن يزيد شؤون أرمينية، وسمع بخبره حكامها المحليين، عملوا على تحصين مقاطعاتهم، وأظهروا العصيان وعدم الانصياع لأوامره، الأمر الذي جعل منصور بن عيسى السبيعي صاحب البريد في إقليم أرمينية يكتب إلى الخليفة رسالة، يعلمه فيها بالمستجدات والأحداث الناتجة عن قراره الأخير.² ويمكن استخلاص عدة أمور مهمة من هذه الرواية، أولها: أن صاحب البريد كان على اتصال مباشر بالخليفة ويخضع لسلطته، وثانيها: أن الوالي لا يستطيع التدخل في شؤونه، بل على العكس، فصاحب البريد حسب ما يبدو هو من يراقب نشاط الوالي، وكل صغيرة وكبيرة تحدث يبلغها للخليفة، وبناء على التقرير الذي يقدمه، يقوم هذا الأخير باتخاذ الإجراءات اللازمة. ويمكن اعتبار صاحب البريد وديوانه وأعوانه، إضافة إلى الأعمال المنوطة بهم، بمثابة جهاز تجسس داخل ولاية أرمينية، يعتمد عليه الخلفاء لتقصي الأخبار الحقيقية حول هذا الإقليم الذي يتمتع بموقع حيوي واستراتيجي.

د - ديوان الجند

يهتم بتدوين وإحصاء أسماء المقاتلين، وتحديد عطاءهم ورواتبهم، وتجدر الإشارة إلى أن الطبري أفاد بوجود هذا الصنف من الدواوين في إقليم أرمينية، في معرض حديثه عن التقرير الذي يرفعه الوالي مروان بن محمد إلى الخليفة هشام كل سنتين، وفي هذا الصدد يقول: "فيرفع إليه أمر الثغر وحاله ومصلحة من به من جنوده".³

¹ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 52.

² اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج. 2، ص. 435.

³ الطبري: المصدر السابق، ج. 8، ص. 296.

هـ- نظام القضاء

بعد تأسيس الدولة الإسلامية صار الرسول صلى الله عليه وسلم قاضيا على المسلمين، وفي عهد الخليفة الراشدي أبو بكر الصديق أضحت مهمة القضاء مقسمة بينه وبين عمر بن الخطاب، ومع تولي هذا الأخير للخلافة ازدادت التحديات نتيجة لاتساع رقعة الدولة الإسلامية، واحتكاك المسلمين بسكان الأقاليم المفتوحة، فدعت الحاجة إلى تعيين قضاة الأقاليم، الذين تميزوا بالتقوى ووزارة العلم والعدل.¹

ورغم أن المصادر لم تتحدث بالتفصيل عن طبيعة النظام القضائي المعمول به في إقليم أرمينية، فإننا نستطيع القول بأنه كان خاصا بالمسلمين في المنطقة دون غيرهم، لأن أهل الذمة كان لهم بطارقة وملوك يسيرون شؤونهم المحلية، ومنها مهمة القضاء فيما شجر بينهم. وفي هذا الصدد أخذت الكنيسة الأرمينية على عاتقها مهمة إقامة العدل في أوساط الأرمن، وكان الأساقفة يمثلون القضاة، وحكموا في القضايا المختلفة التي عرضت عليهم، واضطلعوا بمهمة الدفاع عن الأخلاق وضمان احترامها.²

وسعى الأساقفة أيضا إلى حماية الضعفاء، وعيّنوا أشخاصا قِيَمِينَ وأوصياء على الأطفال اليتامى، وسجّلوا المواليد وأبرموا عقود الزواج. وفي المسائل التأديبية الخاصة بالكنيسة كان للأساقفة السلطة القضائية الكاملة على جميع رجال الدين، مع إمكانية تقديم طلب إعادة النظر في أحكامهم أمام البطريرك الذي يمكنه زيادة أو تخفيف العقوبة المفروضة.³ وعلاوة على ذلك فإن هؤلاء الأخيرين كان لهم دور فعال في ترشيح قادة الأسر الأرمينية الكبرى لتولي منصب الإمارة في العهد الإسلامي، كما أن كلمتهم كانت في كثير

¹ فركوس دليلة: المرجع السابق، ج. 2، ص. 108 وما بعدها.

² Aslan Kevork : op. cit. p. 281.

³ Ibid, p. 281-282.

من الأحيان مسموعة لدى الخلفاء، إذا قدّموا شكاوي ضدّ الولاة المسلمين الذين عرفوا بقسوتهم على حدّ تعبيرهم.¹

ومن ضمن المعطيات التي وجدت حول النظام الخاص بالمسلمين في المنطقة، ما روي عن الخليفة عمر بن الخطاب بأنه عيّن سلمان بن ربيعة الباهلي على قضاء بلاد العجم ومنها أرمينية بعد فتحها، ويعدّ أوّل قاضٍ لعمر.² يضاف إليها المعلومة التي أفاد بها الرحالة والجغرافي ابن حوقل، والتي تقول أنه التقى بابن سُميعة، وهو يشغل منصب القضاء في مدينة تفليس، خلال مجلس لمناظرة عقدت له في البلاد.³ ومنه نجد أن إقليم أرمينية بعد الهجرات المتتالية للقبائل العربية، ازداد عدد المسلمين في مختلف أرجائه، الأمر الذي تطلّب تعيين قاضي في كل مدينة، حتى لا تتراكم القضايا، ويستطيع القضاء حلّها في الزمان والمكان المناسبين.

و - نظام الحجابة

ظهر في العهد الأموي، إذ يذكر أن أوّل من اعتمد على الحاجب هو الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، والذي أدت الظروف السياسية المتدهورة في بداية عهده إلى اتخاذ الحاجب. وتتمثل مهامه في إعداد جدول زمني يحتوي على المقابلات التي ستتم مع الخليفة، من خلال ترتيب الأشخاص الداخلين إليه، وفق مركزهم في الدولة، ومدى أهمية أعمالهم.⁴ غير أن هذا النظام انتقل إلى الولايات الإسلامية، إذ اعتمد عليه ولاة أرمينية للحفاظ على حياتهم، وتحسين تسيير شؤون ولايتهم.

¹ Aslan Kevork : op. cit. p. 285.

² البكري: المصدر السابق، ج. 1، ص. 276.

³ البكري: المصدر السابق، ج. 1، ص. 292.

⁴ فركوس دليّة: المرجع السابق، ج. 2، ص. 76.

وفي هذا الباب أشارت رواية سردها الطبري أن والي أرمينية مروان بن محمد، أقام في مدينة خلاط، وكان له حاجبا يستقبل كل من يريد الدخول عليه، ويسأله عن حاجته، ثم يبلغه بموعد اللقاء.¹ ولا ريب أن جميع الولاة الذين تعاقبوا على حكم المنطقة، من بداية الحكم الأموي إلى غاية ضعف الخلافة العباسية، وانحسار وفقدان سيطرتها على أرمينية، اتخذوا حجّابا، لما يتميز به هذا النظام من خصائص، تشعرهم بالأمن من غدر أعدائهم الكثيرين، سواء المتغلبين أو المتمردين الأرمن، أو الخزر والروم وغيرهم من الأعداء. زيادة على ذلك فإن المنطقة كانت تشهد في فترات متفرقة اضطرابات سياسية خطيرة، تصل أحيانا إلى محاولة قتل الولاة أو النجاح في قتلهم.

ومن الحقائق التاريخية التي يمكن استنتاجها من هذا الفصل نذكر:

أولا : أدى الفتح الإسلامي إلى توحيد أرمينية، بعدما كانت مقسّمة إلى قسمين: الشرقي تابع للفرس، والغربي خاضع لسيطرة الروم. وجدير القول أن إقليم أرمينية في ظل الحكم الإسلامي تميّز بوجود عدد هائل من المدن الذائعة الصيت، داخل الإقليم وخارجه. الأمر الذي جعل المسلمين يصنّفونها ضمن أربعة أقسام جغرافية متباينة، بهدف تنظيم سير شؤونها السياسية، وتسهيل عمل مؤسساتها الإدارية المحلية.

ثانيا : يوجد تباين كبير بين الرحالة والجغرافيين حول طبيعة التقسيمات الإدارية في المنطقة، والمدن التابعة لكل قسم، الأمر الذي استوجب الاستناد إلى العديد من المصادر القيّمة في هذا الشأن للفصل في الموضوع، علاوة على ذلك، فإن التطورات السياسية التي وقعت في الإقليم عبر تاريخه العريق ساهمت بشكل لافت للانتباه في التأثير على نوع وطبيعة التقسيم الذي اهتدى إليه الفاتحون.

ثالثا : تطلّب تسيير شؤون ولاية أرمينية بعد فتحها، تنظيما يتماشى مع التطورات الحاصلة في بيت الخلافة الإسلامية، وعلى رأسه إنشاء الدواوين التي عرفت العديد من

¹ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 282-283.

التغيرات والتطورات إبان العهدين الأموي والعباسي. كما أن هيئة المؤسسات الإدارية وفاعلية نشاطاتها تظهر من خلال جهازها القضائي الملزم بتحقيق العدل والمساواة بين المسلمين من جهة، والأرمن أهل الذمة من جهة أخرى.

الفصل الرابع

تحديات التواجد الإسلامي في أرمينية

- 1- الصراع الإسلامي-الرومي على أرمينية
 - أ- أرمينية بين المسلمين والروم 19-40هـ/640-660م
 - ب- الصراع الأموي-الرومي في أرمينية 41-132هـ/661-750م
 - ج- النزاع العباسي-الرومي على أرمينية 132-271هـ/750-885م
- 2- الصراع الإسلامي-الخرزي على أرمينية
 - أ- المعارك الإسلامية-الخرزية في العهد الراشدي
 - ب- الحروب الأموية-الخرزية
 - ج- المواجهات العباسية-الخرزية
- 3- ثورات الأرمن ضد الحكم الإسلامي:
 - أ- تمرد البطارقة على الخليفة عبد الملك بن مروان
 - ب- تمرد البطارقة على والي الحسن بن قحطبة 157-158هـ/774-775م
 - ج- خروج البطارقة على والي يوسف المروزي 237هـ/852م
- 4- الحركات المناهضة للحكم الإسلامي في أرمينية
 - أ- ثورة زعيم القبائل اليمنية 126هـ/743م
 - ب- ثورة الخوارج في أرمينية 132هـ/750م
 - ج- ثورة القبائل العربية في البيلقان 170هـ/786م
 - د- حركة عطا الموكنا 176هـ/792م
 - هـ- ثورة الخوارج بقيادة الوليد بن طريف 178هـ/794م
 - و- حركة بابك الخرمي 192هـ/807م
 - ز- ثورة محمد بن عتاب في جرزان
 - ح- حركة إسحاق بن إسماعيل في جرزان 193هـ/809م
 - ط- ثورة الإمارة القيسية في مدينة منازلرد

يتطرق الفصل الرابع إلى أبرز المعوقات التي واجهها المسلمون، إبان فترة حكمهم لإقليم أرمينية، ولعلّ من أكثرها خطورة التنافس الإسلامي-الرومي للسيطرة على المنطقة، لاسيما وأن موقعها الجغرافي يمثل حاجزا طبيعيا وبشرياً بين الطرفين، وحلقة من حلقات الصراع الوجودي الإسلامي-الرومي، لذلك بذلت كل فئة مجهودات مضنة واستماتت في سبيل كسب تأييد الأرمن باعتبارهم الورقة الرابحة التي تمكّنها من بسط نفوذها على أرمينية.

ويتعرض هذا الفصل أيضا إلى الصراع الإسلامي-الخزري وما شكّله من تهديد على الوجود الإسلامي في الإقليم المذكور، الأمر الذي أدّى إلى تكاتف الجهود بين المسلمين والأرمن للدفاع عن وطنهم. وشكلت ثورات الأرمن والحركات الإسلامية المناهضة لولاة أرمينية تحديا آخر، وقف كحجر عثرة أمام استقرار الحكم الإسلامي في المنطقة، خاصة وأن هذه الثورات كانت تختار التوقيت والمكان المناسبين.

وبناء على المعطيات السالفة، حاول الفصل الحصول على إجابات للتساؤلات التالية: ما هو سرّ التنافس الإسلامي-الرومي على إقليم أرمينية؟ ولماذا قام الخزر بهجمات متتالية على المسلمين في المنطقة؟ وما هي دوافع تمردّ الأرمن وبعض زعماء القبائل العربية على الحكم الإسلامي في أرمينية؟

1- الصراع الإسلامي-الرومي على أرمينية

مثّل إقليم أرمينية المنطقة الحاجزة بين الدولة الإسلامية من جهة، وإمبراطورية الروم من جهة ثانية، وسعى كل طرف منهما إلى استغلال الظروف المناسبة للسيطرة عليه، فلم يقبل الروم خسارة أرمينية بسهولة، حيث بذلوا مجهودات جبارة لمحاولة استرجاعها، وخاضوا مع المسلمين معارك طاحنة على أراضيها، بداية من عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب، مروراً بالعهد الأموي، ووصولاً إلى الفترة العباسية.

أ- أرمينية بين المسلمين والروم 19-40هـ/640-660

يذكر البلاذري أن إقليم أرمينية بعد ظهور الإسلام، وإسقاط القوات الإسلامية لدولة الفرس، صار في يد الخزر والروم،¹ وتدل هذه الإشارة على استغلال الروم لفترة انهيار الفرس، ومحاولة فرض سيطرتهم الكاملة على الإقليم، بعد تواطئهم مع الخزر المعروفين بالسلب والنهب والعودة إلى مضاجعهم. غير أن الفتوحات الإسلامية امتدت إلى المنطقة ونجح القادة المسلمون في فرض سيطرتهم عليها، بفضل رغبتهم الخالصة في الجهاد لنشر الإسلام إلى الناس كافة، وفق ما نصت عليه تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهذا ما شهد به المؤرخان الأرمنيان المعاصران للفترة قيد الدراسة: سبيوس وغيفوند.²

يضاف إليها الصراع المذهبي الرومي-الأرمني، الذي أدى في كثير من الأحيان إلى وقوف الأمراء الأرمن إلى جانب المسلمين المتسامحين، للتخلص من الاضطهاد الديني الممارس عليهم من قبل الروم. وبالتالي يمكن القول أنهم اقتدوا بسكان الشام ومصر الذين لم يقاوموا الفاتحين المسلمين بل قدموا لهم الدعم، وردا على ذلك عاملهم المسلمون بالمثل.³ كما عرف القرن السابع الميلادي/الأول الهجري تحديات جمّة واجهتها إمبراطورية الروم، ولعلّ من أبرزها نشأة المملكة البلغارية الجديدة بجوار حدودها الشمالية المطلة على نهر الدانوب السفلي، وتوغل جنودها على حساب بلاد الروم.⁴ الأمر الذي كان له بالغ الأثر على الفتوحات الإسلامية التي نجحت في السيطرة على المقاطعات الشرقية والجنوبية للروم، وأفقدتهم مكانتهم المرموقة كأقوى إمبراطورية في العالم.⁵

وتشير المصادر الأرمينية إلى أن الغزوات الإسلامية الأولى على أرمينية، عرفت مناوشات متفرقة بين الجيش الإسلامي من جهة وقوات الروم المتمركزة في المنطقة من جهة

¹ المصدر السابق، ص. 277.

² SÉBÉOS. Op. cit. p. 96 ; GHÉVOND. Op. cit. p. 2.

³ Vasiliev : op. cit. p. 216.

⁴ Ibid. p. 219.

⁵ Cahen Claude : Orient et Occident au temps des croisades, Aubier Montaigne, Paris, 1983, p. 9 ; Vasiliev : op. cit. p. 212.

ثانية، وفي هذا الصدد يذكر غيفوند أن قسما من الجيش الإسلامي هجم على معسكر الروم المتواجد في إقليم أرداز Ardaz التابع لكورة البسفرجان،¹ وألحقوا بهم هزيمة ساحقة، رغم أن عدد أفراد جيش الروم كان يساوي ستة أضعاف عدد القوات الإسلامية.² ويقال أن سبب هزيمة الروم، يعود إلى اغترار قائدهم بروكوب Brogob واعتزازه بجيشه الجرّار، وتجاهله لنصائح الأمير الأرمني تيودور الرشتوني، الذي حذّره وأنذره من خطر التحركات المبالغية للقوات الإسلامية.³ زيادة على ذلك فإن الانقسامات الداخلية في بلاط الروم إبّان تلك الفترة، منعتهم من تقديم الدعم اللازم للأرمن.⁴

وبعد هذه الواقعة عين الإمبراطور الرومي قنسطنز الثاني⁵ (641-668م) القائد الأرمني تيودور الرشتوني على رأس القوات الأرمينية لمواجهة الغزوات الإسلامية في الإقليم، ومنحه أيضا لقب بطريق Patric حوالي سنة 21هـ/642م.⁶ وبعد استلام هذا الأخير لمهامه شرع في تجميع قواته لصدّ الحملات الإسلامية المتكرّرة على أرمينية.⁷ وأمام الانتصارات الساحقة التي حققها الجيش الإسلامي في المنطقة اضطر تيودور إلى عقد معاهدة سلام مع والي الشام معاوية بن أبي سفيان سنة 33هـ/654م، وتعاون معه لتحرير أرمينية من النفوذ الرومي.⁸

¹ Ghévond. op. cit. p. 6.

² Ibid. p. 7.

³ Ibid. p. 6-7.

⁴ Gatteyrias : op. cit. p. 89.

⁵ يعرف أيضا بقونسطا بن قسطنطين، حكم سبعا وعشرين سنة. في بداية عهده تمكّن المسلمون من فتح مدينة الإسكندرية، وبعدها توقّف الفتح بسبب أحداث الفتنة الكبرى التي عصفت بالخلافة الإسلامية، وهي فرصة استغلّها قنسطانز في إصلاح أحوال إمبراطوريته، ولاسيما فيما يخص إعادة تنظيم الولايات، والاهتمام بالمناطق الحدودية. للمزيد ارجع إلى: مؤلف مجهول: تاريخ ملوك القسطنطينية، تح. منصور طارق وعطا زبيدة، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط. 1، القاهرة، 2008م، 148 وما بعدها؛ محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص. 81.

⁶ Sébéos. op. cit. p. 106.

⁷ Ghévond. op. cit. p. 7 et sui.

⁸ زروق وكربال: المرجع السابق، ص. 142؛ أنظر أيضا:

VARDAN : op. cit. p. 86.

والجدير بالذكر في هذا السياق أن الأرمن ضاقوا ذرعا وخاب أملهم في إمبراطورية الروم منذ بداية الغزوات الإسلامية على أرمينية، إذ تركوا وحدهم دون مساعدة حقيقية تمكنهم من صد الهجمات المتكررة.¹ ومما لا شك فيه أن خوف الأرمن من ضياع شخصيتهم الدينية، أدى بهم إلى الارتقاء في أحضان المسلمين في معظم فترات الصراع الإسلامي-الرومي.²

وتذكر المصادر العربية أن سنة 24هـ/644م، شهدت فتح القائد حبيب بن مسلمة لمدينة قاليقلا المجاورة لإمبراطورية الروم، واستقراره فيها لعدة أشهر.³ واستطاع بفضل جواسيسه المنتشرين في المنطقة، رصد تحركات بطريق أَرْمِنْيَاقُس الرومي الذي حشد قوات هائلة العدد لمحاربة المسلمين، والتحقت به قوات من أهل اللان والخزر،⁴ فطلب من الخليفة عثمان المدد، إلا أن قوات الدعم الإسلامية لم تصل إليه إلا بعد المعركة التي اضطر لخوضها بجيشه القليل العدد، ورغم ذلك تمكّن من سحق قوات الروم المقدّر عددها بحوالي ثمانين ألف مقاتل وقتل قائدهم "الموريان"،⁵ عبر هجوم ليليّ كاسح، ومفاجئ على معسكرهم.⁶

وبالرجوع إلى المصادر العربية والأجنبية نجد مبالغة كبيرة في القوة العددية للمقاتلين عند كلا الجانبين، وفي الواقع لم تكن جيوش الطرفين المتنازعين كبيرة جدًّا.⁷ ومهما يكن من أمر فإن الانتصارات المتتالية للفاحين الذين وسعوا نطاق الدولة الإسلامية الفتية، أبهرت

¹ Sebeos. Op. cit. p. 101 ; Morgan, op. cit. p. 117; Pasdermadjian, op. cit. p. 127.

² Ghémond. op. cit. p. 155.

³ البلاذري: المصدر السابق، ص. 277-278.

⁴ نفسه، ص. 278.

⁵ ويقال أن امرأة حبيب أم عبد الله لما رآته يستعد لمواجهة الروم، قالت له: "أين موعذك؟ قال سراق (خيمة) الموريان أو الجنة" وعندما انتصر المسلمون على الروم، دخل حبيب إلى السراق، فوجد أن امرأته قد سبقته وقتلت قائد الروم "الموريان". نفسه؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 4، ص. 249.

⁶ البلاذري: المصدر السابق، ص. 278؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 4، ص. 249.

⁷ Vasiliev: op. cit. P. 210.

العديد من المؤرخين، ولعلّ من أبرزهم الراهب غيفوند الذي شبه الفتح الإسلامي لأرمينية بالأفعى المجنحة المهاجمة على جناح السرعة.¹

جدير الذكر أن النزاع الإسلامي-الرومي أجبر الإمبراطور هرقل الذي حكم بين سنتي 610-641م، على إعادة تنظيم أقاليم الإمبراطورية لحمايتها من غزوات المسلمين، فالمناطق المجاورة للمسلمين جرى تقسيمها إلى أقاليم عسكرية كبيرة وهي المعروفة بالأجناد Themes، يتولى كل منها قائد عسكري يدعى استراتيجوس، وهو يقابل ما كان معروفا في النظام القديم بالأرخون Exarch. وجوهر هذا النظام يتمثل في استقرار الجند بأقاليم آسيا الصغرى ومنحهم مساحات من الأرض، مقابل أن تكون الخدمة العسكرية وراثية. وتألّفت هذه الأجناد Themes من الأرمنيّك Armeniak المتاخم لإقليم أرمينية الإسلامية، والناطيلق Anatolik المجاور لسابقه، والإبسيق Opsik القريب من بحر مرمرة، والكاراباسيني Caravition المتواجد على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى.²

أما بالنسبة بالجانب الإسلامي، فقد احتلت منطقة الثغور³ مكانة بارزة في الدولة الإسلامية، باعتبارها منطقة الحدود الفاصلة بين المسلمين والروم، إذ اهتم المسلمون بهذه المناطق بداية من العهد الراشدي، فبعد نجاح الفتوحات في الشام والجزيرة، لاحظ الخلفاء اهتمام الإمبراطور هرقل بمنطقة الدروب، فوجّه الخلفاء الراشدون اهتمامهم إلى هذه المنطقة. وبعد تولي معاوية بن أبي سفيان خلافة المسلمين (41-60هـ/661-680م) أنشأ قوات حامية في مناطق الحدود، وسميت نظام الأجناد، وصار هذا النظام خلال العهد الأموي من

¹ Op. cit. p. 7.

² العربي: المرجع السابق، ص. 121-122؛ أنظر أيضا:

BOURNOUTIAN : op. cit. p. 72.

³ "الثغر ما يلي دار الحرب... الموضع الذي يكون حدّا فاصلا بين بلاد المسلمين والكفار، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد" والثغرة التُّلْمَة. ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط. 2، 2003م، مج. 3، ص. 22-23.

أبرز نظم الدفاع المعتمدة للذود عن دار الإسلام.¹ وفي العهد العباسي اهتم الخليفة هارون الرشيد بتأمين حدود الدولة الإسلامية الشمالية، وفي هذا الصدد أقام خطا دفاعيا جنوب منطقة الثغور، فصار للمسلمين خطين للدفاع على حدود إمبراطورية الروم، الأول هو الثغور والثاني سمي إقليم العواصم.²

ب- الصراع الأموي-الرومي في أرمينية 41-132هـ/661-750م

بعد استقرار الحكم الإسلامي في أرمينية، تزامنا مع بداية الخلافة الأموية (41هـ/661م)، واصل الروم محاولاتهم اليائسة لاسترجاع هذا الإقليم، الذي خرج عن سيطرتهم، بفضل الغزوات الإسلامية المتكررة على المنطقة. إذ كان الروم ينتهزون فترة ثورات الأرمن على الحكم الإسلامي، ويقدمون لهم العون أملا في القضاء على التواجد الإسلامي فيها.³ ومن الأمثلة الدالة على ذلك، الحملة الرومية التي قادها القائد ليونتيوس Leontius في عهد الإمبراطور جستنيان الثاني عام 48هـ/686م. غير أنها منيت بالفشل ذريع، لأن جنودها ارتكبوا الكثير من أعمال السلب والنهب في حق أهل أرمينية، إضافة إلى محاولة قائدتها إرغام الكنيسة الأرمنية على إتباع مذهب الكنيسة الرومية.⁴ الأمر الذي زاد الطين بلة، وجعل الأرمن يفضلون السيادة الإسلامية على التعاون مع جيش يمارس الاضطهاد المذهبي عليهم.

ويذكر أن الأرمن ثاروا ضدّ الحكم الإسلامي بين سنتي 81هـ/700م و84هـ/703م، وقتلوا عددا كبيرا من المسلمين، وأرسلوا إلى الإمبراطور الرومي يلتمسون منه الدعم والحماية.⁵ يضاف إلى ما سبق أن الروم انتهزوا فرصة اندلاع الفتن الداخلية أواخر العهد

¹ هدى محمد محمد تونسني: الإطار الجغرافي لمناطق الثغور والعواصم في العصر العباسي الأول (132-232هـ/750-847م)، مجلة بحوث الشرق الأوسط، مصر، ج. 2، ع. 29، ص. 751؛ أنظر أيضا:

Bournoutian : op. cit. p. 72.

² هدى محمد محمد تونسني: المرجع السابق، ص. 756.

³ Morgan, op. cit. p. 128.

⁴ العبد الغني: المرجع السابق، ص. 66-67.

⁵ نفسه، ص. 67؛ راجع أيضا:

الأموي، وشجعوا الأرمن على الثورة ضد المسلمين،¹ ولعل من أبرزها ثورة سنة 132هـ/750م، التي قادها كريكور ماميكونيان بعد تحالفه مع الروم.² إلا أن جميع هذه الثورات منيت بالفشل ساحق، لأن قيادتها في كل مرة كانت لإحدى الأسر الأرمينية، وهو ما دفع بالمسلمين إلى اختيار أسرة أرمينية أخرى تساندتهم في القضاء على الأسرة الثائرة.³ وكمثال على ذلك الأسرة البقراطونية التي منحها الأمويون تسيير شؤون أرمينية، والتي كانت في مواجهة مباشرة مع الأسرة الماميكونية الثائرة على الحكم الإسلامي في المنطقة.⁴

وحاول الروم من جانبهم في فترة انتفاضات الأرمن على التواجد الإسلامي، الزحف بجيوشهم الجارة إلى أجزاء من أرمينية ومحاولة احتلالها، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، لأن الأرمن تعوّدوا على عدم اللجوء للإمبراطورية الرومية، إلا في حالة الضرورة القصوى، ولم يسمحوا لجيوشهم بالاستقرار في بلادهم بصفة دائمة، نظرا لانعدام الثقة بين الطرفين، نتيجة الاختلاف المذهبي، وكراهية الأمراء الأرمن لنظام الحكم الرومي، القائم على الإدارة المركزية.⁵ وقد لاحظ الخلفاء الأمويون بثاقب نظرهم وجود هذه الفجوة، فاستغلوها لصالحهم، ومنحوا الأرمن حكما ذاتيا، وحرية دينية، جعلت هؤلاء الآخرين يفضلون الوجود الإسلامي على السيادة الرومية.⁶

وتشير كتب التاريخ الحولي العربية إلى العديد من المعارك الإسلامية-الرومية، والتي كانت الأراضي الأرمينية مسرحا لها، ومنها على سبيل المثال المعركة التي قادها من

GHÉVOND. Op. cit. p. 120.

¹ Asolik, op. cit. p. 162 ; Bréhier, op. cit. p. 83.

² GHÉVOND. Op. cit. p. 119.

³ PASDERMADJIAN (H.) : op. cit. P. 133.

⁴ GHÉVOND. Op. cit. p. 119.

⁵ عبد الرحمن محمد العبد الغني: المرجع السابق، ص. 68؛ للمزيد راجع أيضا:

Pasdermadjian, op. cit. p. 132. Bréhier, op. cit. p. 68.

⁶ Morgan, op. cit. p. 125.

الجانب الإسلامي عثمان بن الوليد، في ناحية من نواحي أرمينية سنة 73هـ/692م، وحقق فيها انتصارا باهرا على الروم، رغم كثرة أعدادهم المقدرة بحوالي ستين ألف جندي، مقارنة بالجيش الإسلامي الذي لم يتجاوز الأربعة آلاف مقاتل.¹ ويقال أيضا أن سنة 102هـ/720م، شهدت معركة عنيفة بين القائد المسلم عمر بين هبيرة، والروم الذين تلقوا هزيمة ساحقة، وأسر منهم أكثر من سبعمائة أسير.²

وموازاة مع ذلك اتخذ المسلمون إقليم أرمينية، مركزا استراتيجيا لتنفيذ غزواتهم على الروم، إذ يذكر الطبري أن سنة 42هـ/662م عرفت غزو المسلمين للروم، انطلاقا من أرمينية، وهزمهم "هزيمة منكرة".³ وفي عام 73هـ/692م غزا محمد بن مروان الروم وهزمهم.⁴ الأمر الذي أكد مخاوف الروم الذين حاولوا مرارا وتكرارا منع القوات الإسلامية من السيطرة على هذه المنطقة، خشية جعلها مركزا تستقر فيه القوات الإسلامية، استعدادا لحروبها ضدهم، لاسيما وهم يعلمون أن المسلمين لن يهدأ لهم بال، حتى يبلغوا هدفهم المنشود، ألا وهو فتح القسطنطينية، والقضاء على الإمبراطورية الرومية.

ويذكر أن بعض الأرمن المتمردين عن الخلافة الأموية، تعرضوا أحيانا للاضطهاد من طرف الولاة المسلمين، الأمر الذي دفع بهم إلى الهجرة. ومن الأمثلة الدالة على ذلك تلك الأحداث التي وقعت عام 86هـ/705م، حين انهزم جيش محمد بن مروان والي أرمينية على يد قوات الأمير الأرمني سمباد المدعومة بقوات من الروم. فقرر بعد أن وصلته الإمدادات التي أرسل في طلبها لتقوية جيشه، الانتقام من المتمردين، فقام بإلقاء القبض على عدة مئات منهم وأودعهم الكنائس وأغلقها عليهم وأشعل النار فيها.⁵ ونتيجة لهذه

¹ الطبري: المصدر السابق، ج. 6، ص. 194.

² نفسه، ص. 616.

³ المصدر السابق، ج. 5، ص. 172.

⁴ ابن الأثير: المصدر السابق، ج. 4، ص. 130.

⁵ عبد الرحمن محمد العبد الغني: المرجع السابق، ص. 70. راجع أيضا:

الأحداث الأليمة قرر الكثير من الأمن ولاسيما المتمردين منهم، الهجرة نحو أراضي إمبراطورية الروم.¹

وجدير بالذكر أن محاولة الروم استعادة إقليم أرمينية خلال العهد الأموي، أدى إلى زيادة عدد الغزوات الإسلامية الهادفة إلى تدمير إمبراطورية الروم.² إذ حاولت الدولة الأموية في العديد من المرات عبور آسيا الصغرى وفتح القسطنطينية،³ وحشدت من أجل ذلك الجيوش الجرارة، وسخرت جميع مواردها لتحقيق الهدف الأساسي الذي تبناه الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وظهر جلياً في حملته الكبرى على القسطنطينية خلال الفترة الممتدة بين عامي 55-59هـ / 674-678م.⁴ يضاف إليها حملة الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك عام 99هـ / 717م،⁵ والذي جهز أخاه مسلمة بن عبد الملك بجيش جرار لفتح القسطنطينية، وأمره أن يحاصرها حتى يفتحها، فحاصرها وشتى وصاف بجوارها حتى مات الخليفة سليمان وهو محاصر لها.⁶ ولم تقلح جهود المسلمين في فتح مدينة القسطنطينية بسبب قوة أسوار المدينة واستخدام الروم النار الإغريقية، المعيقة لسير الجنود، بالإضافة إلى وجود أباطرة أقوياء أمثال قسطنطين الرابع.⁷

ويعدّ ظهور مملكة الخزر على مسرح الأحداث السياسية بين المسلمين والروم منذ أواخر عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86-96هـ / 705-714م) حدثاً جديراً

¹ Asolik, op. cit. p. 156.

² جون هالدون : بيزنطة في حرب 600-1453، تر. فتحي عبد العزيز محمد، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2011م، ص. 34.

³ عبد العزيز بن عبد الله الحميدي: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، دار الأندلس الخضراء، ط. 1، المملكة العربية السعودية، 1998م، مج. 7، ص. 14 وما بعدها.

⁴ الباز العريني: المرجع السابق، ص. 185؛ طهوب صلاح: المرجع السابق، ص. 19 وما بعدها؛ عبد الرحمن محمد العبد الغني: المرجع السابق، ص. 74.

⁵ مؤلف مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، مكتبة المثني، بغداد، (د. ت)، ج. 3، ص. 32؛ للمزيد أنظر أيضاً: الباز العريني: المرجع السابق، ص. 187 وما بعدها.

⁶ محمد بك الخضري: المرجع السابق، ص. 366.

⁷ طهوب صلاح: المرجع السابق، ص. 21.

بالاهتمام، إذ أدرك الروم القيمة الإستراتيجية لجيرانهم في منطقة القوقاز منذ فترة مبكرة،¹ فاتحدوا معهم وكونوا حلفاء عسكريا مشتركا بهدف القضاء على القوات الإسلامية المتواجدة في إقليم أرمينية.² الأمر الذي دفع بالقوات الإسلامية إلى بناء العديد من القلاع والحصون لمواجهة العدوان المشترك الرومي- الخزري.³

ولتمتين جسور الصداقة بين الطرفين المتحالفين قام الإمبراطور ليون الثالث بتزويج ابنه قسطنطين الخامس من ابنة خاقان الخزر عام 115هـ/723م.⁴ الأمر الذي أدى إلى زيادة عدد هجمات الخزر على الجيش الإسلامي المرباط في أرمينية، ودفع بالأمويين إلى دعم جيشهم بالعدد والعدة والمال لصده هذه الهجمات.⁵

وهكذا أفلحت سياسة الروم البارعة في مواجهة الجيش الإسلامي الهادف إلى فتح القسطنطينية، إذ صار الخزر حلفاء أقوياء لها، يقومون بهجمات متكررة على المسلمين، ويستنفذون كل طاقة عسكرية إسلامية هادفة للانطلاق صوب آسيا الصغرى، وبذلك صار إقليم أرمينية ميدانا لذلك الصراع بعيدا عن القسطنطينية.⁶

ج- النزاع العباسي-الرومي على أرمينية 132-271هـ/750-885م

بعد انتقال الخلافة إلى العباسيين، سيطر هؤلاء الأخيرين على المناطق التي كانت في حوزة الأمويين، ومنها إقليم أرمينية، وتواصل الصراع الإسلامي-الرومي على هذا الإقليم، وفي هذا المقام يذكر البلاذري أن الروم قاموا بهجوم كاسح على مدينة قاليقلا المجاورة لهم

¹ الباز العريني: المرجع السابق، ص. 127؛ عبد الرحمن محمد العبد الغني: المرجع السابق، ص. 76.

² Ostrogorsky, op. cit. p. 139 ; Laurent, op. cit. p. 242.

³ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج. 1، ص. 151.

⁴ Ghémond, op. cit. p. 17 ; Ostrogorsky, op. cit. p. 139.

⁵ Laurent, op. cit. p. 104 ; Grousset, op. cit. p. 317.

⁶ أسد رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017م، ج. 1، ص. 264؛ عبد الرحمن محمد العبد الغني: المرجع السابق، ص. 77.

سنة 133هـ/751م، وتمكّنوا من السيطرة عليها، وقتل الكثير من المسلمين المتواجدين فيها، وأسر من بقي منهم حيّا، كما تم نهب المدينة وتدميرها.¹

وبعد استقرار الأوضاع الداخلية في البيت العباسي، جدّد الخليفة أبو جعفر المنصور بناء مدينة قاليقلا عام 139هـ/756م،² وفدى من كان حيّا من الأسرى، وأعادهم إلى مواطنهم، وحصّنها وأحضر إليها جنودا أشداء من بلاد الجزيرة لحمايتها.³ وفي عهد المعتصم بالله (218-227هـ/833-841م) حاصر الروم مدينة قاليقلا، وأحدثوا خروقات كبيرة في سورها الذي كاد يسقط، غير أنهم لم يتمكّنوا من تهيّمه، ويقال أن المعتصم بعد هذه الحادثة، اتخذ إجراءات صارمة لحمايتها، ولعل من أهمّها تحصينه للمدينة بمبلغ قدره خمس مائة ألف درهم.⁴

ويشير خليفة بن خياط إلى معركة وقعت بين المسلمين بقيادة مخلد بن مقاتل والروم عام 134هـ/752م في أرمينية الرابعة، انهزم فيها الجيش الإسلامي، وكانت النتيجة أسر العديد من جنوده.⁵ ومما لا شك فيه أن الروم استغلوا فترة الفوضى التي صاحبت سقوط الخلافة الأموية، وقاموا بالسيطرة على أجزاء من إقليم أرمينية، لاسيما المناطق المجاورة لهم، غير أن العباسيين استرجعوها منهم، وأعادوا بسط السيادة الإسلامية على المنطقة.

ويذكر أن الولاة العباسيين الأوائل على إقليم أرمينية، اتّسمت سياستهم بالشدّة والقسوة تجاه الأرمن،⁶ بهدف فرض نظام حكم مركزي في المنطقة رغم طبيعة هذا الإقليم الجغرافية، ونظامه الإقطاعي. وكان من البديهي أن تثير هذه السياسة حفيظة الأرمن الذين رضخوا

¹ المصدر السابق، ص. 280.

² تجدر الإشارة إلى أن إقليم أرمينية تولى إدارة شؤونه أبو جعفر المنصور، مباشرة بعد سقوط الدولة الأموية، وظهرت الدولة العباسية سنة 132هـ/750م. أنظر:

Gévond. Op. cit. p. 124.

³ البلاذري: المصدر السابق، ص. 280.

⁴ المصدر السابق.

⁵ المصدر السابق، ص. 411.

⁶ Asolik, op. cit. p. t. 1, p. 162.

للحكم الإسلامي في البداية على أساس التمتع بالاستقلال الذاتي.¹ وهذا ما أدى إلى نشوب ثورات الأرمن ضد الولاة العباسيين.²

ومثالا على ذلك ثورة موشيل Mushal الذي لجأ إلى الروم وطلب مساعدتهم للتخلص من الحكم الإسلامي.³ ولحسن حظ المسلمين فإن الإمبراطور قسطنطين الخامس كان منهمكا في حرب طويلة ضد البلغار اندلعت عام 156هـ / 772م، وخشي الدخول في صراع آخر مع المسلمين.⁴ واضطر الأرمن المتمردين إلى خوض غمار الحرب ضد المسلمين بمفردهم، فانهمزوا وتشتت شملهم.⁵

ونتيجة لذلك اتبع الولاة سياسة تعتمد على تفريق الأسر الأرمينية الكبيرة، وتأليب بعضها على الآخر، لضمان ولائها للمسلمين.⁶ لاسيما إذا علمنا أن الظروف الجغرافية والاجتماعية ساهمت في نمو سلطة رجال الإقطاع، وأدت إلى حدوث نزاعات فيما بينهم.⁷ فلا ريب أن فرض السيطرة الكاملة على إقليم أرمينية يستوجب الاستعانة ببعض الأسر الأرمينية العريقة.⁸ الأمر الذي دفع بهذه الأخيرة إلى تغيير ولائها بين المسلمين تارة والروم تارة أخرى، سعيا وراء مصالحهم الشخصية، وتبعا لتغير موازين القوى بين الطرفين المتصارعين على المنطقة.⁹

يذكر أن البطارقة اعتمدوا أحيانا على الخلفاء وأحيانا أخرى على الأباطرة،¹⁰ ومما لا شك فيه أن الأرمن كانوا غالبا ما يفضلون السيادة الإسلامية، لأن الروم حاولوا في كل مرة فرض مذهبهم الديني على الأرمن، كما سعوا إلى القضاء على رجال الإقطاع إبان فترة

¹ العبد الغني: المرجع السابق، ص. 83.

² Ghévond : op. cit. p. 133 ; Laurent : op. cit. p. 91-93.

³ Ghévond : op. cit. p. 138.

⁴ العبد الغني: المرجع السابق، ص. 86.

⁵ Ghévond : op. cit. p. 140.

⁶ Pasdermajian, op. cit. p. 131.

⁷ Ibid.

⁸ Morgan, op. cit. p. 125 ; Laurent: op. cit. p. 133.

⁹ Laurent : op. cit. p. 106 ; Pasdermajian, op. cit. p. 128.

¹⁰ Aslan Kevork : op. cit. p. 285.

سيطرتهم على أرمينية.¹ لأن إمبراطورية الروم بطبيعتها كانت مركزية الحكم، ولا تعترف بسلطة النظام الإقطاعي.² يضاف إليها جهود كنيسة القسطنطينية لجعل الأرمن يعتقدون مذهبها.³ وعليه فإن الأرمن كانوا يفضلون الحكم الإسلامي على حكم الروم.⁴ ومما يثير الاهتمام في هذا المقام أنه طوال فترة الحكم الإسلامي لأرمينية، بقي الأرمن مخلصين لعقيدتهم المسيحية، رغم أنهم كانوا محاطين بالمسلمين من جميع الجوانب.⁵

وخلال سنتي 157هـ/773م و162هـ/778م، قام والي أرمينية يزيد بن أسيد السلمي بغزو الروم انطلاقاً من باب مدينة قاليقلا المطل على حدود الروم، وتمكّن من تحقيق انتصارات مهمة عليهم. ومما لا شك فيه أن هذه الغزوة جاءت ردّاً على هجوم الروم على أرمينية الرابعة عام 154هـ/771م، وفق ما نصت عليه حولية الراهب ثيوفانيس.⁶ وفي عام 242هـ/856م أغار الروم على إقليم أرمينية، إذ دخلوا إليه من مدينة شمشاط المجاورة لهم، وكان ذلك ردّاً على الغزوة التي قام بها المسلمون ضدّهم، تحت لواء القائد علي بن يحيى الأرمني، وتمكّن الروم بفضل الهجوم السابق الذكر، من إلحاق الهزيمة بالجيش الإسلامي، ونهب العديد من القرى، وأسر حوالي عشرة آلاف شخص، وبعدها رجعوا إلى بلادهم.

الأمر الذي دفع بالخليفة المتوكل على الله (232-247هـ/846-861م) بأن يكتب للقائد المسلم علي بن يحيى الأرمني بكتاب يأمره فيه بغزو الروم مرّة أخرى،⁷ لما لهذا الأخير من خبرة طويلة في قتالهم وسبل الانتصار عليهم. فلبّى علي بن يحيى النداء وتوجه بجيشه صوب حدود الروم، وبعد معارك طاحنة بين الطرفين تمكن من الانتصار عليهم، وفتح العديد من الحصون، وغنم وأسر كثيراً منهم.⁸ بيد أنه قتل على أيديهم سنة 249هـ/863م،

¹ Morgan, op. cit. p. 125 ; Pasdermadjian, op. cit. p. 132.

² Morgan, op. cit. p. 132.

³ Catholicos, op. cit. p. 75-76; Morgan, op. cit. p. 132.

⁴ Laurent : op. cit. p. 256 ; Morgan, op. cit. p. 125 .

⁵ Khurumian (R.) : op. cit. p. 16.

⁶ Theophanes : op. cit. p. 132.

⁷ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 207.

⁸ نفسه، ص. 428؛ نفسه، ج. 8، ص. 143.

في معركة غير متكافئة العدد بين الطرفين.¹ وجدير بالذكر أن الخلفاء العباسيين لم يكن هدفهم الأساسي من غزو الروم فتح القسطنطينية كما هدف إليه أسلافهم الأمويين، فالصوائف والشواتي في عهدهم لم تكن سوى غزوات للاستيلاء المؤقت على بعض معاقل الروم في المناطق الحدودية.²

وبعد ضعف نفوذ الخلافة العباسية على أقاليمها، لجأ خلفاؤها إلى استمالة الأمراء الأرمن، وفي هذا الصدد قام الخليفة المستعين بالله سنة 252هـ/866م، بتعيين أشوط البقراطوني أميراً على أمراء أرمينية، ودعم مركزه في المنطقة بهدف إيجاد سلطة حاجزة عن إمبراطورية الروم، التي كانت هي الأخرى تواجه خطر هجمات البلغار على أراضيها.³ هذا من جهة ومن جهة ثانية أدرك الروم مدى أهمية ترك أرمينية مستقلة، وبذلك صار الطرفان يحاولان كسب ودّ الأرمن،⁴ وساهمت هذه الأوضاع في منح أرمينية استقلالاً رسمياً تبنّاه المسلمون والروم سنة 271هـ/885م.⁵ ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن المسلمين أدركوا ضرورة وجود أرمينية كقوة حاجزة بينهم وبين الروم، ومن جهتهم فضل هؤلاء الأخيرين استعمال سياسة المهادنة ومحاولة استمالة الأرمن لصالحهم.⁶

2- الصراع الإسلامي-الخرزي على أرمينية

يقول معظم المؤرخين أن أصل الخزر يعود إلى القبائل التركية التي عاشت في أواسط قارة آسيا، ثم هاجرت في فترة مبكرة غير محددة إلى أوروبا الشرقية، واختار الخزر الاستقرار في المناطق المحاذية لبحر قزوين، الذي عرف فيما بعد باسمهم (بحر الخزر) وأسّسوا مملكة امتد نفوذها إلى جبال القوقاز ونهري الفولجا والدينيبر.⁷ وتشير المصادر الأرمينية

¹ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 261؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 6، ص. 153.

² أسد رستم: المرجع السابق، ج. 1، ص. 266.

³ عبد الرحمن محمد العبد الغني: المرجع السابق، ص. 122-123.

⁴ المرجع السابق، ص. 124.

⁵ Catholicos, op. cit. p. 123 ; Bréhier, op. cit. p. 118 ; Morgan, op. cit. p. 416.

⁶ Morgan, op. cit. p. 125.

⁷ المغربي محمد عبد الشافي: مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين، دار الوفاء، الإسكندرية-مصر، 2002م، ص. 37.

إلى حروب وقعت بين الخزر والأرمن، انتصر فيها هؤلاء الأخيرين في الفترة الواقعة بين سنتي 197 و217م.¹

أ- المعارك الإسلامية-الخرزية في العهد الراشدي 22-40هـ/642-661م

يذكر البلاذري أن ظهور الإسلام، والانتصارات الساحقة التي حققها الفاتحون على الفرس، أدت إلى انسحاب الجيش الساساني من إقليم أرمينية، فاستغل الخزر والروم هذا الوضع لصالحهم وسيطروا على المنطقة.² إلا أن الطبري قدم معطيات مغايرة، إذ ذكر أن مدينة الباب الأرمينية المتاخمة لمملكة الخزر، غزاها القائد سُرَاقَة بن عمرو الملقب بذي النور سنة 22هـ/642م، فوجدها تحت حكم الملك الفارسي شهربراز، الذي طلب الأمان مقابل مساعدة المسلمين بكل الوسائل في بسط نفوذهم على المنطقة، فأبرم معه سُرَاقَة اتفاقية تتمثل في كتاب الأمان لنفسه وللسكان أرمينية عامة.³

ويستشف من هذه الوثيقة⁴ أن المسلمين تركوا الملك شهربراز في منصبه، وأعفوه من دفع الجزية، مقابل إطلاعهم على كل المستجدات التي تحدث في المنطقة، ومشاركته معهم في حروبهم ضد أعدائهم.⁵ والملاحظ أن هذا الملك قد أوفى بعهده، فبعد وفاة سُرَاقَة استخلف الخليفة عمر بن الخطاب على مدينة الباب، القائد الفذّ عبد الرحمان بن ربيعة الباهلي وأمره بغزو الخزر. ورغم تحذير شهربراز لعبد الرحمان بخطورة إقحام جيشه في بلاد الخزر، إلا أن هذا الأخير لم يعبأ بذلك، مبرراً رأيه بقدرة جيشه الذي يضم عددا هائلا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، على سحق القوات الخزرية.⁶

¹ عبد الشافي: المرجع السابق، ص. 42-43.

² البلاذري: المصدر السابق، ص. 277.

³ الطبري: المصدر السابق، ج. 4، ص. 155 وما بعدها.

⁴ للتوسع أكثر حول كتاب الأمان راجع أيضا: الملحق الأول، ص. 356.

⁵ الطبري: المصدر السابق، ج. 4، ص. 156.

⁶ نفسه، ص. 158.

ولم يَخِبْ ظَنُّ عبد الرحمان في جيشه، إذ تمكّن من تحقيق انتصارات باهرة على الخزر في عقر دارهم، ووصل إلى مدينة البيضاء،¹ دون تسجيل خسائر بشرية أو مادية بالنسبة للجانب الإسلامي.² وبثّ هذا الانتصار الساحق الرّعب في قلوب الخزر، حتى انتشرت في أوساطهم شائعة مفادها أن المسلمين لا يموتون،³ وبذلك تمكّن المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (13-24هـ / 633-644م) من تأمين حدودهم المتاخمة لمملكة الخزر، مع افتكاك انتصارٍ ثمينٍ نتج عن أول احتكاك فعليّ بين الطرفين.

وفي زمن الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان، تواصلت هجمات المسلمين المتتالية و الناجحة على بلاد الخزر، بقيادة عبد الرحمان بن ربيعة الباهلي، ولم يشعروا بالأمن والاستقرار ولو للحظة واحدة.⁴ ولمّا دخلت سنة 32هـ/652م أرسل الخليفة عثمان إلى عبد الرحمان المتواجد في بلاد الخزر، كتابا يحثّه فيه على عدم إقحام الجيش الإسلامي في المنطقة، لكن ذلك لم يثن عبد الرحمان عن مواصلة فتوحاته التي بلغت مدينة بلنجر، وبعد حصار مطبق على هذه المدينة، استطاع الخزر فكّه وقتل عبد الرحمان الباهلي بعد قتال دام لعدة أشهر بين الطرفين، ونتج عن ذلك انهزام المسلمين وانسحابهم من المنطقة.⁵

وبعد تلك الفاجعة التي أَلَمَّتْ بالمسلمين حمل سلمان بن ربيعة الباهلي أخو عبد الرحمان راية الجهاد في المنطقة، وحينما سمع الخليفة بالأمر أرسل مددا إلى المنطقة بقيادة حبيب بن مسلمة الفهري.⁶ وعلى أية حال فإن هذا الصراع اعتبره المؤرخون نهاية الحلقة

¹ تقع في بلاد الخزر، قرب مدينة باب الأبواب الأرمينية، وتبعد عن المعقل الرئيسي لمملكة الخزر (بَلَنْجَر) بحوالي 200 فرسخا. الطبري: المصدر السابق، ج. 4، ص. 158؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 530.

² الطبري: المصدر السابق، ج. 4، ص. 158.

³ نفسه.

⁴ ابن عمر سيف التميمي: كتاب الردّة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعلي، تح. السامرائي قاسم، دار أمية، الرياض، ط. 2، 1418هـ/1997م، ص. 65؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 4، ص. 158.

⁵ الطبري: المصدر السابق، ج. 4، ص. 304-305.

⁶ ابن عمر: المصدر السابق، ص. 65.

الأولى (22-32هـ/642-652م) من حلقات النزاع بين مملكة الخزر من جهة والخلافة الإسلامية من جهة أخرى،¹ ففي الفترة اللاحقة ساد الهدوء في المنطقة، ولم تحدث فيها أي معركة بين الطرفين، ويرجع السبب في ذلك إلى الاضطرابات الداخلية التي كانت تعيشها الخلافة الإسلامية، والتي أدت إلى توقف مسار الفتوحات.

ب- الحروب الأموية-الخزيرية 41-132هـ/661-750م

وتعود الحقبة الثانية للاحتكاك الإسلامي الخزري إلى فترة حكم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685-705م) فحينما بدأ عهده عرفت الخلافة تدهورا في الأوضاع السياسية نتيجة لثورة عبد الله بن الزبير وغيرها من الثورات المناهضة للخلافة الأموية، فوجدها الخزر فرصة مواتية لاستئناف هجماتهم على أرمينية، وتمكنوا من السيطرة عليها، وقتل أميرها جريجور ماميكونيان Grigor Mamikonian بسهولة ودون مقاومة تذكر.² ومما لا شك فيه أن هذه الغارات المفاجئة، كانت من ورائها إمبراطورية الروم التي عملت باستمرار على تحريض وتآليب الخزر ضد التواجد الإسلامي في المنطقة.

ونتيجة لذلك ولّى عبد الملك بن مروان أخاه محمدا على بلاد الجزيرة وأذربيجان وأرمينية سنة 73هـ/692م، فكلف هذا الأخير قائده عبيد الله بن أبي عدي بمحاربة الخزر، بعد أن أعد له جيشا قوامه عشرة آلاف مقاتل، والتقى الجمعان في أرمينية، ودارت بينهما معركة عنيفة، انهزم فيها المسلمون، وخسروا الكثير من الأرواح والأموال. وإزاء تلك الأحداث المؤلمة تم إسناد مهمة محاربة الخزر إلى القائد المحتك مسلمة بن عبد الملك،³ الذي تمكن من إلحاق هزيمة نكراء بالقوات الخزيرية المتواجدة في مدينة الباب، إلا أن جيش مسلمة فضّل الرجوع إلى المناطق الداخلية بعد أن حصل على كمية كبيرة من الغنائم.⁴

¹ عبد الشافي: المرجع السابق، ص. 126.

² GHÉVOND : op. cit. p. 16.

³ يذكر خليفة بن خياط في تاريخه أحداث الغزوة التي نفذها مسلمة على الخزر في مدينة باب الأبواب، ضمن أحداث سنة 95هـ/713م، غير أن الثابت ما ذكرناه في المتن. ص. 307.

⁴ عبد الشافي: المرجع السابق، ص. 129.

وتميّز عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86-99هـ/705-717م) بكثرة الغزوات الإسلامية الموجهة نحو بلاد الخزر، والتي قادها مسلمة بن عبد الملك سنوات (91، 95، 89هـ/713، 709، 707م) وحقق خلالها انتصارات باهرة على الخزر في مدينة الباب، وتمكن من فتح العديد من المدن والحصون المجاورة لها.¹ وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-720م) أغار الخزر على إقليمي أرمينية وأذربيجان، لكن قوات والي أرمينية آنذاك عبد العزيز بن حاتم بن النعمان، استطاعت أن تفشل هجومهم وتقتل عددا كبيرا منهم،² أما البقية فقد عادوا إلى مملكتهم بخفي حنين.

ويذكر أن الخليفة يزيد بن عبد الملك (101-105هـ/720-724م) ولّى رجلا من أهل حمص يدعى ثبيت النهراني³ شؤون أرمينية وأذربيجان عام 103هـ/722م، وأمدّه بجيش لمحاربة الخزر، الذين طغوا في بلاد الأرمن وأكثروا فيها الفساد. فلما سمع خاقان⁴ الخزر بالأمر جمع قواته التي قدر عددها بحوالي ثلاثين ألف مقاتل، وجرت معركة طاحنة بين الطرفين في مكان يسمى مرج الحجارة، انهزم فيها المسلمون وقتل منهم الكثير، وغنم الخزر جميع ما في أيديهم، وعاد النهراني ومن تبقى من جنوده إلى الخليفة الذي اشتاط غضبا للأمر.⁵

وبهدف الثأر وإعادة الاعتبار للمسلمين، قام الخليفة يزيد بإرسال جيش عرمرم إلى أرمينية عام 104هـ/723م، وجعل على رأسه القائد الشجاع الجراح بن عبد الله الحكمي، الذي دخل إلى المنطقة وبثّ الرعب في أوساط الخزر، فترجعوا إلى مدينة الباب المجاورة

¹ ابن خياط خليفة: المصدر السابق، ص. 303، 307؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 6، ص. 441، 454.

² ابن خياط خليفة: المصدر السابق، ص. 316؛ ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 7، ص. 212.

³ سماء خليفة بن خياط "معلق بن صفار البهراني". المصدر السابق، ص. 328.

⁴ لقب يطلق على ملك الخزر، ويقابله على سبيل المثال: الخليفة عند المسلمين، وكسرى لدى الفرس.

⁵ ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 232 وما بعدها.

لمملكتهم، حتى يسهل عليهم الهروب إلى بلادهم أو طلب المدد في حال هزيمتهم، لكن الجيش الإسلامي بقيادة الجراح طاردهم، حيثما ذهبوا حتى وصلوا إلى معقلهم الرئيسي مدينة بلنجر، التي تمكن المسلمون من فتحها وأخذ جميع ما وجدوه في حصنها،¹ وفر صاحب بلنجر من مدينته، ولكن الجراح دعاه إلى العودة، فلما رجع منحه الأمان وأقره على بلاده. وعاد الجراح بعدها إلى أرمينية، واستقر بمدينة شكي، ومنها أرسل إلى الخليفة كتابا يبشّره فيه بما فتح الله عليه ويسأله المدد، فلما سمع يزيد بالبشرى حمد الله وشكره، واشتد فرحه، وعزم على إرسال المدد اللازم للجراح.²

غير أن المنيّة أخذت الخليفة يزيد، وتولّى أخاه هشام بن عبد الملك الخلافة (105-125هـ/724-743م) والذي أقرّ الجراح على ولاية أرمينية، ووعد بإرسال المدد اللازم لمحاربة الخزر.³ وتمكن والي أرمينية في هذه الفترة من غزو بلاد اللان المعادية للمسلمين، وتوغّل في المنطقة حتى فتح مدائنًا وحصونًا خلف مدينة بلنجر، وحصل على غنائم هائلة،⁴ وفي السنة الموالية (106هـ/724م) أعاد الجراح غزو مملكة الخزر واللان، غير أنهم دعوه إلى الصلح والأمان، فصالحهم مقابل تأدية الجزية والخراج.⁵

وفي سنة 107هـ/725م عزل الخليفة هشام، الجراح الحكمي عن ولاية أرمينية وأذربيجان، بعد أن أعاد هذا الأخير الأمن والاستقرار إلى المنطقة، واستتاب مكانه أخاه مسلمة بن عبد الملك،⁶ الذي واصل على سيرة سابقه في مهاجمة معاقل الخزر، إذ يذكر أنه اشتبك مع القوات الخزرية سنة 110هـ/728م قرب باب اللان، واستمرّ الاقتتال بين الفئتين

¹ ابن خياط خليفة: المصدر السابق، ص. 330؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 14-15؛ ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 234 وما بعدها.

² ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 237-238.

³ نفسه، ص. 239.

⁴ ابن خياط خليفة: المصدر السابق، ص. 331؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 21.

⁵ ابن خياط خليفة: المصدر السابق، ص. 336؛ الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت. 748هـ/1374م)): دول الإسلام، تج. مروة حسن إسماعيل والأرناؤوط محمود، دار صادر، بيروت-لبنان، ط. 1، 1999م. ج. 1، ص. 96.

⁶ الذهبي: المصدر السابق، ج. 1، ص. 96.

قربانة شهر، وانتهى بهزيمة ساحقة لخاقان الخزر، وتزامت نهاية المعركة مع سقوط أمطار غزيرة، ممّا جعل المسلمين يسمّونها "غزوة الطين" لكثرة الوحول فيها.¹ بيد أن الراهب ثيوفانيس يقول أنه في سنة 729م غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الخزر وجرت بين الطرفين المتصارعين معركة حامية الوطيس سقط فيها قتلى من كلا الجانبين، الأمر الذي دفع بمسلمة إلى الانسحاب من المعركة حفاظا على سلامة جنوده.²

وفي العام الموالي عزل مسلمة عن ولاية أرمينية وأذربيجان، ورجع الجراح الحكمي إلى منصبه، فأغار رفقة جيشه على مدينة البيضاء الخزرية، وتمكن من فتحها ثم تراجع عنها وعاد إلى أرمينية.³ ولما سمع خاقان الخزر بالأمر اشتد غضبه وأخذ في تحريض بني جلدته ودعوتهم للاتحاد ضد المسلمين، حتى استطاع تجميع جيش قوامه ثلاثمائة ألف مقاتل، وجعل على رأسهم ابنه "نارستيك" وأمره بمهاجمة أذربيجان، بهدف قتل الجراح الذي انتقل إلى هذا الإقليم في تلك الفترة. وتمكن الجيش الخزري من الاستيلاء على مدينة ورثان الأرمينية، وقتل معظم أهلها، ثم انتقلوا منها إلى مكان قريب من مدينة أردبيل الأذرية، وطوال الطريق كانوا يبيدون كل من وجدوه في طريقهم من المسلمين، ويحرقون بيوتهم وينهبون ممتلكاتهم.⁴

ولما سمع الجراح بأخبار الإبادة الجماعية للمسلمين، قرّر مواجهة الخزر دون انتظار المدد، فسار بجيشه إلى قرية شهرآزاد المجاورة لمدينة أردبيل، وبمجرد وصوله هاجمته القوات الخزرية بجموعها الغفيرة، والتقى الطرفان في معركة عنيفة وحامية الوطيس، أبلى فيها الجراح وجنوده فاعليه وشجاعة منقطعة النظير، حتى سقط هذا الأخير شهيدا في ساحة

¹ ابن خياط خليفة: المصدر السابق، ص. 339-340؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 54؛ غير أن ابن الأعمش نسب هذه الغزوة إلى مروان بن محمد الذي تولى شؤون أرمينية سنة 114/732م. المصدر السابق، ج. 8، ص. 260.

² Theophanes : op. cit. p. 98.

³ ابن خياط خليفة: المصدر السابق، ص. 341؛ محمد بك الحضري: الدولة الأموية، المكتبة العصرية، بيروت، 2003م، ص. 380.

⁴ ابن خياط: المصدر السابق، ص. 341؛ ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 240-241؛ أنظر أيضا: GHÉVOND : op. cit. p. 100 et suiv.

الوغي وانهزم المسلمون، واستولى الخزر على مدينة أردبيل التي قتلوا فيها عددا كبيرا من المسلمين، وأخذوا النساء والأطفال ونهبوا ما كان فيها من الممتلكات، ثم انتقلوا إلى المناطق المجاورة لها وعاثوا فيها فسادا وخرابا.¹ ويقال أن هذه الأحداث الأليمة والمتسارعة بثت الرعب في قلوب المسلمين.²

ويذكر أن جنديا من جنود الجراح الذين انسحبوا عقب الهزيمة واسمه "صقلياً" سار إلى الخليفة هشام، وأبلغه خبر استشهاد الجراح وأصحابه والطريقة التي قتلوا بها، فبكى الخليفة بكاء شديدا، وبكى منه عامة المسلمين في جميع أنحاء الدولة الإسلامية، حزنا على فراق فارس يضرب به المثل في الشجاعة والإقدام والإخلاص.³ ولم يستطع الخليفة نسيان هذه المأساة التي منعتها من النوم، وضيقت عليه الأرض بما رحبت، وشرع في استشارة وزرائه ومن يثق في رأيه، فأجابوه بأن الثأر لهذه الهزيمة القاسية يتطلب شخصا شجاعا ومجربا ومقداما مثل الجراح، وهي شروط لا تتوفر حاليا إلا في القائد سعيد بن عمرو الحرشي،⁴ الذي حقق انتصارات باهرة على أعداء المسلمين في إقليم خرسان.⁵

وبعث الخليفة في طلب الحرشي، ولما أتاه أمره بالتوجه إلى إقليم أرمينية وأذربيجان بسرعة خاطفة، وأتبعه بجيش عرمرم استقر في أول الأمر بمدينة بردعة، ثم زحف منها إلى

¹ ابن خياط: المصدر السابق، ص. 342؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 70؛ ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 241-242؛ راجع أيضا:

Theophanes : op. cit. p. 98.

² Ibid.

³ أنشد شاعر من بلاد الشام شعرا حوله يقول في مطلع:

نفسى الفداء لجراح وقد نحبت نفس الجبان وضاق الورد والصدُرُ. ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 242.

⁴ " سعيد بن عمرو الحرشي: قائد من الولاة الشجعان. من أهل الشام. وهو الذي قتل شوذب الخارجي، وفكك بمن معه، سنة 101هـ...ولاه هشام غزو الخزر سنة 112هـ، فرحل إلى أرمينية. ثم أمره هشام بالعودة إليه...وكان تقيا بطلا" توفي بعد عام 112هـ/730م. الزركلي: الأعلام، ج. 3، ص. 99.

⁵ المصدر السابق، ص. 243.

المدن التي يتواجد فيها الخزر، مثل: البيلقان وأردبيل وورثان وغيرها من المناطق،¹ ودارت بين الطرفين معارك عنيفة انتهت جميعها بانتصار ساحق للجيش الإسلامي،² وتحرير جميع أسرى المسلمين، وتحصيل مغانم كثيرة، كما أن الهزائم المتوالية للخزر على يد القوات الإسلامية، أجبرتهم في كل مرة على التراجع نحو بلادهم، حتى بلغوا مدينة باب الأبواب المجاورة لمملكتهم، أما الحرشي فقد عسكر في مدينة شروان، وأرسل كتابا إلى الخليفة يبشره فيه بالنصر المبين، فسُرَّ هذا الأخير سرورا شديدا، وردَّ عليه بتبشيره بثواب الله الجزيل لعباده المجاهدين في سبيله.³

ويستفاد من المعطيات المفصلة التي أفاد بها ابن الأعمش في كتابه "الفتوح" حول الحروب التي خاضها الحرشي في المنطقة، أن هذا الأخير كان قائدا خبيرا بالشؤون العسكرية، إذ اعتمد في جميع تحركاته في المنطقة على العيون والجواسيس الثقة، حتى أن بعضهم ضحى بنفسه مقابل أداء المهام الموكلة إليه،⁴ كما فعل "بردك الفارسي" الذي كان يتقن اللغة الخزرية، لذلك أوكلت له مهمة إعلان أهل ورثان بضرورة المقاومة، وعدم تسليم مدينتهم للخزر، لأن الجيش الإسلامي في طريقه لنجدتهم، بأعداد هائلة لا طاقة للعدو بهم.⁵

وأورد ابن الأعمش روايات أخرى من هذا القبيل، ومنها أن الحرشي استقر في مدينة باجروان، ونادى على رجل يسمّى "إبراهيم بن عاصم العقيلي" فأرسله إلى الجيش الخزري ليتجسس عليه، وكان هذا الأخير فصيحاً باللغة الخزرية أيضا "فدخل عسكر الخزر وكان

¹ بيد أن الراهب الرومي ثيوفانيس يشير إلى عودة الجيش الخزري إلى بلاده بعد تخريبه لأرمينية وأذربيجان. أنظر: Theophanes : op. cit. p. 98.

² ابن خياط خليفة: المصدر السابق، ص. 342-343؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 70؛ للمزيد والتوسع أكثر راجع أيضا: ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 243 وما بعدها؛ أنظر أيضا: GHÉVOND : op. cit. p. 101-102.

³ ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 245 وما بعدها؛ محمد بك الحضري: المرجع السابق، ص. 380-381.

⁴ ويذكر أن "بردك" قتل على يد الخزر، بعد أدائه لمهامه على أكمل وجه. ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 247.

⁵ نفسه، ص. 246-247.

يلبس كلباسهم ويشتبه بهم، فجعل يجول في عسكرهم راجلا والخزر آمنون مطمئنون¹ ولما رجع إلى معسكره أبلغ الحرشي وأصحابه بالأوضاع المزرية التي يعيشها المسلمون والمسلمات الأسرى لدى الأعداء، فبكى الحرشي وأتباعه بكاء شديداً، وساهمت هذه المعطيات في شدّ عزيمة الجيش الإسلامي، الذي أغار على معسكر الخزر في تلك الليلة، وأبادهم جميعاً رغم أن عددهم كان عشرة آلاف مقاتل، وقوات الحرشي ضمت أربعة آلاف جندي. ونتج عن هذا النصر تحرر الكثير من المسلمين والمسلمات والأطفال الذين أتاها الفرج وشعروا بالسرور والغبطة.²

ومنه يمكن القول أن الحرشي اتخذ الأسباب اللازمة لتحقيق النصر، خاصة فيما تعلق بالتجسس على تحركات العدو، الأمر الذي جعله يتعقب خطواته، وبناء عليها يتخذ التدابير اللازمة لمجابهته. وحققت هذه السياسة نجاحاً باهراً، وأدت إلى انتشار الخوف والرعب في أوساط الخزر، لدرجة أنهم كانوا يفرون من بعض المعارك عقب سماعهم أخبار تفيد بقدوم الحرشي وجيشه، ولاسيما الحروب الأخيرة التي تحولت إلى ملاحقات متكررة للقوات الخزرية المتراجعة، حتى صارت بمدينة الباب وهي تجرّ أذيال الهزائم القاسية.

وفي عام 112هـ/730م أرسل الخليفة هشام كتاباً آخر للحرشي يبلغه فيه بنهاية مهامه، وضرورة عودته إلى بلاد الشام لمكافأته، وأنه ولّى أخاه مسلمة بن عبد الملك شؤون أذربيجان وأرمينية ولاية ثانية.³ وفور استلام هذا الأخير لمقاليد حكمه، سار على رأس جيش من القوات الإسلامية حتى وصل إلى ما وراء مدينة الباب، ورغم أنه كان في فصل الشتاء، والأمطار والثلوج كانت تتساقط، والبرد قارص، إلا أن ذلك لم يثته عن تتبع أثر القوات الخزرية الهاربة نحو بلادها.⁴

¹ ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 248.

² نفسه.

³ ابن خياط خليفة: المصدر السابق، ص. 344؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 71؛ للتوسع أكثر في الموضوع راجع أيضاً: ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 253 وما بعدها؛ راجع أيضاً:

GHÉVOND : op. cit. p. 102.

⁴ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 71.

وبين سنتي (113-114هـ/731-732م) خاض الجيش الإسلامي بقيادة مسلمة معارك طاحنة ضد القوات الخزرية، في المنطقة الشمالية الشرقية من إقليم أرمينية، أسفرت في مجملها عن انتصارات مهمة حققها المسلمون ضد أعدائهم. واللافت للانتباه أن الطبري أشار في هذه الفترة إلى إعادة بناء مسلمة للممر الرئيسي العابر بين أرمينية ومملكة الخزر، والمتواجد في مدينة باب الأبواب، كما أضاف أيضا أن المسلمين حصّنوا هذا الممر وأحكموا قبضتهم عليه.¹

وشهدت سنة 114هـ/732م أيضا تولّي مروان بن محمد بن مروان شؤون إقليم الجزيرة وأرمينية وأذربيجان،² ونظرا للخبرة التي اكتسبها طوال مدة إقامته في المنطقة ضمن جيش ابن عمه مسلمة، فقد كان على دراية واسعة بمخططات الخزر وجرائمهم، لذلك فإنه ما إن وصل إلى أرمينية وسيطر عليها بالكامل، حتى انتقل منها صوب مملكة الخزر ومعه جيش جرّار قوامه مائة وعشرون ألف مقاتل، دخل به إلى مختلف أنحاء المملكة فخرّب حصونها، وسبى وأخذ مغانم كثيرة منها،³ ثم رجع إلى مقر حكمه في أرمينية.

وفي خضم الصدام الحاصل بين المسلمين والخزر، لجأ هؤلاء الأخيرين إلى إقامة حلفٍ سياسيٍّ مع الروم، تخلّلتها علاقة مصاهرة بين الطرفين، إذ أقدم الإمبراطور ليو الأيسوري (98-123هـ/717-741م) على عقد قران أميرة خزرية لابنه قسطنطين الخامس،⁴ أملا في تمتين العلاقات بين الطرفين، وبغية توحيد الجهود الرامية إلى الحد من

¹ ابن خياط خليفة: المصدر السابق، ص. 344؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 90.

² ابن الأَعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 260؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 4، ص. 406.

³ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 4، ص. 406-407؛ أنظر أيضا:

GHÉVOND : op. cit. p. 112.

⁴ المغربي عبد الشافي: المرجع السابق، ص. 142-143.

توسع نفوذ الخلافة الإسلامية في المنطقة، والذي يشكل خطراً ماحقاً وتهديداً مباشراً لوجود الطرفين.

لكن هذا الحلف لم يغيّر على الأرض شيئاً، إذ استمر مروان في غزو بلاد الخزر وسحقهم طوال فترة ولايته للمنطقة والممتدة بين سنتي (114 و123هـ/732 و741م)¹ وأمام هذه الهزائم المتوالية والسّاحقة لمملكة الخزر، لجأ الخاقان إلى اعتناق الإسلام على حد قول ابن الأَعمش، وأدّى ذلك إلى دخول الكثير من أهل بلده في الإسلام، وأقرّه مروان على حكم مملكته وعامله معاملة الأخ لأخيه في الإسلام، وودّعه وقفل راجعاً إلى إقليم أرمينية.²

ويقدم المؤرخ الأمريكي دانلوب Danlop مقارنة تاريخية من الأهمية بمكان الإشارة إليها، ومفادها أنه في عام 114هـ/732م عندما كان القائد مروان يحارب الخزر، كانت الجيوش الإسلامية في نفس السنة تخوض معركة عنيفة بشمالي جبال البيرينه (البرانس) ممّا يدل على وجود جهوداً مشتركة مخطط لها مسبقاً تحت إشراف الخليفة وحاشيته، ففي الغرب تمكن شارل مارتل الفرنجي من إيقاف زحف القوات الإسلامية بقيادة عبد الرحمن الغافقي في معركة بلاط الشهداء، وفي القوقاز صمد الخزر رغم الهجمات المتتالية التي تلقّوها على يدي مروان، ولو أن مملكة الخزر صارت ولاية إسلامية لتمكن المسلمون من السيطرة على أوروبا الشرقية.³

وبنهاية فترة حكم مروان بن محمد على الإقليم انتهت معه الحلقة الثانية من حلقات الصراع الإسلامي-الخرزي، والتي عرفت عند المؤرخين المحدثين بالحرب الإسلامية الخزرية الثانية (73-123هـ/692-741م) ومما لا شك فيه أن القوات الإسلامية أسدت خدمة

¹ ابن خياط خليفة: المصدر السابق، ص. 348 وما بعدها؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 99، 160؛ ابن الأَعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 260 وما بعدها؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 4، ص. 406-407.

² ابن الأَعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 262-263.

³ دنلوب: تاريخ يهود الخزر، تر. زگار سهيل، دار حستان، دمشق، ط. 2، 1410هـ/1990م، ص. 131-132.

جليلة لأهل أرمينية، حينما حملت على كاهلها مسؤولية حماية الإقليم من الهجمات الخزرية، التي كان يعاني من ويلاتها سكان البلاد منذ القدم.¹

وبعد هذه الحقبة الزمنية دخلت الخلافة الأموية في الفتن والصراعات التي أدت في النهاية إلى سقوطها، وتولّى العباسيين لمقاليده الحكم في مكانها، ولذلك فمن الطبيعي أن تصمت المصادر الإسلامية عن ذكر أي صراع إسلامي-خزري طوال تلك الفترة.

ج- المواجهات العباسية-الخزرية 132-271هـ/750-885م

عمل العباسيون منذ بداية عهدهم على بسط سيادتهم في المناطق الشاسعة التي سيطر عليها الأمويون قبلهم، ولم يهتموا بزيادة مساحة دولتهم، بل بذلوا جلّ طاقاتهم في الحفاظ على حدودهم وتأمينها من هجمات الأعداء. كما أنهم نقلوا عاصمة الخلافة من دمشق التي كانت قريبة من آسيا الصغرى ومملكة الخزر، إلى بغداد الأكثر بعدا عن المملكة السابقة الذكر، وأدّى ذلك إلى تخفيف الضغط الإسلامي على حدود منطقة القوقاز.²

وبناء على ما ذكر نجد أن طابع العلاقات الإسلامية-الخزرية في بداية هذه المرحلة أخذ شكلا آخر، ففي هذا الصدد ذكر البلاذري أن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م) قام بتولية يزيد بن أسيد السلمي شؤون إقليم أرمينية، وكتب إليه بضرورة مصاهرة ملك الخزر، لتحقيق الأمن والاستقرار في البلاد.³ ويجب أن لا يغرب عن البال أن المنصور كان واليا على أرمينية إبان فترة خلافة أخيه أبو العباس السفاح، وبالتالي فهو أدري بأوضاعها العامة، بحكم التجربة والأخبار التي وصلتته عن مملكة الخزر في ظل ولايته للمنطقة.

¹ عبد الشافي: المرجع السابق، ص. 146-147.

² نفسه: ص. 148-149.

³ البلاذري: المصدر السابق، ص. 295؛ ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 363-364.

واستجاب يزيد لأمر الخليفة،¹ وطلب يد ابنة الخاقان وكان اسمها خاتون، فقبل طلبه وتزوجها ودخل بها بعد دخولها في الإسلام، وأقامت عنده في مدينة بردعة لمدة سنتين وأربعة أشهر، وتوفيت بعدها في نفاسها، وحزن عليها يزيد حزناً شديداً.² والظاهر أن الخليفة أراد بهذا الزواج منع قيام أي تحالف خزري-رومي لما يشكله من ضغط وتهديد ماحقٍ على المسلمين. يضاف إليه ما قد ينجم عن هذه العلاقات في حال تمتينها، من تأمين لحدود الخلافة، لاسيما وأن القوات الخزرية معروفة بكثرة عددها وشدة بأسها.

غير أن وفاة خاتون أثار شكوكاً قوية لدى أبوها، وظنّ بأن مؤامرة حيكت ضدّ ابنته،³ الأمر الذي دفع به إلى حشد قواته وتنظيم هجوم شرس جمع فيه أعداداً هائلة من القوات الخزرية، التي تدافعت صوب مدينة باب الأبواب فجأة مثل السيل العرم، ونتج عنه خسائر فادحة لحقت بالقوات الإسلامية التي لم تكن لديها الطاقة الكافية لمواجهةهم،⁴ وأمام هذا الوضع الصعب الذي وقع فيه يزيد، كتب إلى الخليفة يبلغه بالمستجدات الخطيرة التي تعرفها المنطقة، وطلب منه المدد اللازم لإيقاف زحف القوات الخزرية، والحد من فسادها وبغيها،⁵ خاصة وأنهم حاقدون عليه ويعتبرون هجومهم ثأراً على مقتل ابنة ملكهم وفق اعتقادهم.

فأرسل الخليفة المنصور الدعم اللازم أملاً في صدّ هذه الهجمات وطرد الخزر إلى بلادهم، إذ يذكر اليعقوبي أنه بعث جبريل بن يحيى البجليّ على رأس جيش قوامه عشرون ألف مقاتل من بلاد الشام والجزيرة والموصل،⁶ وانضم إلى جيش يزيد وتواجه مع الخزر في معركة عنيفة جرت أحداثها في مدينة شروان، وبالرغم من وصول المدد إلى يزيد إلا أنه مني بهزيمة قاسية على يدي القوات الخزرية الهائلة العدد. ويقدم ابن الأعمش معطيات مفادها

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 295؛ ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 363-364.

² ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 364.

³ عبد الله نذير صبار: الحروب العربية-الخزرية دراسة في الصراع العسكري مع دولة الخزر خلال العصر العباسي للمدة (132-193/750-809م) مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، مج. 1، ع. 4، جامعة الأنبار، العراق، 2013م، ص. 159.

⁴ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 309؛ ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 365.

⁵ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 309؛ ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 365.

⁶ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 309.

استشهد أعداد كبيرة من المسلمين في هذه الواقعة الأليمة،¹ ويضيف "أغابوس المنبجي" أنهم سبوا من القبائل العربية زهاء خمسين ألف ما بين رجل وامرأة وطفل، وأخذوا المواشي ونهبوا أموالا طائلة.²

وفي نهاية النصف الأول من القرن الثاني الهجري، تورد العديد من المصادر الإسلامية والرومية ضمن أحداثها غارات قامت بها القوات الخزرية تجاه إقليم أرمينية عبر ممر مدينة الباب، ألحقت هزائم متكررة بالقوات الإسلامية المتمركزة في المنطقة، وأدت إلى مقتل الكثير من المسلمين وأهل الذمة، وسبي من تبقى منهم، ونهب ممتلكاتهم وحرق بيوتهم، وبعدها تعود القوات الخزرية إلى بلادها عبر منفذ الباب سالمة غانمة،³ الأمر الذي استوجب وضع حد لهذه التجاوزات الخطيرة التي قد تعصف بالوجود بالإسلامي في المنطقة، لاسيما وأن العباسيين انتهجوا سياسة دفاعية، ولم يتجرؤوا على محاكاة نظرائهم الأمويين الذين جابت جيوشهم جميع أنحاء مملكة الخزر، ودكت معاقل ملوكهم، حتى اضطروا أحيانا إلى الفرار من بلادهم حفاظا على حياتهم.

يرى بعض الباحثين أن سبب انتهاج الخلافة العباسية لسياسة دفاعية، وتجنبهم للصدام المباشر مع الخزر، كثرة التحديات التي واجهوها في تلك الفترة، وفي هذا الصدد يقال أن سنة 145هـ/762م كانت فترة عصيبة وحرجة عليهم، لأنها شهدت اندلاع ثورة محمد النفس الزكية في المدينة المنورة، إضافة إلى أخيه إبراهيم الذي قاد الثورة في البصرة.⁴

¹ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 309؛ ابن الأعم: المصدر السابق، ج. 8، ص. 365.

² المنبجي أغابوس بن قسطنطين (عاش في القرن 4/10م): المنتخب من تاريخ المنبجي، تج. تدمري عمر عبد السلام، دار المنصور، طرابلس-لبنان، ط. 1، 1406هـ/1986م، ص. 127.

³ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 649، ج. 8، ص. 7، 27؛ المنبجي: المصدر السابق، ص. 127؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 5، ص. 180؛ عزام خالد: المرجع السابق، ص. 115؛ أنظر أيضا:

Theophanes : op. cit. p. 123.

⁴ عبد الله نذير: المرجع السابق، ص. 161.

ورداً على هذه الهزائم القاسية التي منيت بها القوات الإسلامية في إقليم أرمينية، دعا واليها يزيد بن أسيد الخليفة أبو جعفر إلى ابتكار نظامٍ دفاعيٍّ،¹ يضمن حماية وتأميناً دائماً لإقليم أرمينية من غارات الخزر المتوالية، عبر ترتيب أجناد من ذوي القبائل العربية التي تتميز بالقوة والشدة، وتوطينهم في مدينة باب الأبواب المتاخمة لمملكة الخزر، فعمل المنصور برأيه وهياً له الإمكانيات اللازمة لإنجاز مخططه، إذ أرسل عدداً كبيراً من الجنود والبنائين إلى المنطقة، وتم ترميم أبواب مدينة الباب، ثم حصّنت بتفريق الأجناد عليها، وجعلها مسكناً لهم ولذرياتهم من بعدهم، كما خصص لهم رواتب مناسبة للعيش الكريم، وبذلك تمكّن المسلمون من توقيف زحف القوات الخزرية، وساد الأمن في البلاد ردحا من الزمن.²

وفي عام 183هـ/799م نفّذ الخزر هجوماً عنيفاً أدّى إلى مقتل عدد كبير من المسلمين وأهل الدّمة، وسبوا أكثر من مائة ألف ما بين رجال ونساء وصبيان، و"انتهكوا أمراً عظيماً لم يُسمع في الإسلام بمثله"³ ويرجح الطبري سبب هذه الغارة إلى علاقة المصاهرة التي كانت بين الفضل بن يحيى البرمكي وخاقان الخزر سنة 182هـ/798م، والتي تحولت إلى علاقات عدائية مباشرة بعد وفاة ابنة هذا الأخير في مدينة بردعة، ورجوع الطراخنة⁴ إلى أبيها، وإخباره بأن ابنته قتلت من قبل المسلمين على حين غفلة، فاشتد غضبه لذلك وشرع في الاستعداد لمواجهة المسلمين.⁵

¹ ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 365.

² اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 309-310؛ ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 365-366؛ عزام خالداً: المرجع السابق، ص. 116.

³ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 383؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 8، ص. 270؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 5، ص. 319؛ محمد بن أحمد كنعان: تاريخ الدولة العباسية وما رافقها من الممالك، مؤسسة المعارف، بيروت، ط. 1، 1998م، ج. 1، ص. 81.

⁴ جمع مفردة طرخان، والظاهر من خلال تتبع النصوص التاريخية أنه لقب أطلقه الخزر على قادة وحداتهم العسكرية.

⁵ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 8، ص. 269؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 5، ص. 319.

أما المؤرخان اليعقوبي وابن الأعمش فيقدمان سببا مغايرا لهذا الهجوم، مفاده أن الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م) ولّى سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي ولاية أرمينية، فعين هذا الأخير عاملا له على مدينة باب الأبواب واسمه نصر بن عنان، وطلب منه جمع خراج المدينة، غير أن أهلها رفضوا ذلك بحجة أنهم لم يدفعوا الخراج سابقا، لأنهم في حرب مفتوحة مع جيرانهم الخزر، إلا أن عامل المدينة رفض التماسهم، معللا ذلك بأن هذا الأمر صادر من الخليفة هارون الرشيد، وبالتالي فهو غير قابل للطعن.¹

وبعد تأزم الأوضاع استغاث السكان بشخص يسمّى "حيّون بن النجم بن هاشم" الذي كان أبوه عاملا سابقا في المنطقة، فقام حيّون رفقة أتباعه بالاعتداء على عامل الخراج، كما تمكن من إلقاء القبض على نصر بن عنان وقتله، وأمام هذه التطورات الخطيرة جهّز والي أرمينية سعيد بن سلم جيشه، لدخول مدينة الباب والقضاء على حيّون وأصحابه، فأدرك هذا الأخير أن قواته لا تكفي لمواجهة الجيش العباسي، فبعث إلى خاقان الخزر هدايا ثمينة، وكتب إليه رسالة يرغبه فيها بغزو أرمينية وبلاد المسلمين ونهب خيراتها.²

ويبدو أن الرواية الثانية هي الأقرب للحقيقة التاريخية، لاسيما إذا علمنا أن الرواية الأولى التي جعلت من وفاة ابنة خاقان الخزر سببا لبداية الحرب، تتشابه إلى حد بعيد مع الرواية المذكورة في زمن الخليفة المنصور، والذي طلب من والي أرمينية آنذاك يزيد بن أسيد عقد حلف مصاهرة مع الأسرة الخزرية الحاكمة.

ومهما يكن من أمر فإن الخزر دخلوا من مدينة باب الأبواب المحصنة، بعدما دلّهم حيّون على جانب من صور المدينة، وأمرهم بفتح فجّة فيه.³ ويشير الطبري إلى أن القوات

¹ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 377؛ ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 382.

² اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 377؛ ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 382-383.

³ الطبري: المصدر السابق، ج. 8، ص. 270؛ ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 383؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 5، ص. 319.

الخرزية بقيت في أرمينية مدة سبعين يوما، وهي تقتل وتتهب وتفسد في الأرض، حتى وجه إليهم الخليفة هارون الرشيد القائدان: خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد، اللذان تمكنا من طردهم إلى مملكتهم، وسد الثلثة التي دخلوا منها.¹

وبذلك انطوت الحلقة الأخيرة من حلقات الصراع الإسلامي-الخرزي على إقليم أرمينية. وبعد دراسة الهجمات التي قام بها الخزر في أرمينية سواء خلال العهد الأموي أو العباسي، يلاحظ أن الهدف منها لم يكن القضاء على الوجود الإسلامي في المنطقة، بقدر ما كان يرمي إلى السلب والنهب واستعباد المسلمين وأهل الذمة، والدليل على ذلك أن غاراتهم كانت في كل مرة خاطفة، ثم يعودون أدراجهم إلى مملكتهم إما محملين بالغانم بعد كل انتصار، أو يجرون أذيال الهزيمة عقب كل انهزام. وعلى أية حال فلا يمكن أن ننسى أن الخزر شكلوا حاجزا، حال بين دولة الخلافة وأوروبا الشرقية.

3- ثورات الأرمن ضد الحكم الإسلامي

أ- تمرد البطارقة على الخليفة عبد الملك بن مروان :

انفرد المؤرخ الأرمني غيفوند (عاش في ق. 8م) بسرد تفاصيلها، وهذا لا يعني أن أحداثها لم تدون من قبل المؤرخين المسلمين، بل أشارت كتب الحوليات إلى شذرات منها في العديد من المحطات التاريخية السنوية المتعلقة بها. ويمكن تحديد جذور هذه الثورة إلى الفترة الأولى من حكم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65-73هـ/684-692م) والتي عرفت اضطرابات داخلية في كيان الخلافة الإسلامية، كادت أن تعصف بمشروع الدولة الإسلامية في ظل انفجار العديد من الثورات والحركات الخارجية فيها.

فخلال هذه الحقبة توقف أهل أرمينية عن دفع الجزية والخراج لبيت مال المسلمين.² وفي الواقع يعدّ هذا التصرف سابقة خطيرة، ذلك أنه لا يشكل تهديدا لبيت مال المسلمين

¹ الطبري: المصدر السابق، ج. 8، ص. 270؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 5، ص. 319.

² GHÉVOND. Op. cit. p. 15.

فحسب، بل إنه عنوان التبعية لدار الإسلام، مما يعني أنهم خرجوا عن سلطة الدولة الإسلامية. كما أن خاقان مملكة الخزر استغل فرصة عدم الاستقرار التي يشهدها العالم الإسلامي، ورأى بأن أرمينية صارت فريسة سهلة بين يديه، لاسيما وأن ساحة المعركة باتت خالية من الجيش الإسلامي الذي كان يشكل حجرة عثرة أمامه، فأرسل قواته المعروفة بشراستها وكثرة عددها إلى المنطقة حوالي سنة 66هـ/685م،¹ وتمكنت هذه الأخيرة من قتل حاكم أرمينية كريكور ماميكونيان Grégoire Mamikonian والعديد من الأمراء الأرمن، الذين حاولوا الوقوف في وجههم، وبعد استيلائهم على العديد من الكُور والمدن ونهبهم لخيراتهما، تراجعوا إلى مملكتهم آخذين معهم المغانم والأسرى.²

بعد هذه المفاجعة تولّى حكم أرمينية البطريق أشوط بن فرزدیروتس البقراطوني (حوالي 66-70هـ/685-689م)، الذي حارب الروم والمسلمين على حد سواء، وتوفي في إحدى المعارك التي خاضها مع هؤلاء الآخرين.³ وفي هذه الأثناء ظهر على الساحة البطريق الأرمني سمباط بن فرزدیروتس البقراطوني، الذي دعا رفقة أقرانه من البطارقة إلى استقلال أرمينية وعدم دفع الجزية لواليتها المسلم عثمان بن الوليد عقبة بن أبي معيط، في الفترة التي بلغت فيها الاضطرابات الداخلية للخلافة الأموية أوجها.⁴

وموازة مع ذلك ذكر الطبري أن سنة 70هـ/689م عرفت إقبال الإمبراطور الرومي جوستنيان الثاني على رأس جيش عرمرم، يريد غزو بلاد الشام والثغور الإسلامية، وحينئذ

¹ يشير غيفوند إلى حدوث هذا الهجوم سنة 75هـ/694م، إلا أنه تم اختار التاريخ المذكور في المتن بعد القراءة المتأنية للعديد من المصادر، مثل: تاريخ خليفة وفتوح البلدان للبلاذري وتاريخ يعقوبي وغيرها من المصادر والمراجع الأخرى التي تحدثت عن الواقعة. السيّد أديب: المرجع السابق، ص. 79؛ راجع أيضا:

GHÉVOND. Op. cit. p. 15.

² Ibid.

³ Ibid. p. 16 et suiv.

⁴ البلاذري: المصدر السابق، ص. 288-289؛ السيّد أديب: المرجع السابق، ص. 80؛ راجع أيضا:

GHÉVOND : op. cit. p. 18,22.

وجد الخليفة عبد الملك نفسه بين نار الروم القادمة من الشمال، ونار الثورات والخوارج القادمة من الاتجاهات الأخرى، فاتصل بجوستينيان وعرض عليه الصلح، مقابل أن يدفع له كل أسبوع ألف دينار.¹ وافق الإمبراطور على هذا العرض المغربي، الذي دام ثلاث سنوات استغلها عبد الملك في العمل على إخماد الثورات الداخلية، التي نجح في القضاء عليها، وبذلك عاد الأمن والسلام إلى ربوع الدولة الإسلامية، وتم نقض الهدنة المبرمة مع الروم، وفي هذا الصدد أرسل الخليفة عام 73هـ/692م أخاه محمدا على رأس جيش كثير العدد في الصائفة إلى الروم الذين انهزموا بسهولة، ثم أتبعه بجيش آخر تحت قيادة عثمان بن الوليد الذي التقى بالروم في ناحية أرمينية وانتصر عليهم.²

وأمام هذه الانتكاسات المتوالية التي لحقت بإمبراطورية الروم قاد جوستينيان حملة عسكرية كبيرة واتجه بها صوب أرمينية، للتحالف مع عدد كبير من البطارقة الأرمن الذين قرروا شق عصا الطاعة عن الخلافة الإسلامية في المنطقة والانضمام إلى الروم، وكان على رأسهم سمباط بن فرزدیروتس البقراطوني الذي تولّى إدارة الحكم المحلي في إقليم أرمينية.³ وبالمقابل أبلغ عمال البريد الخليفة بالتطورات الأخيرة الحاصلة في المنطقة، فبادر هذا الأخير بالاتصال بأخيه محمد بن مروان والي الجزيرة والشغور، وأضاف له ولاية أرمينية، وأمره بالزحف إليها لمواجهة الروم وحلفائهم قبل توغلهم في البلاد الإسلامية.⁴

حشد محمد بن مروان جميع قواته وسار بها إلى أرمينية، والتقى الجيشان ودارت بينهما رعى معركة عنيفة، وكان النصر حليفا لابن مروان، ومنى أعداؤه بهزيمة ساحقة، اعتقل فيها حاكم أرمينية سمباط البقراطوني مع الجثثيق ساهاك، وعددا من البطارقة الأرمن، الذين

¹ الطبري: المصدر السابق، ج. 6، ص. 150.

² الطبري: المصدر السابق، ج. 6، ص. 194؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 4، ص. 129.

³ البلاذري: المصدر السابق، ص. 288-289؛ السيد أديب: المرجع السابق، ص. 81-82؛ راجع أيضا:

GHÉVOND : op. cit. p. 22.

⁴ البلاذري: المصدر السابق، ص. 288-289؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 4، ص. 129؛ السيد أديب: المرجع السابق، ص. 82.

أرسلهم محمد بن مروان إلى دمشق.¹ ويلاحظ أن المؤرخ الأرمني غيفوند تجنب الحديث عن التحالف الأرمني-الرومي ضد القوات الإسلامية في هذه الفترة خلال حديثه عن الحملة الأولى لمحمد بن مروان في أرمينية، وصبّ جام غضبه على هذا الأخير الذي اتهمه بالظلم وسفك دماء الأبرياء.²

ويبدو أن هذا الكلام فيه الكثير من المغالطات، لأن الدولة الإسلامية في تلك الحقبة التاريخية كانت بحاجة إلى نشر الأمن والسلام في مختلف ربوعها عقب مرحلة الفوضى والفساد التي خرجت منها حديثاً، كما أن الجيش الإسلامي كان يسير حسب ضوابط صارمة لا يمكن لأي فرد منه الخروج عنها، وعلى رأسها القتال ضد المقاتلين فقط، وعدم الاعتداء على المدنيين ورجال الدين، زيادة على ذلك فإن البطارقة الأرمن كان عليهم الالتزام بالعهد والمواثيق التي أبرموها مع قادة الفتح الإسلامي، وهي تنص على عدم التحالف مع أعداء المسلمين، في حين أن البطارقة لم يكتفوا بالتحالف مع الروم فقط بل قاتلوا المسلمين أيضاً، فماذا كان ينتظر غيفوند من المسلمين، هل يواجهون من خان عهدهم وقاتلهم بباقات الزهور مثلاً!

ومهما يكن من أمر، فإنه من الثابت أن محمد بن مروان بعد تحقيقه لانتصار ثمين في المنطقة وبسطه للسيادة الإسلامية فيها، أصدر وثيقة صلح وأمان لأهل أرمينية، وانتدب أبا شيخ بن عبد الله الغنوي والياً عليها، وعاد إلى بلاد الجزيرة.³ وفي سنة 76هـ/695م تمكن البطريق سمباط البقراطوني من الفرار من إقامته الجبرية في دمشق، ورجع مرة أخرى إلى أرمينية، وفكرة الانتقام من القوات الإسلامية تراوده، ولما استقرّ به المقام في المنطقة، واستجمع أفراد جيشه مرة أخرى، أعلن الثورة على والي أرمينية، وشرع في تنفيذ هجمات مباغته على الحاميات الإسلامية المتمركزة في عدد من المواطن داخل الإقليم، والتي أوقعت

¹ السيد أديب: المرجع السابق، ص. 82؛ سلمانجان جان جاك: المرجع السابق، الحاشية رقم: 6، ص. 87.

² GHÉVOND : op. cit. p. 19 et suiv.

³ ابن خياط خليفة: المصدر السابق، ص. 289؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 4، ص. 208؛ السيد أديب: المرجع السابق، ص. 82؛ سلمانجان جان جاك: المرجع السابق، الحاشية رقم: 2، ص. 79؛ راجع أيضاً:

GHÉVOND : op. cit. p. 21-22.

العديد من الهزائم بالقوات الإسلامية، ولعل من أبرزها تلك الهجمة الغادرة التي راح ضحيتها الكثير من الجنود المسلمين وعلى رأسهم الوالي أبو شيخ بن عبد الله.¹

ولعلّ هذه الواقعة كانت السبب الرئيسي لدعوة البطريق سمباط البطارقة الأرمن، إلى عقد اجتماع طارئ في إحدى نواحي كورة البسفرجان، والذي حضره سائر البطارقة، ولاسيما ممثلي الأسر النبيلة مثل: سمباط بن أشوط، فارد بن تيودور الرشتوني وأخوه أشوط وغيرهم من البطارقة، وكانت الغاية من الاجتماع إيجاد وسيلة لإنقاذ أرواحهم من الورطة التي وقعوا فيها،² خاصة وأنهم يعرفون أشدّ المعرفة مدى صرامة وحزم القائد محمد بن مروان الذي صالحهم وعيّن عليهم واليا، فقابلوه بالغدر.

استقرّ رأي أغلب الحاضرين على ضرورة الفرار إلى بلاد الروم، كما اتجه بعض بطارقة كورة البسفرجان تجاه نواحي بلداتهم، واستقروا فيها وقرّروا العيش في سرّية تامّة،³ وهم يتابعون عن كثب تطورات الوضع. وسار البطارقة المتوجهين إلى بلاد الروم بصحبة قواتهم التي بلغ عددها حوالي ألفي جندي، ولما وصلوا إلى مدينة ورثان⁴ وقعت بينهم وبين القوات الإسلامية المتربصة بهم معركة طاحنة، كان النصر فيها حليف الأرمن رغم قلة عددهم بالنظر إلى أعداد القوات الإسلامية، التي بلغت أكثر من ثمانية آلاف مقاتل على حد قول المؤرخ غيفوند، الذي انفرد بذكر تفاصيل المعركة.⁵

¹ ابن خياط: المصدر السابق، ص. 288-289؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 4، ص. 208؛ السيد أديب: المرجع السابق، ص. 82-83.

² GHÉVOND : op. cit. p. 22.

³ Ibid.

⁴ ورطانكيرت Vardanakert في المصادر الأرمينية، وتقع في إقليم أنريجان حسب ما رواه البلاذري. المصدر السابق، ص. 460-461؛ راجع أيضا:

GHÉVOND : op. cit. p. 23.

⁵ غيفونديان: المرجع السابق، ص. 95، نقلا عن: أراكليان: ثورة الأرمن ضد نير العرب عام 703م؛ للتوسع أكثر راجع أيضا:

GHÉVOND : op. cit. p. 22 et suiv.

غير أن اللافت للانتباه في رواية غيفوند، ما ذكره عن تراجع الناجين المسلمين من المعركة، والذين قدر عددهم بنحو ثلاثمائة مقاتل، وطلبهم للمساعدة من الأميرة شوشان¹ التي بدورها خرجت للقاء البطريق سمباط بن أشوط الذي لاحقهم، وطلبت منه أن يعفو عنهم، فاستجاب لالتماسها، واستضافتهم عندها وكانوا بحاجة إلى اللباس والأكل والجروح تنخر أجسادهم، فأمرت بتضميد جراحهم، وكستهم الثياب الملائم للوقاية من البرد القارس الذي اجتاح المنطقة في تلك الفترة، وأعطتهم الدواب، وأرسلتهم إلى الخليفة عبد الملك بن مروان معززين مكرمين.²

وجدير بالذكر أن الإجراءات المطبقة من قبل الأميرة شوشان، تتطابق تماما مع مقتضيات بنود الصلح المبرمة بين قادة الفتح الإسلامي لأرمينية والبطارقة الأرمن، والتي نصّت إحداها على: "قري المسلم المحتاج ليلة بالمعروف من حلال طعام أهل الكتاب لنا، وإن انقطع برجل من المسلمين عندكم فعليكم أدائه"³ إلى أدنى فئة من المؤمنين إلا أن يحال دونهم".⁴ مما يعني أن الأميرة التزمت بالعهد المبرم بينها وبين المسلمين. كما أن سماع الحادثة يدعو إلى ربطها بالرواية الطويلة التي انفرد بسرد تفاصيلها الواقدي، وفحواها أن ابنة حاكم أرمينية وتدعى "طارئون" دخلت الإسلام هي وزوجها "يرغون"، ولم تشهر إسلامها بل بقيت تساعد الصحابة والمسلمين سرّا، حتّى تمكّنوا بفضلها من فتح مدينة خلاط عاصمة الكيان الأرمني، وبدليس وأرزن وغيرها من المدن، وبسببها دخل الكثير من الأرمن في الإسلام على حدّ قول الواقدي.⁵

¹ تنسب إلى عائلة البطارقة الكامساراكانيين الذين بسطوا نفوذهم على هذه الناحية. أنظر:

GHÉVOND : op. cit. p. 22 et suiv.

² GHÉVOND : op. cit. p. 24.

³ إيصاله.

⁴ البلاذري: المصدر السابق، ص. 284؛ للمزيد راجع النص الكامل للمعاهدة في الملحق الثالث: ص. 364-365.

⁵ الواقدي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي (ت. 207/822م)): فتوح الشام، ضبطه وصحّحه: عبد الرحمن عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د/ت)، ص. 160 وما بعدها.

ومهما يكن من أمر، فإن الأحداث السابقة الذكر وقعت، ومحمد بن مروان منشغل في قتال جيوش إمبراطورية الروم، بهدف القضاء على قوة حصونهم وقلاعهم المجاورة لحدود الدولة الإسلامية، فأتاه كتاب من أخيه عبد الملك يأمره بالمسير إلى إقليم أرمينية لإعادة فرض السيادة الإسلامية عليه،¹ فأخذ في تجميع جيوشه فوراً وتجهيئها لغزو أرمينية.² ولمّا سمع البطارقة الذين بقوا في أرمينية بالأمر، عقدوا اجتماعاً حضره أيضاً الجثليق إسحاق³ وبعض رجال الدين المسيحيين، وأجمع الحاضرون على قبول السيادة الإسلامية، وكلفوا الجثليق بالذهاب إلى محمد بن مروان والتفاوض معه حول السلام باسمهم.⁴

وبناء على ذلك سار الجثليق رفقة مجموعة من رجال الدين، حتى وصل إلى مدينة حرّان، لكن ما إن وصل إلى هناك تعرّض إلى وعكة صحيّة حادّة، ولم يتمكن من مواصلة المسير، وعندما شعر بدنوّ أجله كتب رسالة إلى محمد بن مروان،⁵ يلتمس فيها منح الأمان وحرية الديانة للشعب الأرمني مقابل أدائه للجزية وانصياعه للحكم الإسلامي، وعندما وصل محمد بن مروان إلى المدينة وجد الجثليق قد مات، ولمّا قرأ رسالته، وافق على العرض المقدم له، وسلّم وثيقة صلح أخرى لرجال الدين الأرمن.⁶

ويقرّ المؤرخ غيفود بأن محمد بن مروان احترام بنود المعاهدة، مما نتج عنه أن ساد الأمن والسلام ربوع البلاد إلى غاية سنة 86هـ/705م،⁷ التي شهدت قيام البطارقة الأرمن

¹ السيد أديب: المرجع السابق، ص. 83؛ راجع أيضاً:

GHÉVOND : op. cit. p. 27.

² Ibid.

³ يسمى الجثليق إسحاق الثالث تسورابورتسي الذي بقي على رأس الكنيسة الأرمينية بين سنتي (58-83هـ/678-703م) ولعب دوراً هاماً في الحياة السياسية في أرمينية خلال هذه الفترة. سلمانيان: المرجع السابق، الحاشية رقم: 5، ص. 83.

⁴ GHÉVOND : op. cit. p. 27-28.

⁵ للاطلاع على النص الكامل لمحتوى الرسالة، ورد محمد بن مروان عليها، ارجع إلى الملحقين: السادس، ص. 358، والسابع: ص. 359.

⁶ GHÉVOND : op. cit. p. 29-30.

⁷ Ibid, p. 30.

بثورة أخرى ضد والي أرمينية محمد بن مروان،¹ واختلفت المصادر الأرمينية والعربية في تحديد دوافع اندلاعها الحقيقية، فالأولى ترجع أسبابها للإجراءات التي اتخذها الخليفة الوليد بن عبد الملك، الذي تولى شؤون الدولة الأموية في هذه الفترة عقب وفاة والده، ففكر بأن يزيل العائلات الأرمينية الحاكمة في أرمينية رفقة جنودها، بسبب حنق المسلمين على البطريق سمباط بن أشوط البقراطوني،² أما المصادر العربية فتتهم البطارقة الأرمن بعدم احترامهم

لبنود معاهدة الصلح والتحالف مع الروم.³

وعلى أية حال، فمن الثابت أن سمباط البقراطوني كتب إلى الإمبراطور جستنيان الثاني رسالة، يطلب فيها مساعدة عسكرية لمحاربة القوات الإسلامية المتواجدة في أرمينية، وكان ذلك سنة 86هـ/705م،⁴ فأرسل جستنيان عددا هائلا من جنوده الذين تمركزوا رفقة القوات الأرمينية في بلدة "دراشبيت" Drachpète الواقعة في ناحية أرارات، ولا ريب أن القائد محمد بن مروان كان قد علم بأمرهم، بواسطة العديد من جواسيسه الذين نشرهم في المنطقة،⁵ فجهّز جيشه وتوجه مباشرة نحوهم، وحينما التقى الجيشان وجها لوجه، لاحظ الروم مؤشرات الهزيمة، ودخل الخوف والرعب إلى قلوبهم، لما عرفوه وشاهدوه من هيبة يتمتع بها الجيش الإسلامي، فقرّروا الهروب من المعركة والنجاة بأنفسهم، تاركين وراءهم الجنود الأرمن يواجهون مصيرهم المحتوم، والذين أضحوا لقمة سائغة للقوات الإسلامية، التي

¹ يقول ابن خياط أن هذه الثورة وقعت سنة 84هـ/704م. المصدر السابق، ص. 290.

² GHÉVOND : op. cit. p. 31.

³ ابن خياط: المصدر السابق، ص. 290؛ البلاذري: المصدر السابق، ص. 289؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 191.

⁴ غيفونديان: المرجع السابق، ص. 97؛ للتوسع أكثر راجع أيضا:

GHÉVOND : op. cit. p. 31.

⁵ Ibid.

تمكّنت من دحرهم بمنتهى السهولة، حيث قتلت منهم ما يزيد عن خمسين ألف محارب وفق ما ذكرته المصادر الأرمينية.¹ ورغم أن هذا العدد يبدو مبالغاً فيه، إلا أنه يدل على كثرة القتل من الجانب الأرمني.

أما الجنود الأرمن الذين فرّوا بجلدهم من ساحة الوغى، فقد صاروا مشرّدين في مختلف أرجاء البلاد.² ولشدّة غضب والي أرمينية محمد بن مروان على البطارقة الأرمن الذين خرجوا عن طاعته عدّة مرات، فقد بعث إليهم القائدين زياد بن الجراح وهبيرة بن الأعرج، اللذان قاما باعتقالهم وحرقتهم داخل كنائسهم، في مدينة النشوى وكورة البسفرجان وفق ما جاء في العديد من المصادر العربية والأرمينية على حدّ سواء.³ ويخالفهم في ذلك البلاذري الذي يقول أن البطارقة تمّ جمعهم في الكنائس بدعوى منحهم الأمان، ثم احتجزوا لفترة معينة فيها، تحت حراسة مشدّدة بهدف تخويفهم فقط.⁴ ومهما تعددت الآراء حول الحادثة، فإن الثابت أنها قلّمت أظافر البطارقة الأرمن الذين جنحوا إلى السلم، في انتظار ظروف مواتية أخرى تسمح لهم بالاستقلال عن الحكم الإسلامي.

ب- ثورة البطارقة على الوالي الحسن بن قحطبة 157-158هـ/774-775م

تشير المصادر الأرمينية إلى أن دوافع هذه الثورة، تكمن في انتشار الظلم والفساد والفقر والجوع والحرمان في البلاد، نظراً للارتفاع المتزايد لقيمة الضرائب المفروضة على سكان الإقليم، والتي بلغت أوجّها في هذه الفترة، حتى صار العديد من البطارقة يعيشون تحت طائلة الفقر المدقع،⁵ على حدّ قول المؤرخ الأرمني غيفوند.⁶ أما المصادر العربية

¹ GHÉVOND : op. cit. p. 31.

² Ibid.

³ ابن خياط: المصدر السابق، ص. 290؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 191؛ للتفصيل أكثر راجع أيضاً: GHÉVOND : op. cit. p. 32-33.

⁴ البلاذري: المصدر السابق، ص. 288-289.

⁵ من الطبيعي أن تميل هذه المصادر إلى الطرف الأرمني، وتتخذ الذرائع المناسبة لتبرير التمرد.

⁶ غيفونديان: المرجع السابق، ص. 129؛ للحصول على تفاصيل أكثر راجع أيضاً:

فتكتفي بالقول أن "أهل أرمينية انتقضوا في ولاية الحسن بن قحطبة"¹ وهي عبارة يكتنفها الغموض ولا تفسّر سبب انتشار روح التمرد والعصيان وسط الأرمن.

ويقال أن أول شرارة أشعلت هذا التمرد كانت سنة 157هـ/774م، وقادها البطريق أردافاست Ardwazi الذي يرجع أصله إلى أسرة آل ماميكونيان، إذ يذكر أنه توجه بصحبة جنوده إلى مدينة دبيل، وتظاهر أمام عاملها، أنه يرغب في مساعدة القوات الإسلامية في محاربة أعدائها، فتمّ تزويده بالأسلحة والمؤن اللازمة لذلك، وسار إلى ناحية أرارات، ومنها بدأ في تنفيذ هجماته المباغته والشرسة على المسلمين، وعلى رأسهم العامل المكلف بجمع الخراج في المنطقة، والذي أخذ منه جميع ما كان بحوزته.² وأدى انتشار أخبار هذه الحادثة إلى تمرد آخر قاده البطريق موشيغ ماميكونيان الذي اتفق مع بعض أقرانه من البطارقة على الخروج عن الحكم الإسلامي، فبادر بإلقاء القبض على عمال الخراج وتصفيتهم عن بكرة أبيهم، الأمر الذي أدّى إلى تعطل تامّ لمهمة جمع الضرائب في البلاد.³

أدت هذه الأحداث المتسارعة إلى انضمام العديد من الأرمن لهذا التمرد، لاسيما بعدما حقق البطريق موشيغ انتصارا آخر على القوات الإسلامية في قرية باكافان Pakawan الواقعة على سهول منطقة أرارات.⁴ وحينما لاحظ بطارقة أرمينية البداية الموفقة لهذا التمرد، ظنّوا أن الخلافة العباسية دخلت مرحلة الضعف والانحسار، خاصة بعد سماعهم لتنبؤات أحد الرهبان القائلة بقرب استقلال أرمينية، وضياع الخلافة الإسلامية.⁵ الأمر الذي دفعهم

GHÉVOND : op. cit. p. 130-131.

¹ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 3، ص. 310؛ البلاذري: المصدر السابق، ص. 295.

² GHÉVOND : op. cit. p. 133.

³ البلاذري: المصدر السابق، ص. 295؛ للتوسع أكثر في الموضوع راجع أيضا:

GHÉVOND : op. cit. p. 134.

⁴ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 310؛ للمزيد راجع كذلك:

GHÉVOND : op. cit. p. 134.

⁵ Ibid, p. 136-137.

إلى الوحدة وتشكيل جيش قوامه خمسة آلاف مقاتل، والذي أوكلت له مهمة الاستيلاء على مدينة قاليقلا، وبفضل الاستعدادات الهائلة تمكن من محاصرة المدينة طوال فترة الشتاء، ولكنه فشل في الاستيلاء عليها.¹

وأمام هذه التطورات برز البطريق الحكيم أشوط بقراطوني، الذي وجّه نصائح قيمة لنظرائه البطارقة، تضمّنت ضرورة العودة إلى أحضان الخلافة الإسلامية، للحفاظ على أرواحهم وأرواح عائلاتهم، وعدم الاستهانة بقوة الجيش الإسلامي الذي لا يقهر، لكنه لم يجد آذانا صاغية.² وبدخول سنة 158هـ/775م كتب والي أرمينية الحسن بن قحطبة إلى الخليفة المنصور رسالة، أبلغه من خلالها بما يجري في البلاد، وأنه غير قادر على مواجهة هذا العصيان الذي تزداد رقعة انتشاره مع مرور الوقت، ويرتفع معها أعداد الملتحقين به،³ وطلب منه المدد اللازم للقضاء على المتمردين قبل استفحال أمرهم وفوات الأوان.

استجاب الخليفة لطلب الوالي وأرسل إلى إقليم أرمينية قائدا خبيرا بالشؤون العسكرية، ويدعى عامر بن إسماعيل الحارثي، على رأس جيش عرمرم قوامه عشرون ألف مقاتل،⁴ ضمّ خيرة أجناد إقليم خرسان المدجّجين بالأسلحة، والذين تزامن وصولهم إلى المنطقة مع حلول فصل الربيع،⁵ المناسب جدا لسهولة تحركات الجيش الإسلامي. وبعد تمركز هذه القوات في مدينة خلاط، أصدر القائد عامر أوامره لجواسيسه بالانتشار في مختلف أنحاء البلاد، قصد جمع الأخبار اللازمة من السكان، وخاصة المسلمين منهم، والتي من شأنها أن تقدم معلومات مفيدة عن تحرّك عناصر الجيش الأرمني، وقادته، وأعداده، وطبيعة أسلحته،

¹ GHÉVOND : op. cit. p. 137.

² Ibid. p. 138-139.

³ البلاذري: المصدر السابق، ص. 295؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 310.

⁴ يقدر المؤرخ غيفوند عدده بثلاثين ألف مقاتل، وبالرغم من الاختلاف في تقدير الأعداد، إلا أن العددين المقّمين يظهران أن المدد كان عبارة عن جيش جرّار.

GHÉVOND : op. cit. p. 140.

⁵ غيفونديان: المرجع السابق، ص. 131-132؛ راجع أيضا:

GHÉVOND : op. cit. p. 140.

وبعد استكمال جميع المعطيات، تحرك الجيش الإسلامي خفية صوب مدينة أرجيش، التي يحاول الجيش الأرمني السيطرة عليها، فباغتته القوات الإسلامية الباسلة وألحقت به هزيمة ساحقة، أدت إلى مقتل العديد من البطارقة، ونحو 1500 جندي أرمني، أما الذين كتبت لهم النجاة فإنهم لاذوا بالفرار.¹

ولمّا وصل خبر الهزيمة إلى الجيش الأرمني الآخر المحاصر لمدينة قاليقلا، انهارت معنويات أفرادها، واتخذ البطارقة قرار فك الحصار عن المدينة، والانتقال لمواجهة الجيش الإسلامي مهما كلفهم ذلك من عدة وعدد. وبذلك تهيأ الطرفان للمعركة الحاسمة التي دارت رحاها في سهول أرارات، ومنى الأرمن بهزيمة ساحقة، أدت إلى مصرع حوالي ثلاثة آلاف مقاتل، وعدد كبير من البطارقة يتقدمهم موشيغ ماميكونيان وسمباط بقراطوني وصموئيل ماميكونيان وغيرهم من البطارقة.² ويقال أنّ هذه الثورة كانت وبالا آخر على الأرمن، وتسببت في حقد المسلمين عليهم، إذ استغلّها الوالي الحسن بن قحطبة كذريعة لفرض المزيد من الضرائب على الإقليم.³ وعقب هذه الواقعة ساد الهدوء والأمان في مختلف ربوع البلاد، والتي مكّنت الحسن بن قحطبة من انجاز العديد من الإصلاحية، ولعل من أبرزها حفره لنهر في مدينة البيلقان، والذي عرف فيما بعد باسمه، يضاف إليه البستان المعروف ببستان الحسن في مدينة بردعة، والعديد من الضياع التي نسبت إليه.⁴

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 295؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 310؛ للمزيد راجع أيضا:

GHÉVOND : op. cit. p. 140 et suiv.

² البلاذري: المصدر السابق، ص. 295؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 310؛ للتعرف على تفاصيل أكثر أنظر أيضا:

GHÉVOND : op. cit. p. 143 et suiv.

³ VARDAN : op. cit. p. 106.

⁴ البلاذري: المصدر السابق، ص. 295.

ج- خروج البطارقة على الوالي يوسف المروزي 237هـ/852

حدث هذا التمرد في فترة تولّى الخليفة العباسي المتوكل (232-247هـ/846-861م) لشؤون الدولة الإسلامية، التي دخلت مرحلة الضعف والانحسار بداية من عهده، مما فسح المجال لحدوث عدّة ثورات مطالبة بالاستقلال عن الخلافة. وفي هذا الصدد عاشت أرمينية سنة 236هـ/851م اضطرابات وثورات دفعت بالمتوكل إلى تعيين يوسف بن محمد المروزي واليا عليها، ومنحه صلاحيات القائد العسكري، وأضاف له مسؤولية جمع خراج البلاد، فتوجّه يوسف إلى إقليم أرمينية ونجح في إعادة الهدوء والنظام إلى ربوعه، ووَزَعَ عمال الخراج على كل ناحية.¹

وفي عام 237هـ/852م وقعت ثورة عارمة في أرمينية تقول المصادر الأرمينية أنها اندلعت ردّا على السياسة الضريبية التعسّفية، وبدأت بتعيين الوالي لعمال يطوفون المدن الأرمينية لجمع الضرائب، بينما اقتضت العادة أن يتولّى كل بطريق تحصيل الضرائب المفروضة على ناحيته، وتسليمها للوالي بنفسه.² أما المصادر العربية، فتروي أن يوسف المروزي اعتقل بطريق البطارقة بُقراط بن أشوط، لأن هذا الأخير حاول تشكيل إمارة مستقلة في المنطقة، وتمّ نقله إلى مدينة سامراء، الأمر الذي أدّى إلى نقمة البطارقة والمتغلّبين³ على الوالي يوسف المروزي.⁴

¹ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 453؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 186.

² غيفونديان: المرجع السابق، ص. 169، نقلا عن مصدر أرمني معاصر للأحداث:

ARDZROUNI Tomas : Histoire des Ardzrouni.

³ من أبرز المتغلّبين الذين رفضوا تصرفات يوسف بن محمد ووقفوا ضده، موسى بن زرارة صهر بقراط بن أشوط. البلاذري: المصدر السابق، ص. 297؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 453؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 187.

⁴ البلاذري: المصدر السابق، ص. 297؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 453؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 187.

زيادة على ذلك فقد أفاد البلاذري بأن عامل الخراج "العلاء بن أحمد" قام بتجاوزات خطيرة في إحدى الأديرة التابعة لناحية السيسجان والمعروف بدير الأقداح، الذي كان الأرمن يقدّسونه ويقدمون له الهدايا، فقام العلاء بالاستيلاء على جميع محتوياته، ولمّا انتشر خبره تحالف البطارقة ضدّه وقرّروا الخروج عن الحكم الإسلامي.¹

وأدت هذه الأحداث في مجملها إلى كثرة الاتصالات بين البطارقة، وخلصوا في النهاية إلى نقض العهود المبرمة مع الدولة الإسلامية، والتخطيط لقتل الوالي المسلم الذي يقف حجرة عثرة أمام استقلالهم.² وفي هذه الأثناء انتقل يوسف المروزي إلى مدينة "طُرون"³ فأتاه شخص يسمى "سودة بن حميد الجحّافي" ونصحه بضرورة تغيير مقرّ إقامته، لأن البطارقة اجتمعوا ضدّه، لكن يوسف رفض العمل بنصيحته، رغم قلة عدد الجنود الذين معه، حيث أنه قام سابقا بتفريق معظمهم على النواحي لضمان الحماية الكافية لعمال الخراج.⁴

نص الاتفاق المبرم بين البطارقة الأرمن، على مشاركة الجميع في جريمة القتل، لكي لا تقع المسؤولية على طرف دون آخر،⁵ وتم تكليف قوم من أهل أرمينية يسمون "الخويشية" بهذه المهمة البالغة الخطورة، وساندهم في ذلك المتغلّبة وعلى رأسهم موسى بن زرارة المتمرد المسيطر على مدينة بدليس.⁶ واختار المتمردون توقيتا دقيقا كانت فيه الثلوج تتساقط على مدينة "طرون" مقرّ حكم الوالي يوسف،⁷ وكان المسلمون يعيشون أجواء شهر رمضان

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 297.

² نفسه؛ تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 453؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 187.

³ تقع في أرمينية الرابعة، وتسمى أيضا "موش".

⁴ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 187-188.

⁵ حميدي فتحي سالم: حركات التمرد في ولاية أرمينية في عهد الخليفة المتوكل على الله (232-247هـ)، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج. 16، ع. 1، جامعة الموصل، العراق، 2019م. ص. 1604.

⁶ البلاذري: المصدر السابق، 297؛ تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 453؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 187-188.

⁷ وفي هذا الصدد يقول الطبري: "والثلج ما بين عشرين ذراعا إلى أقل حول المدينة إلى خلاط إلى دبيل، والدنيا كلّها ثلج". المصدر السابق، ج. 9، ص. 187.

المبارك،¹ فباغتتهم العدو بقواته الكبيرة العدد، وأحاط بأسوار المدينة من جميع الجهات، وحاصرها لعدة أيام، قاتلت فيه القوات الإسلامية رفقة قائدها، بكل جرأة وبسالة رغم قلة عددها.²

وفي يوم مشهود قرّر القائد الشجاع يوسف رفقة ثلة من خيرة أتباعه، الخروج عبر باب المدينة لقتال أعدائه المتربصين به وجها لوجه،³ ويبدو أنه قد فهم أن الأعداء لا يرغبون في الاستيلاء على المدينة بقدر ما يرغبون في قتله، لذلك لم يقدم لهم الفرصة لإراقة المزيد من الدماء وفضّل التضحية بنفسه حفاظا على سلامة المدينة وأهلها. وجرت معركة عنيفة وفاصلة بين الطرفين، أدّت في النهاية إلى استشهاد والي أرمينية وأصحابه الذين خرجوا معه، وسيطر الأعداء على المدينة، وأخذوا كل ما وجدوه في مقرّ الوالي.⁴

أمّا بقية المقاتلين المسلمين الذين بقوا داخل المدينة، فقد سلّموا أنفسهم للأعداء، ولكن هؤلاء الأخيرين لم يعاملوهم كأسرى حرب، بل أمرهم بنزع ملابسهم وسط ذلك الثلج والبرد القارص، والفرار بجلدهم، فاستجاب الكثير منهم لهذه الأوامر الشنيعة طمعا في النجاة بأرواحهم، ولكن معظمهم مات من شدة البرد، وسقطت أصابع آخرين، ولم تنج إلا القلة القليلة.⁵ وعقب ذلك فرّق البطارقة وأتباعهم جنودهم على مختلف أرجاء البلاد، لقتال القوات

الإسلامية التي نشرها الوالي في الإقليم، وتمكنوا من قتلهم جميعا بعد فترة وجيزة.⁶

¹ الطبري: المصدر السابق. ج. 9، ص. 187.

² البلاذري: المصدر السابق، 297؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 187.

³ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 187.

⁴ البلاذري: المصدر السابق، 297؛ تاريخ يعقوبي، ج. 2، ص. 453؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 187.

⁵ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 187.

⁶ المصدر السابق، ص. 188.

عندما وصلت أخبار هذه الفاجعة الأليمة، إلى بلاط الخلافة الإسلامية في عاصمتها سامراء، حزن المتوكل حزنا شديدا، وقرّر الثأر فوراً لدم البطل يوسف وأصحابه، بإرسال حملة تأديبية تردّ الاعتبار للمسلمين، وتحفظ ماء وجههم. ولتحقيق الهدف المنشود تم تكليف القائد العسكري المحنّك بغا الشراي،¹ بهذه المهمة البالغة الصعوبة والتعقيد، والتي تتطلب قادة من هذا النوع، فتوجّه فوراً إلى أرمينية على رأس جيش جرّار.² وبحكم التجربة الواسعة التي يتمتع بها هذا القائد في المنطقة، فإنّ قدومه إليها أحلّ الرعب والخوف في نفوس البطارقة والمتغلّبين، الذين كانوا يظنّون أنّ الأمر قد حسم بمقتل والي يوسف المروزي.

وفي هذا الصدد فإنّ المتمرّد موسى بن زرارة لمّا علم بدخول القوات الإسلامية إلى أرمينية عبر بلاد الجزيرة، واستقرارها في مدينة أرزن، لجأ مباشرة إلى القائد بغا راجيا منه الصفع والأمان، إلا أنّه اعتقل وأخذ إلى الخليفة ليحكم في أمره.³ بعدها انتقلت القوات الإسلامية مباشرة إلى مدينة طرّون، وخاضت معركة طاحنة ضدّ البطارقة الأرمن المتمردين وأتباعهم، ومنى هؤلاء الأخيرين بهزيمة ساحقة، أدت إلى مقتل زهاء ثلاثة آلاف جندي من أفرادهم، كما وقع الكثير منهم في الأسر، وتم سبيهم وبيعهم في أسواق أرمينية.⁴ هكذا فرح المسلمون بهذا النصر المؤزّر، الذي يفتح لهم المجال لتطهير باقي أنحاء أرمينية من المتمردين.

¹ بغا غلام تركي تميّز بشجاعته وحنكته، ارتقى في عهد الخليفة المتوكل حتى صار من أبرز القادة العسكريين في البلاط العباسي. اختاره الخليفة المتوكل لهذه المهمة البالغة الخطورة، وكلّه ثقة في قدرته على الانتصار. العبد الغني: المرجع السابق، ص. 117.

² البلاذري: المصدر السابق، 297؛ تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 453؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 188.

³ البلاذري: المصدر السابق، ص. 297؛ تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 453؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 188.

⁴ البلاذري: المصدر السابق، ص. 297؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 188.

ثم توجه بغا في حملة تأديبية ثانية صوب ناحية البسفرجان، المعقل الرئيسي للبطريق أشوط، الخارج عن الحكم الإسلامي في المنطقة، ولمّا علم هذا الأخير بقدوم الجيش الإسلامي، فرّ هارباً إلى إحدى القلاع المحصنة التابعة له، وبعد حصار مطبق عليها تمكّن المسلمون من فتحها، والظفر بالبطريق حيّاً، واقتياده إلى العاصمة الإسلامية سامراء،¹ التي أعدم فيها،² بتهمة خيانة العهد.

وواصل بغا حملاته التأديبية على باقي البطارقة في مدينة دبيل، التي يقال أنه مكث فيها شهراً كاملاً،³ وبعد إحكام قبضته عليها، انتقل منها إلى كورة جرزان، أين واجه المتغلب إسحاق بن إسماعيل وأحمد ثورته،⁴ ثم سار إلى ناحيتي أران والسيسجان، وخاض معارك عنيفة مع المتغلبين والبطارقة الأرمن فيها، انتهت بتحقيقه لانتصارات ثمينة، عادت بفضلها أرمينية إلى أحضان الخلافة العباسية، وساهمت في نشر الأمن والسلم في البلاد.⁵ ويقال أن هذه الحملات استمرّت إلى غاية سنة 241هـ/856م.⁶

ويلاحظ أنه لم يكن بمقدور أي ثورة أرمينية أن تحشد أكثر من 10000 آلاف مقاتل على الأكثر، لأن البطارقة الأرمن لم ينسقوا جهودهم وقواتهم. وفي كل فترة كانت أسرة من الأسر الأرمينية تقود الثورة، وهذا ما سهل على المسلمين أمر اختيار أسرة أخرى متعاونة معهم عوضاً عن الأسرة الثائرة.⁷ وللاشارة فإن هذه الثورات اقتصرّت فقط على الأسر

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 297؛ تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 453-454؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 188.

² اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 454.

³ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 188.

⁴ البلاذري: المصدر السابق، 297؛ تاريخ اليعقوبي، ج. 2، ص. 454؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 188.

⁵ البلاذري: المصدر السابق، ص. 297.

⁶ نفسه.

⁷ عبد الرحمن محمد العبد الغني: المرجع السابق، ص. 67.

الأرمينية الكبيرة مثل: سيوني ورشتوني وأردزروني وماميكونيان وبقراطوني.¹ وحتى إذا كانت هذه الثورات قد نجحت أحيانا في طرد المسلمين من بعض المدن الأرمينية، فإن المسلمين اعتمادا على الدعم المقدم لهم من الخلافة، وخبرتهم السياسية القائمة على تشتيت شمل الأرمن، تمكنوا من القضاء على هذه الثورات في مهدها.²

4- الحركات المناهضة للحكم الإسلامي في أرمينية

ساهمت التضاريس الصعبة لإقليم أرمينية، والظروف الداخلية المضطربة، التي عاشتها الخلافة الأموية وبعدها العباسية، في ظهور العديد من الحركات المناوئة للحكم الإسلامي في المنطقة. مستغلة أي ظرف مناسب لذلك، ومن أبرز الشخصيات التي سعت لبسط حكمها في أرمينية نجد:

أ- ثورة ثابت زعيم القبائل اليمنية 126هـ/743م

كان رئيس القبائل اليمنية في المنطقة ثابت بن نعيم الجذامي، ويقال أنه من أهل فلسطين الذين سكنوا إقليم أرمينية. حيث استغل فترة غياب والي أرمينية مروان بن محمد للخروج عن حكمه. ويقال أن سبب صحبة ثابت لمروان بن محمد، هو تخليص هذا الأخير لثابت من السجن الذي حبسه فيه الخليفة هشام بن عبد الملك، بعد قبول الخليفة لشفاعته. ومن المعلوم أن مروان كانت له مكانة مرموقة لدى الخليفة، نظرا لمجهوداته المضنية المبذولة في سبيل حماية الثغور.³ وكان سبب سجن الخليفة لثابت، ما قام به هذا الأخير

¹ PASDERMADJIAN, op. cit. p. 133.

² LAURENT, op. cit. p. 125 ; PASDERMADJIAN, op. cit. p. 130.

³ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 296.

من فتنة أدت إلى انتشار أفكار التمرد والعصيان، في أوساط الجنود الذين وجّههم الخليفة لمحاربة البربر، تحت إمرة حنظلة بن صفوان.¹

ويورد الطبري رواية مفادها أن محمد بن مروان لما عزم المسير إلى الشام سنة 126هـ/743م، كره أن يترك ثغر أرمينية بدون قيادة وحراسة، لما قد ينجم عن هذا الإجراء من مخاطر جمّة على الإسلام والمسلمين والأرمن في المنطقة، فوجّه إلى مدينة باب الأبواب جيشاً، من أبرز قادته: إسحاق بن مسلم العقيلي² وثابت بن نعيم الجذامي، وولّى عليهم حميد بن عبد الله اللّخمي، المعروف بعدله وقبوله بينهم.³

غير أن ثابتاً أراد استغلال فرصة غياب والي أرمينية للخروج عن طاعته، ولكن هذا الأخير كان كيّساً فطناً، إذ بمجرد سماعه بخبر انصراف بعض الجنود من ثغره، رجع إلى أرمينية مسرعاً، وبمجرد وصوله إلى المنطقة التي عسكر فيها ثابت وجنوده، أمر المنادين بدعوة الجنود إلى الحوار، فاستجابوا لأمره، وتمكّن من إقناعهم بأن زعيمهم ثابت بن نعيم يريد نشر الفوضى والفساد في أرمينية، والاعتداء على أهل الدّمة، وأخذ أموالهم وممتلكاتهم، فسلموه ثابتاً وأولاده.⁴ وبذلك استطاع هذا الوالي أن يقضي على بذور ثورة كان بإمكانها أن تقضي على الأخضر واليابس في هذا الثغر الجليل. ومما سبق يظهر مدى حرص ولاة أرمينية على احترام العهود والمواثيق المبرمة بين الفاتحين الأوائل والأرمن، إذ أنهم أدركوا بثاقب نظرهم وبصيرتهم، أن نقضها قد يزيل الثقة التي وضعها أهل أرمينية في واليهم المسلم، ويجعلهم يثورون عليه.

¹ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 296.

² زعيم قبيلة قيس العربية التي استوطنت أرمينية. نفسه.

³ ينسب إلى أهل فلسطين. نفسه، ص. 296-297.

⁴ البلاذري: المصدر السابق، ص. 294؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 295 وما بعدها.

ب- ثورة الخوارج في أرمينية 132هـ/750م

استغل قائد الخوارج مسافر بن كثير القصاب السيباني فترة الفوضى والفساد السائدة أواخر العهد الأموي، وسيطر على إقليمي أرمينية وأذربيجان، وكان مسافر خاضعا لسلطة الضحاك بن قيس الشيباني، زعيم فرقة الخوارج الذين ظهروا أواخر العهد الأموي.¹ ويقال أن حركته لقيت صدى عند أهل باجروان وورثان والبيلقان، حيث صحبه جماعة كبيرة من الذين يرون رأيه ومذهبه، وبذلك تضاعف عدد أتباعه وجنوده.²

ورغم كثرة التحديات التي واجهها مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، إلا أنه بقي حريصا على حماية ثغر أرمينية والحفاظ عليه. فبحكم ولايته الطويلة لهذا الإقليم، وخبرته وتجربته، أدرك أن استيلاء الخوارج على هذا الموقع الجغرافي الإستراتيجي والبالغ الأهمية، يشكل خطرا ماحقا على مصير الخلافة الإسلامية. ومما يناسب في هذا المقام، القول بأنه أثر تحقيق مصالح المسلمين العامة، حتى ولو كان ذلك على حساب حياته ومصلحته الخاصة، إذ قام في هذه الفترة العصيبة بتولية إسحاق بن مسلم على رأس إقليم أرمينية، وكلفه بمحاربة الخوارج، وبقي هذا الأخير مرابطا في المنطقة، يعمل على تنفيذ المهمة الموكلة إليه، إلى غاية قيام الدولة العباسية.³ هذا الموقف البطولي الذي اتخذه مروان، ساهم كثيرا في الإعلاء من شأنه، وإثبات حسن نواياه، فلو كان يبتغي سلطة أو جاها، لسحب الجيش الإسلامي المرابط في أرمينية، وضمّه إلى جيشه، خاصة وأنه في أمس الحاجة إليه، ولو فعل ذلك لما أعاب عليه أحد، لأنه حلّ يتماشى مع التطورات السياسية السائدة حينئذ، ولكنه كعادته تميّز عن غيره في تفكيره ومواقفه.

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 294؛ عزام خالد: المرجع السابق، ص. 93.

² البلاذري: المصدر السابق، ص. 294.

³ البلاذري: المصدر السابق، ص. 294.

وبعد قيام الخلافة العباسية عيّن الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح (132-136هـ/750-755م) القائد الفذّ محمد بن صول واليا على المنطقة، وأوكل له مهمة محاربة مسافر وأتباعه، ودعّمه بالجنود والعتاد. فتمكن هذا الوالي من تجنيد الكثير من الأذريين، وبعد مواجهة عنيفة بين الطرفين، انهزم الخارجي مسافر وفرّ إلى قلعة كلاب،¹ محاولا الاحتماء داخل أسوارها، لكن الوالي حاصر القلعة، وتمكن من قتل مسافر والعديد من أتباعه.² وبذلك عاد الهدوء نسبيا إلى أنحاء أرمينية.

ج- ثورة القبائل العربية في البيلقان 170هـ/786م

بعد وفاة الخليفة العباسي المهدي سنة 169هـ/785م، اضطربت الأوضاع السياسية في إقليم أرمينية، وبالرغم من تعيين ولاّة أكفاء ذوو قدرات عالية وخبرة طويلة في التسيير، واعتماد هؤلاء الأخيرين في توطيد حكمهم، على القبائل العربية التي استقرت في المنطقة منذ بداية الفتح الإسلامي لها، إلا أن النعرات والعصبية القبلية بين العدنانية والقحطانية، وضعف سلطة الوالي الفضل بن يحيى البرمكي من ناحية، وتلقّيه لهزيمة نكراء في المعركة التي خاضها ضد أهالي حمزين من ناحية ثانية، كلها أسباب أدّت إلى قيام حركة مناوئة للحكم العباسي في مدينة البيلقان، يقودها أبو مسلم الشاري،³ الذي تمكن من بسط سيطرته على المدينة بكل سهولة، في ظل الفوضى والفساد المنتشر في البلاد خلال تلك الحقبة الزمنية.

وبهدف القضاء على هذا التمرد أرسل الخليفة هارون الرشيد القائد إسحاق العقيلي إلى المنطقة، ومعه جيش قوامه خمسة آلاف مقاتل، غير أنه لم يتمكن من الصمود، وتلقّى هزيمة ساحقة أمام قوات أبي مسلم، يضاف إليها الهزيمة التي تلقتها جيوش العباس بن

¹ موجودة في كورة السيسجان. المصدر السابق، ص. 294.

² نفسه؛ عزام خالد: المرجع السابق، ص. 93-94.

³ البلاذري: المصدر السابق، ص. 296؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج. 2، ص. 375-376؛ عزام خالد: المرجع السابق، ص. 140.

جرير القسري، وسعد الحمصي على يدي المتمرّدين، وشجعت هذه الانتصارات المتلاحقة المحققة، زعيم الخوارج على توسيع مناطق نفوذه خارج مدينة البيلقان، حيث انتقل إلى مدينة دُبيل التي حاصرها لمدة أربعة أشهر ثم انصرف عنها. ويقال أنه وصل لحدّ جباية أموال الجزية والخراج في الإقليم، وعاث في الأرض فسادا.¹

وعند سماع هارون الرشيد لأخبار الهزائم المتتالية التي تلقّتها قواته، اشتدّ غضبه وقلقه، لما قد ينجّر عنها من آثار وخيمة على الوجود الإسلامي في المنطقة، وحينئذ ازداد اهتمامه بهذا التمرّد، وأرسل قوة عسكرية كثيرة العدد إلى والي أرمينية يزيد بن يزيد الشيباني لتكون مددا له، وعند وصول الدعم واتحاد القوتان في جيش واحد بإقليم أرمينية، أفادت الأخبار المستقاة من البيلقان بوفاة أبي مسلم الشاري، وتسلم السكن البيلقاني للقيادة، فعين هذا الأخير ابنه على رأس الجيش الذي اصطدم مع القوات العباسية الكثيرة العدد والعدة، وتلقّى هزيمة ساحقة، دفعت والده السكن إلى الاستسلام.² وبذلك تمكن يزيد الشيباني من إعادة بسط حكمه على المناطق التي خرجت عن نفوذه، وأرجع الأمن والاستقرار والنظام الذي كان مفقدا فيها.

د - حركة عطا الموكنا 176هـ/792م

يعتبر عطا الموكنا من ملوك الفرس الذين ترك لهم المسلمون حكم مدينة بردعة، ويذكر أنه تمرّد عن الحكم الإسلامي في خلافة هارون الرشيد، حيث قتل عامل الخراج في المنطقة أبا الصباح، واستقل بمدينتي بردعة والبيلقان سنة 176هـ/792م، الأمر الذي دفع بالخليفة هارون الرشيد إلى تعيين يزيد بن يزيد الشيباني واليا على أرمينية، والذي تمكن من القضاء على هذا التمرد سنة 183هـ/799م.³ ومن ضمن التمردات التي حدثت في هذه الفترة حركة جراشة بن شيبان في بلاد الجزيرة، ومن الأهمية بمكان القول أن هذا التمرد أخذ

¹ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج. 2، ص. 376؛ عزام خالد: المرجع السابق، ص. 140.

² اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، نفسه؛ عزام خالد: المرجع السابق، ص. 140.

³ طه: الحياة العامة، ص. 199.

بعدا خطيرا بانضمام رجل من أهل أرمينية يقال له أبو ثور،¹ ولكن المصادر لا تتحدث عن مصيرها، ومما لا شك فيها أن والي أرمينية أحمدها.

هـ - ثورة الخوارج بقيادة الوليد بن طريف 178هـ/794م

لم يكد ينتهي هارون الرشيد من ثورة عطا الموكنا حتى فوجئ بثورة أخرى قام بتدبيرها الوليد بن طريف، الذي يذكر أنه خرج عن الحكم الإسلامي في بلاد الجزيرة الفراتية سنة 178هـ/794م،² واستقل بها، ثم انتقل منها إلى إقليم أرمينية،³ ويبدو أن الانتصارات المتلاحقة التي حققها جيشه، شجعتة على توسيع النطاق الجغرافي لتمرده، في ظل انضمام الكثير من الخوارج إلى قواته، وبذلك اشتدت شوكته وكثر أتباعه،⁴ الأمر الذي جعله يزداد فسادا وتجبرا وغطرسة، إذ يقال أنه عبر وادي سربط المؤدي إلى إقليم أرمينية، واتجه إلى مدينة أرزن التي بقي فيها، حتى منحه أهلها عشرين ألفا،⁵ وسفك دم رجل من وجوه أهلها، ينسب إلى بني شيبان، ويسمى مرة، ثم انتقل منها إلى مدينة خلاط، فحاصرها عشرون يوما، مما أجبر أهلها على دفع ثلاثين ألف درهم، حفاظا على أنفسهم وممتلكاتهم واتقاء لشربه، ثم انتقل منها إلى إقليم أذربيجان، ودخل مدينة نصيبين التي عاث فيها فسادا ودمارا لمدة خمسة أيام، قتل فيها حوالي خمسة آلاف شخص.⁶ وبذلك ظهر للعيان مدى خطورة حركته التي أتت على الأخضر واليابس ودمرت البلاد.

وفي عام 179هـ/795م أرسل الخليفة هارون الرشيد إلى واليه على أرمينية يزيد بن مزيد الشيباني، كتابا يحثه فيه على ضرورة التخلص من هذا التمرد واسترجاع السيادة الكاملة

¹ بن خياط: المصدر السابق، ص. 455.

² المصدر السابق، ص. 450.

³ الطبري: المصدر السابق، ج. 8، ص. 256.

⁴ نفسه، ص. 261؛ عزام خالد: المرجع السابق، ص. 137.

⁵ لم تذكر الرواية نوع العملة، هل هي الدينار الذهبي أم الدرهم الفضي، ويرجح أن تكون الدرهم، لأن هذه الفترة شهدت اكتشاف العديد من مناجم الفضة في أرمينية، أدت إلى سك الأرمن لكميات كبيرة من العملة الفضية، لتسديد أموال الجزية والخراج المفروضة عليهم. أنظر:

GHEVOND : op. cit. p. 149.

⁶ بن خياط خليفة: المصدر السابق، ص. 452.

على إقليمي الجزيرة وأرمينية. جدير القول أن الوليد ويزيد من عشيرة واحدة، الأمر الذي سهّل على هذا الأخير المهمة، إذ باغته وتمكّن من قتله، رفقة جماعة قليلة العدد من أصحابه، أما بقية الجنود فقد تفرّقوا بعد سماعهم نبأ اغتياله. وحول هذه الواقعة يقول الشاعر:

وإلّ بعضها يقتل بعضاً لا يُقْلُ الحديد إلا الحديد¹

ويلاحظ مدى خطورة تمرد الوليد بن طريف، في رواية الطبري التي أفادت بأن الخليفة هارون الرشيد اعتمر سنة 179هـ/795م خلال شهر رمضان، وحمد الله وشكره على الانتصار الذي حققه على الوليد.²

و- حركة بابك الخرمي 192هـ/807م

أورد ابن النديم في كتابه الفهرست أن الخرمية صنفان، الأول يعرفون بالمحمرة، ويتواجدون فيما بين أرمينية وأذربيجان وغيرهما من الأقاليم، وأصلهم مجوس وزعيمهم مزدك القديم الذي قتل على يد كسرى أنوشروان.³ أما الخرمية البابكية فإن رئيسهم بابك الخرمي، الذي ادّعى الألوهية، وأضاف لمذاهب الخرمية الحروب والغصب والقتل، وغيرها من الأفعال الشنيعة التي لم تعرفها الخرمية من قبله.⁴

وفي إطار حديث الطبري عن أخبار سنة 192هـ/807م، أفاد بأن الخرمية ظهرت بناحية أذربيجان، فوجّه إليهم الخليفة هارون الرشيد جيشاً يتكون من حوالي عشرة آلاف فارس، على رأسهم القائد عبد الله بن مالك، الذي تمكّن من قتل وسبي الكثير منهم،⁵ غير

¹ الطبري: المصدر السابق، ج. 8، ص. 256؛ بن خياط خليفة: المصدر السابق، ص. 452؛ عزام خالد: المرجع السابق، ص. 138.

² الطبري: المصدر السابق، ج. 8، ص. 261؛ عزام خالد: المرجع السابق، ص. 138.

³ ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق: الفهرست، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ص. 479-480.

⁴ نفسه، ص. 480.

⁵ المصدر السابق، ج. 8، ص. 339؛ ابن خياط خليفة: المصدر السابق، ص. 460.

أنه لم يتمكن من إلقاء القبض على زعيمهم بابك، فطلب الرشيد من والي أرمينية خزيمه بن خازم، بتسيير حملة عسكرية نحو مناطق نفوذ الخرمية في أذربيجان، فغزى خزيمه المنطقة وقتل وسبى العديد من المتمرّين،¹ لكنه لم يحقق نصرا مبينا ما دام بابك على قيد الحياة،

وفي عام 201هـ/816م انتقل بابك إلى مدينة البذ الواقعة بين أذربيجان وأران، والتقى قوما من الفرس يعرفون بالجاويذانيّة، وهم من أتباع جاويذان بن سهل² صاحب مدينة البذ، واستطاع إقناع أهلها بخرافة مفادها أن روح جاويذان دخلت فيه، ومنها انتقل إلى نشر أفكار أخرى أدت إلى انتشار الضلال والفساد في أوساط الناس.³ وانضوى تحت لوائه جماعات من قطاع الطرق، وأتباع النحل الزائفة، وبذلك تكاثرت جموعه بعد أن كان في قلّة من الأتباع،⁴ وتمكّن بواسطتهم من تكوين جيش قوي، أمره بالاستيلاء على المدن والقرى المحيطة بهم، فعاثوا في الأرض فسادا، وأكثروا القتل والتتكيل بأهلها دون استثناء لأحد، سواء كان صغيرا أو كبيرا أو امرأة أو شيخا، ونشر الرعب في أوساط العامة.⁵

ويقول الطبري أن سنة 218هـ/833م عرفت دخول مجموعات كبيرة من أهل الجبال في همذان وأصبهان وغيرهما من المناطق في دين بابك الخرمي، وتجمعوا في همذان، فوجه إليهم الخليفة المعتصم (218-227هـ/833-841م) قوات عسكرية كبيرة العدد والعدّة،

¹ ابن خياط خليفة: المصدر السابق، ص. 460.

² يعتبره ابن النديم أستاذ بابك، الذي أكله مسؤولية تسيير ضياعه وأمواله، وكان لجاويذان هذا نفوذا كبيرا وكلمته مسموعة في أوساط الخرمية الساكنين جبل البذ، فلما توفي أوعزت زوجته لبابك أن يتبوء منصبه فقبل بذلك، واهتدى الطرفان لحيلة مكررة لإنجاح مخططهما، إذ جمعت زوجة جاويذان الجاويذانية، وأبلغتهم أن الأخير قال لها: "إني أريد أن أموت في هذه الليلة، وإن روحي تخرج من بدني وتدخل في بدن بابك، وتشتبك مع روحه، وإنه سيبلغ نفسه وبكم أمرا لم يبلغه أحد، ولا يبلغه بعده أحد، وإنه يملك الأرض، ويقتل الجبارة، ويرد المزدكية، ويعز به ذليلهم، ويرتفع به وضيعهم... قالوا قد قبلنا عهده إليك في هذا الغلام". المصدر السابق، ص. 481-482.

³ الطبري: المصدر السابق، ج. 8، ص. 556؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 511؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 361.

⁴ محمود إبراهيم سامية: الحركات المناهضة للخلافة العباسية في الشرق الإسلامي منذ قيامها حتى أواخر القرن الثالث الهجري، البندقية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط. 1، 1437هـ/2016م، ص. 137.

⁵ نفسه.

وعلى رأسهم القائد المقدم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، الذي اشتبك معهم في همدان، وقتل ما يربو عن ستين ألفاً، أما الباقيون فقد هربوا إلى بلاد الروم.¹ وكانت لبابك علاقات طيبة مع إمبراطورية الروم، العدو التقليدي للإسلام والمسلمين في تلك الفترة، إذ يذكر أنه اتصل بالإمبراطور الرومي ثيوفيلوس بن ميخائيل، وحرّضه على قتال المسلمين، واتفق معه على مهاجمة المدن الإسلامية الواقعة في مناطق الثغور. ومما لا شك فيه أن هذا الاتفاق فتح جبهة جديدة أمام الخلافة، في وقت شغلت فيه بثورات عديدة حاولت الخروج عنها.²

ونظراً لكثرة التحديات والضغوطات التي واجهها المعتصم، نتيجة لتزايد أتباع بابك مع مرور الأيام، فإنه قرّر سنة 222هـ/836م أن يستأصل شأفة هذا الخارجي البالغ الخطورة، فوجّه قائده المقدم الأفشين³ إلى كورة البذّ، وأرسل معه جيشاً جرّاراً "حُمِلت معه الأموال وخزائن السلاح"⁴ وبعد حروب دامت أشهراً بين الطرفين، تمكن الأفشين من السيطرة على مدينة البذّ، المعقل الرئيسي لبابك وأتباعه، ففرّ هذا الأخير رفقة ستة من أصحابه إلى أرمينية.⁵

وكتب الأفشين بطارقة أرمينية وملكها،⁶ يبلغهم أن بابك قد هرب عبر وادٍ يؤدي إلى أرمينية، وأمرهم بأن يراقب كل واحد منهم حدود مقاطعته، ولا يترك شخصاً يسلكها إلا أخذه حتى يعرفه، وأعلن مكافأة لمن جاء به قدرها ألف ألف درهم، إضافة إلى تقديم امتيازات

¹ الطبري: المصدر السابق، ج. 8، ص. 668.

² محمود إبراهيم سامية: المرجع السابق، ص. 138.

³ الأفشين حيدر بن كاوس الأسروشنّي، أحد أبرز قادة الخليفة العباسي المعتصم بالله، وقد ذاع صيته بعد إخماده لثورة بابك الخرمي التي بثّت الرعب البلاط العباسي. توفي عام 226هـ/840م. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج. 2 ص. 434.

⁴ نفسه.

⁵ نفسه، ص. 434-435؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 45؛ ابن خياط خليفة: المصدر السابق، ص. 477.

⁶ قدم الطبري معلومات هامة مفادها أن الأفشين طوال مدّة مقامه في أرض بابك بجبل البذّ، كان أهل أرمينية يرسلون إليه من حين لآخر هدية مالية قدرت بآلاف الدراهم، وربما ذلك راجع إلى سماعهم عن قوته وكثرة الانتصارات التي حققها على أعدائه المتغلبين في المنطقة. المصدر السابق، ج. 9، ص. 104.

مغرية لمقاطعته.¹ ودخل بابك جبال أرمينية، ووصل إلى أراضي رجل الإقطاع سهل بن سنباط، الذي التقى به، وتظاهر بمساعدته في الانتقال إلى بلاد الروم،² ولكنه سلّمه للأفشين، الذي بعث بخبر إلى الخليفة يبشره بالقاء القبض على بابك، فلمّا وصل إليه الخبر فرح فرحا شديداً، وضجّ الناس بالحمد والتكبير، وعمّهم الفرح والسرور.³ وتمّ نقل بابك تحت حراسة مشدّدة إلى المعتصم المتواجد بمدينة سُرّ من رأى، ووصل إليها سنة 223هـ/837م، وبها ضرب عنقه وصلب جسده.⁴

وتجدر الإشارة إلى أن الأفشين قد أوفى بعهده، المتعلق بالمكافأة، إذ يقال أنه منح معاوية ابن سهل الذي أرسله أبوه مع بابك، مبلغاً مالياً قدره مائة ألف درهم، وأمر لسهل بن سنباط بألف ألف درهم التي وعد بها، وملّكه منطقة مليئة بالمعادن والجواهر النفيسة، وجعله بطريقاً على كورة أرّان، ووضع على رأسه تاج الملك،⁵ عرفانا له على المجهودات التي بذلها في القبض على بابك، الذي كوّن قوة عسكرية هدّدت كيان الدولة العباسية زهاء ثلاثين سنة.⁶

¹ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج. 2، المصدر السابق، ص. 435؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 45.

² حول الحديث الذي دار بي الطرفين أورد الطبري نصاً على لسان سهل بن سنباط يخاطب بابك قائلاً: "...وكلّ من هاهنا م البطارقة إنّما هم أهل بيتك، قد صار لك منهم أولاداً" ثم عقّب الطبري على هذا الحوار قائلاً: "وذلك أن بابك كان إذا علم أ عند بعض البطارقة ابنة أو أختاً جميلة وجّه إليها يطلبها، فإن بعث بها إليه وإلا بيّته وأخذها، وأخذ جميع ماله من متاع وغير ذلك، وصار به إلى بلده غصباً" ومنه نجد أن بابك الخزّمي كثيراً ما كان يستغل قوته العسكرية للاعتداء على أهل النّمة الأرمن، وهو ما جعل هؤلاء الأخيرين يتعاونون مع جيش الخلافة للقضاء عليه والتخلص من شرّه وفساد أخلاقه. المصدر السابق، ج. 9، ص. 48.

³ محمود إبراهيم سامية: المرجع السابق، ص. 139.

⁴ المصدر السابق؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 47 وما بعدها؛ ابن خياط خليفة: المصدر السابق ص. 477؛ وجدير بالذكر أن ثورة بابك الخزّمي بثّت الرّعب في قلوب العباسيين، لفترة طويلة. أنظر: LAURENT : op. cit. p. 375.

⁵ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 54، 193.

⁶ محمود إبراهيم سامية: المرجع السابق، ص. 136.

ز - ثورة محمد بن عتاب في جرزان

خرج محمد بن عتاب عن سلطة الخلافة العباسية، واستقل بكورة جرزان، وانضمت إليه الصنّاريّة إبان فترة حكم الخليفة المأمون (198-218هـ/813-833م) الذي ولّى بدوره عبد الأعلى بن أحمد بن يزيد بن أسيد السلميّ شؤون أرمينية، فسار إلى المنطقة وتواجه مع ابن عتاب في معركة انتصر فيها هذا الأخير بكل سهولة، لأن والي أرمينية الجديد لم تكن له أي خبرة في المجال العسكري. وعقب سماع المأمون بخبر الهزيمة، ولّى خالد بن يزيد بن مزيد شؤون إقليم أرمينية، فسار هذا الأخير إلى حبس العرق، وأخرج كل سجين ينتمي إلى عشيرته، وتوجّه بهم نحو بلاد الجزيرة، فانضم إليه عدد كبير من المقاتلين المنتسبين لقبيلة ربيعة، عبر بهم إلى إقليم أرمينية لمحاربة ابن عتاب، الذي طلب الأمان بعد أن تأكد من عدم قدرة قواته على مواجهة جيش الخلافة، فأمنه خالد.¹ وبذلك انتهى تمرّده.

د - حركة إسحاق بن إسماعيل في جرزان 193هـ/809م

سبق لأبيه إسماعيل بن شعيب أن أعلن استقلاله في كورة جرزان أيضاً، رفقة يحيى بن سعيد المكنّى "كوكب الصبح" إبان خلافة الأمين حوالي سنة 193هـ/809م، وعقب تعيين أسد بن يزيد بن مزيد واليا على إقليم أرمينية سنة 195هـ/811م، تمكن من إلقاء القبض عليهما، وبعدها خلّى سبيلهما، لما تميّز به هذا الوالي من حسن سيرة وسخاء.²

وسار على دربه ابنه إسحاق مولى بني أمية بتفليس، الذي سيطر على كورة جرزان سنة 217هـ/833م، بفضل الدعم الذي حضي به من طرف القبائل العربية التي سكنت المنطقة، إذ تمكن بواسطتهم من إخضاع الأمم المجاورة له كالأبخاز والجرزية، وأجبر أهل الذمة منهم على دفع الجزية والخراج له.³ إضافة إلى هذا الأمر فإنه اهتدى إلى سبل أخرى

¹ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج. 2، ص. 421-422.

² اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج. 2، ص. 385-386.

³ البلاذري: المصدر السابق، ص. 296؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 2، ص. 125.

لإحكام قبضته على المنطقة، ومنها مصاهرتة لملك السرير، وتحصينه لمدينة صغديبل، وحفر خندق حولها، وتوطين قوم من الخويثية وغيرهم فيها، وإيداعه لأمواله في خزائنها،¹ ولذلك تعدّ المركز الثاني لحكمه بعد مدينة تفليس.

ولمّا عين الخليفة المأمون الحسن بن علي الباذغيسي واليا على أرمينية، سار إليها والأوضاع حينئذ مضطربة، فأقام في دبيل، وأرسل كتابا إلى إسحاق بن إسماعيل يأمره فيه بالامتثال والدخول في طاعته، ودفع مبلغ محدد من المال، إلا أن هذا الأخير تماطل وردّ رسله، الأمر الذي دفع بالوالي الحسن إلى الزحف نحو مدينة تفليس معقل التمرد، فلمّا وصل إلى مشارف المدينة خرج إليه إسحاق وسلّم له مالا، فعاد الحسن إلى مقرّ حكمه.²

وقد يبدو أن والي أرمينية كان متساهلا مع هذا التمرد إلا أن الأوضاع التي كانت تمرّ بها المنطقة في تلك الفترة، والمتمثلة في اندلاع عدة ثورات متزامنة في بعض المدن الأرمينية مثل ثورة يزيد بن حصن بمدينة النشوى،³ وثورة بابك الخرمي الخارجي التي امتدت إلى إقليم أرمينية وغيرها من التمردات، فرضت عليه مهادنة إسحاق.

ونظرا للظروف الصعبة التي مرّ بها الإقليم، استمر هذا التمرد إلى سنة 238هـ/852م، حيث أرسل الخليفة المتوكل إلى إقليم أرمينية جيشا جرّا يضم أجناسا مختلفة من العرب والأتراك والمغاربة، وعلى رأسهم القائد المحنّك بُغا الكبير،⁴ فلمّا وصل إليها هذا الأخير بعث بكتاب إلى إسحاق المتواجد في مدينة تفليس، يأمره فيه بالقدوم إليه، غير أن طلبه قوبل بالرفض، فزحف بغا إلى مدينة تفليس وحاصرها، ثم أمر النفاطين فرموا المدينة بالنار، فاحترقت بسهولة لأن أسقف بيوتها كانت مغطاة بأشجار الصنوبر، ويقال أن

¹ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 193؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 411.

² اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج. 2، ص. 422-423.

³ المصدر السابق، ص. 422.

⁴ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 192.

الحريق أودى بحياة قرابة خمسون ألف شخص، وتمكنت قوات بغا من إلقاء القبض على إسحاق بن إسماعيل الذي قتل فيما بعد،¹ وحمل رأسه إلى مدينة سُرَّ مَنْ رَأَى، وعندما وصل إلى المدينة حظي باستقبال الأبطال، وفي هذا المقام أنشد علي بن الجهم للخليفة المتوكل قصيدة، يهنّيه فيها بالانتصار، ويقول في مطلعها:

أهلاً وسهلاً بك من رسول جنّت بما يشفي من الغليل

بجملة تغني عن التفصيل برأس إسحاق بن إسماعيل²

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن حملة بغا الكبير، تمكنت من القضاء على تمرد موسى بن زُرارة الذي استقل بحكم مدينة بدليس.³ وبالرغم من الانتصارات الساحقة التي أحرزها جيش الخلافة بكورة جرزان، إلا أن هيبة السلطان ضعفت فيه تدريجياً منذ ذلك الحين، وطمع فيه المتمردون الذين وجدوا أنفسهم معزولين ومحاطين بالكفار، وامتنع هؤلاء الأخيرين من أداء الجزية، وألحقوا أراضي واسعة من مدينة تقليس بممالكهم، حتى استطاعت مملكة الكرج أن تسيطر على المنطقة بالكامل سنة 515هـ/1121م.⁴

ويذكر أن كورتي جرزان وأرن تغلب عليهما محمد بن عبد الواحد التميمي في عهد الخليفة المعتمد على الله (256-279هـ/869-892م) وفيه قال الشاعر:

ودّاس أحرار جرزان بوطأته حتى شكوا من توالي وطنه صرّاراً⁵

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 297؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج. 2، ص. 454؛ الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 192-193؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 518؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 410.

² الأصفهاني: المصدر السابق، ج. 10، ص. 404؛ للتوسع أكثر أنظر: الملحق الثامن، ص. 359.

³ البلاذري: المصدر السابق، ص. 297؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج. 2، ص. 453.

⁴ الحموي: المصدر السابق، مج. 2، ص. 125.

⁵ نفسه.

ط- ثورة الإمارة القيسية في مدينة ملاذكرد

أسسها جحّاف القيسي، وتوسعت إمارته بعد مصاهرتة للأسرة الماميكونية، حتى بلغت مدينة دبيل ومقاطعة الطارون.¹ وفي سنة 198هـ/813م توفي الجحاف، وخلفه ابنه عبد الملك، الذي حاول أن يسيطر على مدينة برذعة، عبر تحريضه لأهل البيلقان وحثهم على الخروج عن سلطة والي أرمينية طاهر بن محمد الصنعاني، وتمكّن عبد الملك من محاصرة طاهراً في مدينة برذعة عدّة شهور، إلى أن أتاها المدد عبر عامل الخليفة المأمون أحمد بن سليمان الهاشمي، الذي فك عنه الحصار، وكتب لعبد الملك وثيقة الأمان، وبذلك استقامت واستقرت الأوضاع السياسية في المنطقة.²

ويبدو أن لجوء السلطة ممثلة في الخليفة المأمون، إلى خيار مهادنة عبد الملك، جاء تقادياً لتواصل فترة الاضطرابات والفوضى السياسية التي أعقبت تولّي المأمون للحكم، لأن الخليفة السابق الأمين كان قد ترك على رأس ولاية أرمينية إسماعيل بن سليمان، الذي رفض التخلّي عن منصبه للوالي الجديد طاهر الصنعاني، وحرّض بطريق كورة أزان وغيره من البطارقة على التمرد عن الخلافة، الأمر الذي دفع بالصنعاني إلى تسيير جيش عرمرم لقتاله، والتقى الجمعان قرب مدينة برذعة، ودارت بينهما معركة طاحنة دامت يوماً كاملاً، وانهزم فيها إسحاق وأصحابه.³

وفي عام 213هـ/829م قتل عبد الملك بن الجحّاف في خضم الثورة التي قام بها الأرمن في مدينة دبيل، وتولى شؤون الإمارة من بعده سودة بن عبد الحميد الجحّافي،⁴ الذي عرض عليه والي أرمينية وأذربيجان عيسى بن محمد بن أبي خالد منصب والي أرمينية، إلا أنه رفض ودعاه لمحاربته، ودارت بين الطرفين معركة عنيفة انتهت بانتصار عيسى بعد

¹ طه: الحياة العامة، ص. 203.

² اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج. 2، ص. 419.

³ نفسه، ص. 419-420.

⁴ نفسه، ص. 420.

جهد جهيد، وتمكن من السيطرة على أرمينية، غير أن الإمارة القيسية بقيت قائمة، ولا تورد المصادر التاريخية أية معلومات عن سودة بعد هذه الحادثة.

وعقب تتويج أشوط الأول البقراطوني ملكا على إقليم أرمينية عام 271هـ/885م، وجّه هذا الأخير أخاه العباس على رأس قوة عسكرية لقتال الجحاف بن سودة، فاننصر عليه وفرّ الجحاف مع مجموعة قليلة من جنوده، وسيطر العباس على مناطق نفوذ الإمارة القيسية مثل مدينة منازلرد ودبيل غيرها من المدن الأخرى.¹

وتجدر الإشارة إلى وجود العديد من الحركات الأخرى المناهضة للخلافة الإسلامية في أرمينية، لم تقدم عنها المصادر إلا شذرات قليلة، أو اكتفت بذكر أسماء زعماء التمرد فيها، مثل ما أورده الطبري أثناء سرده لأحداث سنة 251هـ/865م، إذ ذكر أن عامل "بغا الشرابي" المكلف بالخراج والضياح في إقليم أرمينية، أفاد بخروج رجلين من تلك المنطقة، سمّاهما وتحدث عن الانتصار الذي حقّقه عليهما.²

ومما يمكن استنتاجه في نهاية هذا الفصل:

أولا : مثّل إقليم أرمينية المنطقة الحاجزة بين الدولة الإسلامية من جهة، وإمبراطورية الروم من جهة أخرى، وسعى كل طرف منهما إلى استغلال الظروف المناسبة للسيطرة عليه، ولم يقبل الروم خسارة أرمينية بسهولة، حيث بذلوا جهودا مضنية لمحاولة استرجاعها، وخاضوا مع المسلمين معارك طاحنة على أراضيها، بداية من عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب، مروراً بالعهد الأموي، ووصولاً إلى الفترة العباسية.

ثانيا : أفلحت سياسة الروم البارعة في مواجهة الجيش الإسلامي الهادف إلى فتح القسطنطينية، إذ صار الخزر حلفاء أقوياء لها، يقومون بهجمات متكررة على المسلمين،

¹ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج. 2، ص. 420؛ استارجيان: المرجع السابق، ص. 171؛ السيد أديب: المرجع السابق، ص. 146.

² الطبري: المصدر السابق، ج. 9، ص. 308.

ويستنفذون كل طاقة عسكرية إسلامية هادفة للانطلاق صوب آسيا الصغرى، وبذلك صار إقليم أرمينية ميدانا لذلك الصراع بعيدا عن القسطنطينية.

ثالثا : لم يكن بمقدور أي ثورة أرمينية الصمود طويلا في مواجهة الجيش الإسلامي، لأن البطارقة الأرمن لم ينسّقوا جهودهم وقواتهم. وفي كل فترة كانت أسرة من الأسر الأرمينية تقود الثورة، فإن المسلمين اعتمادا على الدعم المقدم لهم من الخلافة، وخبرتهم السياسية القائمة على تشتيت شمل الأسر النافذة الأرمينية، تمكنوا من القضاء على هذه الثورات في مهدها.

رابعا : ساهمت التضاريس الصعبة في إقليم أرمينية، والظروف الداخلية المضطربة، التي عاشتها الخلافة الأموية وبعدها العباسية، في ظهور العديد من الحركات الإسلامية الرامية إلى الانفصال عن الخلافة في المنطقة المذكورة، مستغلة أي ظرف مناسب لذلك.

الفصل الخامس

الأوضاع الاقتصادية في أرمينية في ظل الحكم الإسلامي

- 1- الإنتاج الزراعي
- 2- الثروة الحيوانية
- 3- المعادن والطاقة
- 4- الحرف والصنائع
- 5- النشاط التجاري
 - أ- الطرق التجارية الأرمينية
 - ب- الأسواق
 - ج- الحركات التجارية في أرمينية
- 6- الموارد المالية
 - أ- الجزية
 - ب- الخراج
 - ج- الزكاة وضرائب المعادن والمرور
- 7- الرخاء الاقتصادي في أرمينية على ضوء المصادر الإسلامية والأرمينية
- 8- صناعة النقود الإسلامية في أرمينية

دام الحكم الإسلامي في أرمينية قرنين وثلثون سنة، ولا ريب أن هذه الولاية الإسلامية عرفت خلالها عدّة تغيرات وتطورات اقتصادية، لاسيما وأن المسلمين تركوا للأرمن الحكم الذاتي، واكتفوا في أغلب الأوقات بجمع الجزية والخراج، والاهتمام بالجانب العسكري كالحفاظ على أمن واستقرار المنطقة وحمايتها من هجمات الخزر والروم المتتالية، بغية إبقائها دوماً تحت السيادة الإسلامية. وبناء على ذلك يتطرق هذا الفصل إلى مختلف القطاعات الاقتصادية التي مارسها الأرمن في الفترة المذكورة، ويحاول أيضاً تسليط الضوء على الموارد المالية وسكّ العملة الإسلامية في إقليم أرمينية.

1- الإنتاج الزراعي

تُشكّل طبقة الفلاحين غالبية سكان أرمينية، وهذا ما أشار إليه بن حوقل حين ذكر أن مدينة البيلقان ونواحيها كلّها مناطق عامرة بالفلاحين،¹ إلا أن ظروفهم المعيشية كانت صعبة نتيجة استغلالهم من قبل الإقطاع، فلم يكتف رجال الإقطاع بإجبارهم على دفع ضريبة من منتجاتهم الزراعية العينية، وتشغيلهم في أعمال السخرة كتشييد الطرق والقلاع، وإنما فرضوا عليهم المشاركة في حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، وتكونت فرقة خاصة بالفلاحين الفرسان أوكلت لها مهمة الدفاع عن أراضي الإقطاعي ومصالحه وامتيازاته.²

فضلاً عن ذلك فإن الحاجة الملحة للحصول على الأموال اللازمة لدفع الجزية النقدية للمسلمين فرضت على النبلاء والفلاحين الأرمن إحداث تغيير جذري في تسيير نظامهم الاقتصادي وذلك بالانتقال من الإنتاج الزراعي المعاشي الذي كان يهدف إلى تلبية حاجيات السكان المحليين، إلى إنتاج الفائض لتصديره وبيعه نقداً لتوفير الأموال.³ الأمر الذي مثّل تحدياً إضافياً بالنسبة للفلاحين، إذ كان عليهم بذل مجهودات مضاعفة لزيادة كمية السلع المنتجة.

¹ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 289.

² غيفونديان: المرجع السابق، ص. 78.

³ PASDERMADJIAN (H.) op. cit. p. 140.

وعملا بالمواثيق والعهود المبرمة بين الأرمن والمسلمين، فإن هؤلاء الأخيرين لم يسعوا إلى تغيير النظام الإقطاعي الموجود في المنطقة، على عكس ما فعله الفاتحون من تدمير تام للإقطاع القديم في الأقاليم المفتوحة الأخرى، ذلك أن مساحات شاسعة من الأراضي في بلاد الشام والعراق ومصر كانت ملكا للأسر الحاكمة والنبلاء ورجال الدولة، أو أراضي تابعة للمعابد، وكان العديد من الفلاحين في حالة عبودية. فلما فتح المسلمون هذه الأقاليم انتقلت ملكية أراضي الأسر الحاكمة والنبلاء إلى بيت المال، يسيّر أمورها الخليفة بما تقتضيه المصلحة العامة، فيقدمها بالمزراعة، أو يبقي فلاحها عليها يزرعونها، كما أن هذا الإجراء حرر الفلاحين من عبودية الأرض، وصار الفلاح مسؤولا مباشرا على أرضه، وما يلزمها من ضرائب.¹

وضمّت طبقة الفلاحين شريحة من العمال الزراعيين يعملون في المزارع التي تدار من طرف الأمراء ورجال الكنيسة، وكان يمنع على رجال الدين بيع قطعة الأرض لفلاح ما، وأجبر هذا الأخير على منح بعض العطايا للكنيسة، حيث نصّت إحدى مواد "كتاب القوانين" الأرمينية أنه يحق للكنيسة جباية 1 درام² فضي عن كل بيت، بالإضافة إلى عُشر منتجات الفلاحين.³

وبالرغم من كثرة المعوقات التي واجهت الفلاحين إلا أنهم عملوا بجد لتوفير إنتاج زراعي وفير ذو جودة عالية،⁴ وهذا ما تشير إليه العديد من الكتب الجغرافية الإسلامية⁵

¹ الدوري: المرجع السابق، ص. 21-22.

² يقصد به الدرهم الفضي. غيفونديان: المرجع السابق، ص. 75.

³ نفسه، ص. 75 وما بعدها.

⁴ ARDZROUNI Thomas : Histoire des Ardzrouni, tr. Brosset (M.), Imprimerie de l'académie impériale des sciences, Pétersbourg, 1974, p. 140; CATHOLICOS (J.): op. cit. p. 94.

⁵ اليعقوبي: المصدر السابق، ص. 84؛ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 191؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 586؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 189؛ المقدسي: المصدر السابق، ص. 317؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 2، ص. 381.

والمصادر الأرمينية¹ إذ أنها تحدثت عن تنوع ووفرة وجودة المنتجات الفلاحية الأرمينية في الفترة قيد الدراسة، بحيث اختصت واشتهرت كل منطقة منها بأنواع معينة من الغلات التي تميّزها عن غيرها، والفضل في ذلك يرجع إلى عوامل عديدة، أهمها: المناخ والتضاريس الملائمة، وخصوبة التربة ووفرة المجاري المائية والبحيرات العذبة.²

ومن المحاصيل الزراعية المعروفة بغزارة إنتاجها نجد القمح والشعير،³ المنتشران في مقاطعة أرات منذ القدم، وبذلك برع الأرمن في صنع النبيذ،⁴ في مدن عديدة مثل مدينة وان.⁵ يضاف إليها الحنطة ذات النوعية الرفيعة المتواجدة في مدن النيلقان وأرجيش والشابوران وقبلة.⁶ كما اشتهرت مدينة تفلّيس بمطاحن الحنطة المتواجدة على نهر الكر،⁷ ممّا يدلّ على وفرة إنتاج الحنطة فيها أيضا. ونظرا لكثرة إنتاج الحبوب الذي لبي احتياجات سكان الولاية وأسواقها المحلية، فإن الفائض كان يصدر إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية، إذ أورد الطبري أن المؤن كانت تصل إلى بغداد من أرمينية.⁸ وبذلك يتبين لنا مدى أهمية هذه الولاية في تحقيق الاكتفاء الذاتي من المصادر الغذائية الرئيسية، والتي يستحيل الاستغناء عنها بالنسبة للمسلمين.

¹ SÉBÈOS, op.cit. p.111 ; GHÉVOND, op. cit. p. 5, note 2; Jean Catholicos, op. cit.p.188 ; ARISDAGUÉS de Lasdiverd : Histoire d'Arménie, traduite par Évariste Prud'homme, Benjamin Duprat, Paris, 1864, p.64.

² للمزيد من التفاصيل حول تضاريس ومياه أرمينية الملائمة للزراعة أنظر: MORGAN: Histoire du peuple Arménien, p. 27 et sui.

³ CATHOLICOS (J.), op. cit.p.188.

⁴ NAOMI DUGUID : TASTE OF PERSIA Acook's travels through ARMENIA AZERBAIJAN GEORGIA IRAN AND KURDISTAN, ARTISAN, NEW YORK, 2016, p. 13.

⁵ ARISDAGUÉS (D.) : op. cit. p. 64.

⁶ Mustawfi : op. cit. p.92 et suiv.

⁷ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 292.

⁸ فايز نجيب إسكندر: الحياة الاقتصادية في أرمينية إبان الفتح الإسلامي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 1988م، ص.18.

واشتهر سهل أرارات بأنواع مختلفة من النباتات والخضروات وقصب السكر، والحبوب المتنوعة التي تستخرج منها الزيوت،¹ ونجد كذلك القطن المزروع في البيلقان وأرجيش،² والكثان والزعفران في مدينة باب الأبواب، والقرنفل والقوة³ بمدينة بردعة، حيث تصدر هذه الأخيرة إلى الهند وأماكن أخرى،⁴ ومعظم هذه المنتجات تستعمل في صناعة الملابس والأنسجة. أما الأرز الذي يحتاج إلى خصوبة التربة ووفرة المياه فيزرع على ضفاف الأنهار، لذلك تركزت زراعته وسط الإقليم خاصة في مدينتي دُبَيْل والبيلقان، وهو يغطي احتياجات سكان المنطقة.⁵ وكان الكرنب الغذاء المفضل لأهل الإقليم، لذلك اهتم الفلاحون بزراعته في أنحاء عديدة من البلاد.⁶ ويذكر ابن سينا أنه رأى بمدينة شِرْوان نباتا عجيبا يسمى خصى الثعلب، وهو ينقسم إلى قسمين متشابهين أحدهما ذابل يضعف قوة الباه⁷ (الجماع) والثاني طري يعين عليه.⁸

وفي أرمينية أيضا غابات كثيفة تغطي سلاسلها الجبلية، ومنها جبل الحارث الذي يعتبر أهم منطقة لإنتاج الأخشاب، إذ أورد الإصطخري أنه مصدر " مُخْتَطِبِهِمْ وَمُتَصَيِّدِهِمْ"،⁹ ومن أهم أنواع الأخشاب نجد الصنوبر المستعمل في بناء السفن وتسقيف

¹ اسكندر: الحياة الاقتصادية، ص. 20.

² HAMD-ALLAH MUSTAWFI : op. cit. p. 92,100.

³ عروق نبات يستخرج من الأرض، يصبغ بها الثياب. المقدسي: المصدر السابق، ص. 314؛ Garance اشتهر عند أهل الشرق، واستعمل في صباغة الأنسجة باللون الأحمر. عرف القدماء خصائصه الطبية، فقد اعتبر جذره مدرا للبول، واستعمل أيضا لتسهيل الولادة. قبيسي حسان: معجم الأعشاب والنباتات الطبية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط. 6، 2004م، ص. 263.

⁴ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 184، 190؛ المقدسي: المصدر السابق، ص. 314؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 512.

⁵ MUSTAWFI HAMD-ALLAH: op. cit. p. 92.

أنظر أيضا: بخيت: المرجع السابق، ص. 125.

⁶ أبو دلف: المصدر السابق، ص. 54.

⁷ يعني قوة الجماع. القزويني: المصدر السابق، ص. 600.

⁸ نفسه، 600-601.

⁹ المصدر السابق، ص. 191.

البيوت، مثل مدينة تفلّيس التي كانت مُسَقَّفة بالصنوبر الموجود فيها بكثرة.¹ وعرفت مدينة البيلقان بكثرة أشجار الدُّلب Platanus المتميّزة عن غيرها بضخامتها وقوّتها.²

أمّا الأشجار المثمرة فهي كثيرة ومتنوعة،³ ومنها بساتين التين ببردعة التي ينقل محصولها خارج البلاد، لأنه مفضّل على جميع أجناسه. كما عرفت مدينة جنزة بوفرة محصولها من التين والموز،⁴ واشتهرت مدينة البَذّ بكثرة بساتين الرمان، الذي وصفه أبو دلف في رسالته الثانية بقوله: "رمان عجيب لم أر في بلد من البلدان مثله".⁵ وكثرت بساتين التفاح في مدينة بَدْلَيس، وصار يضرب به المثل في الوفرة والجودة والرخص، ويصدر إلى بلدان عديدة،⁶ وأفاد الاصطخري بمعلومات قيمة حول بساتين البندق والشاهبلوط⁷ والروقال⁸ المنتشرة في مدينة بردعة، وأشار إلى جودتها،⁹ كما تختص هذه المدينة بزراعة أشجار الكستناء،¹⁰ وأشجار التوت المزروعة لتربية دودة القز التي تنتج الحرير المعروف بالأبريسم،¹¹ ونجدها أيضا في مدينتي قِبَلَة وجَنَزَة وغيرها من المدن الأرمينية، وهذا النوع من

¹ القزويني: المصدر السابق، ص. 518.

² نفسه، ص. 513.

³ SÉBÉOS : op. cit. p. 111 ; GHÉVOND : op. cit. p. 5; CATHOLICOS. Op. cit. p. 94; ASOLIK: op. cit. t. 2, p. 50.

⁴ الاصطخري: المصدر السابق، ص. 183؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 379؛ أبو الفداء: المصدر السابق، ص. 405؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 522.

⁵ ص. 48.

⁶ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 359-358.

⁷ يعرفه الاصطخري بقوله: " فإنه على تقدير نصف جوزة سوداء يقارب طعمه طعم البندق والرطب ". المصدر السابق، ص. 183؛ ويسمى أيضا بلوط الملك، ويدخل ضمن فصيلة البلوطيات. قبيسي حسان: المرجع السابق، ص. 291.

⁸ أشجار تنتمي إلى الفصيلة الوردية، لها ثمار بداخلها نواء حلو المذاق إذا نضج، وشديد المرارة إذا لم ينضج. الاصطخري: المصدر السابق، ص. 182.

⁹ نفسه.

¹⁰ Chataignier من فصيلة البلوطيات، تنمو في الجبال الصلصالية وفي أي موضع تجد فيه جذورها الطويلة تربة عميقة، تنمو ببطء أولا ثم يزداد نموها، وتعطي ثمارها بداية من سنتها الخامسة والعشرين أو الثلاثين. ثمارها تستهلك مشوية ولها قيمة غذائية عالية. شجرة الكستناء قدر يصل عمرها إلى ألف سنة. ومن خصائصه الطبية: غني بالمعادن، مهدئ، هاضم، ومنشط. قبيسي حسان: المرجع السابق، ص. 291.

¹¹ HAMD-ALLAH MUSTAWFI : op. cit. p. 93.

الأشجار يستطيع جميع الناس استغلاله، فلا يباع ولا يشتري،¹ مما يسهل على الفلاحين تربية دود القز وتحصيل إنتاج وفير من الحرير المستخدم في الصناعة.

وانتشرت أشجار الكروم في معظم أنحاء البلاد،² وخاصة سهل نهر الرّس والأراضي المحيطة ببحيرة وان،³ مما نتج عنه ارتفاع كمية منتج الزبيب، الذي كان يجفّف في التّنانير، بسبب غزارة الأمطار وكثافة الضباب، وبالتالي انعدام أشعة الشمس.⁴ كذلك ذاعت شهرة النبيذ الأرميني المتوفر في مناطق عديدة، ومنها ضفاف بحيرة وان و سهل نهر الرّس وأرمينية الرابعة، وكورة البُسْفَرَجَان.⁵

وتجدر الإشارة إلى أن المدن المذكورة نماذج تعكس وفرة الإنتاج وتنوعه، وهي مجرد أمثلة لغيرها من المدن التي احتوت على مزارع متعددة المحاصيل تبعا لتنوّع الأقاليم المناخية لولاية أرمينية الإسلامية، وهي تدلّ على أن الفلاحين الأرمن بذلوا مجهودات جبارة انعكست بشكل مباشر على وفرة وجودة منتجاتهم الفلاحية، رغم كثرة التحديات الطبيعية والبشرية التي واجهتهم.

ويشير المؤرخ الأرميني باسدرماجيان Pasdermadjian إلى اهتمام المسلمين بجمع الجزية النقدية من الأرمن فقط دون إدراكهم أن الإنتاج هو المصدر الحقيقي والوحيد للثروة، وبذلك أهملوا رعاية شبكات ريّ الأشجار التي كانت تمثل أساس الزراعة في أرمينية، في حين أن كل الشعوب التي هيمنت على أرمينية من الآشوريين إلى الساسانيين والروم وضعوا صيانة أنظمة الريّ في مقدمة اهتماماتهم، إلا أن هذه الأخيرة بدأت تتدهور في ظل الهيمنة

¹ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 290-291؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 379؛ أنظر كذلك: HAMD-ALLAH MUSTAWFI : op. cit. p. 93.

² المقدسي: المصدر السابق، ص. 313؛ أنظر أيضا: ARDZROUNI (J.) : op. cit. p. 235 ; ARISDAGUES (D.) : op. cit. p. 64.

³ المنوّر: المرجع السابق، ص. 77.

⁴ أبو دلف: المصدر السابق، ص. 49.

⁵ اسكندر: الحياة الاقتصادية، ص. 18-19.

الإسلامية.¹ إلا أن هذا الكلام يفقد إلى الكثير من المصداقية، لأن وفرة وتنوع الإنتاج الزراعي في أرمينية خلال الحقبة قيد الدراسة يدل على استعمال شبكات ريّ متطورة. وحتى إذا سلّمنا جدلاً بتدهور شبكات الريّ وعدم صلاحيتها في العهد الإسلامي، فإن المسؤول الأول عنها هم الأمراء الأرمن الذين تمتعوا بالحكم الذاتي في الفترة الإسلامية، ومعروف أن الولاة المسلمين لأرمينية انحسرت مهامهم في توفير الأمن وجمع الجزية والخراج، ولم يكن لهم أيّ دور في تسيير الشؤون الاقتصادية لأرمينية.

2- الثروة الحيوانية

ساعدت العوامل الطبيعية على تربية الحيوانات في أرمينية، وهي أساس انتعاش النشاط الفلاحي والتجاري والصناعي في القرون الوسطى، وشملت تربية الدوابّ بمختلف أصنافها، والصيد البرّي والبحري.

وجاء على لسان المقدسي أنّ "كل مدن هذا الإقليم طيبة كثيرة الخيرات... واللحوم"² والثابت أنّ المنطقة انتشرت فيها العديد من المراعي والمروج في مختلف أنحاء البلاد، دفعت الفلاحين إلى تربية الحيوانات، وهذا ما ذهب إليه اليعقوبي حين ذكر بأنه لم ير بلداً أعظم حيواناً من أرمينية،³ ونتج عن ذلك وفرة ورخص الشاة حتى وصل سعرها إلى درهمين للشاة بعدّة مدن، مثل بردعة وباب الأبواب ودُبيل وتُقليس،⁴ ومن المعلوم أن الأغنام يستفيد من صوفها الصنّاع لإنتاج الثياب والزرابي وغيرها.

وذكر ابن حوقل أن كورة أرّان ونواحي أرمينية أخرى اشتهرت بتصدير "البغال الجياد الموصوفة بالصّحة والجَلَد والفراهة والصّبر" إلى الأقاليم المجاورة مثل العراق والشام وخرسان، وأشاد بما تمتلكه منطقة الزوزان من الخيول الحسنة الموصوفة بالجمال والفراهة،

¹ PASDERMADJIAN :op. cit. p.141.

² المصدر السابق، ص. 317.

³ ابن الفقيه، المصدر السابق، ص. 586.

⁴ الاصطخري، المصدر السابق، ص. 191.

والمسمّاة "الشهاري"، ومن علامات الترف التي ظهرت على البطارقة الأرمن، مراكب الخيول والبغال المصنوعة من الذهب والفضة.¹ ويفيد الجهشيري بأن المسلمين طلبوا من الأرمن مائتين من البغال ضمن الجزية العينية المفروضة عليهم،² مما يدل على جودتها وقوتها وأهميتها في النقل والتجارة وغيرها من المجالات. إلا أن ابن الفقيه أعاب على براذين (دواب) الأرمن صغر حجمها، وأشار إلى وجود الثيران والجمال بأرمينية، ووصف هذه الأخيرة بالقصر حين قال "تكاد صدورها تصيب الأرض" وشبّها بإبل الأتراك.³ ومما لا شك فيه أن هذه الدواب استعملت في الزراعة ونقل الأشخاص والسلع التجارية داخل البلاد وخارجها، إضافة إلى استهلاك لحومها ودباغة جلودها.

إضافة إلى ذلك، اهتم الفلاحون أيضا بتربية الطيور الداجنة، إذ انتشرت في القرى الأرمينية قطعان الإوز، ويُذكر أن رئيس الأساقفة جون السيوني Jean de Siounie ربّى في طفولته الإوز. وأورد المؤرخ السيوني ستيفانوس أوربليان أنه ذات يوم فقد عدد كبير من صغار الإوز، فلم يجرؤ على الرجوع إلى البيت، ولاذ بالفرار إلى دير طاطيف Tatew،⁴ وأدت هذه الواقعة إلى تأصيل نشأته الدينية ودخوله سلك الرهبنة.⁵

وعرف الأرمن تربية النحل وإنتاج العسل لوجود العوامل المساعدة على إنتاجه، مثل الخضرة الدائمة والزراعات المزهرة وكثرة الجبال والغابات المنتشرة في الإقليم. أدّت هذه الظروف الملائمة إلى ازدهار هذا النشاط في مدن كثيرة، منها: دبيل وبرذعة وباب الأبواب،

¹ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 297-298.

² الجهشيري أبو عبد الله محمد بن عبدوس: الوزراء والكتاب، تح. مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، القاهرة، ط. 1، 1357هـ/1938م، ص. 286.

³ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 590 وما بعدها.

⁴ يحدّد من أهم المراكز العلمية والثقافية المنتشرة في ربوع مملكة جرجان الأرمينية، واحتل مكانة بارزة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين. اسكندر: الحياة الاقتصادية، ص. 23، الحاشية رقم 101.

⁵ نفسه، ص. 23.

وأشاد الاصطخري برخص العسل الذي بلغ في هذه المواضع المنوين¹ والثلاثة بدرهم،² كما تميزت مدينة تفليس بوفرة إنتاج العسل، وأدى هذا الفائض إلى رخص ثمنه حتى وصل إلى عشرين رطلا بدرهم.³

كما اهتم الفلاحون الأرمن بتربية دودة القز التي تنتج الأبريسم، في المناطق التي تتواجد فيها أشجار التوت مثل بَرْدَعَة وقِبَلَة وجَنْزَة. وعن هذه الأخيرة يقول القزويني: "ولأهلها يد باسطة في تربية دود القز وعمل الأبريسم وأبريسم جنزة يفوق ما لغيرها من البلاد حسناً".⁴ واعتبرت غابات منطقة أرارات الوجهة المفضلة للصيادين بمدينة دُبَيْل، حيث كان يقطنها أعداد غفيرة من الأبقار والأيائل والجواميس والخنازير البرية والأسود والحمير الوحشية، كما كانت الدببة ذات الفراء الأبيض تصاد في نواحي متفرقة من الغابات، واحتوت جبال سيوني على الغزلان. وانفرد ابن الفقيه بذكر نوع من الحيوانات يشبه الثور، يسمى دابة الأَشَق ويمتاز بجودة فرائه.⁵ وهذا يفسر شهرة الأرمن في الدباغة والاتجار بجلود الحيوانات التي تسكن المناطق الجبلية العامرة والغنية.⁶

ونظرا لكثرة الأنهار والبحيرات في أرمينية، ازدهر الصيد البحري فيها،⁷ حيث اشتهرت بحيرة وان المطلّة على مدينة خِلَاط بنوع من الأسماك يسمى "الطريخ"⁸، ويصفها القزويني بقوله: "بحيرة خلّاط من عجائب الدنيا، فإنّها عشرة أشهر لا ترى فيها سمكة ولا ضفدعة، وشهران في السنة تكثر بها حتى تقبض بالأيدي"، وكان الطريخ يُملّح ويُحمّل إلى نواحي

¹ يقصد به الرطلين. المصدر السابق، ص. 191.

² نفسه؛ بخيت: الفتح الإسلامي، ص. 130.

³ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 292.

⁴ المصدر السابق، ص. 522.

⁵ والطريف ما أضافه ابن الفقيه حين قال: "وأنيابها جيّدة للمحبّة، تؤخذ أنيابها ومخالبها فتُجفّف وتسقيه من تحبّ فإنّه يحبّك حبّاً شديداً" المصدر السابق، ص. 592.

⁶ الاصطخري: المصدر السابق، ص. 191؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 592؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 578؛ اسكندر: الحياة الاقتصادية، ص. 25؛ راجع أيضاً:

GROUSSET, op. cit. p. 23.

⁷ ARDZROUNI (T.) : op. cit. p. 235.

⁸ يعرف عندنا بسمك السردين.

الجزيرة والعراق والشام والهند.¹ وزودنا ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" برواية مفادها أن الصيد في بحيرة وان كان مباحا للجميع يأخذ منها من شاء ما يشاء من سمك الطريخ، لكن عندما تولى محمد بن مروان ولاية أرمينية عام 73هـ/692م اختصها لنفسه ومنع الصيد فيها، وجعل عليها من يصطاد الطريخ ويبيعه ويأخذ ثمنه، ثم انتقلت ملكيتها بعده لابنه مروان، وبعد زوال الدولة الأموية صارت ملكا للولاة العباسيين على أرمينية. واعتبر ابن الأثير أن ما فعله محمد بن مروان سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.²

واشتهرت بنهري الكرّ والرّس أصناف عديدة من الأسماك، اعتبرت مصدر رزق أهل المنطقة وتجارها، وأهمّها سمك السُرْمَاهي³ الذي يملّح ويُصدّر منه إلى أربيل والرّي والعراق لكثرة إنتاجه ووفرته وحسن مذاقه ولذّته، ونظرا لقرب نهر الكرّ من مدينة بردعة فإن الصيادين فيها اشتغلوا بصيد السُرْمَاهي وتصديره إلى سائر البلاد. وفيهما أيضا أسماك الدراقن الذي "قل من يثبت لأكله من شدة سمه"⁴ وأسماء القشبونة اللذيذة والمفضلة، حيث أورد الإصطخري أنّهما "يفضلان على أجناس السمك بتلك النواحي".⁵

واللّافت للانتباه أن المصادر التي تمكنت من الاطلاع عليها لم تتحدث عن وجود موانئ ومراسي بالمدن الساحلية الأرمينية المطلة على بحر الخزر، إلا أن الإصطخري خلال وصفه لبحر الخزر أشار إلى ممارسة مهنة الصيد به حين قال: "لا ينتفع بشيء مما يخرج

¹ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 297؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 591؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 524.

² مج. 4، ص. 129؛ البلاذري: المصدر السابق، ص. 281؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 589.

³ يسمّيه ابن الفقيه الشورماهي ويذكر أنه موجود في نهر الرّس فقط "يجيء في كل سنة في وقت معلوم، وعرف في هذا النهر من بين السمك لطيبه وكثرة دسمه ورطوبة لحمه". ويؤيد هذا الرأي القزويني الذي يلقب سمك السُرْمَاهي باسم الشورماهي ويصفه بقوله: "هو نوع من السمك طيّب مختصّ بذلك الموضع"، ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 592؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 493.

⁴ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 291؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 512.

⁵ المصدر السابق، ص. 183.

منه سوى السموك"¹، ومنه فلا ريب أن الكثير من المدن الأرمينية الممتدة على طول الشريط الساحلي لبحر الخزر كانت تحتوي على مراسي لصيد الأسماك واستقبال التجار لبيعه أو تصديره نحو بلدان أخرى، خاصة مدينتي باب الأبواب وبأكويه المشهورتان في الفترة قيد الدراسة.

وفي ظل هذه الثروة المائية الوفيرة، كان العمل بالصيد البحري يدرّ مبالغ مالية طائلة لكل من الأديرة وأمراء الإقطاع الأرمن، وكمثال على ذلك مصائد بحيرة وان وروافدها التي اعتبرت من أعظم موارد دخل أمير البُسُرجان، إذ امتلأت خزائنه بالمال الوفير، مما دفع بالمسلمين إلى تأجيرها له مقابل مبالغ مالية طائلة.²

3- المعادن والطاقة

عرف إقليم أرمينية بتنوع ثروته المعدنية، نظرا لغنى أرضه بالموارد الأولية، ومنها الأحجار الكريمة المستخدمة في صناعة الجواهر، مثل: البلور المخروط الثمين المنفرد بصلابته، وتعتبر مدينة بدليس من أهم مناطق إنتاجه، إضافة إلى أحجار اللازورد والحب والياقوت. ونجد كذلك المعادن النفيسة كالذهب والفضة³ المتركان شمالي غرب الإقليم،⁴ حيث ذكر ابن حوقل أن الأمراء الأرمن المعروفون بثرائهم المبالغ فيه، كان من عاداتهم ركوب سروج الخيول المصنوعة من الذهب والفضة، واستعمل هذان المعدنان كذلك في صناعة الكثير من الآلات. ويذكر أن الكنائس الأرمينية كانت تترى بالآنية الذهبية والفضية،⁵ كما أن نقود أرمينية تم سكّها من الذهب والفضة.⁶

¹ الاصطخري: المصدر السابق، ص. 218؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 329.

² اسكندر: الحياة الاقتصادية، ص. 31-32.

³ انفرد أبو دلف بقوله: "ولا معدن فضة ولا ذهب بها". المصدر السارق، ص. 56. وهذا مخالف لما أثبتته العديد من المصادر الجغرافية الإسلامية والتاريخية الأرمينية.

⁴ MANANDIAN (H. A.): The Trade and cities of Arménia in relation to ancient world trade: tr. Nina G. Garsoian, Livraria Bertrand, Lisbon, 1965, p. 151.

⁵ ARISDAGÉS : op. cit. p. 139.

⁶ الأكفاني: نخب الزخائر، ص. 64؛ الكرمانلي: أخبار الدول، ص. 433.

ويذكر المؤرخ الأرمني جيفوند أن اكتشاف الفضة في المنطقة السابقة الذكر يرجع تاريخه إلى أواخر القرن الثامن الميلادي/ الثاني الهجري، وبفضل هذا الاكتشاف سكّ الأرمن كميات هائلة من العملة الفضية، تمكّنوا بواسطتها من توفير الدراهم الفضية اللازمة لدفع الجزية الواجبة عليهم من طرف المسلمين.¹ وساعد وجود الذهب والفضة في الإقليم على تسهيل التعاملات التجارية، خاصة بعد إدخال المسلمين لنظام التعامل بالسكّة الإسلامية، إذ كانت العملة الإسلامية تضرب في أرمينية منذ بدايتها في العهد الأموي، وترتب عن ذلك انتشار دور سك النقود، ولعلّ من أهمها تلك التي تركزت في دُبَيْل عاصمة أرمينية الإسلامية ومقر حكم الوالي المسلم.²

كما اشتهر الإقليم بإنتاج الحديد والنحاس والتوتيا (أكسيد الزنك) والمغنيسيا غرب بحيرة وان،³ ونظرا لأهمية الحديد والنحاس فقد اهتم المسلمون بإنتاجهما لاستخدامهما في صناعة الأسلحة والدروع، لأن الحديد يتميز بالصلابة والقوة، ولذلك شهدت مناطق متعددة من أرمينية عملية صهر الحديد.⁴ وتشتهر مدينة قساس Chaleis الواقعة على الحدود الغربية لأرمينية بكثرة مناجم الحديد، إذ كان الأرمن يصنعون به السيوف القسائية التي يستوردها منهم المسلمون.⁵ ويروى أن بيت مال المسلمين في مدينة بردعة كان مرصّص السطح وبابه مصنوعه من الحديد،⁶ لحماية أموال المسلمين ومنع كل من تسوّل له نفسه مدهمته، خاصة وأن ثورات الأرمن ضد الحكم الإسلامي كانت تقوم من حين لآخر مستغلة أوقات تدهور الأوضاع السياسية للخلافة الإسلامية، وغالبا ما كان الثوار الأرمن يدهمون بيت المال،

¹ GHÉVOND: op. cit. p. 149 ; PASDERMADJIAN : op. cit. p. 141.

² اسكندر: الحياة الاقتصادية، ص. 39؛ أنظر أيضا:

MANANDIAN : op. cit. p. 115.

³ أبو دلف: المصدر السابق، ص. 53.

⁴ بخيت: الفتح الإسلامي، ص. 135.

⁵ صالح أحمد العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، 1953م، ص. 220.

⁶ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 184.

لذلك أعدّ لهم المسلمون العدة وشيّدوه بمواصفات تجعل من الصعوبة الدخول إليه أو محاولة تخريبه للتخلص من دفع الجزية والخراج.

واشتهرت مدينة المعدن القريبة من منبع نهر دجلة بكثرة مناجمها التي يستخرج منها النحاس والحديد، وكان قادة الجيش الإسلامي في إقليم أرمينية يسعون دائماً للحصول على أكبر كمية من حديد هذه المنطقة، لاستخدامه في صنع الكازغنديات الحمر التي يضعها الجنود للوقاية من حراب الأعداء ورماحهم وسيوفهم، وذلك لما عرف عن حديد هذه المدينة من القوة والصلابة التي تعادل قوة الفولاذ.¹ وخلال وصف الرحالة المقدسي لمدينة دُبَيْل أشار إلى الدير الأبيض الذي يبعد عنها بحوالي ثلاثة فراسخ، وذكر صخرة سوداء موجودة بالقرب منه، يخرج منها نوع من الدهون يستخدم لعلاج أمراض معينة.²

وفي مدينة باجنيس وأطراف بحيرة وأنّ استخرج الأرمن ملح البورق³ المستعمل من قبل الخبازين، والصياغين الذين استخدموه في تلحيم الذهب والفضة، وكان يصدر إلى العراق وغيرها من الأماكن، ويكسب التجار من بيعه الأموال الطائلة، ونجد بباجنيس نوع آخر من الملح يعرف بالملح الأندرائي⁴ المشهور بجودته.⁵ وأشار ابن حوقل إلى توفر معادن أخرى بأرمينية مثل الزرنينخ الأحمر والأصفر الذي تكثر مناجمه جنوب بحيرة وان، ومنها يستخرج بكميات كبيرة ويصدر إلى الأقاليم المجاورة،⁶ إضافة إلى كميات قليلة من الكبريت والزاج المتنوع.⁷

¹ بولاديان آرشاك: نظرة حول العلاقات الأرمينية-العربية التجارية في الخلافة العربية، بحث مقدم في : الندوة العلمية الدولية عن الاقتصاد بين العرب والأرمن، منشورات مركز الدراسات الأرمينية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 29 مارس 2010م. ص. 16.

² المصدر السابق، ص. 320.

³ يقصد به ملح البوركس.

⁴ ملح بلوري حجري. أبو دلف: المصدر السابق، ص. 53، الحاشية رقم: 4.

⁵ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 297؛ أبو دلف: المصدر السابق، ص. 53.

⁶ المصدر السابق، ص. 297؛ بولاديان: المرجع السابق، ص. 15-16.

⁷ أبو دلف: المصدر السابق، ص. 56.

وأثناء حديث القزويني عن مدينة بَاكُوِيَه¹ نقل عن بعض التجار أنهم رأوا "بها نارا لا تزال تضطرم ولا تنطفئ لأن موضعها معدن الكبريت"،² كما أورد ابن الفقه في "البلدان" ما يفيد بتوفر معادن أخرى في الإقليم مثل: الزئبق والفلقند والفلقطار والأسرب.³ واشتهرت مدينة باجنيس بوفرة إنتاج مادة القطران المستخرجة من الخشب، والمستعملة في حفظ الخشب من التسوس والتآكل، ويدهن بها الصنّاع الحديد لحمايته من الصدأ.⁴

وعرفت أرمينية أيضا بشبكة مائية هامة، لاسيما المنابع المائية المعدنية الحارة، التي ارتادها سكان المنطقة للراحة والاستشفاء.⁵ حيث أشاد أبو دلف بعين شريفة وجلييلة وكثيرة المنافع يقال لها "زراوند" تقع جنوب أرمينية، والتي أجمع الناس على أنها خير ما يخرج من كل معدن في الأرض، وحسب ما رآه فهي تشفي الإنسان والحيوان من أمراض عديدة، ومنها الجروح والتقيحات والكسور والجرب ومرض القولون، وتنظف الجسم وتهدئ الأعصاب.⁶ كما أشار القزويني خلال حديثه عن مدينة أَرْزَنْ الرّوم إلى موضع بينها وبين مدينة خلاط "يسمى ياسي جمن، به عين يفور الماء منها فورا شديدا، يسمع صوته من بعيد". وفيها عين الفرات التي يرتادها الناس في الربيع لزعهم أنها تقيهم من أمراض تلك السنة. كما ذكر أن مدينة البَدَّ فيها نهر عظيم إذا اغتسل فيه المريض بالحمى شفي منها.⁷ وأفاد الإصطخري بوجود حمامات معدنية في مدينة تقليس مأوها ساخن من غير نار، وشبّهها بحمامات طبرية.⁸

¹ مدينة من نواحي باب الأبواب بأرمينية، تطل على بحر الخزر. حاليا تعرف باسم باكو Baku وهي اليوم عاصمة أذربيجان. الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 328.

² المصدر السابق، ص. 578.

³ ص. 592.

⁴ بخيت: الفتح الإسلامي، ص. 135.

⁵ SÉBÉOS : op. cit. p. 33 ; ASOLIK. Op. cit. T. 2. p. 51.

⁶ المصدر السابق، ص. 51-52؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 496.

⁷ المصدر السابق، ص. 494، 511.

⁸ المصدر السابق: ص. 186-187؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 292؛ أبو دلف، المصدر السابق، ص. 46.

ومن أهم الموارد الطاقوية التي أثبت الرحالة والجغرافيون المسلمون توفرها بكثرة في بلاد الأرمن النفط الذي تتفجر عيونه في مدينة بأكويه¹ وفي هذا الصدد يقول عنها القزويني: "بها عين نفط عظيمة... وإلى جانبها عين أخرى تسيل بنفط أبيض كدهن الزئبق لا تنقطع نهاراً ولا ليلاً".² واستعمل النفط في مجالات عديدة، ومنها الميدان العسكري، حيث يذكر أن مدينة تقيس شهدت عام 238هـ/852م معركة استعان فيها الجيش الإسلامي بالنفط، فرموا المدينة بالنفط وأحرقوها بالكامل، لأن بيوتها كانت مصنوعة من خشب الصنوبر،³ ولا ريب أن المسلمين اعتمدوا في هذه المعركة على عيون النفط المتواجدة في مدينة بأكويه.

واستعمل النفط كذلك كوقود للطبخ والتدفئة، وشاع استخدامه خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ولشهرة مدينة بأكويه بإنتاجه فإن تجارها كانوا يحققون أرباحاً ضخمة من بيعه، وصلت إلى حوالي ألف درهم في اليوم الواحد. ويعدّ الوالي يزيد بن أسيد السلمي (158-163هـ/775-780م) أول من فرض الضرائب على النفط الأرمني ووكل من يجمعها،⁴ بعدما لاحظ الأرباح العالية التي يحققها التجار جرّاء بيعهم لهذا المورد البالغ الأهمية، زيادة على تنامي الطلب عليه داخل أرمينية وخارجها.

4- الحرف والصنائع

نظراً لغنى الإقليم بالثروة المعدنية وكثرة المناجم المنتشرة في مختلف ربوع البلاد، ووفرة الإنتاج الزراعي والحيواني، كلها ظروف أدّت إلى النهوض بالمجال الصناعي، ويذكر أن

¹ مازالت هذه المدينة تشتهر بإنتاج النفط إلى يومنا هذا.

² المصدر السابق: ص. 578؛ أبو دلف: المصدر السابق، ص. 45-46؛ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 190.

³ القزويني: المصدر السابق، ص. 518.

⁴ أبو دلف: المصدر السابق، ص. 45؛ طه: الحياة العامة، ص. 257.

الأرمن تركوا الكثير من الأعمال المعدنية المبتكرة، والمصنوعات اليدوية التي يعود تاريخها إلى عصور ما قبل التاريخ.¹ ومن أهم هذه الصناعات:

صناعة الأسلحة بمختلف أنواعها والاشتهار بها،² لمواكبة التطورات العسكرية التي شهدتها المنطقة خلال هذه الحقبة الزمنية، والمتمثلة في هجمات الخزر والروم المتكررة على أرمينية. وفي هذا المقام يشير القزويني في كتابه "آثار البلاد" إلى الاهتمام الكبير الذي يوليه سكان مدينة جنزة بهذه الصناعة، إذ قال: "والغالب عليهم ممارسة السلاح واستعمال آلات الحرب"³ ويؤيده في ذلك ابن حوقل الذي أشار إلى صناعة الأرمن لأنواع عديدة من الأسلحة.⁴

كما نجد صناعة الثياب المتركة في العاصمة دُبَيْل، حيث اشتهرت بصناعة أفضل أنواع البتوت،⁵ وتصدير الثياب المصنوعة من الصوف ووبر الماعز، وهذه الأخيرة تسمى ثياب "المرعزي"⁶ وعرفت مدينة باب الأبواب بكثرة صناعة وتصدير ثياب الكتان المتميزة بالجودة والدقة، إذ يذكر ابن حوقل أنها ملائمة للأبدان، ولا مثيل لها في نواحي أخرى من أرمينية وأذربيجان.⁷ إضافة إلى ذلك تتوفر أيضا صناعة الثياب الحريرية السميكة الموشاة بأنواع مختلفة من الزهور وما تحتويه من الصور ومنها المطرزة، وهي معروفة عند المسلمين باسم "البُزْيُون" وتشتهر مدينة دُبَيْل بإنتاجه وتصديره بكثرة، ويقال أنه مرتفع الثمن إذا ما قورن بنظيره في بلد الروم،⁸ وهذا دليل على جودته ومهارة صنّاعه وصنّاعته. وجاء في

¹ NAOMI DUGUID, op. cit. p. 13.

² GHÉVOND: op. cit. p. 156 ; LAURENT, op. cit. p. 80-81.

³ أبو دلف: المصدر السابق، ص. 522.
⁴ المصدر السابق، ص. 301؛ أنظر أيضا:

GHÉVOND: op. cit. p. 156.

⁵ معاطف النساء.

⁶ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 294.

⁷ نفسه، ص. 292؛ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 184.

⁸ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 292؛ ص. 294؛ بخيت: المرجع السابق، ص. 139.

الأثر أن سكان مدينة أرزن وبالأخص نساءها كانوا يرتدون الثياب الثمينة.¹ وقد تميّزت صناعة الثياب الأرمينية بجودة عالية إلى حدّ أن رواجها تعدّ حدود أرمينية.

وأبدع الخياطون الأرمن في إنتاج نوع جميل من الأربطة، مطرزة النهايتين، تستعمل لربط الثّبان حول البدن، وتعرف باسم "التكك" ولها أنواع متعددة منها التكك الحريرية المصنوعة في مدينة برذعة، والتكك الصوفية الرفيعة التي تنتج بمدينة دُبيّل وسلماس،² واكتسبت هذه الصناعة شهرة واسعة داخل البلاد وخارجها حتى قيل أنه " لا نظير لها في سائر الأرض" ولا يقتنيها إلا عِلْيّة القوم من الحكام والأمراء، وتباع في الأسواق الإسلامية ضمن المقتنيات النفيسة، وأسعارها باهضة الثمن إذ تتراوح بين الدينار والعشرة دنانير للتكة الواحدة.³ وكان مقتنوا هذه التكك يتباهون ويتفاخرون بها.⁴

ونظرا لوفرة المواد الأولية المستعملة في مختلف الجوانب الصناعية، فقد برع الأرمن في صناعة المنسوجات بكثرة وبمختلف أصنافها، وفي ظل وفرة وجودة الصوف المستعملة تمكّنوا من نسج أجود أنواع البُسط⁵ والوسائد والأنماط⁶ والمقاعد، وفي هذا الصدد يذكر ابن حوقل أن هذه المنسوجات تنتج بكثرة في مدينة دُبيّل وتصدر نحو الأقاليم المجاورة، وهي مطلوبة بكثرة في المشرق الإسلامي لما يميّزها عن غيرها من جودة وجمال ومهارة،⁷ واشتهر بمدينة قالقلا نوع من البُسط نسب إليها حيث سمي بالبُسط القالي،¹ كما

¹ ARISDAGUES, op. cit. p. 81.

² ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 292؛ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 188؛ طه: الحياة العامة، ص. 242.

³ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر البصري: التبصر بالتجارة، دار الكتب المصرية، مصر، ط2، 1354/1935م، ص. 34؛ المقدسي: المصدر السابق، ص. 319؛ بخيت: المرجع السابق، ص. 140.

⁴ أرشاك بولاديان: المرجع السابق، ص. 12.

⁵ تعني ما بُسِط أي مُدّ، وهي كلمة وردت في القرآن، والسجاد أو السجاجيد أو السواجيد تمتاز بأشكالها الدينية، وإن كنّا لا نستطيع أن نقول أنها عرفت للعرب من أيام النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان يصلي هو وأصحابه على التراب، وينسب فرش المسجد إلى الأمويين. عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط. 7، 1996م، ص. 275؛ للتعرف على السجاد الأرمني أنظر: الملحق عشرون، ص. 372.

⁶ مفردا نمط وتعني الحصر، وكلمة حصير تقابل السجاد المصنوع من سعف النخيل. ويذكر أنها نوع من السجاجيد تفرش على الأرض للنظر دون الدوس. ماجد: المرجع السابق، ص. 275؛ عمر رضا كحّالة: العلوم العملية في العصور الإسلامية، المكتبة العربية، دمشق، 1392/1972م، ص. 247.

⁷ المصدر السابق، ص. 294؛ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 188؛ للمزيد أنظر:

عرف الإقليم نوعاً آخر من البُسط يدعى الزلالي، ويصفها المقدسي بقوله: "الرفيعة كثيرة الخصائص"،² في إشارة منه إلى جودة صناعتها وتعدد استعمالاتها في المنازل والقصور، وبالتالي غلاء أثمانها. وهذه الصناعة استكثر منها في قصور المسلمين وبيوتهم، حتى أنه على حسب قول المؤرخ أبي الفدا بلغ عددها في قصر أحد الخلفاء خمسين ألف بساط متنوع.³ كذلك اشتهر بعض المسلمين بجمع مجموعات منها.⁴

وجاء عند الثعالبي في كتابه "لطائف المعارف" أن الصوف الأرمني المستعمل في صناعة البسط هو من أجود الأنواع في العالم بعد صوف مصر، لذلك كان الخلفاء والوزراء والأثرياء يحرصون أشد الحرص على شراء البسط الأرمينية، كما كان الجميع يحرصون على اقتناء التلك الأبريسيمية التي اشتهرت بصناعتها العديد من المدن الأرمينية، ومنها مدينة سلماس.⁵

والملاحظ أن البساط الأرميني حاز على شهرة تفوق ذلك الذي كان يصنع في أصقاع أخرى، إذ وصف الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بأنه كان جالساً في بيت "منجد بالأرمني أرضه وحيطانه". وكانت الخيزران أم الخليفة هارون الرشيد تجلس في دارها على بساط أرمني، وعندها أمهات أولاد الخلفاء وغيرهم من بنات هاشم، يجلسن على نمارق أرمينية. ولما توفي الحسين بن أحمد المعروف بابن الجصاص سنة (300هـ/912م) والذي اعتبر أكثر أهل بغداد ثروة، كان من أهم ما ذكر في مجمل ما احتوى عليه بيته الفرش الأرمينية.

ونكرت الفرش الأرمينية كذلك من جملة ما كان في خزائن أمّ المقتدر، ويروى أن بعض ولاية أرمينية أهدوا إلى أحد الخلفاء العباسيين سبعة بسط أرمينية، ضمن مجموعة من

PASDERMADJIAN: op. cit. p. 141.

¹ الحموي: المصدر السابق، مج4، ص299.

² المصدر السابق، ص. 314.

³ أنظر رسم من رسوم السجاد الأرميني، الملحق واحد وعشرون، ص. 387 ؛ وصورة رسوم مشابهة للخط العربي وضعها الحرفيون الأرمن داخل السجاد الأرميني، الملحق اثنان وعشرون، ص. 388.

⁴ عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ص. 276.

⁵ أرشاك بولاديان، المرجع السابق، ص. 12.

الهدايا قدّموها له.¹ ويذكر الجهشيري في كتابه "الوزراء والكتاب" أن البُسط المحفورة الأرمينية كانت ضمن الضرائب العينية التي تدخل بيت مال المسلمين كل سنة، وقدّر عددها بعشرون بساطاً.² ونظراً لجودة وشهرة هذه البُسط أضحت الصناعة في بلاد فارس يقلّدونها، لأن الناس كانوا يفضلون البُسط الفارسية الشبيهة بالبُسط الأرمينية.³ وكان السجاد الأرميني من أجود أنواع السجاجيد المفضلة والمنتشرة في أجزاء الخلافة الإسلامية.⁴ واشتهرت مدينة دُبيل بإنتاج الستور⁵ والأنخاب والمساور⁶ التي لا مثيل لها في غيرها من المدن.⁷

واهتم الأرمن بصناعة الأقمشة الحريرية المزينة بالخيوط الذهبية،⁸ المعروفة بغلاء ثمنها. إذ كان حريم الأرمن يطرزنها بالإبرة فيشكلن أعمالاً يدوية جميلة ومميّزة، ويذكر أن الملك سمباط ذهب لزيارة الأمير يوسف بن أبي الساج، وأهداه رداءات من الديباج الموشى بالذهب ووسائل مختلفة الألوان صنعها النساء الأرمينيات.⁹ كما تواجدت بالإقليم صناعة الغزول الذي تركّزت معاملته في مدينة دُبيل، وساعدت هذه المعامل في توفير الغزول لاستخدامها كمادة أولية في الصناعة النسيجية، وكانت المواد الأولية ترسل من مدينة واسط إلى أرمينية لغزلها ونسجها، واستعملت معامل الغزل المتواجدة بمدينة خلّاط قطن بلاد الجزيرة لغزله ونسجه في معاملها.¹⁰

¹ آدم مّتر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريّة، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط. 5، (د ت)، مج. 2، ص. 359.

² ص. 286.

³ آدم مّتر: المرجع السابق، مج. 2، ص. 360.

⁴ PASDERMADJIAN: op. cit. p.141.

⁵ يقصد بها الستائر المعلقة على حيطان الغرف. عمر كحالة: المرجع السابق، ص. 247.

⁶ الأنخاب والمساور: الأنخاب بسط صغيرة وضيقة، أما المساور فهي عبارة عن مقاعد مستديرة. اسكندر: الحياة الاقتصادية، ص. 43.

⁷ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 294؛ المقدسي: المصدر السابق، ص. 314.

⁸ CATHOLICOS (J.) : op. cit. p. 201.

⁹ اسكندر: الحياة الاقتصادية، ص. 43-44؛ للتفاصيل أنظر أيضاً:

CATHOLICOS (J.) : op. cit. p. 200-201.

¹⁰ ابن رسته: المصدر السابق، ص. 322؛ طه: الحياة العامة، ص. 246.

وللإقليم شهرة كبيرة في تجارة الفراء ودباغة الجلود، وكان رهبان وأمراء وأشراف المنطقة يرتدون الملابس المصنوعة من الفراء تؤخذ من الدببة والقطط والثعالب ذات الفراء الأبيض التي يتم اصطيادها من جبال وغابات المنطقة، وتميّزت هذه المنتجات بالجودة وغلاء أثمانها.¹

واستخدم الأرمن القرمز² للصبغة "وهو صبغ أحمر يصبغ به المرعزي والصوف وأصله من دود ينسج على نفسه كدودة القز"³ وجاء في كتاب "التبصر بالتجارة" للجاحظ أن "القرمز حشيشة تكون في أصلها دودة حمراء"⁴ وأضاف ابن الفقيه أنها تظهر في فصل الربيع فتلتقط وتجمع، ثم تطبخ وتُصَبَغ بها أصناف متعدّدة من الثياب والأنسجة الأرمينية.⁵ وكانت معظم ملابس الأرمن حمراء اللون.⁶ وتعتبر حشرة القرمز Kermis التي تستخدم للصبغة باللون القرمزي من أجود أنواع الأصباغ المعروفة في العالم، وأكثر ما تظهر هذه الحشرة في سفوح جبال أرارات، لذلك اشتهرت مدينة دُبَيْل بكثرة إنتاجه.⁷

ويشير المقدسي إلى الدور المهم الذي كانت تقوم به النساء الأرمينيات في هذه الصناعة، حين قال عن دُبَيْل: "وعندها يوجد القرمز وهي دودة تظهر في الأرض تخرج إليها النسوان ينقرنها بنحاسة معهن ثم يجعلنها في فرن"⁸ ومن أهم مراكز إنتاجه أيضا نجد مدينة أَرْدِسَاط (أردشاط) Artaxata التي غلب على اسمها فأطلق عليها المؤرخون المسلمون قرية القرمز.⁹ واكتسب قرمز أرمينية سمعة طيبة في الشرق الإسلامي والغرب المسيحي،

¹ بخيت: المرجع السابق، ص. 140.

² كلمة أرمينية أعطت اسمها لألوان معينة مثل اللون القرمزي. ارجع إلى:

PASDERMADJIAN: op. cit. p.141.

³ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 294؛ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 188؛ أنظر أيضا: الملحق التاسع عشر، ص. 371.

⁴ ص. 24.

⁵ المصدر السابق، ص. 592؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 294.

⁶ LAURENT. Op. cit. p. 80.

⁷ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 294؛ المدوّر: المرجع السابق، ص. 78.

⁸ المصدر السابق، ص. 320.

⁹ LAURENT. Op. cit. p. 572.

واعتبر من النوع الجيد.¹ زيادة على ذلك فإن المنتجات المصبوغة بلون القرمز في أرمينية كانت تسمى بـ"الأصناف الأرمني".²

واستخدم الصنّاع الأرمن عروق نبات يستخرج من الأرض يسمى القوّة لصبغة الثياب والبُسُط وغيرها من الأنسجة، ووصف ابن الفقيه إنتاج القوّة في أرمينية بالوفرة،³ مما يدل على أهميتها وكثرة استخدامها. ولتلوين المنتجات الصناعية بالأصفر استعمل الأرمن الزعفران المتواجد بكثرة في مدينة باب الأبواب.⁴

ويورد ابن حوقل في ختام حديثه عن مدينة دُبَيْل عبارة تدل على جودة كل منتجات هذه المدينة ومهارة صناعتها، استخدم فيها الصنّاع دقة لا يمكن أن تصل إليها أي مدينة على وجه الأرض في تلك الفترة، وبذلك مثّلت هذه المدينة مركزا رئيسيا عالميا في مختلف الصناعات وخاصة الصناعة النسيجية، وفي هذا الصدد قال: "فلا نظير لها في شيء من الأرض بوجه من الوجوه والأسباب كلّها".⁵ ويؤيده في ذلك الرحالة المقدسي حين يقول: "ولا نظير لتكّهم ومحفورياتهم وقرمزهم وأنماطهم وصبغهم".⁶

ومن نتائج حسن استغلال الأرمن لمواردهم الطبيعية، ظهور صنّاع أكفّاء ساهموا في ازدهار النشاط الصناعي عبر كافة المجالات الصناعية، إذ أسفرت نتائج التنقيب في مدينة آني عن وجود منتجات صناعية متنوعة تثبت مهارة صانعيها من خزفيين وحدادين وغيرهم من الحرفيين الأكفّاء الآخرين.⁷ يضاف إليها تنقيبات مدينة دبيل التي كشفت عن وجود

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 281؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 146؛ راجع كذلك: PASDERMADJIAN : op. cit. p.141.

² أرشاك بولاديان، المرجع السابق، ص. 13.

³ المصدر السابق: ص. 592؛ المقدسي: المصدر السابق، ص. 314.

⁴ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 184؛ آدم متز: المرجع السابق، مج. 2، ص. 315.

⁵ المصدر السابق، ص. 294.

⁶ المصدر السابق: ص. 318-319.

⁷ اسكندر: الحياة الإقتصادية، ص. 40، للمزيد ارجع إلى:

MANANDIAN (H. A.): op. cit. p. 151.

صناعات عديدة بالمدينة كالحدادة والصياغة ومعامل النسيج وأفران لصنع الفخار.¹ واشتهر صنّاع مدينة خلاط بإنتاج أفضل أنواع الأقفال،² وعرف صنّاع المجوهرات الأرمن بمهارة تصنيع الذهب والفضة والبلور وبيعها لأشراف البلاد، إلى جانب الآنية الرفيعة المزخرفة بالسواد مثل: الصواني والأطباق والأرطال والطُسوت والأباريق والأسطال.³

وفي معرض حديث المؤرخ الأرمني أريسداكيس اللستيفرتي Arisdagués de Lasdiverd عن مدينة آني عاصمة أسرة البجراطين أشار إلى الأواني الذهبية والفضية التي كانت تزين كنائسها،⁴ وأضاف أن مدينة أرزن امتازت بصناعة جميع أنواع الحلي مثل: الأقراط والخواتم والأساور والقلائد والأحزمة الذهبية وما إلى ذلك، وأوماً إلى أن نساء المدينة كانت رؤوسهم مثقلة بالحلي الذهبية.⁵ مما يدل على غنى المنطقة بمعادن الذهب ومهارة حرفييها في مجال الصناعة المجوهراتية، وحياة الرفاه التي عاشها سكان أرزن.

وجاء في بعض المصادر الإسلامية أن إحدى الكنائس الأرمينية بمدينة آني كانت تحتوي على إناء ملئ بالبلور، ذكر شاهد عيان أن وزن قطعة منها وصل إلى ثمانية عشر رطلاً.⁶ ويذكر أن الحزام المنتج في إقليم أرمينية وصل سعره في الأسواق المجاورة إلى عشرة دنانير. كما عرف الإقليم بصناعة المناديل وغيرها من الصناعات الخفيفة. وكانت السلع الأرمينية تصدر إلى المناطق النائية وتساهم في تطوير الحركة الاقتصادية.⁷

ويتحدث ابن حوقل عن زيارته للعديد من الأطباء الأرمن، وإعجابه بتقدّمهم في المجال الطبي، وحكمتهم وتمرّسهم في علاج مختلف الأمراض، ولاحظ أن صناعة الطب أكسبت أطباء المنطقة المال الوفير والمكانة المرموقة، حتى أضحووا من كبار ملاك الأراضي

¹ بولاديان آرشاك: المرجع السابق، ص. 13.

² القزويني: المصدر السابق، ص. 524.

³ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 298، 301.

⁴ ARISDAGUES, op. cit. pp. 139-141.

⁵ Ibid. p. 80-81.

⁶ فايز نجيب اسكندر: استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينية "آني" سنة 456هـ/1064م، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، 1987م، ص. 11.

⁷ آرشاك بولاديان، المرجع السابق، ص. 13-14.

والأنعام، يقول عنهم: "وفيهم أطباء فضلاء أدركتهم أجلاء مياسير بصناعة الطب أرباب ضياع ونعم وكراع".¹

5- النشاط التجاري

ساهمت عوامل كثيرة في ازدهار التجارة بأرمينية ولعل أبرزها، تنوع وغزارة المنتجات الزراعية والحيوانية والصناعية والمعدنية، وضرورة تصريف الفائض منها، إضافة إلى موقعها الجغرافي الإستراتيجي والتميز الذي يصل بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي،² ووجود العديد من مدنها على الطرق التجارية العالمية آنذاك، أي طرق التجارة العابرة بين إمبراطورية الروم وبحر بنطس من جهة، وبحر الخزر والخلافة الإسلامية من جهة أخرى. إضافة إلى ذلك يجدر القول أن الأرمن عرفوا منذ فترة طويلة بمهارتهم في المعاملات التجارية، حيث أشار هيرودوت Hérodote إلى عشق الأرمن للا محدود لحرفة التجارة، إذ كانوا يسافرون للشرق والغرب بغية الكسب والربح.³

أ- الطرق التجارية الأرمينية

انتعشت التجارة في المنطقة بفضل وجود مسالك متعددة بحرية وبرية، فالأولى عبر بحر بنطس ومركزه التجاري مدينة طَرَابَرْزَنْدَه،⁴ وعبر بحر الخزر ومركزه التجاري مدينة باب الأبواب، المتصلة تجاريا مع الأقاليم الواقعة على موانئ هذا البحر، خاصة مراسي طبرستان وجرجان والديلم، كما أن اتصال نهر أتل ببحر الخزر أدى إلى اتساع تجارة أرمينية، حتى

¹ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 299.

² منذ العصر القديم اعتبرت أرمينية مركزا أساسيا للتبادل التجاري بين الغرب الأوروبي والشرق الآسيوي. ارجع إلى:

PASDERMADJIAN : op. cit. p. 139-140.

³ بخيت: المرجع السابق، ص. 141؛ اسكندر: الحياة الاقتصادية، ص. 47.

⁴ يسميها الحموي طَرَابَرْزَنْدَه وهي مدينة تقع على الضفة الشرقية لبحر بُنْطُس، "وإلى هذه المدينة منتهى جبل القيق ثم يقطعه البحر، وهي مشرفة على البحر وماؤه محيط بها كالخندق محفور حولها بأسرها، وعليه قنطرة إذا دهمهم عدو قطعوها، ولها رستاق واسع". المصدر السابق، مج. 1، ص. 216؛ أنظر أيضا:

MANANDIAN : op. cit. p. 147.

وصلت إلى بحر البلطيق، عبر الأنهار التي تصل مياهها إليه، وعن طريق هذه الأنهار كانت تصل البضائع إلى إقليمي البلغار وبرطاس¹ ثم إلى بحر البلطيق.

وكان يجلب من هذه المواضع الفرو وأنواع متنوعة من الجلود والعسل والشمع والسيوف² والخيول، وغيرها من الحيوانات والبضائع، التي تأتي من غرب كارولنجيا إلى بلد السلاف، وتصدر إلى المشرق الإسلامي عن طريق باب الأبواب، كما يجلب إلى هذه الأخيرة الرقيق السلاف الذين كانوا يسافرون شرقاً إلى إقليم الخزر، ثم إلى اتل عاصمة إقليم الخزر عبر بحر الخزر. إضافة إلى مدينة برذعة التي تتصل ببحر الخزر عبر نهر الكر. كما ساعدت أنهار أرمينية الممتدة داخل وخارج حدودها مثل: الرّسّ والكرّ والدجلة والفرات في تنشيط التجارة المحلية والخارجية مع أذربيجان والعراق وبلاد الشام والجزيرة الفراتية، إذ استعملت هذه الأنهار في نقل البضائع المختلفة.³ وعلى سبيل المثال: استعمل التجار منذ أقدم الأزمنة نهر دجلة لنقل السلع إلى العراق، وكان طريقاً تجارياً على جانب كبير من الأهمية.⁴

وتجدر الإشارة إلى أن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور اختار موقع مدينة بغداد لتسهيل نقل المؤن إليها من أرمينية، إذ يقول في هذا الصدد: "وتأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينية وما حول ذلك".⁵ أما نهر الفرات فقد استعمل لنقل الأخشاب وسبي الخزر إلى

¹ تقع بين خوارزم ومملكة الخزر، يسكنها الأتراك، وهي مضافة إلى الخزر. المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين: التنبيه والإشراف، تصحيح ومراجعة: عبد الله إسماعيل الصادق، المكتبة التاريخية، مصر، 1357هـ. 1938م. ص. 55.

² ويذكر أن المسلمين كانوا يستوردون أعداداً كبيرة من السيوف من بلد الصقالبة، والراجح أنها السيوف السلیمانية التي أشار إليها ابن رسته وذكر بأنها كانت تصنع في بلاد الروس. ابن رسته: المصدر السابق، ص. 146؛ طه: الحياة العامة، ص. 253، نقلاً عن:

LOMBARD : The golden ages of Islam.

³ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 111، 128؛ ابن رسته: المصدر السابق، ص. 143؛ طه: الحياة العامة، ص. 247-248، 253.

⁴ عبد الماجود أحمد السلیمان: الموصل في العهدين الراشدي والأموي، مكتبة بسام، الموصل، ط. 1، د. ت. ص. 127.

⁵ الطبري: المصدر السابق، ج. 7، ص. 614؛ عبد الماجود: المرجع السابق، ص. 128.

بغداد.¹ إضافة إلى ذلك فإن تجار الإقليم كانوا يقومون بالتبادل التجاري مع طبرستان وجرجان شمال بلاد فارس عن طريق نهري الرّس والكرّ إضافة إلى بحر الخزر السابق ذكره.²

أما المسالك البرية فهي كثيرة ومتشابكة، تمتد بين المدن الأرمينية وخارجها، ومنها الطريق التجاري الرابط بين بلاد الشام وأرمينية، ويبدأ من بحيرة وان مروراً بمدينة بدليس إلى الموصل.³ نجد كذلك الطريق التجاري الذي يصل بين بلاد الجزيرة وأذربيجان، ويبدأ من مدينة آمد⁴ بإقليم الجزيرة مروراً بميفارقين وبدليس وخلاط وأرجيش وبركري وخوي، ومنها يتجه فرع إلى مدينة دُبيل، أما الطريق الرئيسي فيستمر نحو المدن الأذرية ومنها أرومية والمرغة ثم أردبيل.⁵

ومن أردبيل تتفرع ثلاث طرق تجارية، الأول ينطلق منها إلى باب الأبواب ويمتد على طول السهل الساحلي المحاذي لشواطئ بحر الخزر، ومنها يتجه إلى إقليم الخزر وبلاد البلغار والصقالبة. أما المسلك الثاني فيبدأ من مدينة أردبيل وينتهي عند مدينة برذعة. إضافة إلى الطريق التجاري الثالث الذي يربط إمبراطورية الروم بأرمينية والجزيرة وبلاد فارس وأواسط قارة آسيا وشرقها. يعتبر هذا المسلك طريقاً عامّاً، ويستعمل في تصدير المنتجات الزراعية والصناعية الأرمينية إلى بلاد فارس وخوزستان والهند. ومن أبرز السلع المصدرة

¹ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 184.

² MANANDIAN: op. cit. p. 155-156.

³ بخيت: المرجع السابق، ص. 142.

⁴ يحدد موقعها ابن حوقل حين يقول: "مدينة آمد على جبل من غربي دجلة مطلقاً عليها". المصدر السابق، ص. 201.

⁵ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 194.

عن طريقه القرمز الذي يصل إلى بلاد الهند والعديد من المناطق الأخرى،¹ وسمك الطريق الذي يملح ويصدر إلى بغداد وبلخ وغزنة والهند، وغيرهما من المنتجات الأرمينية.

وساهم ارتباط هذا الطريق بمدينة دُبيل في نقل المنتجات الزراعية والصناعية للمدن الأرمينية الواقعة على طول امتداده إلى بلاد فارس وأواسط آسيا من جهة، كما أن انتهاء هذا الطريق في بلاد الجزيرة قد سهل انتقال منتجات أرمينية إلى بلاد الشام والجزيرة والعراق من جهة أخرى. وعن طريقه كان التجار المسلمون والأرمن ينقلون إلى العراق كمّيات من العنب والقرمز والسيوف الأرمينية، وعبره تنقل البضائع المستوردة من أقاليم شمال القوقاز والمنتجات الصناعية لمدينة باب الأبواب وبرذعة وتقليس إلى العراق.² واعتبر مسلكاً رئيسياً لنقل السيوف المستوردة من بلاد برطاس والمعروفة بالسيوف السليمانية.³ كما كان الروس يستعملونه في نقل العبيد الذين يسبونهم بعد غزوهم لبلاد الصقالبة، فكانوا ينقلونهم إلى مدينة جرزان وبلاد البلغار لبيعهم.⁴

وهناك طريق تجاري ثاني يربط إمبراطورية الروم عبر أرمينية بمدينة أردبيل الأذرية ويقطع نهر الكُرّ. يبدأ من مدينة تقليس مروراً بقلعة الجردمان ثم مدن شمكور وجنزة وصولاً إلى مدينة برذعة. ومن هذه الأخيرة يتفرع المسلك الرئيسي إلى ثلاثة فروع، الأول يتجه إلى مدينة يُونان مروراً بمدن البيلقان وورثان وبلخاب وبرزند وصولاً إلى أردبيل عاصمة إقليم أذربيجان.⁵ والثاني يصل مدينة برذعة بمدينة باب الأبواب، يعبر مدينة برزنج ويقطع نهر الكُرّ إلى الشّماخية ثم شروان، ومنها إلى الأبخاز وجسر سمور، ثم مدينة باب الأبواب،⁶

¹ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 188؛ طه: الحياة العامة، ص. 248-249؛ آدم منز: المرجع السابق، مج. 2، ص. 315.

² ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 591؛ الأنصاري: المصدر السابق، ص. 121؛ أبو الفداء: المصدر السابق، ص. 42؛ آدم منز: المرجع السابق، مج. 2، ص. 304-305؛ صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص. 220؛ طه: الحياة العامة، ص. 249-250.

³ ابن رسته: المصدر السابق، ص. 146.

⁴ نفسه، ص. 145.

⁵ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 192؛ المقدسي: المصدر السابق، ص. 320.

⁶ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 192.

التي تعد مركزا تجاريا لصادرات إقليم الخزر والبلغار وبرطاس والصقالبة، وتصل عن طريقه أيضا تجارة بحر البلطيق عبر روافد نهري الفولقا والدون. أما الثالث فيربط برزعة بمدينة دُبيل ويمر بمدن قلقاطوس ومتريس ودوميس وكيل كوى، ومنها إلى السيسجان ثم دُبيل. وتتصل هذه الأخيرة عبر طريق مدينتي النشوى وخوى بالطريق التجاري الذي يربط بين بلاد الجزيرة وأذربيجان ويمر بأرمينية.¹

ومما لا شك فيه أن هذه الطرق كان لها دورا بارزا في نقل البضائع بين مختلف الأقاليم والمدن الممتدة على طولها. فمنها كانت تمر القوافل التي تنقل السلع المستوردة من خلف جبال القوقاز والمتوجهة صوب بلاد فارس، ويورد المسعودي في كتابه "التنبيه والإشراف" نوعا مهما من البضائع العابرة لهذه الطرق، وهو جلود الثعالب السود المستوردة من بلاد برطاس إلى باب الأبواب وبرزعة.² وتعتبر أجود أنواع الأوبار وأغلاها ثمنًا، وتأتي بألوان مختلفة كالأبيض والأحمر والأسود، وهذا الأخير يتميز بارتفاع ثمنه، إذ يتفاخر ملوك الأمم من الأعاجم بلبس هذا النوع من الجلود، ويتخذ منها القلائس والفراء.³ كما يتم من خلالها تصدير البغال الأرمينية المشهورة إلى خرسان.⁴ واستعمل هذا الطريق أيضا لنقل المنتجات الأرمينية من الأنسجة المتنوعة المصنوعة في مدن باب الأبواب وبرزعة ودبيل وغيرها من المدن، والتي يكثر الطلب عليها في الأقاليم المجاورة، مثل: بلاد فارس وآسيا الوسطى، وخاصة المنسوجات الحريرية مثل الثياب والتكك الرفيعة.⁵

وتتوفر أرمينية على طريق تجاري ثالث يربط بلاد الجزيرة بمدينة قاليقلا، وينطلق من مدينة ميافارقين مرورًا بمدينة موش ثم يتفرع بعدها إلى مسلكين، فرع يتجه إلى مدينة قاليقلا،

¹ الاصطخري: المصدر السابق، ص. 193؛ المقدسي: المصدر السابق، 320؛ بخيت: المرجع السابق، ص. 142.

² ص. 55.

³ الاصطخري: المصدر السابق، ص. 55.

⁴ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 297.

⁵ الاصطخري: المصدر السابق، ص. 294.

والفرع الآخر يوصل إلى مدينة ملازكرد التي تتصل بدورها بمدينة أرجيش. وكانت مدينة قاليقلا مقصدا رئيسيا للتجار الأرمن والمسلمين والروم الذين يرغبون في الدخول إلى طرابزنده للتجار في الديباج والبيزون وثياب ومنسوجات الروم والزلاي القالي،¹ حيث تنقل هذه السلع إلى بلاد فارس والشام والجزيرة والعراق لبيعها أو مقايضتها ببضائع أخرى موازية لها في القيمة.

وازدهرت المدن الواقعة على الطريقين التجاريين الرئيسيين المخترقين لإقليم أرمينية عبر أذربيجان باتجاه آسيا الوسطى وبلاد الشام. وإلى غاية القرن (4هـ/10م) انتعشت بشكل موازي الطرق الشمالية القريبة من مدن: النشوى ودبيل وآني وقاليقلا، ومدن الطريق الجنوبية مثل: وان وأرجيش وملازكرد وخلاط. واستنادا إلى ما ذكره المؤرخ "هوفهانيس دراسخاناكيرتسي" فإن الملك الأرمني سمباط الأول كتب إلى الأفشين الساجي في أذربيجان ما مضمونه أن العلاقات التجارية بين الأرمن والروم ستعود بالنفع على الخلافة الإسلامية، وتفتح المسالك للتجار المسلمين لدخول أسواق آسيا الوسطى.²

أدى انتعاش الحركة التجارية مع بلاد الشام والجزيرة على طول الطريق الجنوبية إلى تطوير العلاقات في شتى المجالات بين أرمينية والأقاليم المجاورة لها. وكانت السلع الأرمينية المنتجة في دبيل وآني تمر عبر ملازكرد وخلاط وميافارقين لتصل إلى مدينة آمد التي اعتبرت مركزا رئيسيا لتخزين البضائع الأرمينية، ويذكر ابن حوقل أن الحركة التجارية في مدينة آمد لا تتوقف لأنها تعتبر مرفأً للبضائع الأرمينية. ومن هناك كانت السفن تنقل إلى الموصل وهي محملة بالعسل والزيت والجوز والبندق واللوز والفسق والتين وغيرها من أصناف البضائع الأرمينية الأخرى. ويروى أيضا أن نهر الفرات كان يعجّ بالسفن التي تنقل خشب البناء من المرتفعات الأرمينية.³

¹ المقدسي: المصدر السابق، ص. 321.

² أرشاك بولاديان: المرجع السابق، ص. 14.

³ نفسه، ص. 14-15.

وكانت القوافل التجارية تسلك هذه الطرق التي تكثر المدن على طولها، وفي هذه المسالك أقيمت محطات للقوافل التجارية للاستراحة أو البيع والشراء والمقايضة. أما وسائل النقل فهي الحيوانات ويأتي في مقدمتها الجمل فهو سفينة الصحراء، ويضاف إليه الخيول والبغال والحمير المستخدمة في نقل البضائع والمسافرين، أما وسائل النقل البحرية والنهرية فكانت السفن والزوارق والمراكب.¹

ويشير المقدسي إلى صعوبة الطرق المؤدية إلى هذا الإقليم،² لذلك اهتم المسلمون بتهيئتها نظراً لأهميتها العسكرية أكبر من نفعها التجاري، إذ تضمنت الإستراتيجية الحربية ربط الطرق الهامة ببعضها البعض، انطلاقاً من دُبيل قسبة أرمينية وقاعدة السيادة الإسلامية، كما اعتبرت مدينة قاليقلا ملتقى جميع الطرق الكبرى، وتميّزت بأهمية إستراتيجية بالغة. وكانت صيانة المسالك وأمنها من مهام ولاية أرمينية، قصد تسهيل تنقل المسافرين والبضائع. وتوفرت على طول هذه الطرق محطات وفنادق للاستراحة، وأحجار دونت عليها المسافات بين مدينة وأخرى، وخدمة بريدية منظمة بالخيول والبغال والجمال.³ وأثناء حديث الرحالة الفارسي ناصر خسرو عن رحلته إلى أرمينية قال: "غادرنا أخلاط (خِلاط)... وكانت السماء تمطر ثلجاً، والبرد قارساً، وقد غرسوا في جزء من الطريق عُمداً ليسيّر المسافرون على هديها أيام الثلج والضباب. ثم بلغنا مدينة بطليس (بدليس)".⁴ وكان الهدف من هذه الأعمدة تعريف المارة من المحاربين والتجار والمسافرين بالطريق الذي يفضي إلى بلاد الجزيرة الفراتية.

¹ عبد الماجود: المرجع السابق، ص. 126 وما بعدها.

² المصدر السابق، ص. 314.

³ MANANDIAN : op. cit. pp. 155-156.

⁴ ناصر خسرو علوى: سفر نامة، تر. يحي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط. 2، 1993م. ص. 50؛ اسكندر: الحياة العامة، ص. 48.

ب- الأسواق

وجدت بالإقليم عددا من الأسواق يجتمع فيها التجار بمختلف أجناسهم من كل حذب وصوب بهدف البيع والشراء والتبادل التجاري المحلي والخارجي، ومنها سوق الكركي¹ المتواجد في مدينة بردعة، وهو سوق أسبوعي يجتمع فيه أهل القرى يوم الأحد² بمدخل من مداخل المدينة يدعى باب الأكراد، يقصده التجار من العراق وأماكن أخرى. واشتهر ببيع الحرير ومختلف أنواع الثياب والأقمشة. ولاحظ ابن حوقل وجود عدد من الأسواق بمدينة بردعة ورباضها،³ تتميز بالزحام والتدافع، وتتخللها فنادق وحمّامات "عامرة أهلة" يرتادها التجار والمسافرون.⁴

نجد كذلك عدّة أسواق في مدينة دُبَيْل عاصمة أرمينية الإسلامية وأهم مدنها الزراعية والصناعية والتجارية، وكلّها من انجاز الأرمن لأنها أقيمت على شكل صليب،⁵ وعرفت ببيع مختلف المنسوجات والملابس، وتعتبر من بين أهم مقرات التبادل التجاري للسلع القادمة من بلاد فارس والهند وإمبراطورية الروم، لذلك اكتظت وازدحمت أسواقها بالتجار. فضلا عن ارتفاع الكثافة السكانية فيها لدرجة أن الهزة الأرضية التي وقعت فيها سنة 280هـ/893م أدت إلى وفاة سبعين ألف شخص على حد قول المؤرخ الأرمني توماس أردزروني. وبعد هذه الحادثة الأليمة أعيد بناؤها واستمرت كمركز لعبور التجارة المحلية والخارجية.⁶

¹ كلمة يونانية مأخوذة من قرياقوس Kuriakos وتعني يوم الرّب. كي لسترنج: المرجع السابق، ص. 212.

² يشير الرحالة المقدسي إلى أن اسم السوق غلب على يوم الأحد، حين يقول: "حتى أن أحدهم يقول يوم السبت يوم الكركي ويوم الاثنين" وهذا يدل على دوام السوق وانعقاده بشكل مستمر، وينبّهنا إلى الأهمية البالغة التي يوليها سكان بردعة له. المصدر السابق، ص. 318؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 291.

³ الرباض مصطلح يطلق على الأماكن المجاورة للمدينة، أي ضواحيها.

⁴ المصدر السابق: ص. 291؛ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 183-184؛ المقدسي، المصدر السابق، ص. 318؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 512؛ كي لسترنج: المرجع السابق، ص. 212.

⁵ كانت هذه الأسواق مقصدا للتجار المسلمين من مختلف نواحي الخلافة، ورغم ذلك لم يثبت أن المسلمين حاولوا تغيير شكل هذه الأسواق بعد الفتح الإسلامي لها، بسبب هيئتها المنافية لتعاليم الإسلام، مما يدل على سماحة المسلمين واحترامهم لعهودهم ومعتقدات غيرهم.

⁶ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 294؛ المقدسي: المصدر السابق، ص. 316؛ بخيت: المرجع السابق، ص. 146؛ اسكندر: الحياة الاقتصادية، ص. 53.

إضافة إلى سوق جُرْزَان¹ التي يقصدها التجار من القرى المجاورة والمشرق، وأهم السلع المتوفرة فيه العبيد والجواري المغنيات والطباخات، ومن بين ما يباع أيضا الثياب والعطور والخيول والبغال. كما يوجد في السوق أيضا أدوات المائدة من الآنية الرفيعة والصواني والأطباق والأرطال والطُسُوت والأباريق والأسطال، وبعض هذه الأواني مصنوع من الذهب والفضة، إضافة إلى السجاد الجيد والزجاج المحكم والبلور على شكل المخروط والجواهر والياقوت الباهظة الثمن.² واعتبرت مدينة تفليس من المراكز التجارية الكبرى خلال العصر الوسيط، حيث كان التجار يجتمعون فيها ويسيرون من أسترخان مع نهر الفولقا إلى مدينة بُلغار، والتي كانت تعد مستودعا تجاريا بين قارة آسيا وشمال أوروبا.³

وعرفت مدينة باب الأبواب بسوقها الذي يجتمع فيه التجار من بلاد الخزر والسرير والكرج والبلدان الأخرى المحيطة ببحر الخزر كجرجان وطبرستان والديلم وإقليم الجبل، وتباع فيه العديد من السلع مثل الثياب المصنوعة من الكتان والزعفران، وكذلك العبيد من كل نوع، والمجلوب إليها من سائر نواحي بلاد الكفر.⁴ ويذكر البلاذري أن شَمُكُور مدينة قديمة عرفت بكثافتها السكانية العالية في فترة الحكم الإسلامي، ومما لا شك فيه أنها توفرت على أسواق تتلاءم مع متطلبات سكانها باعتبارها مدينة "مسكونة معمورة"⁵ غير أن قوما يدعون السَّاورِدِيَّة⁶ قاموا بتخريبها. وفي عام 240هـ / 854م قام والي أرمينية بُغَا بإعادة بنائها وتعميرها، وأسكنها قوما أتوا من بلاد الخزر مستأمنين وراغبين في دخول الإسلام، ونقل إليها التجار من مدينة بردعة لإنعاش أسواقها وتنشيط الحركة التجارية فيها، وسماها المتوكِّلِيَّة.⁷

¹ اسم جامع لناحية بأرمينية قصبته مدينة تفليس. البغدادي: مراصد الإطلاع، مج. 1، ص. 325.

² ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 298؛ بخيت: المرجع السابق، ص. 145.

³ Le Bon Gustave : op. cit. p. 506.

⁴ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 184؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 303.

⁵ المصدر السابق، ص. 286.

⁶ قوم تجمّعوا بعد انصراف الوالي يزيد بن أسيد عن أرمينية، فاشتدت قوتهم وكثرت جرائمهم. نفسه.

⁷ المصدر السابق، ص. 286.

ج- الحركات التجارية في أرمينية

بفضل وفرة المراكز التجارية في أرمينية انتعشت تجارتها الخارجية مع الشرق حيث كانت هذه التجارة تتم عبر سواحل بحر الخزر الذي يربط تجاريا بين الإقليم من ناحية الغرب وإقليم الديلم والجمال من الشرق، حيث يركب فيه التجار من أراضي المسلمين إلى بلاد الخزر، وتتخلل بحر الخزر العديد من الجزر التي يستعملها التجار كمراسي للسفن المحملة بالسلع حيناً ثم تستكمل رحلاتها، إذ أن هذه الجزر غير آهلة بالسكان، مثل جزيرة سياه كوه¹ وجزيرة الباب². وأهم المنتجات التي يقوم التبادل التجاري عليها مع تجار الشرق: الطيب والرقيق والذهب والفضة والأقمشة الكتانية والبهارات والعقاقير الهندية³. وتميّزت الطرق التجارية الرابطة بين مدينة بغداد عاصمة الخلافة العباسية وأرمينية بنشاطها الدائم، حيث قام التجار الأرمن بتصدير الأنعام والحبوب والأسمك والملح إليها، وإلى بلاد الشام ومصر وغيرها من أقاليم المشرق الإسلامي⁴.

كان تجار الإقليم يقومون بالتبادل التجاري مع الغرب الأوروبي عبر بحر بنطس الذي يعد من المراكز التجارية الهامة بين الشرق والغرب، وكانت مدينة طرابزوند محطة تلتقي فيها التجارات، فمن سوق هذه المدينة كانت تخرج سلع الشرق متجهة إلى الغرب، وفي هذا الباب يقول المسعودي: "لها أسواق في السنة يأتي إليها كثير من الأمم للتجارة من المسلمين والروم

¹ كلمة فارسية معناها جبل أسود، وهي جزيرة كبيرة في بحر الخزر ربها عيون وأشجار ومراعي مياه عذبة. الحموي: المصدر السابق، مج. 3، ص. 292.

² تقع قرب مصب نهر الكُرّ بها أشجار ومياه ومراعي غنية بنبات الفؤة، ويخرج إليها الصّناع والفلاحون من نواحي مدينة بردعة، فيحمل الصناع منها الفؤة، ويحمل الفلاحون إليها في السفن دوابّ تسرح فيها حتى تسمّن. الإصطخري: المصدر السابق، ص. 128؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 343.

³ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 128؛ الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 303؛ بخيت: المرجع السابق، ص. 142-143.

⁴ PASDERMADJIAN : op. cit. p. 141.

والأرمن وغيرهم".¹ ويذكر ابن حوقل أنها: "مدينة يجتمع فيها التجار من بلد الإسلام فيدخلون منها إلى بلد الروم للتجارة"² يتم التبادل التجاري فيها بين التجار المسلمين والأرمن والروم وتجار الشرق بمختلف أجناسهم، وشهدت تنوعا في المنتجات المعروضة للبيع مثل ثياب الكتان الرومي وثياب الصوف والأكسية الرومية والديباج والبزبون والأقمشة والمنسوجات بأشكالها المختلفة.³

وبفضل توفر الطرق البرية والبحرية شهد النشاط التجاري بين طَرَابَرْزُندَه وقاليقلا ودُبَيْل انتعاشا ملحوظا خلال العهد الإسلامي، كما اعتبرت مدينة الري الفارسية من أهم الأسواق التي يرتادها التجار الأرمن،⁴ ولاحظ الجغرافي اليعقوبي أن التجار الأرمن كثيرا ما كانوا ينتقلون إلى مدينة بغداد بغية البيع والشراء.⁵

ومن أبرز مراكز التبادل التجاري في أرمينية مدينة "أرتانوج" Artanuj القريبة من مجرى نهر شوروخ Tchrorokh، والمطلّة على السواحل الشرقية لبحر بنطس عند ملتقى الطرق التجارية بين طَرَابَرْزُندَه ومدن القوقاز الشمالية ومدينة أباهونيك. وبسبب الموقع الإستراتيجي والحصين الذي تمتعت به مدينة أرتانوج فقد كان يَفِد إليها تجار من مختلف نواحي أرمينية وبلاد الشام من جهة، ومن بلاد الخزر وبلاد الكرج والأبخاز من جهة أخرى. ونظرا للضرائب الباهضة التي كان يدفعها التجار الذين يرتادون سوق أرتانوج، نستنتج أن الحركة التجارية فيها كانت نشطة. فضلا عن ذلك فإن هذه المدينة كانت مقصدا لسكان منطقة كولشيد Colchide يزورونها بكثرة،⁷ مما يدل على ازدهار الحركة التجارية فيها.

¹ المسعودي أبي الحسن بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط. 1، 1425هـ. 2005م. ج. 1، ص. 136.

² ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 295.

³ الإصطخري: المصدر السابق: ص. 111؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 295؛ بخيت: المرجع السابق، ص. 143.

⁴ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 295.

⁵ المصدر السابق، ص. 23.

⁶ LAURENT, op. cit. p. 80.

⁷ اسكندر: الحياة الاقتصادية، ص. 52-53؛ للمزيد راجع أيضا:

ويذكر البغدادي أن مدينة أَرْزَن¹ كانت من أعمار نواحي أرمينية،² واعتبرت من أهم المراكز التجارية في المنطقة، وهي موطن أريسداكيس اللستيفرتي الأرمني مؤرخ القرن 5هـ/11م، الذي شبّهها بالعروس التي تزوجت حديثاً، وأشار إلى كثرة طرقها التجارية ووفرة السلع المعروضة في أسواقها والمتناسبة مع الطلب، وأثنى على الأخلاق الفاضلة التي يميّز بها تجار المدينة كالصدق والابتعاد عن الغش في المبادلات التجارية، وازدراء مكاسب الربا وأي معاملة غير مشروعة. ويضيف أن التجار ذهبوا إلى أبعد من ذلك حين قاموا بتشييد الكنائس وتزيينها وبناء بيوت خاصة بالرهبان وإطعام الفقراء والمحتاجين.³ وبذلك ذاع صيت تجارها واكتسبوا شهرة داخل أرمينية وخارجها.

وخلال حديث المؤرخ الرومي جورج سدرينوس Cedrinus عن هذه المدينة ذكر بأنها كانت أهلة بالسكان وغنية جداً، إذ توفرت فيها كميات هائلة من الذهب والفضة والأسلحة وبعض البضائع الأخرى الثمينة. سكنها تجار أرمن وأجناس أخرى من مختلف البلدان، ونظراً لاحتفاظ المدينة بالسكان فإن أهلها رفضوا البقاء داخل أسوار مدينتهم الحصينة،⁴ وانتقلوا للعيش خارجها للتخلص من الازدحام وتوفير متطلباتهم اليومية. وبذلك نمت وتطورت، وأضحت مدينة واسعة ومفتوحة، ومركزاً تجارياً رئيسياً للتبادل التجاري داخل أرمينية وخارجها.

HEYD Wilhelm: Histoire Du Commerce Du Levant Au Moyen-Age, Amsterdam, 1967, t. 1, pp. 44-45 ; MANANDIAN : op. cit. p. 146.

¹ يقول عنها الحموي في معجمه: " مدينة مشهورة قرب خلاط، ولها قلعة حصينة، وكانت من أعمار نواحي أرمينية...فتحت على يد عياض بن غنم بعد فراغه من الجزيرة سنة عشرين صلحا". مج. 1، ص. 150؛ ويذكر أبي الفداء أن أَرْزَن هي نفسها أَرْزَن الروم الواقعة شمالي غرب أرمينية والقريبة من حدود الروم. المصدر السابق، ص. 395؛ لكن الحموي والبغدادي والقلقشندي يذكرون أن أَرْزَن الروم هي مدينة أخرى من مدن أرمينية. الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 150؛ البغدادي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 55؛ القلقشندي: المصدر السابق، مج. 4، ص. 354.

² البغدادي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 55.

³ ARISDAGUÉS : op. cit. pp. 79,82.

⁴ اسكندر: الحياة الاقتصادية، ص. 54. نقلا عن:

CEDRENUS (G.) : Historiarum Compendium.

وأدى ازدهار النشاط التجاري بأرمينية إلى إعادة الاعتبار لعدة مدن مثل خلاط وأرزن وتغليس، والتي برزت بجانب المدن القديمة مثل دبيل وأزْدَسَاط وقاليقلا، وبناء على ما سبق يمكن القول أن من انعكاسات السيطرة الإسلامية على أرمينية تمثلت في تطوير وتنمية الإنتاج الأرميني في مختلف المجالات:¹ كالزراعة والتعدين والحرف والصناعة.² ونتج عن هذا الازدهار عددا هائلا من القرى والمدن، حتى أن الحموي قدره بحوالي ثمانية عشر ألف قرية،³ وحدد ابن الفقيه الهمذاني عدّة ممالكها بمائة وثلاث عشرة مملكة،⁴ وبذلك أضحى هذا الإقليم أحد أغنى ولايات الخلافة الإسلامية.

وهكذا تعاونت عوامل متعددة لتجعل من أرمينية مركزا تجاريا عالميا بارزا، أسهم في نموّه التجار رغم اختلاف أعراقهم من أرمن وعرب وفرس وروم وخزر وصقالبة وغيرهم، وساعد التبادل التجاري عبر مسالكها في تنوع ووفرة البضائع المتداولة في أسواقها.

6- الموارد المالية في أرمينية

مما لا شك فيه أن غنى الأراضي والبحيرات والأنهار الأرمينية بالثروات الفلاحية والسمكية، وتعدد الأنشطة الصناعية والمعدنية فيها، ورواج تجارتها الداخلية والخارجية، كلها أسباب حثّت المسلمين على فتحها والاستقرار فيها لما تدرّه على بيت مال المسلمين من أموال طائلة، ومنتجات عالية الجودة يُندر وجودها في غيرها من المناطق.

وإذا رجعنا إلى عقود الصلح المبرمة بين المسلمين والأرمن، نجد أن أرمينية حظيت بشروط صلح مميّزة، ويرجع ذلك إلى المقاومة العنيفة التي واجهها المسلمون في القلاع القائمة على جبال القوقاز، إضافة إلى تضاريسها الوعرة، وموقعها الجغرافي الإستراتيجي

¹ PASDERMADJIAN: op. cit. p. 140.

² بدأ الانتعاش الاقتصادي في أرمينية إبّان العهد الإسلامي ووصل إلى ذروته في ظل مملكة البجراطين الأرمينية التي هيأت الوسائل الملائمة لقيام حضارة راقية بمدينة أني خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. أنظر:

PASDERMADJIAN: op. cit. p. 140.

³ المصدر السابق، مج. 1، ص. 161؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 586.

⁴ المصدر السابق، ص. 586.

والفريد، وشدة برودة مناخ هذه المناطق الجبلية الشاهقة الارتفاع خاصة في فصل الشتاء، وهو مناخ لم يألفه المسلمون المعتادون على المناخ الصحراوي، وأمام هذه العوائق التي تحول دون الفتح الإسلامي لهذه الأصقاع البعيدة عن مركز الخلافة الإسلامية، أدرك المسلمون بثاقب نظرهم أن الاحتفاظ بأرمينية تحت السيادة الإسلامية مرهون برضا سكانها.¹ ولتجنب تمرد الأرمن أو بقائهم تحت سلطة الروم، منحهم المسلمون امتيازات تحقق السلام الدائم بين الطرفين،² خاصة فيما يخص تقدير مبلغ الجزية. ومن أهم الموارد المالية التي فرضها المسلمون على سكان أرمينية في هذه الحقبة الزمنية نجد:

أ - الجزية³

بعد عملية الفتح الإسلامي لأي منطقة، تفرض على سكان المدن المفتوحة الجزية، ويقدر مبلغها الخليفة، ولم يقدم المؤرخون والجغرافيون المسلمون تفاصيل وافية عن قيمة الجزية المفروضة على سكان أرمينية، إلا أنهم أشاروا إليها بصورة عرضة أثناء حديثهم عن عقود الصلح التي أبرمت بين قادة الفتح الإسلامي للمدن الأرمينية والأرمن، ففي هذا المقام يبلغنا ابن سلام (ت. 224هـ / 838م) أن حبيب بن مسلمة صالح سكان مدينة تغليس على أهل كل بيت ديناراً واحداً، بشرط ألا يجمع الأرمن بين مفترق من الأهالي لتخفيض مبلغ الجزية، ولا يفرق المسلمون بين مجتمع من الأهالي استكثر منهم للجزية.⁴ كما أخبرنا

¹ إسكندر: بلاد الكرج، ص 57-58.

² LAURENT (J.): op. cit. p. 2.

³ ضريبة على الأفراد يدفعها أهل الذمة مقابل حمايتهم كرعايا في دار الإسلام. ولا تفرض الجزية إلا على الأشخاص القادرين على أدائها، فلا تلزم الأشخاص الذين ليس لهم مدخول: بدون حرفة مثلاً أو المرضى والعجزة ... وقد ثبتت بالنص القرآني حيث قال تعالى: "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون". سورة التوبة: الآية : 29؛ والجزية تقابل الزكاة المفروضة على المسلمين، فالمسلمون يؤدون الزكاة الذميون يدفعون الجزية باعتبارهم رعية لدولة واحدة ويتمتعون بحقوق واحدة وينتفعون بمرافق الدولة العامة بنسبة واحدة. فإذا دخل ذمي في الإسلام تسقط عنه الجزية وتفرض عليه الزكاة. دليلة فركوس: تاريخ النظم (النظم الإسلامية السياسية والإدارية والمالية والقضائية والقانونية من القرن 7م، إلى القرن 15م)، أطلس للنشر، الجزائر، 1995م. ج. 2، ص. 98-99.

⁴ ابن سلام (أبي عبيد القاسم الهروي البغدادي (ت. 224هـ / 838م)): كتاب الأموال، تج. أبو أنس سيد بن رجب، دار الهادي النبوي، مصر، ط. 1، 1428هـ. 2007م. مج. 1، ص. 313.

الطبري أن عثمان بن أبي العاص صالح أهل أرمينية الرابعة سنة 19هـ / 640م، على كل أهل بيت ديناراً.¹

مما تقدم يتبين أن الجزية التي فرضها المسلمون على كل بيت من سكان مدينة تقيس ومدن أرمينية الرابعة مثل: قاليقلا، شمشاط، خلأط، أرچيش، بأجنيس² بلغت ديناراً واحداً من الذهب مهما يكن عددهم، تدفع كل سنة إلى المسلمين لقاء حمايتهم والمحافظة على أبنائهم وأهاليهم وصوامعهم وبيعهم، وحرية أداء طقوسهم الدينية وعباداتهم، وهو مبلغ زهيد جداً إذا ما قورن بما كانوا يدفعونه للروم والفرس من قبل.³

وذكرت مدن أرمينية أخرى فرضت عليها الجزية لكن المؤرخين لم يوردوا مقدارها، ويرجح أنها لا تختلف عن المدن السابقة الذكر، باعتبار اشتراكها في الظروف والمكان والزمان. حيث أورد الجغرافي ابن الفقيه الهمذاني في كتابه "البلدان" أن حبيب بن مسلمة فتح في عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان مدن أرمينية كثيرة صلحا على أن يؤدي سكانها إتاوة عن رؤوسهم.⁴ وحين زحف حبيب بن مسلمة إلى مدينة ديبيل طلب منه أهلها الأمان والصلح، فأجابهم لذلك مقابل دفع الجزية. ونقل لنا البلاذري العديد من نصوص الصلح التي عقدها حبيب مع سكان أرمينية، مثل أهل النشوى الذين صالحهم على مثل صلح ديبيل، وبطريق البُسْفَرَجَان وأهل القلاع بالسيِسَجَان وجرزان وباب اللان، وغيرها من المناطق.⁵ ويذكر أن سلمان بن ربيعة الباهلي لما غزا البيلقان وبرذعة ومسقط صالحه أهلها،⁶ كما

¹ الطبري: المصدر السابق، ج. 4، ص. 53؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 2، ص. 378.

² البلاذري، المصدر السابق، ص. 272-273؛ ابن خرداذبه، المصدر السابق، ص. 122؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج. 1، ص. 160.

³ صلاح الدين أمين طه: الموارد المالية في إقليم أرمينية خلال الحكم العربي 21هـ/652م - 247هـ/865م، مجلة: آداب الرافدين، العراق، 1981م. ع. 13، ص. 62.

⁴ ص. 589-590.

⁵ البلاذري: المصدر السابق، ص. 280 وما بعدها.

⁶ خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص. 163.

صالح ملك شروان، والشابران ومدينة الباب وغيرها من المناطق الأخرى.¹ ونصت هذه العهود على ضرورة دفع الأرمن للجزية.

ويمكن استثناء كتاب صلح سراقه بن عمرو وملك مدينة باب الأبواب شهربراز،² وفيه طلب هذا الأخير إعفاءه من دفع الجزية نظير نصرته للمسلمين على أعدائهم والامتنال لأوامرهم، فقبل سراقه وكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب بذلك، فأجازه وحسنه،³ وبناء على وثيقة الصلح الأخيرة، يتبين لنا أن المسلمين كانوا يفرضون الجزية على المغلوبين لقاء الدفاع عنهم وحمايتهم، فهي بدل الخدمة العسكرية، وتسمى ضريبة الدفاع، أما الذين يدافعون عن أنفسهم ويقاتلون عدوهم مع المسلمين فلا جزية عليهم.⁴

وهكذا انفرد الأرمن في تقرير مبلغ يسير من الجزية المفروضة، والتي ميزتهم عن غيرهم من المناطق المفتوحة، لأن المسلمين اعتبروهم بمثابة مفتاح للولوج إلى منطقة القوقاز الوعرة، ذات الجبال الشاهقة والبرد القارس، وأن كسبهم إلى جانبهم معناه سهولة بسط السيادة الإسلامية على هذه البقاع،⁵ التي يشكل فيها الأرمن كثافة سكانية عالية،⁶ بالإضافة إلى قوة فرسانهم وتفوقهم الحربي والحضاري على جيرانهم الكرج والأبخاز⁷ واللأن وأران والسيونيين،⁸ وغيرهم من سكان بلاد القوقاز.⁹ كما أن معظم سكان الإقليم من الفلاحين

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص 286-287.

² شهربراز: رجل من فارس، أصله من أهل شهربراز، نصبه الفرس ملكا على مدينة باب الأبواب وما جاورها. الطبري: المصدر السابق، ج 4، ص 156.

³ الطبري، المصدر السابق، ج 4، ص 155-156.

⁴ محمود شيت خطاب: المرجع السابق، الهامش رقم: 5، ص 142-143.

⁵ إسكندر: بلاد الكرج بين المسلمين والبيزنطيين، ص 57.

⁶ LAURENT: op. cit. p.9.

⁷ شعب يقطن حاليا شمال جبال القوقاز، بالقرب من جورجيا، ويشكل شبه دولة مستقلة عن جورجيا.

⁸ السيونيين: من العائلات الأرمينية العريقة والشريفة، يتمركزون جنوب أرمينية.

⁹ فايز نجيب إسكندر: بلاد الكرج بين المسلمين والبيزنطيين، ص 57.

الفقراء الذين يشتغلون في أراضي الإقطاعيين، ومن الحرفيين وعمال المناجم وغيرهم، إذ تكون قدرتهم على الدفع محدودة.¹

لذلك سعى المسلمون لتخفيف هذه الضريبة كلما شعروا بوطأتها على السكان، وخالفوا القاعدة التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب والتي تنص على وجوب الجزية على كل رجل حرّ وعاقل، وحدد مقدارها في أول الأمر على أهل الـوَرَق (الفضة) أربعين درهما،² وعلى أهل الذهب أربعة دنانير، ثم أعاد عمر النظر في مقدار الجزية، وتقرر على ضوء ذلك أن يدفع كل ذمي وفق غناه وطاقته، وعين مقدارها بثمان وأربعين درهما للأغنياء، وأربعة وعشرين درهما لمتوسطي الحال، واثنًا عشر درهما للفقراء.³

ومما يؤيد رغبة المسلمين في التخفيف على كاهل الأرمن في دفع الجزية، ما أورده المؤرخ داسكرانسي Dasxuranci أن جانشير Jaunchear حاكم كورة أرّان، أثناء زيارته لوالي الشام معاوية بن أبي سفيان، اشتكى له من ثقل الجزية المفروضة على كورته، خاصة وأنه كان يدفع ضرائب أخرى إلى الروم والخزر، فطلب تخفيفها، فلبى معاوية طلبه مباشرة وخفض مقدارها إلى الثلث، أي أنّ نسبة التخفيض كانت بحدود 33% عما كانت عليه سابقا لكي يتمكن الأرمن من دفعها.⁴

وحول مقدار الجزية المفروضة على سكان إقليم أرمينية إبان الحكم الإسلامي، أورد ابن حوقل ما نصه: "بأيديهم عهود للصدر الأول بإقرارهم على حالهم وأخذ الجزية منهم على ما جرت به مقاطعتهم، وكان بنو أمية وبنو العباس قد أقروهم على سكناتهم ويقبضون الرسوم عليهم من جباياتهم"⁵ ومن خلاله نستشف أن مقدار الجزية كان ثابتا في أغلب

¹ طه: الموارد المالية، ص. 63.

² إلا أن البلاذري يشير فيها أن عمر بن الخطاب بعد توليه الخلافة فرض على أهل الصلح جزية عن كل رأس أربعة دراهم. البلاذري: المصدر السابق، ص. 350.

³ طه: الموارد المالية، ص. 63.

⁴ المرجع السابق، نقلا عن:

DASXURANCI : The History of Caucasians Albanian.

⁵ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 294.

الأحيان. يضاف إليه أن المؤرخين والجغرافيين المسلمين لم يوردوا نصوصاً تشير إلى إجراء أي تغيير ملفت في مقدار دفعها. بناء على بنود اتفاقية السلام الإسلامية الأرمينية عام 33هـ/653م، بين والي الشام معاوية بن أبي سفيان والزعيم الأرمني تيودور الرشتوني، فإن الأرمن تم إعفاؤهم من دفع الجزية لمدة سبع سنوات، وبعد انقضاء هذه الفترة، سيحدد الأرمن بأنفسهم مبلغ الجزية التي يستطيعون دفعها.¹

ولما قامت الخلافة العباسية فرض حكامها على سكان أرمينية جزية قدر قدامة بن جعفر (ت. 328هـ/948م) متوسطها السنوي من الورق بأربعة ملايين درهم.² وبداية من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، بدلا من تعداد أنواع الضرائب من جزية وخراج، طبق على إقليم أرمينية نظام المقاطعة، والذي من خلاله فرض على الأمراء الأرمن أداء مبلغ معلوم من المال، إذ يذكر ابن خلدون أن أرمينية دفعت لبيت مال المسلمين ثلاثة عشر مليوناً من الدراهم في عهد الخليفة العباسي المأمون (198هـ-218هـ/813-833م).³

وجاء في كتاب "الخراج وصناعة الكتابة" لقدامة بن جعفر أن متوسط الجزية التي دفعها الأرمن للمسلمين بين سنوات 204-237هـ/819-852م كان لا يزيد عن تسعة ملايين درهم فقط. وأورد ابن الفقيه (ت. 340هـ/951م) في هذا الصدد أن "تقرير أرمينية ألفاً 4 وثلاثة وثلاثون ألفاً وتسع مائة وخمسة وثمانون درهماً"⁵ ومما لا ريب فيه أن هذه الجزية دفعت في الحقبة قيد الدراسة، إلا أنه لم يحدد تاريخها، وبما أنها كانت منخفضة جداً فلا بد أن الأرمن دفعوها إبان خضوعهم للحكم الأموي.

¹ SÉBÉOS : op. cit. p. 133.

² قدامة بن جعفر: المصدر السابق، ص. 177.

³ ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، تح. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، الجيزة، ط. 7، 2014م. ج. 2، ص. 550؛ اسكندر: الحياة العامة، ص. 59.

⁴ أي اثنين مليون درهم فضي.

⁵ المصدر السابق: ص. 592.

أما المؤرخون الأرمن فيذكرون أن مقدار الجزية شهد ارتفاعا كبيرا خلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين،¹ وبدأت هذه التغيرات التي أثقلت كاهل الأرمن مع انتقال الخلافة إلى العباسيين، إذ يذكر المؤرخ كروسيه Grousset أن الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح (132-136هـ / 750-754م) ولّى أخاه أبو جعفر المنصور على أرمينية، فقام هذا الأخير بفرض ضرائب قاسية على سكان أرمينية، ولضمان هوية دافعي الضرائب كان يضع ختم من الرصاص على رقبة كل شخص دافع للضرائب. وذهب إلى حد فرض الضرائب على الموتى، وقدم له الرهبان الأرمن مبالغ مالية طائلة من الذهب والفضة اتقاء لشره حسب زعمه.² وأضاف أن دافعي الضرائب الذين لم يتمكنوا من تسديد مستحقاتهم لجئوا إلى الانتحار من مرتفعات الجبال أو إغراق أنفسهم في الأنهار.³ وأشار في موضع آخر إلى استغلال الوالي المسلم الحسن بن قحطبة⁴ لثورة القائد الأرمني أرتفازد ماميكونيان Artavazd Mamikonian كذريعة لفرض ضرائب جديدة على السكان.⁵ يضاف إليها زيادة ابن دوكي حاكم مدينة دُبيل لمقدار الجزية المفروضة على سكانها.⁶

وفي نفس السياق يشير المؤرخ الأرمني باسدرماجيان Pasdermadjian إلى فرض المسلمين لجزية مرتفعة بشكل متزايد على الأرمن، حيث كانت ضريبة الرأس أو الضريبة الشخصية هي الضريبة الرئيسية المفروضة على جميع السكان، باستثناء النبلاء ورجال

¹ يورد المؤرخ الأرمني جيفوند، رواية مفادها أن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (106-126هـ / 724-743م) طلب من والي أرمينية الحارث بن عمرو الطائي (106-107هـ / 724-725م) أن يقوم بإحصاء سكان أرمينية، ليرفع لهم قيمة الضرائب المفروضة عليهم. أنظر:

GHÉVOND : op. cit. p. 100.

² GROUSSET: op. cit. p. 320.

³ Ibid. p. 324.

⁴ يذكر ابن الأعمى أن الحسن بن قحطبة جعل ابنه محمد أميراً على أرمينية الرابعة، وكان في هذه الناحية بطريق يقال له موشابذ، قاد ثورة ضد محمد بن الحسن بن قحطبة، بسبب حرص هذا الأخير على أخذ الأموال، حيث "كان لا يرى على هذا البطريق شيئاً حسناً إلا يأخذه". المصدر السابق، ج. 7، ص. 366-367.

⁵ GROUSSET : op. cit. p. 320.

⁶ Ibid. p. 338.

الدين الذين يدفعون ضريبة خاصة على حد قوله. وحدد مقدار الجزية التي دفعها الأرمن للمسلمين مع نهاية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي بحوالي عشر ملايين درهم سنوياً،¹ بهدف تلبية احتياجات المسلمين المتواصلة للمال.² غير أن مقدار الجزية التي فرضها المسلمون على سكان أرمينية كان معتدلاً، إذا قارنناه بما فرض على الولايات الإسلامية المجاورة لها مثل: بلاد الجزيرة وأذربيجان.³ يضاف إليه ما ذكره ابن حوقل حين قال: "فإن جبايتها وضرائبها على ملوك أطرافها تعرب عن حالها وتدلّ على حقيقة وصفها، وإن كانت تزيد وتقص في بعض الأوقات"⁴ ومن خلال هذا النص نستشف سعي المسلمين لتحقيق التوازن بين أوضاع البلاد الاقتصادية والجزية المفروضة عليها.

ولا شك أن ما ذكره كروسيه و باسدرماجيان بعيد عن الحقيقة، إذ أن المسلمين لم يفرضوا جزية يعجز سكان أرمينية عن دفعها، بل كانت سهلة الدفع وأقل كثيراً من الضرائب التي فرضها الفرس والروم من قبلهم. ومما لا ريب فيه أن التفاوت في مبلغ الجزية خلال فترات زمنية معينة يؤدي إلى حدوث ثورات داخلية من قبل السكان، إلا أن الظروف الداخلية والخارجية التي مرت بها أرمينية تطلّبت زيادتها، خاصة إذا علمنا أن هذا الإقليم معرض إلى هجمات الروم أو الخزر باستمرار، ويحتاج الدفاع عنه إلى أموال طائلة لسدّ النفقات المختلفة التي يتحمّلها والي المسلمين في الإقليم للمحافظة على الأمن والاستقرار في المنطقة. كما أن الإدارة الإسلامية بحاجة إلى الأموال للقضاء على الحركات الخارجية أو الموالية للروم التي تحدث داخل الإقليم مثلما حدث في سنوات: 81هـ/700م، 136هـ/755م، 154هـ/771م. يضاف إليها ما يقع على عبيء الخلافة الإسلامية من دفع لرواتب القوات الأرمينية والتي بلغت مائة ألف ديناراً سنوياً.⁵

¹ Op. cit. p. 140 ما يعادل مليوني دولار أمريكي.

² Ibid ; Aslan, op. cit. p. 290.

³ في عهد الخليفة العباسي المأمون (198-218هـ/813-833م) دفع سكان بلاد الجزيرة لبيت مال المسلمين أربعة وثلاثون مليون درهم، وسدّد أهل أذربيجان أربعة ملايين درهم، بينما فرض على سكان أرمينية ثلاثة عشر مليون درهم. ابن خلدون: المقدمة، ج. 2، ص. 550.

⁴ المصدر السابق، ص. 303.

⁵ طه: الموارد المالية، ص. 64-65.

والملاحظ أن المسلمين حققوا المساواة بين مختلف طبقات المجتمع الأرمني في عملية دفع الجزية، إذ تم تطبيقها على الجميع دون استثناء حتى شملت النبلاء، وما تعبير "على كل أهل بيت" الذي ورد في كتب الصلح المبرمة مع سكان أرمينية إلا دليل على معنى الشمولية في فرضها.¹ وهذا ما أشار إليه كروسية حين ذكر أنه حتى طبقة النبلاء لم تكن أقل معاملة من عامة الشعب، ويصور وضعهم في زمن الوالي المنصور بأنهم كانوا يدفعون جزية كبيرة من الذهب والفضة.² وفرضت كذلك على بقراط بقراطوني أمير أمراء أرمينية وأمير منطقة طارون Taron.³

ب- الخراج⁴

ذكر البلاذري في كتابه "فتوح البلدان" أنه فرض على الأراضي الأرمينية منذ الأيام الأولى من فتحها، وأورد أن القائد حبيب بن مسلمة وجه إلى قرى أرجيش وباجنيس من غلب عليها، وأتاه أعيانهم فصالحهم على خراجها. كما صالح سكان مدن دُبيل والنشوى والبُسفرجان وأهل القلاع بالسيسجان على خراج يؤدونه كل سنة.⁵ ويعد أداء ضريبة الخراج من بين الشروط التي فرضها الفاتح سلمان بن ربيعة الباهلي على سكان مدينتي البيلقان وبرذعة مقابل عقد كتاب الصلح.⁶

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 280 وما بعدها؛ طه: الموارد المالية، ص. 64.

² GROUSSET (R.) : op. cit. p. 320.

³ Ibid. p. 356.

⁴ ما يفرض على الأراضي غير المسلمة التي حصل عليها المسلمون، ويعقدون مع أهلها صلحا مقابل ضريبة الخراج التي قد تكون إما نقدية أي دفع مبلغ معين من المال وإما نوعية أو عينية أي دفع مقدار معين من الحاصلات الزراعية. ويتجلى الفرق بين الخراج والجزية في ثلاث نقاط، الأولى: من حيث الموضوع باعتبار الخراج ضريبة عقارية أي على الأراضي أما الجزية فعلى الرؤوس (الأفراد). والثانية: من حيث المصدر التشريعي فالخراج ثبت بالاجتهاد، وخاصة اجتهاد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتم الإجماع عليه. أما الجزية فقد نص عليها القرآن الكريم. وأخيرا من حيث السقوط: الخراج لا يسقط بالإسلام عكس الجزية المقابلة للزكاة المفروضة على المسلمين. دليلا فركوس: المرجع السابق، ص. 97 وما بعدها.

⁵ ص. 281-282.

⁶ نفسه، ص. 285-286.

واستثنى المسلمون سكان مدينة باب الأبواب من دفع الخراج، لظروفهم الخاصة التي أشرنا إليها أثناء حديثنا عن إعفاء سكانها من دفع الجزية، واستمرّ هذا الإعفاء طوّل العهد الأموي. وبعد انتقال حكم أرمينية إلى العباسيين حاول واليها سعيد بن سلم فرض الخراج على سكان مدينة باب الأبواب، فثار أهلها على أميرهم نصر بن عنان، وقالوا له: "أيها الأمير إن مدينتنا هذه لم يؤخذ منها خراج قط لأنها في نحر العدو وأهلها يحاربون الخزر"¹ لكنه رفض طلبهم وأمرهم بتأدية خراجهم، فأجابوه بمنع عامل الخراج من دخول مدينتهم وقتل بعض مرافقيه.²

ومثلت هذه الثورة فرصة سانحة للخزر الذين هجموا على مدينة باب الأبواب وتجاوزوها إلى بلاد الإسلام، وقتلوا من المسلمين عددا كبيرا، وسبوا منهم حوالي مائة ألف ما بين رجل وامرأة وصبي، ثم رجعوا إلى بلادهم. ونتيجة لذلك عزل الخليفة الرشيد بن المهدي والي أرمينية سعيد بن سلم، ثم ولّى مكانه يزيد بن مزيد الشيباني الذي منح لأهل مدينة الباب الأمان والرضا وأصلح أحوالهم.³ ومما لا شك فيه أنه أسقط عنهم أداء ضريبة الخراج التي ثاروا من أجلها. وأشار البلاذري (ت. 279هـ / 892م) إلى أن أهل مدينة باب الأبواب في زمنه كانوا لا يدعون أميرا يدخل مدينتهم إلّا ومعه المال ليفرقه عليهم.⁴

ولم يورد المؤرخون تفاصيل دقيقة عن مقدار الخراج الذي فرضه الفاتحون على كل مدينة وطريقة دفعه، وكيف كان يفرض، هل فرض على المساحة كما كان معمولاً به في السواد، أم عن طريق التقدير، وهل راعى المسلمون عند وضعه الظروف المعيشية في المدن وطبيعة السكان وتغيرات كمية الإنتاج، لتجنب إرهاق كاهل الناس، وإذا فرض الخراج تقديراً فهل كان مقداره ثابتاً أم متغيراً بتغير الظروف. يضاف إليه أن هذه المصادر لا تقدم بصورة واضحة حدود الأراضي التابعة لكل مدينة والمشمولة بهذه الضريبة.⁵

¹ ابن الأعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 382.

² نفسه.

³ نفسه، ج. 7، ص. 383-384.

⁴ نفسه، ص. 291.

⁵ طه: الحياة العامة، ص. 232.

ويذكر أن حبيب بن مسلمة الفهري صالح أهل تغليس على أراضي لهم وكروم وأرجاء، مقابل أداء خراج سنوي قدر بمائة درهم. وفي مطلع القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي اطلع والي أرمينية الجراح بن عبد الله الحكمي على هذا الصلح فأقره دون أي تعديل.¹ ويبدو مما تقدم أن المسلمين فرضوا مبالغ مالية بسيطة كضريبة للخراج، بهدف كسب ولاء ورضا السكان وتحقيق الاستقرار في أرمينية.

أوردت كتب الرحالة والمؤرخين المسلمين مقادير مختلفة لخراج أرمينية، ويرجع البلاذري هذا الاختلاف إلى شخصية الولاة المسلمين على أرمينية، وطبيعة علاقاتهم مع البطارقة الأرمن، إذ يقول: "ولم يزل بطارقة أرمينية مقيمين في بلادهم يحمي كل واحد منهم ناحيته، فإذا قدم الثغر عامل من عماله داروه، فإن رأوا منه عفة وصرامة، وكان في قوة وعدة أدوا إليه الخراج، وأذعنوا له بالطاعة وإلا اغتمزوا فيه واستخفوا بأمره"² وروى أن خالد بن يزيد بن مزيد ولي أرمينية في خلافة المأمون، فقبل من البطارقة هداياهم، وخالطهم حتى تجرؤا عليه وعلى من بعده من الولاة. ويقول في موضع آخر: "ثم ولي أرمينية عمال كانوا يقبلون من أهلها العفو ويرضون من خراجها بالميسور".³

وكان من نتائج ذلك اختلاف مبالغ وقوائم الخراج من فترة إلى أخرى، كما أن بعض الخلفاء الأمويين والعباسيين تعاملوا مع أرمينية وأذربيجان والجزيرة كإقليم واحد، وأسندوا له واليا يسيّر شؤونه ويجمع خواجه،⁴ الأمر الذي صعب أي محاولة لتقدير خراج أرمينية بشكل مستقل.

وذكر اليعقوبي أن خراج بلاد الكرج قدر بثلاثة ملايين وأربعمائة ألف درهم، ويتضمن هذا المبلغ مليونين درهم يدفعها مَلَأُك الرساتيق، وأربعمائة ألف درهم خاصة بالمشروبات بمختلف أنواعها.⁵ وخفف هذا المبلغ إلى ثلاثة ملايين وثلاثمائة ألف درهم خلال فترة حكم

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 284؛ ارجع إلى وثيقتي الصلح في الملحقين الثالث والرابع ص. 364-365.

² ص. 296.

³ نفسه.

⁴ ابن الأثير: المصدر السابق، مج. 4، ص. 407، مج. 5، ص. 544؛ راجع أيضا:

Unknown authorm : The regions of the world' A Parsian geography, p. 142.

⁵ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص. 84.

الخليفة العباسي الواثق (227-232هـ/842-847م)¹. بينما قدّر ابن خردادبة خراج أرمينية بأربعة ملايين درهم،² ولكنّه لم يذكر السنة التي جمع فيها هذا الخراج. أمّا ابن حوقل فقد أورد خراج جميع النواحي من أذربيجان وأرمينية وأزّان وما حولها، وذكر أنّه بلغ خمس مائة ألف دينار.³ والظاهر أنّه من الصعب استخراج خراج كل إقليم لمعرفة خراج أرمينية. ويمكن القول أن ما جاء به اليعقوبي وابن خردادبة وابن حوقل حول خراج أرمينية لا يمكن الاعتماد عليه في تكوين صورة واضحة عن تقدير خراج هذا الإقليم وذلك لتباين مقدار الخراج سنوياً نتيجة لتعرض أرمينية إلى الكثير من الأزمات الداخلية والخارجية، إذ تعرض هذا الإقليم إلى الكثير من المؤامرات الداخلية التي كان يثيرها الروم لاسترجاعه، إضافة إلى هجمات الخزر الكثيرة عليه، وأدى ذلك إلى عدم استقرار وارداته بين سنة وأخرى، كما أن للظروف المناخية أثراً كبيراً في ذلك.⁴

ولا توجد من الوثائق الواضحة عما دخل بيت مال المسلمين من واردات أرمينية سوى القائمة التي زوّدنا بتفاصيلها كل من الجهشيارى في مصنفه "الوزراء والكتاب" وابن خلدون في "المقدّمة" والتي يرجع تاريخها إلى عام 204هـ/ 819م، حيث تضمنت الموارد المالية والعينية "ثلاثة عشر ألف ألف درهم، البسط المحفورة⁵ عشرون بساطاً، الرّقْم⁶: خمس مائة وثمانون قطعة، المالح الشورماهي: عشرة آلاف رطل، الطريخ: عشرة آلاف رطل، البُرّة: ثلاثون بازيّاً، البغال: مائتا بغل".⁷

¹ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص. 84.

² المصدر السابق، ص. 124.

³ المصدر السابق، ص. 303.

⁴ طه: الموارد المالية، ص. 68.

⁵ كانت تعمل من الصوف أو الحرير، وغالباً ما تزين برسوم وزخارف من مشاهد الصيد والحدائق، ويسمى البساط المحفور أي السميكة. عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ص. 286.

⁶ يسمّيه ابن خلدون الرّقْم والصحيح ما ذكره الجهشيارى (الرّقْم)، وهو نسيج رسومه على شكل خطوط بدرجات متنوعة ودقيقة.

⁷ ص. 286؛ ابن خلدون: المقدمة، ج. 2، ص. 550-551.

من خلال القائمة يتبين أن أداء الخراج في إقليم أرمينية سنوياً كان نقدياً وعينيّاً، وهذا يخالف ما أورده المؤرخ الأرمني باسدرماجيان الذي ذكر أن المسلمين كانوا بحاجة ماسة إلى المال، وكانوا يطالبون الأرمن بدفع الضرائب نقداً ويرفضون قبول الضرائب العينية.¹ إذ ورد ضمن القائمة أيضاً البسط والبُرّة والأسماء والبغال، وهي ضرائب عينية دخلت بيت مال المسلمين. يضاف إليها أهراء الحنطة والشعير التي شيدها والي أرمينية مسلمة بن عبد الملك، وكانت الحبوب تنقل إليها من أداءات الخراج المفروضة على المدن المجاورة لها، مثل: أَرَان والممالك الممتدة على طول جبال القوقاز كقلعة السريّر وزَرِيكَرَان وتُومَان وحمزين وطَبَرَسَرَانْشَاه واللكز.²

ويذكر المؤرخ الأرمني جيفوند أن الأمراء الأرمن أهدوا والي أرمينية أبو جعفر المنصور،³ مجموعة من الملابس الباهضة الثمن، والجياد والبغال، طمعاً في تخفيف قيمة الخراج والجزية عليهم.⁴

ج- الزكاة وضرائب المعادن والمرور

الزكاة خاصة بالمسلمين وهي في نفس الوقت عبادة وصدقة وضريبة، تشمل هذه الضريبة العقارات والمنقولات، وتفرض في حالة توافر شرطين أساسيين: الأول بلوغ النصاب المقرر شرعاً، والثاني دوران الحول على ملكية الأموال.⁵ وهي تقع على عاتق القبائل العربية المسلمة التي سكنت أرمينية بعد الفتح الإسلامي. ولا يورد المؤرخون والجغرافيون المسلمون أي معلومات عن المبالغ المالية التي دخلت بيت مال المسلمين من أموال الزكاة المجموعة في أرمينية، والراجح أنها مساوية للمبالغ التي يدفعها المسلمون في أماكن أخرى، لأن الزكاة لها مقدار معلوم.

¹ Op. cit. p. 140.

² البلاذري: المصدر السابق، ص. 291 وما بعدها.

³ كان ذلك قبل تولي المنصور لمنصب الخلافة، فقد عين والياً على إقليم أرمينية من قبل أخيه أبو العباس السفاح.

⁴ GHÉVOND : op. cit. p. 124.

⁵ فركوس دليّة: المرجع السابق، ص. 93.

أما بالنسبة لضريبة المعادن فقد فرضها المسلمون على أهم المعادن المتوفرة في أرمينية، وهي الملح والنفط الذي استخرج من مدينة باكويه. وكان يزيد بن مزيد الشيباني وهو من ولاية أرمينية المشهورين، أول والي أرسل إلى نَقَاطَة أرض شروان ومَلَأَحَاتِها فجباها ووكل من يستلم هذه الجباية.¹ إلا أن المؤرخين لا يذكرون مقدارها وتفاصيلها.

كما أن موقع أرمينية الإستراتيجي والفريد بين الصين من جهة وأوروبا من جهة أخرى، جعلها ممرا تجاريا مهما بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، إذ كانت تجارة الحرير تمر عليها، إضافة إلى منتجات بلاد الخزر واللآن، وتجارة المدن المطلّة على نهر الدانوب وبحر البلطيق.² وكانت الإدارة الإسلامية قد فرضت الضرائب على كل القوافل التجارية التي تمر عبر الأراضي الأرمينية، ولا شك أن هذه الضرائب تشكل موردا سنويا مهما لبيت مال المسلمين، ولكن لا وجود لإشارات تدل على مقادير هذه الضرائب.³

وكانت هذه الموارد تجمع عادة سنويا وتحمل إلى بيت المال. وغالبا ما يكون جمعها بعد جني المحاصيل لتسهيل عملية دفعها. أما أوجه صرف هذه الأموال فكانت تصرف من خلالها رواتب العمال والموظفين المسلمين، ويذكر ابن الأَعمش أن والي أرمينية مسلمة بن عبد الملك كان يدفع لابن سويد الثعلبي أمير مدينة باب الأبواب مائة وعشرة دنانير كل سنة، إضافة إلى القمح والزيت وغيرها من المنتجات الاستهلاكية كل شهر. وصرفت هذه الموارد كرواتب للجند خاصة المرابطين في الثغور، ومساعدة الفقراء والمحتاجين، كما كان والي أرمينية يدفع رواتب الجنود الأرمن من هذه الموارد.⁴

وبذلك غدت أرمينية من أغنى أقاليم الخلافة الإسلامية، فملأت بيت المال بالأموال نتيجة وفرة الجباية المفروضة عليها. ونتج عن هذه الأخيرة زيادة نشاط الأرمن في العمل والإنتاج في كافة مجالات الحياة الزراعية والصناعية والتجارية، حتى يوفروا الأموال

1 البلاذري: المصدر السابق، ص. 295.

2 للمزيد من التفاصيل ارجع إلى: صلاح الدين أمين: الحياة العامة، ص. 247 وما بعدها.

3 طه: الموارد المالية، ص. 70.

4 ابن الأَعمش: المصدر السابق، ج. 8، ص. 259؛ طه: الموارد المالية، ص. 70؛ راجع أيضا:

والمنتجات المفروضة عليهم. وبعد أن كان اقتصاد أرمينية يعتمد أساساً على الاكتفاء الذاتي، انقلب في العهد الإسلامي رأساً على عقب، إذ تبدل إلى اقتصاد قائم على سياسة تصدير الفائض في الإنتاج الزراعي والحيواني والمعدني والصناعي، فنتج عن ذلك ازدهار التجارة، ونعمت أرمينية بقاعدة اقتصادية متينة صمدت أمام كل تقلبات العصر وويلاته. وعاش الأرمن في جميع ربوع بلادهم في سعة الرزق، وبسطة العيش، والنتعم بملذات الحياة. وكانت متطلبات العيش متوفرة وتباع بأثمان زهيدة على حد قول ابن حوقل.¹

7- الرخاء الاقتصادي في أرمينية على ضوء المصادر الإسلامية والأرمينية

كانت كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين سباقة في الإشارة إلى الرخاء والازدهار الاقتصادي الذي عاشته أرمينية في ظل الحكم الإسلامي، ولعلّ من أبرزها ابن الفقيه الذي يقول: "أنه لم ير بلداً أكثر خيراً، ولا أعظم حيواناً منها"² وأبو دلف الذي أفادنا بنصوص قيمة تتضمن غنى بلد الأرمن بالثروات الزراعية والحيوانية والمعدنية والصناعية.³ ووضح لنا الإصطخري المسالك التي أنعشت التجارة داخل أرمينية وخارجها.⁴

ولا ريب أن العنصر الأرمني كان في المستوى المطلوب لتحقيق متطلبات بلده، رغم كثرة التحديات، ففي هذا الصدد يصف ابن حوقل الأرمن قائلًا: "وأكثرهم أهل عافية وسلامة ورغبة في الخير وأهله وطلب المعاش والستر لما دهمهم من المصائب وتكاتف عليهم من النوائب".⁵ وأورد أيضاً معلومات تبين ارتفاع المستوى المعيشي لدى سكان إقليم أرمينية في فترة الحكم الإسلامي، حيث قال: "وبهذه الجبال والنواحي والمدن والبقاع التي ذكرتها من الرخص والخصب والمراعي والمواشي والسوائم والخيرات والبركات والمشاجر والأنهار والفواكه

¹ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 298؛ اسكندر: الحياة الاقتصادية، ص. 65؛ للمزيد راجع أيضاً:

PASDERMADJIAN : op. cit. p. 140.

² ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 586.

³ المصدر السابق، ص. 46 وما بعدها.

⁴ المصدر السابق، ص. 111، 128.

⁵ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 299.

الرطوبة واليابسة، والخشب... ما لا يُحاط بعلمه ولا يُبلغ كُنْههُ وملوكها بها من سعة الأحوال وتمتعهم بالنعم والملاذ والتّرف بالطيب والثياب والخدم".¹

وقدم لنا المقدسي في كتابه "أحسن التقاسيم" وصفا دقيقا لإقليم لأرمينية حين قال: "لما جَلَّ هذا الإقليم وطاب، وكثرت فيه الثمار والأعنان، وكانت مدنه من أنزه البلاد... خلاط... ورخصت به الأسعار، واشتبتك فيه الأشجار، وجرت خلاله الأنهار، وحوت جباله الأعسال، وسهوله الأعمال، وبواديه الأغنام... وهو إقليم للإسلام فيه جمال".² كما أشار القزويني إلى هذا الرخاء في كتابه "آثار البلاد".³

والملاحظ تطابق روايات الرحالة والجغرافيين المسلمين مع روايات المؤرخين الأرمن، إذ ذكر توماس أردزروني أن سكان أرمينية نعموا بالرخاء المادي، وقنعوا بخيرات ربهم. وفي سنة 262هـ/875م اهتم أمير البُسفرجان بالبناء والتعمير، حيث شيد المنشآت الهامة، واعتنى بمصالح الأرمن، وفي عهده انقطعت هجمات الخزر واستقرت الأوضاع السياسية في البلاد.⁴ ونجد مؤرخا آخر وهو إتين أسوليك الطاروني Etienne Asolik Taron يورد في مصنفه التاريخ العالمي "Histoire Universelle" رواية يقترب نصّها من ذلك الذي ذكره توماس أردزروني يقول فيها: "لقد عمّت الرفاهية والسلام آنذاك ربوع بلاد الأرمن... فتحوّلت القرى إلى مدن، نتيجة ارتفاع الكثافة السكانية وانتشار الثراء والرخاء حتى أن الرعاة والفلاحين ارتدوا الملابس الحريرية الثمينة".⁵

أما المدن الأرمينية فقد تطوّر إنتاجها الصناعي، واشتهرت بصناعة الفخار والخزف والمنتجات المعدنية والسجاد الأرميني والمنسوجات بمختلف أنواعها، وازدهر العمران في ربوع البلاد، وشيدت القصور الفخمة الحصينة والمنيعة، ونشطت التجارة الخارجية آنذاك في

¹ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 298.

² ص. 313.

³ ص. 524.

⁴ اسكندر: الحياة الاقتصادية، ص. 66، أنظر أيضا:

ARDZROUNI (T.): op. cit. p. 174.

⁵ اسكندر: الحياة الاقتصادية، ص. 67، أنظر أيضا:

MANANDIAN : op. cit. p. 138.

المدن العتيقة مثل دُبَيْل ووان، ونفس الأمر بالنسبة للمدن الحديثة مثل: خلاط وآني وقرص وأرزن.¹

ووصف البطريرك الأرمني جون كاثوليكوس Jean Catholicos أعمال ونشاطات سكان أرمينية في الحقبة الإسلامية حين قال: "زرعوا الكروم، وأقاموا حدائق من أشجار الزيتون، واستصلحوا الحقول البور... كانت هناك وفرة مفرطة في الشعير والقمح، وامتلأت مخازن الخمر، وأينعت الجبال وابتهج رعاة الغنم والبقر لكثرة المراعي وقطعان الماشية".²

إضافة إلى المؤرخ أريسداكيس اللستيفرتي الذي تحدث عن تطور وازدهار المدن الأرمينية. وزودنا بمعلومات مفيدة حول العديد من المراكز التجارية والصناعية، ومنها مدينة آني Ani التي بلغت أوجها في هذه الفترة.³ ومدينة أرزن Ardzen المبنية على قمة الجبل، ويستفيد سكانها من المنتجات المتنوعة التي يستخرجونها من بحرّها وبرّها، وكان لوفرة البضائع فيها دورا بارزا في تنشيط الحركة التجارية الداخلية والخارجية.⁴ وفي حديثه عن مدينة قارص يقول: "منذ القدم عاش سكانها في أمان واستقرار، وسط ثروات من كل الأنواع جمعت من البر والبحر".⁵

¹ اسكندر: الحياة الاقتصادية، ص. 67؛ راجع أيضا:

MANANDIAN : op. cit. p. 138 et suiv.

² op. cit. pp. 187-188 ; MANANDIAN : op. cit. p. 138 et suiv.

³ op. cit. p. 139.

⁴ op. cit. p. 79 ; BOURNOUTIAN. op. cit. p. 71.

⁵ Ibid, p. 89.

8- صناعة النقود الإسلامية في أرمينية¹

كانت العملات في عهد الخلفاء الراشدين والخلافتين الأموية والعباسية أساس المبادلات التجارية على المستويين المحلي ولاسيما الخارجي، لذلك احتلت مكانة اقتصادية كبيرة في التبادل التجاري.² وسكّت النقود في كل حواضر العالم الإسلامي³ في العصر الوسيط شرقا وغربا، فضربت السكّة في الشام والعراق وبلاد فارس وأرمينية ومصر والمغرب الإسلامي والأندلس وغيرها من الأقاليم الإسلامية.

واختلفت النقود الإسلامية من حيث الحجم والشكل والوزن باختلاف الأقاليم، وعرف المكان الذي تسكّ فيه باسم دار الضرب أو دار السكّة، لذلك تعتبر دار الضرب في الدولة الإسلامية من أهم مقومات المجتمع خلال العصر الوسيط، خصوصا في مجال الاقتصاد النقدي. وكانت مهمة دار الضرب في بداية الأمر تتلخص في صناعة وإنتاج النقود لسدّ حاجيات بيت المال والسكان، ولما قامت حركة الإصلاح النقدي على عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65-86هـ. 684-705م.) صارت دار الضرب مؤسسة كاملة الصلاحيات، تضطلع بمهمة استبدال العملات القديمة المستهلكة أو تلك التي ألغيت وأوقف

¹ أنظر صورة الوجه الأول لدرهم فضي تم سكّه في أرمينية، الملحق السادس عشر، ص. 368؛ وصورة الوجه الثاني له، الملحق السابع عشر، ص. 369.

² بخيت: المرجع السابق، ص. 151.

³ يرجح العديد من المؤرخين فرضية تطور النقود الإسلامية عبر مراحل مختلفة، بداية من فترة الفتوحات الإسلامية للعراق بعد معركة القادسية، حيث أضاف المسلمون على المسكوكات الساسانية -زمن الخليفة عمر بن الخطاب- كلمات عربية منها البسملّة (بسم الله) ومحمد وبركة. وبناء على روايتهم اعتبرت تلك المسكوكات الأولى التي حملت الخط العربي، واستمرت زمن الخلفيتين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب. في العهد الأموي أضاف لها الخليفة معاوية بن أبي سفيان عبارة (معاوية أمير أورشكان) بالخط الفهلوي على المسكوكات الساسانية، وترجمتها معاوية أمير المؤمنين. وبعدها استمرت في التغير حتى أكمل تعريبها وتخليصها من التبعية الأجنبية الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65-86هـ) في سنة 77هـ. بالنسبة للدنانير الذهبية، و78هـ. بالنسبة للدراهم الفضية. غير أن الباحث صالح بن قرية ينفي حدوث هذا التطور ويذكر أن العملة الإسلامية ضربت في عهد عبد الملك بن مروان سنة 77هـ. المقرئزي تقي الدين: رسائل المقرئزي، تح. رمضان البدري وأحمد مصطفى قاسم، دار الحديث، القاهرة، ط. 1، 1419هـ. 1998م. ص. 160 وما بعدها؛ ناهض عبد الرزاق: المسكوكات وكتابة التاريخ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988م. ص. 20 وما بعدها؛ ندوة حول: تطور الخط العربي على المسكوكات الإسلامية والعمائر والفنون التطبيقية، الإشراف: صالح بن قرية، مخبر المخطوطات-جامعة الجزائر، الجزائر، 2020م.

التعامل بها، زيادة على تأمين الإصدارات الجديدة منها، وتخزين كميات كبيرة من المعادن الثمينة كالذهب والفضة في مخازن خاصة بها، بهدف تقديم خدمات احتياطية في المناسبات والتحديات التي يمكن أن تواجهها الخلافة.¹

ولم يهمل المسلمون في فتوحاتهم أهمية دور الضرب في الأقطار التي فتحوها، بل عملوا على استغلالها والاستفادة من دور الضرب التي كانت خاضعة للفرس والروم.² وبعد أن استقر أمر الخلافة لعبد الملك بن مروان شهدت هذه الفترة إنشاء دور لسكّ الدراهم، ومن أهمها أرمينية،³ التي ضرب فيها أول درهم فضي أموي سنة 78هـ / 697م،⁴ ونصوصه حملت جملة من العبارات، **مركز الوجه**: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. **الطوق (الهامش)**: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. **مركز الظهر**: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. **الطوق (الهامش)**: بسم الله ضرب هذا الدرهم بأرمينية سنة ثمان وسبعين.⁵

وفي عام 102هـ / 721م ضرب في أرمينية درهم فضي آخر. **الوجه**: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. **الظهر**: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.⁶

¹ صالح بن قربة: المسكوكات المغربية في حضارة الغرب الإسلامي، مخبر المخطوطات-جامعة الجزائر، الجزائر، 2006م، ص. 27.

² نفسه، ص. 27.

³ مأمون عبد الله القصير: النقود الإسلامية في القرن الهجري الأول، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، (د. ت.)، ص. 119.

⁴ بقيت عملة واحدة منه في العالم محفوظة في المتحف العراقي. محمد أبو الفرج العث: النقود العربية الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، قطر، ط. 3، ص. 31.

⁵ ناهض عبد الرزاق: المرجع السابق، ص. 26-27.

⁶ بخيت: المرجع السابق، ص. 151.

ويرجع بعض الباحثين سبب ضرب الدراهم الإسلامية الأولى في أرمينية إلى تخليد الانتصار الكبير الذي حققه الجيش الإسلامي على الجيش الرومي في أرمينية سنة 73هـ.¹ زيادة على ذلك كثرة المعادن التي يزخر بها الإقليم، لاسيما الذهب والفضة² اللذان يمثلان المادة الأولية والعامل الرئيسي لضرب العملة. إذ يذكر أن الأرمن تمكنوا أواخر القرن (2هـ/8م) من سك كمّيات كبيرة من العملة الفضة، بعد اكتشافهم للعديد من مناجم الفضة في المنطقة الشمالية الغربية لأرمينية.³

ومن الحقائق التاريخية التي يمكن استنتاجها من هذا الفصل نذكر:

أولا : تحدّث العديد من المصادر الإسلامية والأرمينية عن تنوع ووفرة وجود المنتجات الفلاحية الأرمينية وتنوع ثرواتها المعدنية والطاقوية. وفي هذا الصدد عرفت كل مدينة أرمينية بأنواع معينة من الغلات والموارد التي تميّزها عن غيرها، والفضل في ذلك يرجع إلى عوامل عديدة، أهمها: المناخ والتضاريس الملائمة، وخصوبة التربة ووفرة المجاري المائية والبحيرات العذبة والموارد الأولية.

ثانيا : نتج عن غنى الإقليم بالثروة المعدنية وكثرة المناجم المنتشرة في مختلف ربوع البلاد، ووفرة الإنتاج الزراعي والحيواني، نهضة صناعية وحرفية ذاع صيتها محليًا وخارجيًا.

ثالثا : هناك عوامل متعددة جعلت إقليم أرمينية مركزا تجاريا عالميا بارزا، أسهم في نموّه التجار رغم اختلاف أعراقهم، من أرمن وعرب وفرس وروم وخزر وصقالبة وغيرهم من الأعراق الأخرى، وساعد التبادل التجاري عبر مسالكها في تنوع ووفرة البضائع المتداولة بأسواقها.

رابعا : كانت أرمينية من أغنى أقاليم الخلافة الإسلامية، حيث ملأت بيت المال بالأموال نتيجة وفرة الجباية المفروضة عليها. ونتج عن هذه الأخيرة زيادة نشاط الأرمن في

¹ بخيت: المرجع السابق، ص. 27.

² ابن حوقل: المصدر السابق، ص ص. 298-299.

³ GHÉVOND : op. cit. p. 149.

العمل والإنتاج حتى يوفروا الأموال والمنتجات المفروضة عليهم. وبعد أن كان اقتصاد أرمينية يعتمد أساساً على الاكتفاء الذاتي، أضحى في العهد الإسلامي قائماً على التصدير، ونتج عنه ازدهار التجارة الداخلية والخارجية.

خامساً : يمكن القول أن المسلمين عملوا على تهيئة المناخ الملائم لقيام نشاطات اقتصادية في المنطقة، يتحكم الأرمن في مدى تطورها وازدهارها لأنهم منحوا الحرية في تسير شؤونهم الاقتصادية. إضافة إلى طبيعة الأرمن الذين يقدسون عملهم، ويميلون إلى السلم والهدوء، رغم أن بلدهم كان مسرحاً للعديد من الحروب بين القوى العظمى المتصارعة عليه.

الفصل السادس

العلاقات الإسلامية-الأرمنية 41-271هـ/661-885م

- 1- العلاقات السياسية
- 2- الروابط الاجتماعية
- 3- العلاقات الاقتصادية
- 4- العلاقات العلمية والثقافية
- 5- العلاقات الفنية
- 6- الكنيسة الأرمنية في ظل الحكم الإسلامي

تمثل العلاقات الإسلامية-الأرمنية في ظل التواجد الإسلامي في أرمينية، حلقة وصل بين العلاقات العربية-الأرمنية الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، غير أن أهم ما ميّز الحقبة الزمنية المذكورة، هو استيطان القبائل العربية في إقليم أرمينية، الأمر الذي فتح المجال واسعا أمام اتصال مباشر بين الطرفين، شمل مختلف الأصعدة: السياسية والحضارية والدينية. ومن هذا المنطلق يحاول الفصل العثور على إجابات للتساؤلات التالية: هل اقتصرت العلاقات الإسلامية الأرمنية على الجانب العسكري فقط أم تعدّته إلى جوانب أخرى؟ ما هي أبرز مظاهر امتزاج العنصر الأرمني مع العنصر الإسلامي؟ ماذا نتج عن الاحتكاك الحضاري الإسلامي-الأرمني؟ ما مدى صحّة الروايات القائلة بأن المسلمين مارسوا الاضطهاد الديني، وحاولوا إرغام الأرمن على اعتناق الديانة الإسلامية؟

1- العلاقات السياسية

إن فتح المسلمين لأرمينية لا يعني أن العلاقات الإسلامية-الأرمنية اقتصرت على الجانب العسكري فقط، فلئن كانت رحى الحرب قد دارت في وقت من الأوقات في منطقة معينة من أرمينية، فإن التفاعل بين المسلمين والأرمن كان قائما في أماكن أخرى، في أرمينية أو خارجها، وذلك بأشكال مختلفة وفي ميادين متعددة.

ولم يبدأ التفاعل العربي-الأرمني من غزو المسلمين لأرمينية، بل يمتد بجذوره إلى أعماق التاريخ. حيث انطلق فعليا منذ عهد الملك الأرمني ديكران الثاني (95-555 ق.م.) الذي وصل في فتوحاته جنوبا إلى بلاد الشام ومكث فيها ثمانية عشر سنة.¹ وساد في السنوات السالفة الذكر النظام والأمن في هذه المناطق وازدهر النشاط الاقتصادي والثقافي، وكانت تلك الحقبة الزمنية أول تجربة تاريخية للتعايش بين العرب والأرمن في مملكة واحدة، والذي أدّى مع مرور الوقت إلى فهم أفضل لأفكار وعادات وتقاليد الطرفين.² ويقال أن وصول نفوذ ديكران الثاني إلى الساحل الفينيقي قد أنشأ تفاعلا حضاريا بين الأرمن والعرب،

¹ سلمانيان: المرجع السابق، ص. 13.

² مرفات كوما: المرجع السابق، ص. 18.

وبداية من هذا التاريخ شرع الأرمن في الهجرة إلى المنطقة العربية فاستقروا فيها وأضحوا من أبنائها الأوفياء.¹

وذكرت المصادر التاريخية أن الجيش الأرمني في هذه الفترة كان يضم بين تشكيلاته العسكرية فرقة عربية قاتلت معه في حروبه التي جعلت دولته تمتد من بحر بنطس إلى بحر قزوين، ومن بحر الروم حتى حدود بلاد فارس. كما كانت جيوش الملك الأرمني أردافست Ardafast بدورها تحوي بعض الكتائب العربية ضمن صفوفها. والملاحظ أن هذه العلاقات التي اتخذت في بادئ الأمر صبغة عسكرية، ما لبثت أن تطورت مع مرور الوقت إلى علاقات أكثر رسوخاً وصداقة، عندما توجه البطريرك أبراهام إلى مكة المكرمة، وأظهر دينه ومبادئه للنبي صلى الله عليه وسلم وطلب منه الأمان والحماية لرهبان الأرمن وأوقافهم في القدس، فقدم له النبي صلى الله عليه وسلم عهداً مهوراً بخاتمه.² بيد أن هذه الرواية لا يمكن الجزم بصحتها، لأن المصادر الإسلامية لا تشير إليها، فلو صحّت لأوردها الرواة ضمن أخبار السيرة النبوية، لأنها تعتبر من الأحداث البالغة الأهمية.

وتتابع الروايات الأرمنية حديثها بالقول أن الخليفة عمر بن الخطاب لما قرأ هذا العهد وافق عليه.³ وتطورت هذه العلاقات وصارت متميزة أيام الحكم الإسلامي لأرمنية الذي دام زهاء القرنين والنصف من الزمن (19-271هـ. 640-885م)، وخلالها أمن الأرمن على كامل حقوقهم في ممارسة شعائهم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم بكل حرية، منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب. الأمر الذي هياّ الجو المناسب لمشاركة الأرمن في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية للخلافة الإسلامية، لما اتسمت به هذه الفترة من توفير للأمن والاستقرار. زيادة على ذلك فإن العديد من القبائل العربية سكنت أرمنية إلى

1 العبد الله عبد الله شاهر: الاقتصاد بين العرب والأرمن، بحث مقدم في: الندوة العلمية الدولية عن الاقتصاد بين العرب والأرمن، 29 مارس 2010م. ص. 30.

2 انفردت المصادر الأرمنية دون غيرها بسرد تفاصيل هذه الرواية، وجاء في نص العهد: "أنا محمد بن عبد الله رسول الله تعالى أعطيت هذا العهد إلى شعب أبراهام البطريرك والي المطارنة والرهبان الأرمن الذين يقيمون في القدس ووهبت لهم كنائسهم ودورهم وأوقافهم وأراضيهم". صورة هذا العهد موجودة في كنيسة القديس يعقوب Jacob. جان جاك سلمانين: المرجع السابق، ص. 13، نقلاً عن: الخيمي: الأرمن في سورية. والظاهر أن هذه الرواية تتناقض مع مجريات الأحداث التاريخية المذكورة في المصادر الإسلامية، لأن فتح القدس وفق هذه الأخيرة حدث في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وليس في العهد النبوي. وبالتالي فإن البطريرك الأرمني المتواجد في القدس لم يكن بحاجة إلى هذا العهد.

3 المدور: المرجع السابق، ص. 476.

جانب الأرمن، وبرزت منها أسر حاكمة في بعض المناطق الأرمنية،¹ وكان لها أثرا بارزا في العلاقات السياسية الإسلامية-الأرمنية.

وظل الأرمن يتمتعون بالحماية الكاملة في ظل الدولة الإسلامية، واستمر الخلفاء بعد الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا العهد، سواء في العهد الراشدي أو الأموي وبعده العباسي. وفي المقابل لهذا الاتفاق الودي بين الشعبين، الذي بدأ منذ ما قبل الميلاد عن طريق الغزو الأرمني لبلاد الشام، فإن العرب بدورهم فتحوا أرمنية للحد من هجمات الروم على حدودهم الشمالية. وبذلك توثقت الأغراض السياسية بالمصالح الأساسية للشعبين عبر العهود الإسلامية الأولى المقدمة إلى سكان أرمنية وقادتها.² وبتفصيل أكثر يمكننا أن نستدل على هذه العلاقات عبر الموثائق والعهود التالية:

إذ ترجع جذور العهود بين العرب والأرمن إلى عام 19 هـ / 640م. ففي هذه السنة كتب القائد المسلم عياض بن غنم عهدا لبطريق مدينة خلاط تضمن دفع جزية سنوية لبيت مال المسلمين مقابل الأمان لسكان مدينة خلاط.³ ويذكر أن الفاتح حبيب بن مسلمة زحف إلى مدينة ديبيل، وأعطى الأمان التالي لسكانها: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من لدن حبيب بن مسلمة إلى المسيحيين والمنجمين واليهود في مدينة ديبيل إلى حاضريهم وغائبهم، كونوا آمنين فإنه لا يوجد عليكم أي تهديد على حياتكم ولا على أموالكم ولا على معابدكم ولا على كنائسكم ولا على أسوار مدينتكم، وإننا مستعدون لحماية واحترام هذه المعاهدة طالما تدفعون الضريبة على أموالكم المنقولة وغير المنقولة، والله شهيد على ما أقول وكفى بالله شهيدا" وختم حبيب هذه المعاهدة بختمه الخاص.⁴

وفي عام 33 هـ / 654م. أبرم ملك أرمنية تيودور الرشتوني معاهدة صلح⁵ مع والي الشام معاوية بن أبي سفيان، تضمنت منح الأرمن الحكم الذاتي وإعفائهم من دفع الجزية

¹ شاهر: المرجع السابق، ص. 29 وما بعدها.

² المدور: المرجع السابق، ص. 476-477.

³ البلاذري: المصدر السابق، ص. 280.

⁴ استارجيان: المرجع السابق، ص. 164.

⁵ وانفرد المؤرخ الأرمني سبيوس دون غيره من المؤرخين الأرمن والمسلمين والبيزنطيين بتزويدنا بالنص الكامل للاتفاقية المبرمة بين المسلمين والأرمن، وذكر أن زعيم الإسماعيليين (يقصد بذلك والي الشام معاوية بن أبي سفيان) تفاوض مع تيودور الرشتوني وقال له: "ليكن اتفاق بيني وبينك، لمدة زمنية تحددها أنت، لن أفرض عليك أي جزية لمدة سبع سنوات، ولكن وفقا لهذا التعهد ستدفع بعدها الجزية التي تريد دفعها، وستحتفظ بجيش مكون من خمسة عشر ألف فارس في بلدك، تزوده بالخبز، وسأخذه في الحساب عند حساب الجزية، ولن أطلب من فرسانك المجيء إلى الشام، لكن

لمدة سبع سنوات مقابل مساندتهم للمسلمين في حربهم ضد الروم داخل أرمينية. وعندما سمع إمبراطور الروم "هيروكوليس" نبأ هذه الاتفاقية اشتد غضبه وطلب من الملك الأرمني العدول عنها، إلا أن هذا الأخير رفض ذلك، مما دفع بالإمبراطور إلى تسيير جيوشه نحو أرمينية، ولجأ تيودور الرشتوني لطلب مساعدة حليفه معاوية بن أبي سفيان. عندما بلغه هذا الطلب من لدن تيودور لم يتردد معاوية في إرسال جيش قوامه عشرة آلاف جندي انضم إلى القوات الأرمنية، وهاجما معا الحاميات الرومية وأجبروها على الانسحاب من الأراضي الأرمنية. وعندما علم معاوية بأمر هذا الانتصار دعى الملك الأرمني تيودور الرشتوني إلى دمشق، فسافر إليها هذا الأخير ودخلها بموكب رسمي حافل، وكان في استقباله كبار القادة العسكريين وعلماء الدين المسلمين.¹

منحت عهود الصلح وكتب الأمان التي أصدرها عدد من القادة المسلمين البارزين مثل: حبيب بن مسلمة الفهري وسلمان بن ربيعة الباهلي، الحق للأرمن في ممارسة شعائهم الدينية بكل حرية، والمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم وتراثهم، الأمر الذي وقرّ الجو المناسب لنشاط الأرمن في الخلافة الإسلامية، وأفسح المجال أمام مشاركتهم في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية للدولة.²

ومع تولي معاوية بن أبي سفيان للخلافة الأموية (41-60هـ/661-679م)، نَعِم الأرمن والمسلمون بعلاقات جيدة، وفق ما تناقلته العديد من المصادر التاريخية الموثوقة، وما يؤكد ذلك هو الاجتماع الذي عقده جثليق الأرمن نرسيث الثالث وأمراء الأرمن ونبلاؤهم، سنة 41 هـ/661م، وأكدوا خلاله تمسكهم بمعاهدة الصلح الأرمنية-الإسلامية التي انعقدت سنة 33هـ/654م. وأعقبها زيارة إلى دمشق قام بها حاكم أرمينية كريكور ماميكونيان، رفقة الأمير سمباط، ووجدا من الخليفة حفاوة وترحيبا كبيرين.³ وبذلك توثقت العلاقات بروابط

عليهم الاستعداد للذهاب إلى أي مكان يؤمرون بالتوجه إليه، ولن أرسل أي أمير إلى حصونكم، ولا أي قائد عربي ولا فارسا واحدا، ولن نسمح بدخول أي عدو إلى أرمينية، وإذا زحف البيزنطيون لقتالك فإرسال جنودا لمساعدتكم، بالأعداد التي تطلبونها، أتعهد بذلك أمام الله". أنظر:

SÉBÈOS, op.cit. p.133.

¹ المدور: المرجع السابق، ص. 480.

² أرشاك بولاديان: المرجع السابق، ص. 8.

³ GHÉVOND : op. cit. p. 14-15.

سياسية واجتماعية، كما تمتع سكان أرمنية في هذه الفترة بمكانة مرموقة، سواء داخل أرمنية أو في الأقاليم الإسلامية الأخرى.¹

وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-719م) حظي العنصر الأرمني بمكانة بارزة، وساد السلم والهدوء أرجاء البلاد.² ويورد المؤرخون الأرمن رواية تحمل في طياتها دلالات بارزة في تاريخ العلاقات العربية-الأرمنية أيام حكم هذا الخليفة الزاهد. فخلال هذه الفترة كان بطريك أرمنية يوفهانيس أودزنييتسي Youvhanes Odznetsi أعظم شخصية في أرمنية والشرق، "رجلا متعلما ومقدسا وجذابا جسديا وحتى روحيا"³ اشتهر بمصنفاته وبلاغته وثقافته العميقة في الشعر والآداب والفلسفة واللاهوت، وألف العديد من أجزاء الكتب الطقسية للكنيسة الأرمنية. وكان عامِل الخليفة عمر في أرمنية يصف دائما في رسائله البطريرك الأرمني يوفهانيس ويشيد بأخلاقه الطيبة، فتاق الخليفة العادل إلى التعرف على هذه الشخصية الفذة، فوجه له الدعوة لزيارة دمشق، ولَبَّى البطريرك الدعوة، وتوجه نحو عاصمة الخلافة دمشق حيث استقبل بكل حفاوة وإكرام غير مسبوقين.⁴

ويذكر المؤرخ الأرمني جندزاكيتس Gandzakets في مؤلفه بأن الخليفة سأل البطريرك عن حاجته، فقال لست أريد شيئا لنفسى وإنما أريد ثلاثا لقومي، ولما استوضحه عن هذه المطالب قال البطريرك: "لدي ثلاثة مطالب من السهل عليك أن تحققها، أولا: لا تجبر المسيحيين على ترك إيمانهم، واترك كل واحد لرغبته، ثانيا: لا تقيد حرية الكنيسة من خلال الضرائب، ولا تأخذ شيئا من الكهنة⁵ أو الشماسية،⁶ ثالثا: حيثما يوجد مسيحيون في بلادك دعهم يمارسون طقوسهم دون خوف، وسيخضع لك الأرمن كلهم". وافق الخليفة عمر بن

¹ شاهر: المرجع السابق، ص. 31.

² GHÉVOND : op. cit. p. 41; GANDZAKETS: op. cit. p. 25.

³ GANDZAKETS: op. cit. p. 25.

⁴ أديب السيد: المرجع السابق، ص. 88-89؛ للمزيد أنظر أيضا:

GANDZAKETS: op. cit. p. 25.

⁵ مفردا كاهن، وهو مرادف للقب قس، أحد الرتب الدينية المسيحية.

⁶ خدمة الكنيسة المسيحية.

عبد العزيز على هذه المطالب، وقدّم له العديد من الهدايا، وأرسل فرقة من الجيش الإسلامي لمرافقته في رحلة عودته إلى أرمينية، التي وصلها غانما ومعرزا مكرما.¹

أما خلال فترة حكم الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك (101-105هـ/720-724م) فقد تعاون الأرمن والمسلمون معا، لصد هجمات الخزر، وتمكنوا من دحرهم. واستمر هذا الأمر في ظل الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م) طوال عشرين سنة، إذ كانت أرمينية خلالها ساحة لحروب طاحنة مع الخزر،² وبالرجوع إلى شهادة المؤرخ الأرمني جيفوند، فإن الجيشين الأرمني والإسلامي تمكنا سنة 222هـ/837م، من السيطرة على مدينة بلنجر الخزرية، بعدما ألحقا هزيمة نكراء بالجيش الخزري.³

ونتيجة لذلك تم تكريم ملك أرمينية أشوط حين قدم إلى دمشق، لترسيخ تحالف الجيشين الإسلامي والأرمني ضد عدوهم المشترك الخزر. ويذكر أن الخليفة هشام استقبل حليفه البطريق أشوط استقبالا حافلا وأكرمه غاية الإكرام، وأمر باستئناف دفع الرواتب للقادة الأرمن وفرسانهم الموقوفة قبل قدوم الملك أشوط بثلاث سنوات. والتي قدرت بمعدل مائة ألف درهم سنويا.⁴

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن أرمينية عرفت ازدهارا ملحوظا في عهد الخليفة هارون الرشيد (169-193هـ/786-809م) الذي كان حكيما ورشيدا، من خلال انتهاجه لسياسة متوازنة وبخاصة تجاه الأرمن.⁵ إذ تحدثت المصادر التاريخية بكثرة عن العلاقات الودية التي ربطت الخلافة بالدولة الكارولنجية في عهد شارلمان، وبرزت من خلال الوفادات المتبادلة بين الطرفين. ونظرا لتعامل الخليفة مع عاهل مسيحي، فإن الظروف حثّت عليه تعيين مسيحيين على رأس أعضاء سفارته، المتوجهة صوب بلاط الملك شارلمان. وكان

¹ GANDZAKETS: op. cit. p. 25-26.

² GHÉVOND : op. cit. p. 101-102.

³ Ibid. p. 112.

⁴ Ibid. p. 111-112.

⁵ محمد رفعت، المرجع السابق، ص. 18؛ غير أن المؤرخ الأرمني جيفوند ذكر رواية تفقد هذا الخبر، إذ أشار إلى أن هذه الحقبة التاريخية، عرفت ارتفاعا ملحوظا في مقدار الضرائب التي كان يدفعها الأرمن لبيت مال المسلمين، ورغم محاولة جثليق أرمينية يساياس (كان على رأس الكنيسة الأرمينية في الفترة الممتدة من 775 إلى 788م) استعطاف الوالي، بهدف تخفيف الضرائب التي طالب بها، إلا أنّ جميع محاولاته باءت بالفشل. وأرسل هذا الأخير "جباة الضرائب إلى مختلف أرجاء البلاد، وأمرهم بجمع الضرائب بأضعاف ما كانت تجمع طوال عام واحد". أنظر:

GHÉVOND : op. cit. p. 161-162.

يعتبر أن الأرمن هم القادرين على تولي شؤون هذه السفارة البالغة الأهمية، في بلاد الفرنجة.¹ وتجدر الإشارة إلى أن هذا الوفد ضم اثنتا عشر مستشارا أرمنيا، مختصا في الشؤون العسكرية والسياسية.²

وفي عهد الخليفة المعتصم (218-227هـ/833-841م) تولى الأمير الأرمني أبو الحسن علي بن يحيى ولاية الثغور الشامية، وكان يقوم بغزو الروم كل سنة مرتين ويعود بالغنائم إلى الخليفة. ونظرا للمكانة المرموقة التي كان يتمتع بها لدى الخليفة، فقد طلب من هذا الأخير العفو عن أسرة أردزروني التي تارت ضد الحكم الإسلامي في أرمنية، فعفى الخليفة عنهم إكراما لقائده، وسمح لهم بالعودة إلى بلادهم.

وبناء على مساعي الأمير علي بن يحيى الأرمني، ونزولا عند رغبة سكان أرمنية وافق الخليفة المتوكل (232-247هـ/846-861م) على تسمية البطريق أشوط بن سمباط الباقرادوني أميرا للأمرء،³ وجعله المسؤول الأول على أمرء وبطاركة أرمنية، واعتبر عام 247هـ./ 861م الذي صدر فيه هذا القرار بالنسبة للأرمن بداية عهد جديد، وتكريسا لعلاقات وطيدة مع المسلمين.⁴ وفي ظل خلافة المتوكل احتل الأرمن مكانة مرموقة، حيث كان الأمير أشوط من أقرب المقربين إلى الخليفة، ومن بين الصفوة المختارة الذين يؤثرهم بمجالسته والاستئناس بأرائهم. كما ضم الجيش الإسلامي في هذه الفترة عددا كبيرا من الفرسان الأرمن ومقاتليهم الأشداء.⁵

وفي إطار الاتفاقيات الموقعة بين الطرفين،⁶ كان الأمرء الأرمن يلحقون فرقا من جيوشهم بجيوش الخلافة الإسلامية، في خضم الفتوحات الإسلامية، وأبدت هذه الكتائب

¹ زرقوق محمد: سفارات الكنيسة الأرمنية إلى القسطنطينية وروما والقاهرة وأثرها على اندلاع الحروب الصليبية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع. 51، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة2، قسنطينة-الجزائر، 2019م. ص. 59؛ راجع أيضا:

MACLER Frédéric : La France et L'Arménie à travers l'art et l'histoire, Imprimerie (H.) Turabian, Paris, 1917, p. 10.

² كجو غسان: حركة الثقافة الأرمنية العربية ودور الأرمن في حركة النهضة العربية، بحث مقدم في: الندوة الدولية للعلاقات الثقافية العربية-الأرمنية، منشورات مركز الدراسات الأرمنية، 16 مارس 2009م كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2009م. ص. 80.

³ MACLER (F.): N. A. M. p p. 20-21.

⁴ أديب السيد: المرجع السابق، ص. 144.

⁵ المدور: المرجع السابق، ص. 482.

⁶ SÉBÉOS : op. cit. p. 133.

فاعلية نادرة ومنقطعة النظير في ساحة الوعى. ونجم عن هذه الخطوة بروز جو مناسب لنشاط الأرمن داخل الأقاليم الإسلامية، وفتح المجال أمام مشاركتهم في الحياة السياسية والحضارية للخلافة. وسجلت المصادر التاريخية صفحات مشرقة من النضال المشترك لأمرء الأرمن والمسلمين ضد الإمبراطورية الرومية والخزر. وكمثال على ذلك مشاركة قادة أرمن في الجيش الإسلامي الذي فتح مصر سنة 20هـ/640م، الأمر الذي ساهم بشكل حاسم ولافت في انتصار المسلمين، حيث قاموا بمساعدة القائد عمرو بن العاص، وكان على رأسهم القائد الأرمني "فارتان" حاملا للواء الإسلامي، وإليه تنسب بلدة "وردان" إحدى قرى محافظة الجيزة.¹ وفي سنة 22هـ/642م تم إنشاء مدينة الفسطاط من قبل والي مصر عمرو بن العاص، وفيها أقيم سوق "وردان" الأرمني رفيق والي مصر في السلاح.²

ويذكر أن الحكم الإسلامي في إقليم أرمنية كان مزدوجا، فمن جهة سلطة الوالي أو العامل المسلم، ومن جهة أخرى سلطة الأمير الأرمني. وحفظت لنا المصادر التاريخية أسماء الولاة المسلمين والأمرء الأرمن في أرمنية. وكان الوالي المسلم والأمير الأرمني يقومان بواجباتهما الإدارية جنبا إلى جنب،³ كل حسب اختصاصه دون مشاكل تذكر، باستثناء بعض الحالات التي تطلبت تدخل الخليفة للتوفيق بين الطرفين.

2- الروابط الاجتماعية

ذكرت سابقا هجرات القبائل العربية إلى أرمنية، لمساندة الفتح الإسلامي وترسيخ أقدام الفاتحين في الإقليم، حيث كانت القبائل اليمنية أول الوافدين إلى المنطقة رفقة الفاتحين الأوائل، ثم تلتها القبائل العربية النزارية لحماية الأمير يوسف بن راشد السلمي، الذي أراد أن يتقوى بهم على اليمنية، بعد أن قويت شوكتهم في البلاد. وأثناء الغزوات التي قادها يزيد بن مزيد الشيباني وابنه أسد وحفيده خالد، ثم محمد بن خالد، تدفقت على أرمنية أفواج المهاجرين من قبائل ربيعة وتغلب ووائل وشيبان، وهذه القبائل كانت مستقرة في ديار بكر المجاورة لحدود أرمنية الجنوبية. يضاف إليهم أبناء القبائل العربية في مصر الذين أتوا لمناصرة الوالي عبد الكبير بن عبد الحميد الخطاب العدوي حين وليها، وبعد عودته إلى

¹ مرفات كوما: المرجع السابق، ص. 20.

² محمد رفعت الإمام: المرجع السابق، ص. 20.

³ بولاديان آرشاك: المرجع السابق، ص. 9.

بغداد فضل الكثير منهم البقاء ومواصلة العيش في أرمينية. يضاف إليها هجرات عربية فردية، دوافعها اقتصادية بحتة، ونابعة من الرغبة في العمل والكسب، في هذه البلاد المزدهرة.¹

وخلال السنوات الأولى للفتح، لم تكن القبائل العربية مندمجة مع أهل المدن الأرمنية التي تم فتحها، بل كانوا يعيشون في أرباضها، ثم ما لبثوا أن استقروا في تلك المدن، واختلطوا بأهلها وتأثروا بهم وأثروا عليهم. وكان الأرمن يطلقون على القبائل العربية الوافدة اسم "الهاجريين" وذلك قبل أن يتم الاندماج بين الطرفين.² واتسمت الحياة في البلاد عموماً بالهدوء والاستقرار، لاسيما داخل المدن والحوضر، حيث اشتغل الناس بتأمين أقواتهم، ودفعت الظروف والعلاقات السياسية والاقتصادية بين السكان الأصليين والوافدين، إلى قيام وحدة شبه تامة، بعد أن ذابت الفوارق الاجتماعية بينهما.³ ومن المدن التي عاش فيها المسلمون والأرمن جنبا إلى جنب هناك، أرجيش وخلاط ودبيل وبرذعة وأران وتغليس والبيلقان وباب الأبواب والنشوى وقاليقلا وغيرها من مدن الإقليم.

وساهمت هجرات القبائل العربية، في تمتين الروابط الاجتماعية بين المسلمين والأرمن، وأخذت هذه العلاقات عمقا اجتماعيا، إذ كان التداخل في النسيج الاجتماعي كبيرا بين المسلمين والأرمن، ووصل في الكثير من الأحيان إلى مرحلة الاندماج والانصهار الكلي في المجتمع الإسلامي، بفعل الزواج المختلط بينهما. وهذا الواقع الاجتماعي لم يكن مستحدثا أو نتيجة الأوضاع التي مرّ بها الأرمن، وإنما حدثت هذه الحالات الكثيرة والواسعة عبر فترات تاريخية مختلفة. والملاحظ أن الأرمن كانوا يصاهرون على القوم من المسلمين.⁴ توجد العديد من الأمثلة حول موضوع المصاهرات التي حدثت بين المسلمين والأرمن، إذ يذكر أن عددا من أمهات خلفاء المسلمين كنّ أرمنيات، ومنهن: "بدر الدجى أو قطر الندى"⁵ والدّة الخليفة القائم بأمر الله (422-467هـ / 1031-1075م) وزوجة الخليفة

1 أديب السيد: المرجع السابق، ص. 258؛ محمد رفعت الإمام: المرجع السابق، ص. 19.

2 أديب السيد: المرجع السابق، ص. 258-259.

3 نفسه، ص. 266-267.

4 العبد الله عبد الله شاهر: المرجع السابق، ص. 31-32.

5 كانت جارية في قصر الخليفة العباسي القادر (991-1031م)، وعندما ولدت له ابنه القائم أعتقها، وجعلها أم لولده، ورفع منزلتها، وصارت من فضليات النساء، وعاشت أكثر من تسعين سنة، وكانت وفاتها ببغداد سنة 452/1060م، وصلى عليها ابنها الخليفة القائم بأمر الله، ودفنت في جنازة مهيبة تليق بمكانتها. ابن ثغري بردي جمال الدين أبي المحاسن

القادر (380-422 هـ / 991-1031 م.) و"قرة العين أو أرجوان"¹ أم الخليفة العباسي المقتدر (467-486 هـ / 1075-1094 م.) وزوجة الخليفة الفاطمي المستعلي (486-495 هـ / 1094-1102 م.) وزوجة الخليفة الفاطمي العاضد (554-566 هـ / 1160-1171 م.). يضاف إليه زواج الجحاف من قبيلة سليم بابنة الأمير الأرمني موشينغ ماميكونيان، وزواج موسى بن زرارة بشقيقة الأمير بكراد بقراطوني، وأبو المعز بن موسى بن زرارة الذي تزوج أميرة أرمنية من آل أردزون.²

ولم يقتصر هذا النوع من الزواج المختلط على الخلفاء أو بنات الأمراء الأرمن فحسب، بل شاع أيضا بين العامة، فبعد استقرار العديد من القبائل العربية إلى جانب الأرمن، اختلطت بهؤلاء الآخرين إلى حد الزواج، وظهر منهم أسر حاكمة توارثت الحكم في بعض المناطق الأرمنية، تحت إشراف والي أرمنية المسلم.

سجل ابن الأزرق في رحلته التي قام بها إلى بلاد الكرج عام 549 هـ / 1154 م، بعض الحوادث الهامة التي وقعت له رفقة ملكها "ديمترى بن داود"، إذ ذهب به هذا الأخير في جولة إلى ولاية باب الأبواب، وعبر عليهم جماعة يسكنون في الضياع المجاورة للمدينة، فتكلم أحدهم مع ابن الأزرق بالعربية، فتعجب هذا الأخير، وسأله عن سبب استقرارهم بهذه

يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط. 1، 1929 م. ج. 5، ص. 67؛ أديب السيد، المرجع السابق، ص. 270.

¹ الأرجوان نوع من الشجر له أزهار حمراء، عرفت باسمه لجمالها الفائق. كانت جارية أرمنية، دخلت عن طريق الرق إلى قصر الخليفة القائم بأمر الله، الذي أوكل لها مهمة خدمة ولي عهده الأمير ذخيرة الدين محمد. وفي سنة 447/1055 م مرض هذا الأخير وتوفي، فحزن عليه الخليفة حزنا شديدا، خاصة وأنه ولي العهد الوحيد، فرحله قد يؤدي إلى سقوط الخلافة العباسية، وبعدما علم القائم أن أرجوان حامل من ابنه فرح فرحا شديدا. وولدت بعد ذلك ذكرا سموه عبد الله وكنوه أبا القاسم، وأضحت ولادة قرة العين سببا لتكريمها وعدّها من النساء المباركات، فيها دامت الخلافة بعدما أوشكت على الأفول، وكان يوم الولادة من أيام السرور والفرح بالعاصمة العباسية بغداد، سارت فيه البشائر إلى البلاد الإسلامية ولقب المولود كذلك بعدة الدين. وأطلق عليها الخليفة لقب "قرة العين" لأنها أقرّت عينه بحفيده الذي سيرته بعد وفاته. وكما كان متوقعا، كبر الولد وصار خليفة بعد وفاة جده، وتلقب بالمقتدي بأمر الله، وعرف بسيرته الحسنة. توفيت قرة العين سنة 512 هـ / 1118 م، ودفنت في دار الخلافة، ثم نقلت إلى مقبرة الخلفاء العباسيين بالرصافة. ويذكر ابن الأثير أن هذه المرأة كان لها بر كثير ومعروف، وهي التي بنت "رباط أرجوان" ببغداد، وأدت فريضة الحج ثلاث مرات، وكسبت رضا العامة واحترامهم وتقديرهم. المصدر السابق، ج. 9، ص. 179؛ مصطفى جواد: سيدات البلاط العباسي، دار الكشاف، بيروت-لبنان، 1950 م. ص. 132 وما بعدها؛ أديب السيد، المرجع السابق، ص. 270 وما بعدها.

² بولاديان آرشاك: أرمنية في التاريخ العربي-الإسلامي، بحث مقدم في: الندوة الدولية للعلاقات الثقافية العربية-الأرمنية، منشورات مركز الدراسات الأرمنية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 16 مارس 2009 م. ص. 7؛ عبد الله عبد الله شاهر: المرجع السابق، ص. 32؛ سلمانجان جان جاك: المرجع السابق، الهامش رقم: 4، ص. 35.

المنطقة، فأجابه شيخ كبير يسمّى محمد بن عمران بأن أجداده من قتلة الحسين، انهزموا أمام المختار الثقفي، وهربوا إلى الدربند.¹

وفي رواية أخرى يذكر ابن الأزرق حادثة وقعت له مع ملك الأبخاز، الذي وجد في أحد قصوره رجلاً أسيراً من بلاد الشام، غير أن الظروف لم تسمح له بالتعرف عليه، والاستفسار عن أحواله.²

واجتمعت على الأرمن أسباب سياسية ودينية واجتماعية واقتصادية دفعت بالعديد منهم للهجرة إلى الأقاليم المجاورة والاستقرار فيها. ويقال أن هذه الهجرات كانت كنتيجة حتمية للتوسعات التي قام بها الملك الأرمني ديكران الثاني (84-64 ق.م.) والذي امتدت مملكته إلى حدود فلسطين، شاملة مناطق واسعة بين بحر الخزر وبحر بنطس شمالاً، ومن حدود بلاد فارس إلى بحر الروم جنوباً. وتحولت عاصمته ديكرانكيرط³ إلى محور اتصال مع البلدان المجاورة. وتوالت هجرات الأرمن صوب الأقطار المجاورة عقب انهيار مملكة ديكران الثاني. وخلال الحكم الإسلامي لأرمنية كانت بلاد الشام والجزيرة مناطق مهمة ومزدهرة في التجارة الإقليمية والدولية، ونظراً لارتباط هذه الأقاليم مع أرمنية بطرق تجارية عديدة، فقد كان الأرمن على اتصال مباشر مع المناطق المجاورة، فتأسست لهم مراكز دينية وثقافية فيها.⁴

هاجر العديد من الأرمن نحو الأقاليم الإسلامية خلال الفترة الممتدة من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، حيث عاملهم المسلمون معاملة خاصة، إذ أنهم لم يحاولوا يوماً ضم الأرمن إليهم أو إجبارهم على تغيير معتقداتهم واعتناق الإسلام، وذلك تماشياً مع المعاهدات التي أبرمت خلال الفتح الإسلامي لأرمنية. وهكذا بقيت الكنيسة الأرمنية حرة محافظة على تقاليدها وعاداتها القديمة. من ناحية أخرى فضل الأرمن اللجوء إلى الأقاليم الإسلامية⁵ بعدما تعرضوا إلى مضايقات وملاحقات متتالية من قبل الروم الذين حاولوا ضم

¹ الفارقي (أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق (ت. 571هـ/1176م)): تاريخ الفارقي، تج. بدوي عبد اللطيف عوض، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1389هـ/1959م. ص. 43 وما بعدها.

² نفسه، ص. 42-43.

³ عرفت بميفارقين خلال العصر الوسيط، وهي سيلفانا الحالية في تركيا. أرشاك بولاديان: المرجع السابق، ص. 9.

⁴ نفسه.

⁵ نسمع في وقتنا الحاضر عن الجاليات الأرمنية الموجودة في العديد من الدول العربية وعلى رأسها سوريا والعراق ومصر، ويعود جذور استقرار العديد من أفرادها إلى الفترة التاريخية قيد الدراسة.

أرمنية وإلحاقها بالإمبراطورية لأهميتها. وباعتبارهم خصوما للروم ساعد الأرمن المسلمين مساعدة أخوية في جميع الأقاليم التي حلّوا بها، حيث تكاثروا وكونوا قوة بشرية هائلة.¹ وهذا ما يفسر تواجد العديد من الجاليات الأرمنية في كثير من الدول الإسلامية، بأعداد متفاوتة من دولة إلى أخرى.

ففي بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين والمناطق المجاورة لها ذكر الواقدي أن الأرمن استوطنوا فيها منذ أقدم العصور. وعرفوا هذه المناطق جيدا حتى أضحوا قوة عسكرية مهمة أخذها المسلمون في الحسبان قبيل اجتياحهم تلك المناطق. ويرجع بعض المؤرخين تاريخ هذه الهجرة إلى القرن السادس ميلادي، عندما هاجم ملك الفرس خوسروف سنة (539-540م). الروم واحتل أنطاكية وما جاورها، حيث نقل عددا كبيرا من المهاجرين الأرمن.² ومثلت الهجرة الأولى للأرمن نحو هذه المناطق، والتي كانت كأثر مباشر لهزيمة الروم أمام الفرس.³ كما أن هذه الخطوة كانت فرصة مشجعة للأرمن الهاربين من السياسة الرومية على الانتقال إلى بلاد الشام رفقة ذويهم. وفي ظل الخلافة الإسلامية والفتح الإسلامي لأرمنية كانت العلاقات الإسلامية-الأرمنية في أحسن الأحوال، الأمر الذي شجع الأرمن على الاستقرار في الأقاليم الإسلامية المجاورة لبلادهم.⁴ ويرجع بعض الباحثين تاريخ الهجرة الثانية للأرمن نحو بلاد الشام، إلى أعوام (98-211هـ/717-827م).⁵ ومما لا شك فيه أن هذه الهجرة السابقة الذكر، قد ساهمت في تمتين الروابط السياسية والحضارية الإسلامية-الأرمنية.

ومن الشخصيات الأرمنية البارزة التي تركت بصمتها في بلاد الشام، الشيخ عبد الله الأرمني، وكانت أمه داية امرأة الخليفة. ويقال أنه أتى إلى الشيخ عبد الله اليوناني وهو يرتدي ثياب الرهبان، فأسلم على يديه، وقرأ القرآن وحفظ كتاب "القدوري" على مذهب أبي حنيفة النعمان، ومارس النشاط التجاري، وكانت له دراية بعلم الرياضيات. قال عنه ابن كثير: "أحد العباد الزهاد الذين جابوا البلاد وسكنوا البراري والجبال والوهاد، واجتمعوا

¹ سلمانجان جان جاك: المرجع السابق، ص. 26-27.

² نفسه، ص. 28.

³ محمد رفعت الإمام: المرجع السابق، ص. 20.

⁴ سلمانجان جان جاك: المرجع السابق، ص. 28؛ نقلا عن: أبراهاميان: مختصر لتاريخ المهاجر الأرمنية، ج. 1، ص.

430.

⁵ محمد رفعت الإمام: المرجع السابق، ص. 20، 165.

بالأقطاب والأبدال والأوتاد، وممن كانت له الأحوال والمكاشفات والمجاهدات والسياحات في سائر النواحي والجهات". استقر في أواخر عمره بمدينة دمشق، حتى توفي بها سنة 631هـ/1233م. ودفن عند سفح جبل قاسيون.¹

وتتحدث المصادر الأرمنية القديمة عن وجود أعداد هائلة من الأرمن في العراق قبل القرن السابع الميلادي، وتستدل على ذلك بالزيارة التي قام بها رئيس الطائفة الأرمنية الجثليق كريسدايور إلى المهاجر الأرمنية في هذه البلاد، حيث تفقد خلالها الأرمن واطلع على أوضاعهم المعيشية. ويقال أن عددهم كان يناهز المليون أرمني. بعد الفتح الإسلامي لمدينة ديبيل سنة 19هـ/640م، هجروا خمسة وثلاثين ألفاً من سكانها إلى العراق، وفي عام 237هـ/852م قام القائد المسلم بغا الشرابي بنقل قسم آخر منهم إلى بغداد. وتجدر الإشارة إلى أن العديد من الأرمن الذين اعتنقوا الإسلام تبوؤوا مراكز إدارية هامة في الإدارة والجيش، وقدموا خدمات جليلة للخلافة الإسلامية في العراق.²

وفي مصر تظهر المصادر الرومية واللاتينية أن الأرمن الذين عاشوا فيها عملوا من أجل المساهمة في تقدم وتطور هذا البلد، تاركين وراءهم آثاراً فنية جميلة. كما تحدثت هذه المصادر عن الأرمن الذين اعتنقوا الإسلام ووصلوا إلى مراتب إدارية راقية، ومنهم: ورطان الرومي الذي كان يحمل الراية في الجيش الإسلامي، وشارك في أغلب الغزوات التي خاضها والي مصر عمرو بن العاص، وعرف بشجاعته القتالية. وشارك أيضاً في تشييد مدينة الفسطاط، وبنى سوقاً عرف بسوق ورطان، وقصراً سمي "دار النحاس". وذكرت بعض المصادر الإسلامية أن الجيش الإسلامي كان يضم لواء مؤلفاً من خمسمائة جندي أرمني.³ وتتحدث المصادر بأن الأرمن في مصر أثناء فترة الحكم الإسلامي، تمتعوا بحرية العبادة، وساهموا بشكل فعال في ميادين السياسة والاقتصاد والعمران والثقافة.⁴

¹ ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (ت. 774هـ/1373م)): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت-لبنان، ط. 7، 1408هـ/1988م. ج. 13، ص. 141.

² سلمانيان: المرجع السابق، ص. 28-29.

³ نفسه، ص. 30.

⁴ الإمام، المرجع السابق، ص. 20.

وحكم مصر ولاية أرمن عرفوا بحكمتهم وشجاعتهم، ومن أبرزهم علي بن يحيى الأرمني الذي تولّاها خلال فترة عصيبة مرّ بها هذا الإقليم المهم للخلافة العباسية، حيث شهد حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار طيلة عهد المأمون وبداية عهد المعتصم بالله، لأسباب داخلية وسوء تسيير الولاية له. ولذلك رأى الخليفة المعتصم بالله أن يولي عليه والياً يتسم بالشجاعة والكفاءة القيادية، ونظراً لمكانة القائد علي بن يحيى الأرمني ومواصفاته المناسبة وولائه، فقد أسند إليه الخليفة المعتصم بالله ولاية مصر سنة 226هـ / 845م. فقام بترتيب أمور مصر وبدأ بإصلاح أحوالها، وقضى على المفسدين فيها.¹

نجد كذلك بعض الوزراء الأرمن الذين كان لهم دوراً بارزاً في الحياة السياسية المصرية في ظل حكم الدولة الفاطمية، إذ ساهموا في إخراج مصر من كبوتها، وشجعوا الحرف والمهن ونشروا العدل في أرجاء البلاد، حتى أن أحد المؤرخين المختصين في تاريخ مصر أطلق على هذه الفترة اسم "الفترة الأرمنية" وهي تمتد بين سنتي (466-558هـ/1074-1163م).² ومن أشهر الوزراء "بدر الجمالي" (ت. 488هـ. 1095م) الذي عرف ببعد نظره وشهامته وشجاعته. ألف جيشاً من جنود أكفاء على رأسهم ضباط أرمن انتصر بهم على أعداء مصر في الداخل والخارج وحقق الأمن في ربوعها. إضافة إلى رعايته للفلاحين والتجار والحرفيين، وبنائه للمساجد والكنائس والقصور والجسور وتحصينه للمدن، حتى ازدهرت مصر وانتقلت من فترة الخراب إلى مرحلة البناء والتشييد.³ ويروى أن علاقته مع المهاجرين الأرمن كانت متميزة، وبسبب تزايد أعدادهم منح لهم أرضاً شيّدوا فيها "كنيسة كبيرة متسعة بعدة قباب" بمناسبة زيارة قام بها بطريرك أرمنية إلى مصر.⁴ مما دفع بالمؤرخ المقرئزي إلى القول بأنه: "أقام دولة الأرمن بديار مصر".⁵

¹ طه خضر عبيد: المرجع السابق، ص. 326.

² إسرائيليان أرتور: دور الوزراء الأرمن العظام في اقتصاد مصر الفاطمية، بحث مقدم في: الندوة العلمية الدولية عن الاقتصاد بين العرب والأرمن، 29 مارس 2010م. ص. 17-18.

³ نفسه، ص. 22؛ سلمانيان جان جاك: المرجع السابق، ص. 31.

⁴ أبو صالح الأرمني: تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني: تذكر فيه أخبار من نواحي مصر وإقطاعها، المطبعة المدرسية، أوكسفورد، 1895م. ص. 61.

⁵ المقرئزي تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي: كتاب المقفى الكبير، تح. محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط. 1، 1991م. ج. 2، ص. 402.

نجد كذلك أبو المكارم جرجس بن مسعود المشهور باسم أبو صالح الأرمني، الذي عاش في مصر خلال القرن السابع الهجري/الثاني عشر الميلادي، وله العديد من التصانيف القيمة، لعل من أبرزها: تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني، الذي ذكر فيه أخبار مصر وإقطاعها، وكنائسها وأديرتها، وأشار إلى التسامح الديني بين المسلمين والمهاجرين الأرمن، مما جعل هؤلاء الآخرين يقومون بتشديد العديد من الكنائس الأرمنية في مصر.¹

كان للأرمن دورا مؤثرا في تنشيط الحركة الاقتصادية للأقاليم الإسلامية التي هاجروا إليها، فقد أثبتوا أنهم يملكون قدرات هائلة في مختلف المجالات. وفي ظل الأمن والاستقرار نشط الأرمن، وكانت نتائج نشاطاتهم واضحة أظهرت قدراتهم في مختلف ميادين الحياة الزراعية والصناعية والتجارية.² وهذا ليس بغريب على الأرمن الذين زارهم الرحالة ابن حوقل، وقال عنهم: "وأكثرهم أهل عافية وسلامة ورغبة في الخير وأهله وطلب المعاش والستر".³ لذلك تنبأ الأرمن مكانة مرموقة في الأقاليم الإسلامية، وتركوا بصماتهم في الزراعة والصناعة والتجارة، وارتقى بعضهم إلى وظائف عليا في الخلافة الإسلامية أدوا فيها دورا بارزا سجلت بفعله أسماؤهم في التاريخ الإسلامي.⁴ واللافت للانتباه أنهم حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم، فالتقاليد حيّة دائما عند الأرمن، وهي علامة تدل على أصالتهم.⁵

ومما سبق يظهر لنا أن هناك عوامل متعددة أدت إلى هجرة الأرمن نحو الأقاليم الإسلامية المجاورة لهم، ونظرا لأعدادهم الهائلة في هذه الأقاليم، فقد سمح لهم المسلمون ببناء العديد من المراكز الدينية والثقافية، والتي ازداد عددها مع مرور الزمن، وأضحت فاعلا بالغ الأهمية في إبراز مظاهر العلاقات الإسلامية-الأرمنية عبر المراحل التاريخية المختلفة.

¹ أبو صالح الأرمني، المصدر السابق، ص. 61؛ أديب السيد، المرجع السابق، ص. 274.

² عبد الله شاهر: المرجع السابق، ص. 32.

³ المصدر السابق، ص. 299.

⁴ عبد الله شاهر: المرجع السابق، ص. 41.

⁵ DOLENS (N.) et KHATCH (A.): op. cit. p. 213.

3- العلاقات الاقتصادية

تعتبر الصلات الاقتصادية بين المسلمين والأرمن قديمة، ولها علاقات وثيقة وتأثير متبادل بين الطرفين. فقد ذكر المؤرخ اليوناني هيرودوت خلال القرن الخامس قبل الميلاد علاقات أرمنية مع القبائل العربية، حيث كان التجار الأرمن ينقلون البضائع بالمراكب عبر نهر الفرات إلى مدينة بابل بالعراق ويبيعونها. وأدت هذه الرحلات التجارية المتكررة إلى استقرار الكثير من هؤلاء التجار في بابل وتكوين جالية أرمنية معتبرة فيها.¹

شهد إقليم أرمنية منذ القدم ازدهارا كبيرا في النشاط التجاري بحكم موقعه الجغرافي الذي ساهم في تطوير التجارة بين الشرق والغرب، إذ يعد مركز عبور أساسي، فقد كان الحرير الصيني يصل عبره إلى بحر بنطس، ووصلت إليه العديد من المنتجات من الهند وآسيا الصغرى، ومنه تصدر إلى الغرب، وبالمقابل كان يتصل الغرب بالقوقاز والهند والصين والأقاليم الإسلامية مرورا بأرمنية. الأمر الذي جعل الإقليم عرضة لأطماع خارجية على مرّ العصور، وعلى الرغم من ذلك فقد ظلّ الأرمن محافظين على نشاطهم الاقتصادي وأصالتهم وتاريخهم وحضارتهم.²

وفي إطار العلاقات التجارية الإسلامية-الأرمنية يشير المؤرخ اليعقوبي إلى سفن محملة بمختلف السلع الأرمنية، والتي كانت تصل إلى بغداد. وقد ذاع صيت الأصناف الأرمنية ولقيت شهرة واسعة ورواجا كبيرا في الأقاليم الإسلامية، كبلاد الشام والجزيرة وبلاد فارس ومصر. وذهب البعض إلى القول أن سجاد مدينة أصفهان يصبح أجمل مظهرها عند استعماله مع الأثاث الأرمني، وهي إشارة تدل على جودة ودقة صنع المنتجات الخشبية الأرمنية. ويضاف إلى هذه البضائع أسماك الطريخ التي تجلب من بحيرة وان، وتملح وتعبأ في أوعية محكمة وتشحن على المراكب نحو بلاد الجزيرة والموصل والعراق والشام. وكان المسلمون يفضلونه على جميع الأنواع المعروفة في أنحاء الخلافة الإسلامية.³

¹ عبد الله شاهر: المرجع السابق، ص. 33.

² نفسه، ص. 29؛ بولاديان آرشاك: المرجع السابق، ص. 10.

³ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 297؛ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص. 591؛ القزويني: المصدر السابق، ص. 524؛ آرشاك بولاديان، المرجع السابق، ص. 15.

4- العلاقات العلمية والثقافية

شكل الموقع الجغرافي لإقليم أرمنية والخلقة الإسلامية دورا أساسيا في العلاقات الإسلامية-الأرمنية والتبادل الثقافي بين الطرفين. كما أن انضمام أرمنية إلى الخلافة الإسلامية ساعد على التعارف المتبادل والتمازج الفكري والحضاري بين الشعبين، ولم يشكل الاختلاف الديني واللغوي أي عائق أمام توطيد الاتصالات الأرمنية-الإسلامية على مر التاريخ. ودخلت هذه العلاقات مرحلة جديدة بداية من سنة 271هـ/885م، عندما توج الخليفة العباسي المعتمد (256-279هـ/869-892م) أشوط الأول البقراطي ملكا على أرمنية ومنحها الاستقلال. وهكذا تطورت علاقات حسن الجوار والروابط الاقتصادية والتجارية والثقافية.¹ وبالنظر إلى الأرمن عبر العصور نراهم دائما يتمتعون بنفس صفات العمل والنشاط والطموح والفهم والذكاء والحنكة السياسية والعسكرية، مما جعلهم محترمين ومرغوبين خارج بلادهم.²

ومن المعروف أن الأدب الأرمني تزرع في أحضان الكنيسة الأرمنية، ولهذا يعتبر أدبا دينيا في المقام الأول، وتحدثنا سابقا عن ابتكار الأبجدية الأرمنية خلال القرن الخامس الميلادي، حيث كان لهذا الاختراع آثاره البعيدة على الحياة العامة في أرمنية، وعلى الجانب الأدبي في المقام الأول، إذ مثل بداية حقيقية لما عرف بالعصر الذهبي للأدب الأرمنية الذي امتدت فترته من القرن الخامس إلى غاية القرن الثاني عشر الميلادي، وشهد بروز العديد من العلماء المشاهير الذين تركوا بصماتهم في تاريخ الأمة الأرمنية.³ والملاحظ أن الحقبة الزمنية المنيرة السالفة الذكر تشمل فترة التواجد الإسلامي في أرمنية 41-271هـ/661-885م، الأمر الذي يدحض كل الإدعاءات التي تروج لفكرة الركود الفكري في إقليم أرمنية إبان العهد الإسلامي.

¹ أرشاك بولاديان: المرجع السابق، ص. 8؛ مرفات كوما أبدلا: المرجع السابق، ص. 18.

² MACLER Frédéric : Autour de L'Arménie, librairie (E.) Nourry, Paris, 1917, p. 169.

³ عطية عزيز سوريال: المرجع السابق، ص. 430.

ويذكر الباحث الأرمني المعاصر مانوشاك بوياجيان أن الفتح الإسلامي لأرمنية لم يسفر عن انعكاسات دينية وثقافية أو حتى إدارية... بل عاشت البلاد مرحلة رخاء استمرت خلالها النشاطات الثقافية بالتقدم والازدهار"، وقدّم مجموعة من الأدلة تثبت صحة مقولته، ففي المجال الأدبي استدلّ بترجمة ستيبانوس سونتسي لكتب الفيلسوف ديونيسيوس الأريوياجي، وبالنسبة للكتاب الأرمني في هذه الحقبة التاريخية اشتهر منهم الكاثوليكوس كوميداس الأول Komitas مؤلف كتاب "ختم الإيمان"،¹ الذي عرف بدفاعه الشديد عن المبادئ الكريستولوجية للكنيسة الأرمنية، وألف أيضاً العديد من الترانيم الدينية.²

ومع بداية القرن الثامن الميلادي نجد كتاب "حروب العرب وفتوحاتهم في أرمنية" للراهب جيفوند، والمفكر الأرمني الكاثوليكوس هوفانس أوتسنتسي Hovhannes of Odzoun الملقب بالفيلسوف، والذي سجلت أفكاره أثناء حديث لاهوتي قدمه عام 101هـ / 720م بمجمع دفين، ومن خلال تعليقه على "طقوس الكنيسة" ومجموعة "القانون الأرمني" كما يعرف عنه أنه ألف كتاباً بعنوان "ضد الخزعبلات" هاجم من خلاله طائفة أرمنية مهرطقة.³ وظهر التفاعل الثقافي الإسلامي-الأرمني جلياً في عدة مجالات، ولعلّ من أبرزها أسلوب الكتابة، فقد تجلّى أثر اللغة العربية في اللغة الأرمنية من خلال أسلوب الكتابة المنمّق، والكلمات والعبارات الفضفاضة التي تزخر بها معظم مؤلفات الكتاب الأرمني الذين عاشوا في تلك الفترة. فعندما نقرأ نصاً أرمنياً يعود إلى القرن الأول الهجري/السابع الميلادي يبدو أنّ كاتبه تأثر جلياً بالأسلوب العربي، من خلال الجمل المعقدة الصعبة، والمفردات المتراكمة، والميل إلى الإطالة والإكثار من الصور البلاغية. وحتى الذين ألفوا كتباً تاريخية اعتمدوا على هذا الأسلوب، وكمثال على ذلك "تاريخ الجثليق هوفهانس" هذا من جهة.⁴

ومن جهة أخرى يرى المؤرخون الأرمني أن تأثر أدبائهم بالأدب العربي قد ظهر جلياً في شعرهم، من خلال اقتباسهم الوزن والقافية عن الشعر العربي، إضافة إلى القرآن الكريم، وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى الشاعر الأرمني جريجور ناريكاتسي، إذ يعتبر على رأس

¹ يحتوي هذا الكتاب على مجموعة من النصوص اللاهوتية التي سبقت المجمع الخلقدوني أو عارضته. حبيب بدر وآخرون: المرجع السابق، ص 364.

² نفسه.

³ المرجع السابق، ص. 365؛ عطية عزيز سوريال: المرجع السابق، ص. 431.

⁴ سلمانيان جان جاك، المرجع السابق، ص. 33-34.

الشعراء الأرمن الأكفاء، الذين عاشوا خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ويذكر أنه دون بعض الأدعية والصلوات الأرمنية متأثراً بصيغة القرآن الكريم.¹

وبرز الأثر العربي في علم العروض خلال القرنين الأول والثاني الهجريين/السابع والثامن الميلاديين، لأن الأرمن في هذه الفترة نظّموا التسابيح الدينية والتراويل الكنسية المبنية على نظم خاصة وفق علم العروض العربية. ويقال أن أول قصيدة أرمنية دونت وفق الأوزان العربية هي قصيدة كريكور ماكيسدروس التي ظهر فيها الأثر العربي. كما أن القصائد المعقدة التي انتشرت في أرمنية خلال الحقبة قيد الدراسة، كان الهدف منها إبراز براعة مؤلفها، وهي موجهة للإنسان المثقف، فلا يستطيع الإنسان البسيط فهمها. ويرجح أنها تدخل في إطار التأثيرات المباشرة للغة العربية على التراث الأرمني.²

ويذكر أن الشاعر الأرمني "أوديك ساهاكيان" وضع قصيدة رمزية موضوعها أبا العلاء المعري، وسمّها "عروج أبي العلاء" اخترنا منها الأبيات الجميلة الآتية:

"قافلة أبي العلاء تسير متمائلة كالريح مع رنين أجراس الموسيقى العذبة في الليالي الهادئة
لقد قطع السبيل الملتوية بخطوات رتيبة متزنة
ورنين أجراس البراقة مستمر عبر السهول الشاسعة الصامتة
وكانت بغداد ترقد بين الأحلام الفردوسية الدافئة اللطيفة"³

وألف العديد من الشعراء المسلمين والأرمن أبياتاً شعرية، وصفوا من خلالها المدن الأرمنية، ففي مدينة بدليس⁴ يقول أبو الرضا الفضل بن منصور الظريف:

بدليس قد جدّدت لي صبوّة	بعد الثقى والنسك والسّمّت
هتكت ستري في هوى شادين	ومما تحرّجت ولا خفت
وكنت مطوّي على عفة	مظنونة يمشي بها وقتي
وإن تحاسبنا فقولنا لنا	من أننت يا بدليس من أنت
وأين ذا الشخص النفيس الذي	يزيد في الوصف على النعت
من طبعك الجافي ومن أهله	قد صرّت بغداد على بُخت ⁵

1 محمد رفعت الإمام: المرجع السابق، ص. 21؛ مرفات كوما: المرجع السابق، ص. 23.

2 جان جاك سلمانيان، المرجع السابق، ص. 33-34.

3 المدور: المرجع السابق، ص. 484.

4 "بلدة من نواحي أرمنية قرب خلاط". الحموي، المصدر السابق، مج. 1، ص. 358.

5 نفسه، ص. 359.

وظهرت في أرمنية، الملحمة الشعرية الأرمنية الشهيرة "دافيد الساسوني" وصورت جانباً من تاريخ الأمة الأرمنية، بناءً على الأحداث والصراعات التي وقعت بين الأرمن والمسلمين، طوال القرنين الثاني والثالث الهجريين/الثامن والتاسع الميلاديين.¹ إذ يمثل لنا الشاعر الملحمي الأرمني هذا النزاع، باعتباره محاولات متكررة من والي أرمنية المسلم، لإخضاع الأمراء الأرمن تحت سلطته، وإلزامهم بدفع الجزية وتقديم الهدايا. وبالرغم من كل التحديات، فإن الأمراء الأرمن الساسونيين، يتمكنون من إفشال كل محاولات والي المسلم. ويلاحظ من خلال ما سبق أن طابع الصراع لم يكن دينياً، وحتى إذا تحدثت الملحمة عن الدين، فإنها تقدمه كوسيلة تتخلص عبرها الشخصية الملحمية من أي مأزق تقع فيه.²

ومن خلال هذه الملحمة يرسم الشاعر الأرمني صوراً مشرقة، عميقة بمحتوياتها الإنسانية، ولعل من أجملها، وأكثرها إشراقاً صورة إيسميل-خانوم ملكة مصر، التي تقول لابنها حين يلحّ على أن أصله عربي، وأن أخاه دافيد أرمني: "كيف لا تدرك أيها الملك أن الأرمني أخ للعربي يتبادلان الزيارات في أحيان كثيرة ويفرحان حين يتبادلان العون". واستناداً إلى نصوص الملحمة فإن الشاعر استعمل ألفاظاً رائعة في وصفه للمسلمين، ويحوّل الصراع الدائر بين المسلمين الفاتحين والأرمن، إلى حرب بين دافيد وملك مصر. فالمسلمين في نظر هذا الشاعر، لا يرغبون في الحروب وسفك الدماء، وإنما يقاتلون انصياعاً لأمر خليفتهم، وفق ما ذكرته الرواية.³

¹ تروي الملحمة في جزئها الأول أحداثاً، تظهر من خلالها العلاقة الوثيقة بين الولاء للدين المسيحي، والدوافع الوطنية الأرمنية. وفي هذا الصدد جاء في الجزء الأول من الملحمة، أن الأميرة الأرمنية "زوفينار-خاتون" تقبل الزواج بالخليفة المسلم، لحماية مملكة أبيها من الدمار، ودفع الجزية. وتضع في قصر الخليفة ولدين هما ساناسار وبغdasar، اللذان يتربيان في بلاط الخلافة، إلا أن الخليفة يقرر التخلص منهما، برفقة أمهما، لأنه اعتقد أن زوفينار حملت بهما من غيره، فيفر الثلاثة من القصر، ويبنون حصن "ساسون". ثم يتنازع الأخوان حول ابنة ملك المدينة الخضراء، التي يفوز بها "ساناسار" في نهاية المطاف، ويقيم معها في ساسون. أما بغdasar فيعود إلى بغداد ليقيم فيها بقية حياته. ويتحدث الجزء الثاني عن الملك "مهير الأكبر" ابن ساناسار، الذي تربى في ساسون، وتزوج "أرماغان" ابنة الملك "تيفادوروس" وارتبط بعهد إخاء مع ملك مصر. وبعد وفاة هذا الأخير انتقل مهير الأكبر إلى مصر، وأقام بها سبع سنوات، تزوج فيها بملكتها "إيسميل-خانوم" فتلد منه ملك مصر. وفي الجزء الثالث من الملحمة، يعود مهير الأكبر إلى زوجته أرماغان في حصن ساسون، فتتجلب له "دافيد" الذي يرسله أبوه إلى مصر، ليتربى فيها رفقة أخيه. وينشب صراع بين الأخوين، ينتهي بعودة دافيد إلى ساسون، وهزيمة لجيش ملك مصر، الذي طمح إلى احتلال حصنه، وتحصيل الجزية منه. أما الجزء الرابع والأخير، فيروي قصة "مهير الأصغر" ابن دافيد، الذي يخوض صراعاً ضد الأمراء المحليين. الإمام محمد رفعت: المرجع السابق، ص. 43-44.

² نفسه، ص. 44-45.

³ نفسه، ص. 45، 48.

وعندما زار ابن حوقل أرمينية خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، لاحظ بأن أهلها المسلمين يستعملون اللغة العربية، خاصة التجار وأرباب الضياع، أما الأرمن فيتكلمون بلغتهم الأرمنية الأصلية. ومن جانب آخر ذكر هذا الرحالة الجغرافي الذائع الصيت، أنه وجد المستوطنين العرب يتحدثون اللغة الأرمنية، ويتقنونها إلى حد بعيد.¹ وجدير بالذكر أن العديد من الأقوام المسيحية الأخرى، وبحكم اختلاطهم بالمسلمين، كانوا يستعملون اللغة العربية، في حياتهم اليومية ومعاملاتهم، مثل: السريان والأقباط والمارونيين، وغيرهم من الشعوب.²

ويذكر أن اللغة العربية أخذت طريقها إلى اللغة الأرمنية وفق طرق وقنوات مختلفة، إضافة إلى ذلك فإن تاريخ ما قبل القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، ولاسيما تاريخ القرن الخامس، يضم عدة مفردات يرجح أن تكون من أصول عربية،³ ولكن لا توجد أي أدلة تدعم هذه النظرية، خاصة في ظل توفر مصادر مجهولة للكثير من الكلمات العربية والسريانية، والجدور المشتركة السامية لهما، وهنا لابد من الإشارة إلى تضارب أصل الكلمات العربية المأخوذة في الأرمنية، هل هو عربي؟ أم سرياني؟ أم فارسي؟ يضاف إلى ما سبق خلو الأدب الأرمني المكتوب لكل من سبيوس (عاش في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي) وجيوفند (عاش في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي) من الدخيل العربي، عدا الأسماء والألقاب العربية.⁴

ورغم ذلك لا يمكن الجزم بصحة الفرضية الأخيرة، لسببين رئيسيين، أولهما: أن الأدب الأرمني لم يكتب كله في هذه الفترة، وما دون منه يمثل نسبة ضئيلة جداً، وثانيهما: إمكانية ورود الدخيل العربي ضمن اللهجة الأرمنية (اللغة المحكية)، وعدم اشتغال اللغة المدونة على أي منه،⁵ وينبغي الإشارة إلى أنه حين ظهرت اللغة الأرمنية في مملكة قيليقية، قاوم

¹ المصدر السابق، ص. 299؛ أريسيان نورا: التداخل اللغوي بين اللغتين الأرمنية والعربية (1)، جريدة الأسبوع الأدبي، ع. 1486، السنة الثلاثون، اتحاد الكتاب العرب، سورية، أبريل 2016م. ص. 16. متوفرة على الرابط:

aztagarabik.com/archives/19660

² CAHEN (C.) : op. cit. p. 170.

³ مرفات كوما: المرجع السابق، ص. 21.

⁴ أريسيان نورا: التداخل اللغوي (1)، ص. 16.

⁵ مرفات كوما: المرجع السابق، ص. 21.

الكتاب الأرمني الاستعارة الموجودة في النصوص الأرمنية الكلاسيكية، وابتعدوا عن المفردات والمبادئ الأجنبية في كتاباتهم، وحبّتهم في ذلك أن الأرمنية هي اللغة الرسمية لمملكة أرمنية الصغرى في قيليقية. وربما لأن الكلمات المستعارة كانت تتعلق بالمجالين الاجتماعي والثقافي، والمتداولة في الحياة اليومية، ولم تدع الحاجة لاستعمالها في النصوص الأدبية والعلمية والدينية والفلسفية المكتوبة.¹

ويذهب فريق آخر ومنهم "كيفورك جاهوكيان" إلى أن الاحتكاك بين اللغتين العربية والأرمنية، بدأ قبل الفتح الإسلامي لأرمنية، إذ يورد في كتابه المعروف "تاريخ اللغة الأرمنية فترة ما قبل الكتابة" إحدى عشر كلمة، ويرجح أنها نقلت من العربية. ومن بين الكلمات التي دخلت الأرمنية قبل الفتح الإسلامي بحوالي 200 إلى 250 سنة، نجد: كلمة راية (العَلَم) بالأرمنية رايك، عطشان بالأرمنية أدشال، أحق بالأرمنية أخماخ، ساحر بالأرمنية سخري، شال (رفع) بالأرمنية شالاك، وغيرها من الألفاظ الأخرى.²

ورغم الخلاف حول دخول العربية للأرمنية قبل القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، لكن الثابت أن ألفاظاً عربية دخلت القاموس الأرمني خلال أزمنة مختلفة، إذ يذكر أن اللغوي الأرمني "هراتشيا أجاريان" تحدث في قاموسه الموسوعي الموسوم بـ"قاموس الأصول اللغوية الأرمني" وهو قاموس لغوي مقارنة، رصد فيه أكثر من 800 كلمة دخيلة من العربية إلى الأرمنية، منها ما توارى واندثر مع مرور الزمن، وبعضها انحصر ضمن لهجات القرى الأرمنية، والبعض الآخر تأصل واندمج بالأرمنية، وصار من الصعب تمييزه عنها.³

إضافة إلى أن المؤرخين الأرمن يعترفون بتأثر الأدب الأرمني بنظيره العربي.⁴ وفي هذا الصدد تقول نورا أريسيان الباحثة الأرمنية المعاصرة "إن التداخل بين اللغة الأرمنية والعربية يعود إلى التداخل بين العرب والأرمن وطبيعة العلاقات العربية الأرمنية التاريخية

¹ أريسيان نورا: التداخل اللغوي (1)، ص. 16؛ مرفات كوما: المرجع السابق، ص. 21-22.

² مرفات كوما: المرجع السابق، ص. 22؛ أريسيان نورا: التداخل اللغوي (1)، ص. 16.

³ مرفات كوما: المرجع السابق، ص. 22.

⁴ أريسيان نورا: التداخل اللغوي بين اللغتين الأرمنية والعربية (2)، جريدة الأسبوع الأدبي، ع. 1482، السنة الثلاثون، اتحاد الكتاب العرب، سورية، 27 مارس 2016م. ص. 24. متوفرة على الرابط:

التي تعود إلى الفتح العربي لأرمينيا في القرن السابع الميلادي بعد العصرين الأموي والعباسي في أرمينيا".¹

ومما لا شك فيه أن السيطرة الإسلامية على إقليم أرمينية خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، أدت إلى تداخل اللغة العربية في اللغة الأرمينية بشكل مثير للانتباه، كما كانت لهجات القبائل العربية أثر بليغ، في انتشار الدخيل العربي إلى المجتمع الأرميني، خاصة لدى العلماء والتجار، الذين اعتبروا من أكثر شرائح المجتمع استعمالاً للغة العربية، كما استخدم هذه الأخيرة على القوم في أرمينية، كالأُسرة "البقراطونية" و"الزكارية" و"الماميكونيانية" وغيرهم من ممثلي المجتمع الأرميني.²

ومع مرور الوقت برز التفاعل الثقافي الإسلامي-الأرميني في الكلمات العربية التي دخلت إلى اللغة الأرمينية، ومنها: فرقان، قرّاء، أمير المؤمنين... وغيرها من الكلمات العربية. كما أن الأرمن الذين هاجروا إلى الأقاليم الإسلامية المجاورة كبلاد الشام والعراق ومصر، وشاهدوا الحضارة الإسلامية بشتى مظاهرها، نقلوا إلى أرمينية ما شاهدوه، فهذا الاحتكاك المباشر بين الطرفين ألغى في الكثير من الأحيان الحواجز العرقية والدينية، كما أن الأسماء العربية مثل: عبد الله، علي، غريب، عباس، حسن، موسى، همام، رشيد، فاطمة، فريدة، جميلة، زبيدة، زينب، زهرة، عزة. والعديد من الألقاب مثل "النشوي" نسبة إلى مدينة النشوى، أو "الدبيلي" نسبة إلى مدينة دبيل، أو "الأرجيشي" نسبة إلى مدينة أرجيش، وغيرها من الأسماء والألقاب والأنساب التي انتشرت عند الأرمن في هذه الفترة.³ ظهرت كنتيجة طبيعية لهذا الاتصال المباشر بين الفئتين.

ومع بداية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، عرف انتشار اللغة العربية في أرمينية تطوراً ملحوظاً، حيث بدأت تدريجياً تنتقل من أوساط الولاة المسلمين والأمراء الأرمن، إلى مختلف فئات المجتمع، الذين اعتبروها لغة علم وفكر واتصال. حيث نقش الأرمن الكتابة العربية على آثارهم العمرانية الضخمة، وعلى الأديرة والكنائس، يضاف إليها النصب التذكارية والأضرحة وشواهد القبور. ومثلت هذه الآثار المادية أهمية كبيرة، وقيمة حضارية

¹ أريسيان نورا: التداخل اللغوي (1)، ص. 16.

² الإمام: المرجع السابق، ص. 51؛ مرفات كوما أبدلا: المرجع السابق، ص. 22.

³ سلمانيان جان جاك، المرجع السابق، ص. 33-34؛ مرفات كوما: المرجع السابق، ص. 22-23.

مشتركة لدى الأرمن والمسلمين على حد سواء.¹ إذ نستطيع دراسة هذه النقوش من منظورين: فهي كآثار مادية مرتبطة بتاريخ وثقافة الأمة الأرمنية، ومن ناحية أخرى، لها علاقة بثقافة الأمة العربية الإسلامية التي دونت بلغتها.² وبذلك يمكن القول أن اللغة العربية تمتعت بمكانة بارزة لدى سكان إقليم أرمنية، بعد أن صارت أداة للتواصل المشترك بين المسلمين والأرمن.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى دور الفتح الإسلامي لأرمنية في تفعيل حركة ترجمة متبادلة، ناتجة عن التبادل الثقافي بين الطرفين العربي والأرمني،³ وساهمت في إدخال العديد من الأمثال العربية إلى الأرمنية، ويذكر أن أول ترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الأرمنية حدثت عام 194هـ/810م. وتمثلت في وضع تفسير لإنجيل يوحنا. ونظرا لما شهده العالم الإسلامي من تطور في علم الفلك والكيمياء والجبر والطب والزراعة، فقد قام الأرمن بترجمة الكتب العربية التي تحمل هذه العلوم إلى الأرمنية، وتم ذلك عبر فترات مختلفة.⁴

وتركت هذه الترجمات أثرا بالغا في اللغة الأرمنية، بفعل تزايد الكلمات العربية الدخيلة إلى اللغة الأرمنية مع مرور الوقت. فمن البراهين الأخرى الدالة على التفاعل الثقافي بين الأرمن والمسلمين، استخدام الأرمن مئات المفردات العربية، أو ألفاظا من أصل عربي، في لغتهم المحكية والمكتوبة، إضافة إلى وجود المئات من الكتابات والنقوش العربية، والتي مازالت منقوشة على حجارة أرمنية إلى وقتنا الحالي. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى ما تحتويه دار المخطوطات الأرمنية، وخاصة متحف "ماتيناداران" من كنوز ونفائس عربية، تتجاوز المئات، من ضمنها قواميس عربية-أرمنية مدونة بالخط الأرمني.⁵

وهناك من ينتقد هذا الأمر، ويرى بأن تلك المفردات ليست أرمنية، ويعتبر آخرون أن احتكاك العرب بالأرمن إبان هذه الفترة، أدى إلى تسرب مفردات عربية إلى اللغة الأرمنية.⁶

1 محمد رفعت الإمام: المرجع السابق، ص. 51-52؛ مرفات كوما: المرجع السابق، ص. 23.

2 الإمام: المرجع السابق، ص. 52.

3 أريسيان نورا: التداخل اللغوي (1)، ص. 16.

4 سلمانجان جاك، المرجع السابق، ص. 35-36.

5 محمد رفعت الإمام: المرجع السابق، ص. 21؛ سلمانجان جاك، المرجع السابق، ص. 36.

6 يذكر أن المفردات العربية الدخيلة في اللغة الأرمنية نوعان: مباشرة وغير مباشرة، فبالنسبة للكلمات الدخيلة المباشرة فهي التي تؤخذ مباشرة من اللغة العربية، أما الكلمات الدخيلة غير المباشرة فهي التي تنتقل بواسطة لغات أخرى، وعلى

مثل: حرام بالأرمنية هارام، وحلال بالأرمنية هالال، واللغة بالأرمنية ناللات، وغيرها من الألفاظ التي استعملت دون إخضاعها لقواعد الصرف العربية. ويقدر بعض الباحثين عدد الأسماء الأرمنية ذات الأصل العربي بحوالي أربعين اسماً، حيث تستخدم دون إخضاعها لتركيب معين، مثل: خاص بالأرمنية خاص، عزيز بالأرمنية أزيز، عازب بالأرمنية أزاب، عجيب بالأرمنية أجيب، متواضع أو مستور بالأرمنية ماستور، ظالم بالأرمنية زالوم، مسكين بالأرمنية ميسكين، لائق بالأرمنية لايخ، رشيد بالأرمنية رشيد أي ناضج، كما استخدمت هذه الأخيرة أيضاً كاسم علم.¹

ولم تقتصر هذه الاستعارة على الأسماء فقط، بل تعدته إلى الصفات والأحوال والأفعال والحروف، وفي هذا المقام نجد صفات انتقلت من العربية إلى الأرمنية في الحقبة المتوسطة دون تغيير، ولكن مع مرور الوقت طرأ عليها تغيرات،² وساهمت في تكوين الكلمات، ومنها: غلط بالأرمنية غالاظ، جاهل بالأرمنية جاهيل، غريب بالأرمنية غاريب، إضافة إلى صفات أخرى اشتقت من الأسماء العربية، مثل: مدد بالأرمنية ماداد، ولطيف بالأرمنية لطيف، وعذاب بالأرمنية عذاب. وصفات أخرى حوّلت إلى حال، مثل: مخمور بالأرمنية خومار، ومتعجب وعلمي وبطال، وغيرها من الأحوال. ووفق العديد من المصادر اللغوية الأرمنية المتخصصة، فإن كلمة غريب هي الأكثر تداولاً في اللغة الأرمنية.³ ويعتقد أن معظم هذه المفردات تمت استعارتها في فترة الحكم الإسلامي لأرمنية (41-271هـ/661-885م)، ولاحقاً أدخلت كلمات عربية جديدة إلى اللغة الأرمنية بعد القرن

سبيل المثال الكثير من المفردات العربية المنقولة إلى الأرمنية عبر الفارسية أو التركية، اللتان استعملتا كوسيط، وشمل هذا النوع من الاستعارة الفترة التي سبقت الفتح الإسلامي لأرمنية وبعده. مرفات كوما أبدلاً: المرجع السابق، ص. 22.

¹ أريسيان نورا: التداخل اللغوي (2)، ص. 24.

² جدير الذكر أن الاستعارة من اللغة العربية إلى الأرمنية كانت في البداية مباشرة، ولكن بمرور الزمن انتقلت مفردات عربية بواسطة اللغة الفارسية، وخلال العصور الوسطى المتأخرة وبداية الفترة التاريخية الحديثة استعيرت ألفاظ عربية عن طريق اللغة التركية، وكمثال على ذلك كلمة مهدسي التركية، بالعربية مقدسي، وبالأرمنية مخسي، وهي تشير إلى شخص قام بالحج إلى القدس. ومما لا شك فيه أن هذه الكلمة أصلها عربي، وبما أن حرف القاف غير موجود في الأرمنية، فإنه ينطق بصوت الهاء العربية. يضاف إليها كلمات كثيرة أخرى، منها على سبيل المثال: هريسة، حلاوة، الكحول، القهوة، ومعيّار الوزن القنطار، الذي كان يمثل أكبر معيار للوزن في سوق مدينة يريفان. وفي مستهل القرن التاسع عشر الميلادي ألف الكاتب الأرمني المشهور خاتشادور أبوفيان كتابه المسمى "لغة في أوقات الفراغ"، استعمل فيه عدة كلمات مستعارة من العربية، انتقلت إلى التركية ثم الأرمنية، ومنها: مجلس، الحال، خاطر، الخرج-الخرجة، المراد، الوقت، وغيرها من المفردات. أريسيان نورا: التداخل اللغوي (2)، ص. 24.

³ نفسه.

السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، في خضم الاتصال المباشر الذي حدث بين العرب والأرمن في قيليقية.¹

ومن بين العلوم التي بذل فيها كل من المسلمين والأرمن جهوداً مشتركة مضيئة، الطب العربي الذي أضحى في علاقة وثيقة مع الطب الأرمني. ويذكر أن عدداً كبيراً من الأطباء العرب عملوا عند النبلاء الأرمن. وعرف الملك الأرمني كاكيك بحبه للعلوم والأطباء، لذلك أمر بترجمة أهم المصادر العربية في الطب إلى الأرمنية، كما أنشأ نادياً علمياً خاصاً في قصره كان مقصداً للكثير من الأطباء العرب والأرمن. وبسبب هذه الظروف الملائمة ظهر العديد من الأطباء الذين نالوا شهرة كبيرة، ومن الأطباء العرب الذين كتبوا باللغة الأرمنية: أبو سعيد وعيسى أبو سعيد، إلى جانب الأطباء الأرمن مثل: سيمون وميخائيل وأسطيفان وغيرهم من الأطباء.² ويتحدث الباحث الأرمني هوانيسيان عن روابط وعلاقات وثيقة جداً بين الطب الإسلامي والطب الأرمني، حيث سمح التواجد الإسلامي في أرمنية للأطباء المسلمين بالتنقل إلى هذا الإقليم والتعليم في مختلف مدنه، وكثير منهم اختص بدراسة الأعشاب الطبية، وتمتعوا بشهرة كبيرة، وخلفوا مؤلفات طبية عديدة باللغة الأرمنية كالطبيب الشامي فرج الحلبي.³

وجاء في كتاب "صورة الأرض" لشاهد العيان الرحالة ابن حوقل، وهو يتحدث عن الكفاءة العالية التي تميّز بها الأطباء الأرمن في تلك الفترة، ما نصه: "وفيهما أطباء فضلاء أدركتهم أجلاء مياسير بصناعة الطب"⁴ وهذا دليل آخر على تطور المجال الطبي في أرمنية خلال العهد الإسلامي.

ويقرّ أبو الطب الأرمني مخيتار هيراتسي Mkhitar Heratsi⁵ في أبرز مؤلفاته "تخفيف الحمى" بأنه اطلع على المؤلفات الطبية التي كتبها المسلمون، واستفاد منها، وقال

¹ أريسيان نورا: التداخل اللغوي (1)، ص. 16.

² سلمانيان جان جاك: المرجع السابق، ص. 42 وما بعدها؛ نقلاً عن: جيبجيان: تاريخ الطب الأرمني.

³ المدور: المرجع السابق، ص. 496.

⁴ ص. 299.

⁵ ولد سنة 1120/513م ولد في مدينة أردبيل Her (تسمى اليوم خوي، وتقع في إيران) وتلقى تعليمه في قيليقية، ومارس مهنته في عاصمتها سيس. كان من أشهر الأطباء في العصور الوسطى، وهو من أتباع مدرسة أبقراط الطبية، ونظراً لصلوّه في اللغة اليونانية والفارسية والعربية فقد اطلع على ما وصل هؤلاء من تطور في المجال الطبي، ووظفه في تأسيس المدرسة الطبية الأرمنية. قدم بعض الملاحظات والأفكار الطبية السابقة لعصره بكثير، ومنها تفسيراته للأمراض المعدية وضرورة عزل المريض، وأهمية العوامل النفسية في عملية العلاج، وآثار البيئة وعادات الأكل ونمط

بأنهم كانوا على دراية واسعة بالمبادئ الأساسية للطب، على عكس المؤلفات الأرمنية التي لم يتمكن من العثور على أي أساسيات من هذا القبيل فيها.¹ ونقل في كتابه المذكور أنفاً بعض الأعشاب الطبية التي تنمو بالشرق الإسلامي، مكتوبة باللغة العربية، وعدّد أسماء مشاهير الطب عند المسلمين، مثل: ابن سينا ومحمد بن زكرياء الرازي وثابت بن قرّة وغيرهم من مشاهير الأطباء المسلمين، مما جعل البعض يتحدث عن انتمائه في دراسته إلى المدرسة الإسلامية.²

وتجدر الإشارة إلى أن الترجمات الطبية والعلمية، كان لها أكبر الأثر في انتقال الكثير من المفردات العربية إلى اللغة الأرمنية، بشهادة العديد من الأطباء الأرمن، وعلى رأسهم العالم "كريكور داتيفاتسي" والطبيب الذائع الصيت "أمير دولت"، والذين تأثروا في كثير من الأحيان بشيوخهم المسلمين. ويذكر أن التعاون الطبي بين الأطباء الأرمن والمسلمين كان وثيقاً، خاصة إذا علمنا أنهم كانوا يعملون جنباً إلى جنب. وبالمقابل فإن بعض الأطباء المسلمين الذين استوطنوا أرمنية كانوا يجيدون استعمال لغة أهلها، لدرجة مكنتهم من تأليف كتب طبية بالتعاون مع زملائهم في المهنة من الأرمن.³

واحتلت أسماء النباتات الصادرة من الاستعارة، في ترجمة المؤلفات الطبية العربية إلى اللغة الأرمنية، وكمثال على ذلك: بقلة، زنجبيل، بابوناج، زعرور، زعفران، وغيرها من النباتات. إضافة إلى أسماء بعض الأمراض مثل: ذبحة، وزكام وغيرها من الأمراض. نجد أيضاً أعضاء التشريح كعضلة، أجواف، أحشاء، غدة، مستقيم، شريان، وغيرها من الأعضاء. ومصطلحات طبية تؤدي إلى العلاج مثل: علاج، معجون، حب، شراب (دواء)، وغيرها من المصطلحات. وانتقل الاقتباس إلى أسماء الحيوانات مثل: زرافة، عقرب، الخيل، أدهم، عصم، بقرة، حلزون، ببغاء، وغيرها من أسماء الحيوانات. وكذلك مفردات من علم

الحياة وأهمية العلاج الطبيعي، وامتدت معرفته إلى عدة فروع من الطب مثل: طب العيون وعلم الأدوية. توفي سنة 1200/596م. أنظر:

HACIKYAN (Agop J.) : The Heritage of Armenian Literature, Wayne State University Press, Detroit, 2002, V. 2, p. 427 et suiv.

¹ Ibid.

² أديب السيد: المرجع السابق، ص. 266؛ المدور: المرجع السابق، ص. 484.

³ مرفات كوما: المرجع السابق، ص. 23.

الفلك والكيمياء، يضاف إليها عدد لا بأس به من الألفاظ الدينية والإدارية والأدوات والمناجم والملابس والمأكولات والزراعة والصناعة والتجارة، وغيرها من المفردات.¹

ومن خلال دراسة هذه الكلمات العربية الدخيلة إلى اللغة الأرمنية،² تظهر الجوانب الجوهرية والمظاهر الدقيقة للتأثيرات الثقافية والتفاعل بين اللغتين. ومن المرجح أن يكون السبب وراء استخدام الأرمن لهذه الألفاظ، راجع إلى سهولتها التي فاقت كثيرا الكلمات الأرمنية أو الفارسية التي كانوا يتعاملون بها، كما أنهم أدخلوا بعض المصطلحات والمفردات العربية التي لم يجدوا لها بديلا في لغتهم، وحولوها إلى اللغة الأرمنية. ومما هو جدير بالإشارة أن تفوق المسلمين في العلوم الطبية والكيميائية والفلكية والفلسفية أدى إلى ظهور الكثير من المصطلحات العلمية العربية في اللغة الأرمنية. ومما لا شك فيه أن العربية في هذه الفترة كانت لغة علم وثقافة، مما جعلها موردا أساسيا لكل من يرغب في اكتساب المعرفة، وهذا ما جعلها موضع استعارة من حيث الألفاظ والمصطلحات.³

وأدت ترجمة عدة مؤلفات عربية إلى الأرمنية إلى دخول العديد من الكلمات العربية في اللغة الأرمنية، كالكتاب المشهور "كليلة ودمنة". كما قام العديد من أدباء قيليقية بترجمة بعض الكتب العربية إلى الأرمنية، ومنهم: كريكور طبير وواسيل طبير وسركيس بيزال. إضافة إلى بعض قصائد الشاعر العربي أبو العلاء المعري، التي ترجمت إلى اللغة الأرمنية، بحكم أن صاحبها هو الشاعر المفضل لدى الأرمن من شعراء الأمم الأخرى.⁴

إضافة إلى أن العديد من المفكرين الأرمن كانوا على دراية تامة، ومعرفة وثيقة بمؤلفات العلماء المسلمين، مثل: أبو يوسف الكندي (185-256هـ/805-873م) المعروف ببراعته في الرياضيات والطب والفلسفة، وغيرها من العلوم، والفيلسوف الغني عن التعريف ابن رشد، إذ ترجمت مقتطفات من أعمال هذان العالمان المسلمين، إلى اللغة الأرمنية. وبالمقابل برز اهتمام عربي كبير إزاء الإنجازات الفكرية الأرمنية، إذ تعد الترجمة

¹ أريسيان نورا: التداخل اللغوي (1)، ص. 16؛ مرفات كوما أبديلا: المرجع السابق، ص. 23-24.

² تجدر الإشارة إلى أن الدخيل العربي في اللغة الأرمنية الحديثة قد توارى، باستثناء اللهجات العامية المتعامل بها داخل القرى الأرمنية. كما يمكننا حاليا اكتشاف هذه الكلمات الدخيلة عبر كتب الأدب الأرمني المؤلفة خلال العصور الوسطى.

مرفات كوما: المرجع السابق، ص. 27.

³ أريسيان نورا: التداخل اللغوي (1)، ص. 16؛ مرفات كوما أبديلا: المرجع السابق، ص. 24.

⁴ المدور: المرجع السابق، ص. 484؛ محمد رفعت الإمام: المرجع السابق، ص. 21؛ مرفات كوما: المرجع السابق،

ص. 24.

العربية للمؤلف الأرمني "أكاتانكيغوس" الذي عاش في القرن الخامس الميلادي، نموذجاً يدل على هذا الاهتمام، من خلال ترجمة كتابه "تاريخ أرمنية" إلى اللغة العربية.¹ وعلى الصعيد الفكري والفلسفي اهتم الفلاسفة والمفكرون المسلمون والأرمن على حد سواء بالجانبين الثقافي والعلمي، واتسمت الفلسفتان العربية والأرمنية بصفات كثيرة مشتركة.²

ونظراً لاستقرار العديد من القبائل العربية في أرمنية إبان الفتح الإسلامي، فقد كان من البديهي أن يبرز بينهم علماء نبغوا في مجالات شتى، عاشوا في هذه البلاد وانتسبوا إلى مدنها. إذ يذكر البلاذري في كتابه "فتوح البلدان" أنه اعتمد في نقل أخبار أرمنية، على ثلثة من أبرز علمائها، ومنهم: محمد بن إسماعيل، الساكن بمدينة بردعة، وأبي براء عنسبة بن بحر الأرمني، ومحمد بن بشر وابن وُرز القَالِيَان، وبِرْمَك بن عبد الله الديبلي، ومحمد بن المُخَيَّس الخلاطي.³

وانفرد الحموي بذكر الكثير من العلماء في معجمه، ومنهم: جماعة من أئمة مدينة بردعة، أبرزهم: مَكِّي بن أحمد بن سعدويه البرذعي أحد أكثر المحدثين، والرحالة المحصلين للعلم، سافر إلى نيسابور سنة 330هـ/941م فأقام فيها، وانتقل منها إلى بلاد ما وراء النهر. اشتهر بكثرة مؤلفاته، توفي سنة 354هـ/965م. ومن علماء بردعة نجد أيضاً سعيد بن عمرو بن عمار أبو عثمان الأزدي البرذعي، وعبد العزيز بن الحسن البرذعي الحافظ والرحالة المعروف بزهد وورعه. انتقل إلى نيسابور لطلب العلم، ثم خرج منها إلى نسا، وتوفي فيها سنة 323هـ/934م.

ومن علماء الحديث بمدينة برزند نجد: أبو منصور صالح بن بُدِيل ابن علي البرزندي الذي توفي ببغداد سنة 493هـ/1099م، وبُديِل بن علي بن بُدِيل البرزندي أبو القاسم الفقيه. واشتهرت كورة أَرَان بفقيها عبد الخالق بن أبي المعالي بن محمد الأَرَانِي الشافعي. ونسب إلى مدينة البيلقان أبو المعالي عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك البيلقاني، سافر إلى خراسان والعراق لدراسة علم الحديث. توفي بالبيلقان بعد سنة 496هـ/1102م. واشتهرت مدينة أَرَجِش بوجود الفقيه الصالح أبو الحسن علي بن محمد بن منصور بن داود

¹ محمد رفعت الإمام: المرجع السابق، ص. 21.

² أريسيان نورا: التداخل اللغوي (1)، ص. 16.

³ ص. 272، 280.

الأرجيشي، ولد في خانقاه¹ أبي إسحاق من نواحي أرجيش، وتفقّه على المذهب الشافعي، وسافر إلى حلب وأقام فيها متعبداً بمدرسة الزّجاجين، وذكر الحموي أنه أقام معه في هذه المدرسة.²

وينسب إلى مدينة تفليس جماعة من أهل العلم، منهم: أبو أحمد حامد بن يوسف بن أحمد بن الحسين التفليسي، رحل إلى بغداد وسمع بها الحديث، كما سافر في طلب العلم إلى بيت المقدس ودمشق، التي خرج منها سنة 483هـ/1089م. واشتهر بمدينة دبل المحدث عبد الرحمن بن يحيى الديلي.³ كما عرفت مدينة شروان بوجود العديد من المحدثين ومنهم: أبو بكر محمد بن عثير بن معروف الشرواني، وكان فقيهاً وصالحاً. وشمشاط التي نسب إليها الشاعر أبو الحسن علي بن محمد الشمشاطي المعروف بتصانيفه الأدبية، عاش في زمن سيف الدولة بن حمدان.⁴ ومن أبرز علماء مدينة قاليقلا الأديب العالم أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، الذي سافر في طلب العلم إلى بغداد، وأخذ عن مشايخها، ثم انتقل إلى الأندلس وأقام في مدينة قرطبة، وبها نبغ واشتهر، وتوفي فيها عام 356هـ/966م. وإلى مدينة قبلّة ينسب أبو بكر محمد بن عمر بن حفص الحكم الثغري المعروف بالقبلي، درس علم الحديث ببغداد.⁵

ومن مدينة النشوى نجد حداد بن عاصم بكران أبو الفضل النشوي، خازن دار الكتب بمدينة جنزة، والمفرّج بن أبي عبد الله النشوي وهو من أعيان الفقهاء وحفاظ الحديث، روى عن أبي العباس النبهاني النشوي وأقرانه من شيوخ مدينته، وأحمد بن الحجاج أبو بكر الأذري النشوي. وإذا انتقلنا إلى مدينة منّاّرْجُرد⁶ فإننا نجد أبو نصر المنازي، الذي صار

¹ جمعه خوانق أو خوانك "وهي كلمة فارسية معناها بيت، وقيل أصلها خونقاه، أي الموضع الذي يأكل فيه الملك، والخوانك حدثت في الإسلام في حدود الأربعمئة من سني الهجرة، وجُعِلت لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى". المقرّيزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، وضع حواشيه: خليل منصف، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط. 1، 1418هـ/1998م. ج. 4، ص. 280.

² الحموي: المصدر السابق، مج. 1، ص. 136 وما بعدها.

³ الحموي: المصدر السابق، مج. 2، ص. 37، 439.

⁴ نفسه، مج. 3، ص. 339، 362.

⁵ نفسه، مج. 4، ص. 300، 307.

⁶ "أهلها يقولون منّاّرْجُرد، بالكاف: بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم يعدّ في أرمنية وأهله أرمن وروم". الحموي: المصدر السابق، مج. 5، ص. 202.

وزيرا لبعض آل مروان ملوك ديار بكر، وكان "فاضلا أديبا جيد الشعر"¹ له عدة مؤلفات، تناول فيها أخبار المسلمين والأرمن معا. توفي سنة 437هـ/1045م.²

وتعتبر مدينة خلاط مسقط رأس الكثير من العلماء والأولياء، ولعل من أبرزهم حسين الخلاطي، الذي نبغ في علمي الظاهر والباطن،³ وعدّ في طليعة علماء عصره، وذاع صيته في معرفة علم الجفر.⁴ ومن فضلاء هذه المدينة أيضا محي الدين الخلاطي، وكان من أنبغ علماء عصره في علمي الرياضيات والهيئة. حتى أن العالم نصير الدين الطوسي طلب مساعدته في انجاز مرصد فلكي بمدينة مراغة، فلبّى دعوته.⁵

وشهد إقليم أرمنية كغيره من أقاليم الخلافة الإسلامية تغلغل المذاهب الفقهية المختلفة إلى مدنه، ففي هذا الصدد يقول المقدسي: "ومذاهبهم مستقيمة إلا أن أهل الحديث حنابلة والغالب بدليل مذهب أبي حنيفة رحمه الله ويوجدون في بعض المدن بلا غلبة"⁶ ويؤيده في ذلك ابن حوقل الذي يورد إشارات تدل على انتشار مذهب أهل الحديث في أرمنية،⁷ وأضاف القزويني بأن مدينة جنزة "أهلها أهل السنة والجماعة".⁸ ويبدو أن التشدد في المذاهب كان موجودا بهذا القطر الإسلامي، وهو ما يقرّ به المقدسي حين يقول: "أهل جماعة وسنة وفصاحة وهيبة...إلا أن كلاً في مذهبه غالٍ"⁹ ويضيف أن المسلمين في أرمنية لا يقولون بعلم الكلام¹⁰ ولا يتشيعون، غير أن التصوف موجود بينهم، إذ كان بمدينة دبيل خانقاه.¹¹

5- العلاقات الفنية

1 الحموي: المصدر السابق، مج. 5، ص. 202، 287.

2 المدور: المرجع السابق، ص. 495.

3 علم الظاهر يقصد به الفقه، أما علم الباطن فهو التصوف.

4 يسمى علم الحروف أيضا، يدعي أصحابه أنهم يعرفون بواسطته الحوادث الغيبية التي ستقع، إلى غاية نهاية العالم.

شرف الدين البديلي: شرفنامه، تر. محمد علي عوني، دار الزمان، دمشق-سوريا، ط. 2، 2006م، ج. 4، ص. 589.

5 شرفنامه: المصدر السابق، ج. 4، ص. 589.

6 المصدر السابق، ص. 317.

7 المصدر السابق، ص. 299.

8 المصدر السابق، ص. 522.

9 المصدر السابق، ص. 314.

10 ويؤيده في ذلك ابن حوقل حين يقول: " وليس بجميع أذربيجان وأرمنية والرائيين متكلم ولا متعصب للكلام والنظر... يرون أن المنطق كفر...شغل قاطع عن الواجبات وصادّ عن أكثر أسباب السياسات". المصدر السابق، ص. 299.

11 نفسه، ص. 317.

ظهر هذا النوع من العلاقات جليا في شتى المجالات، ومنها البناء والزخرفة، فالقبائل العربية التي سكنت المدن الأرمنية مثل: قاليقلا ودبيل وخلاط وبرذعة وتقليس وملاذكرد وأرجيش وباب الأبواب وأزان وشروان... وغيرها من المدن،¹ شيدوا سكناات على طريقتهم العربية الخاصة. ورغم أن فن البناء الأرمني كان قد بلغ أوجّه خلال القرن السابع الميلادي إلا أنهم تأثّروا بما قدّم لهم الفن العربي من جديد في هذا المجال، حيث أن الأرمن الذين احتكوا بالمسلمين، ساهموا بشكل مباشر في نشر الفن العمراني العربي، سواء في ميدان هندسة البناء أو الفن الزخرفي. وبذلك برز أثر الفن العربي في أرمنية وخارجها. كما ساهم الأرمن بشكل فعّال في تطوير هندسة البناء العربية، بسبب قدم تراثهم ومستواهم المرموق من التقدم والازدهار.² ومن جهة أخرى دفعت سياسة الروم التعسفية تجاه الأرمن³ للاحتكاك بالمسلمين أكثر فأكثر.

استعمل الأرمن طريقتهم الخاصة في تشييد المباني، حيث استخدموا الأقواس لتغطية الأسطح الواسعة بغطاء حجري. هذه الفكرة انتشرت في أرمنية ونقلها عنهم المسلمون إلى الأقاليم الإسلامية خلال القرنين التاسع والعاشر للميلاد، وأوصلوها إلى الأندلس وصقلية، ومن ثم انتقلت إلى فرنسا حيث دخلت في الفن القوطي. ويذكر أن القناطر المبنية على الأقواس الحجرية في الفن القوطي انطلقت أيضا من أرمنية، وانتقلت إلى الغرب بواسطة المسلمين والمهاجرين الأرمن ودخلت في الفن الرومي.

شهد الفن الزخرفي الأرمني تطورا ملحوظا بعد الاتصالات المباشرة بين المسلمين والأرمن، وبسبب انتقال هذا الفن إلى مرحلة متقدمة من الازدهار لكلا الطرفين على حدّ سواء. ومن مظاهر هذا الاحتكاك ما وجد على بعض المآذن وقبب الجوامع من أشكال كروية تعرف بـ"التفاح الذهبي" وهي تشير إلى بذرة تتحول إلى ثمار، وأحيانا أخرى نجد رمزا لشجرة الخلود⁴ التي تتشكل من حبة وفوقها شجرة الخلود وعليها الثمرة.¹ والجدير بالذكر أن

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 279 وما بعدها؛ أديب السيد: المرجع السابق، ص. 77.

² سلمانيان: المرجع السابق، ص. 38؛ أنظر أيضا:

MACLER : T. C. Arm. p. 18.

³ المدور: المرجع السابق، ص. 192-193.

هذا النوع من القرب والمآذن مازال منتشرا إلى يومنا هذا، وهو دليل على التفاعل الحضاري الإسلامي-الأرمني الذي حدث خلال فترة الحكم الإسلامي في أرمينية.

ويذكر أن التبادل الفني مع بلاد المشرق في مجال النحت عرف مرحلة جديدة، بعد الفتح الإسلامي لأرمينية، فقد اهتم الخلفاء الأمويون والعباسيون بالفنون، ووظفوا العديد من الفنانين الأرمن للنحت في قصورهم وقلاعهم، وبذلك يمكن القول أن الفنون الإسلامية قد تأثرت بدورها بالفنون الأرمينية، ويظهر هذا التأثير جليا في الأطواق والإفريزات ذات الأشكال الهندسية المتداخلة، التي زينت بها العديد من المساجد والمنابر في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وصولا إلى بلاد المغرب والأندلس.²

ويبدو أن تميز الكنيسة الأرمينية لم يقتصر في الجانب المذهبي بل تعداه إلى مجالات أخرى، ومنها الميدان الفني، فقد اختلفت عن الكنائس الأخرى في طرازها المعماري الفريد، الذي ميّزها في شكلها وهندستها عن الكنائس الرومية والقبطية والسريانية، ويبدو أن الحضارة الأرمينية قد بلغت شأواً بعيداً، إذ تشير الأدلة والحقائق صراحة إلى وجود مؤثرات أرمينية في مجال فنون العمارة تجاوزت حدود البلاد، لتطال أقاليم أخرى كثيرة مجاورة ونائية، وتذكر السجلات أن "تردات" المهندس المعماري الأرمني الذي شيد كاتيدرائية مدينة آني الشهيرة، قد انتدب للمساهمة في ترميم قبة كاتيدرائية آيا صوفيا في القسطنطينية، عندما تعرضت للهدم، إثر زلزال ضرب المدينة عام 378هـ/989م.

وهناك لوحة منقوشة بصليب مزخرف، عثر عليها في بلدة مسترا، وعليها نقش مكتوبة باليونانية، هذا نصه: "يوسف الأرمني من أرمينية الكبرى". وهذا ما جعل أحد العلماء المختصين في الهندسة المعمارية يتحدث عن دور أساسي للأرمن، في تكوين أصول الهندسة المعمارية الأوروبية، والمساهمة في تطوير العمارة المسيحية بشكل عام.³ ومن

¹ سلمانيان: المرجع السابق، ص. 38 وما بعدها؛ نقلا عن: مناتساكانيان: الفن الزخرفي الأرمني.

² عطية عزيز سوريال: تاريخ المسيحية الشرقية، تر. إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط. 1، 2005م. ص. 438.

³ سوريال: المرجع السابق، ص. 438 وما بعدها؛ زرقوق: إمارة أرمينية الصغرى، ص. 433؛ للمزيد والتوسع أكثر راجع أيضا: المدور: المرجع السابق، ص. 353-365.

الجانب المقابل اهتم ولاية أرمنية المسلمون بالمجال العمراني، إذ شيدوا الكثير من المساجد، والمدارس، والأبراج، والقلاع، والحمامات، والخانات، وغيرها من دور الخدمات الاجتماعية.¹ وترجع أقدم النقوش العربية إلى أواسط القرن 2هـ/8م، حسب ما اكتشف في منطقة "زوارتنوتس". ويقال أن أرمنية الحالية يتواجد فيها أكثر من خمسمائة أثر مادي، نقش فيه الفنانون الأرمن باللغة العربية على آثار معمارية مختلفة، كالأديرة والكنائس وشواهد القبور وغيرها من الآثار. وبالمقابل نقش الفنانون المسلمون الكتابة العربية على شواهد القبور، والآثار المعمارية، الخاصة بهم. وتكمن قيمة هذه النقوش في كونها شواهد وثائقية لا يمكن التشكيك في صحتها، فهي تقدم المعلومات دون تحوير أو تشويه، خاصة إذا علمنا أنها قامت بسد النقص الموجود في المصادر العربية والأرمنية والرومية والفارسية والجورجية والسريانية.²

وتمثل أحيانا المعين الوحيد لدراسة تاريخ والي مسلم معين، أو إمارات معينة، فبفضل المعطيات التي قدمتها النقوش العربية التي تم التنقيب عنها، في مدن: دبيل وقارص وكارين وأرزنجان وغيرها من المدن الأرمنية، تمكّن المؤرخون من استكمال شجرة نسب الولاية والأمراء المسلمين المتعاقبين على حكم أرمنية، وتحديد مدد حكمهم، وترتيبهم الكرونولوجي، وتدقيق حدود ولايتهم. إضافة إلى ذكرها لأسماء بعض الأمراء الأرمن الذين اعتنقوا الدين الإسلامي وحكموا مقاطعة سيونيك، وأحفاد الأمراء الأوريليانيين. كما أن الاعتماد عليها يمكننا من التعرف على التركيب الإثني للسكان في بعض المناطق، وتحديد أماكن تواجد القبائل العربية التي استوطنت أرمنية في ظل الحكم الإسلامي.³

وبرع الأرمن في صناعة المنسوجات بمختلف أصنافها، وخاصة البُسُط التي تصنع في مدينة دبيل وتصدر إلى العديد من الأقاليم الإسلامية المجاورة، وكانت مطلوبة بكثرة لما تتميز به عن غيرها من دقة وجودة،⁴ وخاصة في العاصمة العباسية بغداد التي كان يرتادها

1 محمد رفعت الإمام: المرجع السابق، ص. 55.

2 الإمام: المرجع السابق، ص. 51 وما بعدها.

3 نفسه، ص. 53-54.

4 ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 294؛ الإصطخري: المصدر السابق، ص. 188.

التجار الأرمن بكثرة.¹ وخلال القرن 2هـ/8م وضع المسلمون البُسُط الأرمنية ضمن قائمة الضرائب العينية المفروضة على إقليم أرمنية، ويذكر أن الأرمن كانوا يدفعون عشرون بساطا سنويا لبیت مال المسلمين.² وكان الخلفاء يفضلون البُسُط الأرمنية على ما عداها من البُسُط، حيث عرف عن الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بأنه كان يستعملها بكثرة في قصره.³

وقام الأرمن بإدخال العناصر العربية في الفن الأرمني لصناعة البُسُط، كالكتابة بالخط الكوفي على جوانب البسط التي يصنعونها، وهكذا دخلت هذه العادة في الفن الأرمني وبدأت تظهر آثارها في النشاطات الفنية التي وضعت في تلك الفترة. ويذكر أن الحرفيين الأرمن طلب منهم الخلفاء نسج البسط ووضع آيات قرآنية على أطرافها، مع إضافة رسوم مشابهة للخط الكوفي.⁴

إن الموقع الجغرافي الاستراتيجي لأرمنية، وتوفر الموارد وتطور النشاط الصناعي ومهارة الصناع الأرمن، نتج عنه ازدهار النشاط التجاري، فاشتهرت البلاد بعدد هائل من المحاصيل الزراعية كالعنب والتين والرمّان والقمح والشعير وغيرها من المحاصيل، وتربية الخيول والطيور الداجنة والنحل. وأضحت العديد من المدن الأرمنية مركزا مهما لعبور القوافل التجارية المارة من حدود إمبراطورية الروم إلى بلاد فارس والخلافة الإسلامية. واحتلت الأسواق التجارية الأرمنية مكانة بالغة الأهمية في العلاقات بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، واحتفظت بصلات تجارية حميمة مع العالم الإسلامي والبلدان المجاورة له.⁵

يضاف إليها صور أخرى للترباط بين المسلمين والأرمن، وذلك من خلال الألبسة الإسلامية التي اعتاد على ارتدائها العديد من الملوك والأمراء الأرمن. فقد ذكر المؤرخ

¹ اليعقوبي، المصدر السابق، ص. 23.

² الجهشيارى: المصدر السابق، ص. 286؛ ابن خلدون: المقدمة، ج. 2، ص. 550؛ للمزيد أنظر أيضا:

LAURENT, op. cit. p. 161.

³ آدم منز: المرجع السابق، مج. 2، ص. 359.

⁴ سلمانيان جان جاك: المرجع السابق، ص. 46.

⁵ بولاديان آرشاك: المرجع السابق، ص. 16.

الأرمني سبيوس أن والي الشام معاوية بن أبي سفيان أهدى إلى ملك أرمينية تيودور الرشتوني ثيابا مرصعة بالذهب، ظهر بها الملك الأرمني في قصره وفي الأماكن العامة. كما يروى أن والي أرمينية عيسى قدّم لأمير أمراء أرمينية أشوط الأول التاج والألبسة الملكية المطرزة على الطريقة العربية، وأهدى الوليد جثليق أرمينية هوفهانس الألبسة النفيسة. زيادة على ما سبق فإن العديد من كبار الموظفين والتجار الأرمن كانوا يفضلون ارتداء الملابس العربية، لأنهم اعتادوا على لبسها أثناء سفرهم إلى مختلف الأقاليم الإسلامية.

والظاهر أن معظم الملوك الأرمن الذين وصلوا إلى سدة الحكم في ظل الحكم الإسلامي لأرمينية، أهدى لهم الخلفاء المسلمون التيجان والسيوف والملابس الإسلامية، هذه الهدايا كانت تعبّر لهم عن الاحترام والتقدير والصداقة الإسلامية-الأرمنية، وكمثال على ذلك ما ناله الملك الأرمني كاكيك أدرزروني (ت. 943م) وغيره من الملوك الآخرين. إضافة إلى الأمراء الأرمن الذين منحوا الأسلحة والأدوات الحربية من قبل المسلمين لمحاربة الأعداء، كما حدث مع الأمير أرفافاست ماميكونيان.¹

هناك العديد من الأمثلة حول ارتداء الملوك الأرمن للزّي الإسلامي، ولعل من أبرز الأدلة التمثال الذي عثر عليه بمدينة آني،² والذي يرجع للملك الأرمني كاكيك الأول Gagik I البقراطوني (ت. 1020م).³ يرتدي الزّي الإسلامي وعلى رأسه عمامة إسلامية كبيرة. إذ ظهر الملك بهذا اللباس احتراماً للخليفة العباسي الذي أرسله له تقديراً لمنجزاته. ولولا علامة الصليب المعلقة على صدره، لظنّ الناظر إلى صورته أنّه خليفة من الخلفاء المسلمين.⁴ وتجدر الإشارة إلى أن الأثر الإسلامي على الأزياء الأرمنية بقي محصوراً على

¹ سلمانيان جان جاك: المرجع السابق، ص. 49.

² ارجع إلى الملحق الثامن عشر، ص. 380.

³ ولد سنة 989م، خلف شقيقه سمباط الثاني على العرش. عرف عنه اهتمامه بالفنون والآداب والعمارة وتشبيد الكنائس والمدارس، والعمل على تنشيط التجارة. وبعد تحقيقه للازدهار الاقتصادي المنشود في إقليم أرمينية، عمد إلى تخفيف الضرائب المفروضة على سكان أرمينية، وبناء المؤسسات الخيرية، والاهتمام بانجاز طرق المواصلات. المدور: المرجع السابق، ص. 217-218.

⁴ المدور: المرجع السابق، ص. 661، 677؛ جان جاك سلمانيان: المرجع السابق، ص. 226، نقلاً عن: و. هاتسوني: تاريخ الأزياء الأرمنية القديمة.

الملوك والأمراء والنبلاء الأرمن، أما عامة سكان أرمينية فقد بقوا محافظين على الألبسة الأرمنية الأصلية.¹

6- الكنيسة الأرمنية في ظل الحكم الإسلامي

ذكرنا سابقاً أن الاستقرار السياسي للحكم الإسلامي في أرمينية قد تزامن مع تولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة الإسلامية عام 41هـ/661م، وذلك بإحيائه لمعاهدة السلام التي تمت بين المسلمين والأرمن سنة 33هـ/654م، وموافقة جثليق أرمينية نرسيس الثالث وأمرائها عليها، وبالتالي يمكن القول أن الفتح الإسلامي لهذا الإقليم تم في نهاية المطاف صلحا. وسمحت هذه الظروف للكنيسة الأرمنية بأن تمارس دورا هاما في الشأن السياسي، أضيف إلى مهامها الأخلاقية.²

وكان البطارقة مؤهلين بشكل مثالي ليصبحوا ممثلين للعنصر الأرمني، فقد اتحدت سلطتهم الدينية مع نوع من السلطة المدنية التي احترمتها الولاة المسلمون، تحقيقا للمصلحة العامة، ومن أهم صلاحياتهم إقامة العدل بين الأرمن.³ وبالمقابل حققوا مصالح شخصية، إذ تم إعفاء رجال الدين وممتلكاتهم من جميع الضرائب، وشاركوا في جميع المناسبات العامة والاحتفالات الرسمية، إذ شكّلت الكنيسة في هذه الفترة دورا مهما جدا في الحياة الاجتماعية والسياسية للعنصر الأرمني.⁴

وخلال هذه الفترة كانت العلاقات الإسلامية-الأرمنية حسنة، مبنية على المصالح المتبادلة، والتفاهم والمبادلات التجارية المشتركة. واتسمت سياسة الولاة بالحكمة واللباقة، فلم يحاولوا إذابة هوية الأرمن في الهوية الإسلامية، ولم يستعملوا القوة العسكرية لإجبارهم على ترك المسيحية واعتناق الإسلام، وكان بمقدورهم ذلك لو أرادوا،⁵ وهم الأقوى. خاصة بعد قضائهم على الدولة الساسانية، وتوجيههم لضربات موجعة لإمبراطورية الروم في مناطق

¹ سلمانيان جان جاك: المرجع السابق، ص. 49.

² GATTEYRIAS : op. cit. p. 89 ; KEVORK (A.): op. cit. p. 281.

³ KEVORK (A.) : op. cit. p. 281; MACLER: N. A. M. p p. 20-21.

⁴ KEVORK (A.) : op. cit. p. 282.

⁵ مرفات كوما: المرجع السابق، ص. 19.

الثغور. بيد أن قادة الفتح اكتفوا بضم أرمنية ظاهريا للخلافة، عن طريق إبرام العديد من معاهدات الصلح التي تضمن للأرمن الحرية الدينية.

جدير بالذكر أن كل هذه العهود نصت على حرية المعتقد بالنسبة للأرمن، الأمر الذي عزز أواصر الصداقة بين الطرفين الإسلامي والأرمني، ومكن هؤلاء الأخيرين من الحفاظ على معتقداتهم المسيحية، بعيدا عن سياسة الاضطهاد الديني التي مارسها عليهم الفرس والروم. والثابت أن المسلمين احترمو هذه العهود، ففي هذا الباب، أورد ابن حوقل ما نصه: "وكان رقيقهم لا يباع ببغداد وأدركته كذلك إلى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة لأنهم في ذمة معروفة ومعهم غير عهد"¹

ويذكر المؤرخ مورديان Mouradian أن سكان إقليم أرمنية عاشوا عصرهم الذهبي في ظل الحكم الإسلامي.² وكان الأرمن يفضلون السيادة الإسلامية على سيادة الروم، لأن أباطرة الروم حاولوا مرارا فرض مذهبهم الديني بقوة السلاح على سكان إقليم أرمنية.³ ولمواجهة هذه السياسة الجائرة عقد الأرمن مجمعا دينيا في مدينة دبيل سنة 28هـ/648م، رفضوا خلاله مخرجات مجمع خلقيدونية المسكوني لعام 451م، التي تنص على أن للمسيح طبيعتين، وتمسكوا بعقيدتهم القائلة بأن للمسيح طبيعة واحدة،⁴ واعتبروا مبادئ الشريعة الإسلامية أقرب إلى تعاليمهم من مقررات مجمع خلقيدونية. وهكذا اتبع الروم سياسة ذات أبعاد ضيقة، اتسمت بالتهور والعناد والهيمنة، وعوض أن يأخذوا بأيدي الأرمن إلى صفوفهم لصد الغزوات الإسلامية، فضلوا كسب حقدهم بإثارة الصراعات المذهبية،⁵ الأمر الذي دفع بالأرمن إلى الارتقاء في أحضان المسلمين المتسامحين،⁶ الذين اتسمت سياسيتهم بالمرونة، المفقودة أثناء تعاملهم مع الفرس والروم.⁷ إضافة إلى أن المسلمين منحوا للأرمن حرية

¹ ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 295.

² Mouradian Claire : L'Arménie, Presse universitaire de France, Paris, 2009, p. 24.

³ VARDAN : op. cit. p. 113.

⁴ وهي عقيدة تبناها كذلك مسيحيي بلاد الشام (حاليا: سوريا- لبنان- فلسطين- الأردن) ومصر. اسكندر: الفتوحات، ص. 36.

⁵ MORGAN : op. cit. p. 132.

⁶ اسكندر: الفتوحات، ص. 35-36.

⁷ العبد الغني: المرجع السابق، ص. 187؛ للمزيد راجع أيضا:

Catholicos, op. cit. p. 75-76.

ممارسة حياتهم الدينية، ولم يفرضوا عليهم الإسلام بالقوة، عملاً بما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى : "لا إكراه في الدين"¹. ووضعوا لهم قوانين وأحكام خاصة بهم، لتنظيم علاقاتهم بالمسلمين، ومعاملاتهم اليومية، وهي ما اصطلح على تسميته بفقهاء أهل الذمة.² ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن قرار انفصال الكنيسة الأرمنية عن كنيسة القسطنطينية، كان مدفوعاً أيضاً بأبعاد سياسية أكثر منها دينية. فقد كان الصدام المتكرر بين الشرق والغرب، يخفي من وراءه دوافع سياسية، إذ أن الروم حاولوا مراراً وراثته المجال الجغرافي للإمبراطورية الرومانية، مع فرضهم لسياساتهم المركزية المتعلقة بالمذهب العقائدي. حيث كان أباطرة الروم يعتقدون أن الاختلافات المذهبية تؤدي إلى اضطرابات وحروب داخلية، تتادي بالانفصال، وينجم عنها فقدان الإمبراطورية لولاياتها الشرقية، ومنها أرمنية. لذلك بذلوا جهوداً جبارة للسيطرة على الكنيسة الأرمنية ورجالها، بهدف القضاء على التفرقة،³ وفي سبيل تحقيق ذلك استعملوا أسلوباً الترهيب والترغيب.

وكمثال على الأسلوب الأول، يذكر أن الإمبراطور الرومي قنسطانس الثاني Constance II عندما دخل أرمنية عام 34هـ/655م، في ظل الصراع الرومي-الإسلامي على أرمنية، اغتتم فرصة وجوده فيها ليعيد إثارة مشاعر الأرمن الدينية، فأوفد قساوسة من الروم ليبشروا بالمذهب الخلقيدوني في كل كنائس مدينة دُبيل، وأقام الصلاة في الكاتدرائية الرئيسية للقديس جريجوار وفقاً للتقاليد المذهبية للروم، وشارك البطريرك الأرمني نرسييس الثالث وكافة الأساقفة الأرمن في هذه الصلاة جنباً إلى جنب مع الإمبراطور، بعضهم برغبتهم الخاصة وبعضهم إكراهاً. ولم يمضِ هذا الاحتفال دون معارضة، إذ قام أحد القساوسة الأرمن بتأنيب الإمبراطور أثناء الصلاة، وعاتب البطريرك نرسييس وذكره بموقفه السابق المعارض لمذهب الروم الخلقيدوني، ودعا كافة الأرمن إلى الحفاظ على

¹ سورة البقرة: الآية رقم 256.

² زرقوق: إمارة أرمينيا الصغرى، ص. 436.

³ عطية عزيز سوربال: المرجع السابق، ص. 404-405؛ زرقوق: إمارة أرمينيا الصغرى، ص. 431.

مذهبهم المونوفيزي، وعدم قبول فكرة الاندماج الديني مع الروم.¹ وهكذا فشلت غاية الروم في العمل على إزالة استقلال أرمنية الديني، الذي كان قد ترسّخ بعد رفض الكنيسة الأرمنية لقرارات المجمع الخلقيدوني، والهادف لضمها إلى الروم.

وفي ظل الحكم الإسلامي لأرمنية لم يكن بوسع الروم سوى استخدام أسلوب الترغيب لجلب الأرمن إلى صفهم، لكن الكنيسة الأرمنية ظلت رافضة لكل ملاحقة لها من طرف الروم، خاصة فيما يخص المسائل العقيدة. وفي هذا الصدد يقال أن بطريرك القسطنطينية فوتيوس (243-252هـ/858-867م) بذل جهودا مضنية من أجل ضمّ الكنيسة الأرمنية إلى كنيسة القسطنطينية، لكن الجثليق الأرمني زكرياء رفض هذا المطلب في رسالة له سنة 247هـ/862م، ولم يكتف بذلك بل عمد إلى مهاجمة قرارات مجمع خلقيدونية، واصفا إياها بالتناقض مع المجامع المسكونية الثلاثة السابقة لها. وفي السنة السابقة الذكر عقد رجال الدين الأرمن مجمع ديني أرمني في بلدة شيراجافان، أكدوا فيه على ضرورة التمسك بمذهب الطبيعة الواحدة للمسيح، ورفضوا الأضاليل التي يروج لها الروم،² على حد قولهم.

ونتيجة لتمسك الأرمن بمذهبهم المونوفيزي اكتسبوا اتجاهها سياسيا مستقلا عن الروم، إذ وصل الشقاق بين الروم والأرمن إلى أبعد مدى، وانتقل أتباع الكنيسة الأرمنية المضطهدة من الخلاف المذهبي إلى المعارضة السياسية. وفي الأخير رفضت الكنيسة الأرمنية كل محاولة لإلحاقها بكنيسة القسطنطينية، وتمكّنوا تبعا لهذه الاستقلالية الدينية من المحافظة على استقلال متقطّع عن إمبراطورية الروم. وتعززت هذه الاستقلالية في ظل الحكم الإسلامي، حيث لمس الأرمن سماحة من المسلمين الذين لم يتدخلوا في شؤونهم الدينية، ولذلك فضلوا الاستقرار في الأقاليم التابعة للخلافة الإسلامية، ليتكّنوا من ممارسة عبادتهم بحرية دون تدخل من الروم. إذ كان الإيمان الأرمني هو اللحمة التي منحت للأرمني، حتى

¹ Catholicos, op.cit. p75-76.

² عطية عزيز سوربال: المرجع السابق، ص. 408-409.

وهو في بلاد الغرب، إحساسا بالتضامن والمحبة مع أهله، وبالتفرد وسط الغرباء، كما أن السمة المحافظة للكنيسة الأرمنية هي التي حافظت على مبادئها وفلسفتها، وحمتها من الانهيار أمام العديد من العواصف.¹ فكل أرمني مسيحي أينما وجد، وما من أرمني لا يتحدث اللغة الأرمنية إلا نادرا، الأمر الذي دفع بأسقف أرمني معاصر إلى القول: "إن الأرمني الذي لا ينتمي إلى المسيحية لا يعد أرمنيا، إيماننا وهويتنا الوطنية ينبعان من مصدر واحد".²

فالأرمن عبر تاريخهم المسيحي لم يقبلوا يوما فكرة المساومة على قواعد الإيمان والثقافة الأرمنية، وهذا الموقف الواضح هو الذي حدد وجهة نظرهم من كنيستي القسطنطينية وروما، إلى جانب رفضهم التام لكل ما هو يوناني وسرياني. ومن هذا المنطلق يعتز الأرمن بثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم الخاصة في احتفالاتهم الدينية، وبأبجديتهم والنسخة الأرمنية للكتاب المقدس، وبالقداسات، مما رسّخ في أذهانهم مبدأ الاكتفاء الذاتي. وهذا الإرث هو الذي جعل الأرمن يلتقون حول أنفسهم، ولذا فإنه من النادر أن تجد شخصا دخل ضمن الكنيسة الأرمنية، ومن جانب آخر فإن القلة من الأرمن التي تحولت إلى الكاثوليكية أو البروتستانتية صار ينظر إليها موضع سخرة بين أهلهم.³

وفي ظل العهد العمري الذي أقره الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب أحست الكنيسة الأرمنية أنها في وضع أفضل بكثير من وضعها تحت سيطرة الروم ومذهبهم الخلقيدوني، وأصبح في وسع الأرمن أن يمارسوا مذهبهم المونوفيزي بكل حرية دون تدخل من جانب إمبراطورية الروم. وفي ظل الحماية الإسلامية لم يترك الأرمن مناسبة من المناسبات الدينية إلا وعبروا فيها عن رفضهم لقرارات مجمع خلقيدونية، والانضواء تحت سيطرة البطركية

¹ سوربال: المرجع السابق، ص. 405، 423-423؛ مجموعة من الباحثين: موسوعة عالم الأديان، ج. 15، الهامش رقم: 1، ص. 11؛ زرقوق: إمارة أرمنية الصغرى، ص. 431-432.

² مجموعة من الباحثين: موسوعة عالم الأديان، ج. 15، ص. 11.

³ عطية عزيز سوربال: المرجع السابق، ص. 423.

الرومية. واتضح هذا الموقف جلياً في مجمع ملازكرد الذي عقدت أشغاله عام 107هـ/726م بين الأساقفة الأرمن ونظرائهم من السريان، تحت إشراف الجثليق الأرمني هوفهانيس.¹

وكان هذا الجثليق عالماً دينياً مرموقاً، أدخل العديد من الإصلاحات إلى الكنيسة الأرمنية، وعرف بكفاءته الدبلوماسية التي ساعدته في الحصول على الكثير من الامتيازات لصالح الكنيسة الأرمنية. وهناك رواية تتحدث عن لقائه مع الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-720م)، ارتدى فيها ملابس جميلة، فأبلغه الخليفة أن النبي عيسى عليه السلام نصح أتباعه بالبساطة في العيش، فطلب منه الجثليق أن يختلي به لفترة قصيرة، وفيها كشف له عن عباءة من شعر الماعز الخشن كان يضعها على جلده تحت الملابس البراقة الفضفاضة، وعنهما قال الخليفة أن لحم البشر لا يمكنه تحمل هذا التقشف القاسي إلا بمعونة من الله، وأعلن للحاضرين عن احترامه وتقديره لهذا الجثليق الزاهد، كما أعرب عن استعداده لتلبية كل انشغالاته مهما بلغ قدرها. فطلب هوفهانيس الحرية الكاملة لشعبه في المسائل الدينية، وإعفاء الكنائس من الضرائب، فاستجاب الخليفة على الفور لهذه المطالب، وأمر بإطلاق سراح جميع الأرمن الذين كانوا وقتها في السجون.²

ووفقاً للعهد العمري فإن الجماعات المسيحية بمختلف مذاهبها، كان مسموح لها أن تبقى على هياكلها الدينية المنجزة وقت الفتح الإسلامي، لكن لا يحق لها تشييد مؤسسات جديدة. إلا أن الأرمن لم يتقيدوا بهذه الضوابط، فالتأبث أنه إبان فترة حكم الملك أشوت بقراطوني خلال القرن الثالث الهجري الموافق للتاسع الميلادي، قامت ابنته مريم زوجة فاساك غبور أمير منطقة سيوني ببناء كنيسة في مقاطعة الطارون، إضافة إلى أربعين من الكنائس والأديرة الأخرى في سيوني، وغيرها من دور العبادة في مقاطعة أارات. ويقال أن

¹ سوربال: المرجع السابق، ص. 407-408.

² أديب السيد: المرجع السابق، ص. 88 وما بعدها؛ عطية عزيز سوربال: المرجع السابق، ص. 408.

التجار في مدينة أرزن "كانوا يشيّدون الكنائس ويمارسون التجارة الشريفة لذلك ازدادوا ثراء". وشيدت هذه الكنائس بالحجارة وزيّنت بالقباب والبواكي والعقود، إلى جانب ذلك اهتم الأرمن في هذه الفترة بترميم الكنائس العتيقة وتزيينها بالأيقونات والفسيفساء.¹

وبذلك صارت منابر المساجد² وأصوات مؤذنيها ترتفع إلى جانب أبراج المعابد والكنائس ورنين أجراسها، وكل يدعوا قومه إلى عبادة الله.³ ولم يكن هناك اضطهاد ديني من قبل المسلمين في تلك الحقبة الزمنية، فموازة مع بناء الأرمن للكنائس والقلاع، تمتع جثليق الكنيسة الأرمنية بحرية التنقل واحتفظ بسلطته القضائية.⁴ وعلاوة على ذلك فإن المؤرخ الأرمني جوندزاكيتس Gandzakets في سياق حديثه عن الفتوحات الإسلامية، يذكر أحداثاً متناقضة مثيرة للانتباه، فمن جهة يروي أن الجيش الإسلامي ارتكب مذابح في حق الأرمن، ومن جهة ثانية يشير إلى أن الأرمن بنّوا بعدها العديد من الكنائس، ولاسيما في مدينة دوين، والتي كانت عاصمة الحكم الإسلامي في أرمينية.⁵

ويذكر أن الأرمن كانوا يتعرّضون بين الفينة والأخرى لمضايقات من طرف بعض الولاة المسلمين، الأمر الذي دفع بجثاليق أرمينية إلى التردد على مقر الخلافة الإسلامية في دمشق خلال العهد الأموي، أو بغداد في العهد العباسي لطرح انشغالاتهم للخليفة، والطمع

¹ عطية عزيز سوريال: المرجع السابق، ص. 408. للمزيد راجع أيضا:

ARISDAGUES. op. cit. p. 79.

² ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن سيطرة الاتحاد السوفياتي على أرمينيا في الفترة الممتدة من 1917 إلى 1991م، انجر عنها هدم كل ما له علاقة بالمسلمين والعرب مثل: المساجد وشواهد القبور والآثار العمرانية الإسلامية، ولم يبق منها إلا بعض الأحجار أو المخطوطات الجلدية أو الورقية المتواجدة في المتحف الأرمني المعروف بـ (ماتاناداران) الواقع في قلب العاصمة الأرمينية يريفان. يضاف إليها بعض شواهد القبور التي يكتشفها الفلاحين الأرمن أثناء ممارستهم لنشاطهم الزراعي، أو استصلاحهم لأراض جديدة. مرفات كوما أبديلا: المرجع السابق، ص. 21.

³ أديب السيد: المرجع السابق، ص. 78.

⁴ BOURNOUTIAN. op. cit. p. 71.

⁵ GANDZAKETS: op. cit. p. 23-24.

في الحصول على امتيازات إضافية.¹ أما الثورات الداخلية التي أحدثها الأرمن ضد الحكم الإسلامي، فقد اندلعت لتحقيق أهداف سياسية بحتة، ولا علاقة لها بالجانب الديني.

وإذا كان الحكم الإسلامي في أرمينية قد انتهى سلمياً عام 271هـ/885م، بعد تتويج أشوط الأول البقراطوني ملكاً على أرمينية من قبل الخليفة العباسي المعتمد (256-279هـ/870-892م)، فإن انطواء هذه الحقبة الزمنية قد أزال معه علاقات إسلامية-أرمنية كانت حصيلة أواصرها الحسنة بين الطرفين، بقاء الأرمن على عقيدتهم المسيحية، ومحافظةهم على كنيستهم الفريدة في مذهبها. وهذا الأمر يدعو دون شك إلى الإعجاب والتقدير للمسلمين.² وبعدها وجد الأرمن أنفسهم وجهاً لوجه أمام صراع مذهبي متجدد مع جيرانهم الروم، الذين يشتركون معهم في نفس الديانة. والجدير بالإشارة إلى أن الأرمن خرجوا من حربهم المذهبية مع الروم سالمين غانمين، بفضل الفتوحات الإسلامية، وأمام اضمحلال الحكم الإسلامي في أرمينية، أضحى أهلها يخوضون صراعاً عقائدياً جديداً مع الروم، وكأن المسلمين كانوا يمثلون الجدار الواقى لهم.

كان دور أرمينية الحاجز يتماشى تماماً مع إستراتيجية الروم الدفاعية، خلال الفترة الممتدة من الفتح الإسلامي لأرمينية، وحتى ضعف الخلافة العباسية وتراجع حكمها، وعندما تخلصت إمبراطورية الروم من مشاكلها الداخلية، واستشعرت في نفسها القوة، فانتهزت فرصة خروج المسلمين من أرمينية، وتطلعت إلى بسط نفوذها على ممتلكاتهم،³ ولتحقيق طموحاتها المنشودة في إقليم أرمينية، عادت إلى انتهاج سياسة الاحتواء والإدماج باستعمال قوة السلاح.⁴

¹ عطية عزيز سوريال: المرجع السابق، ص. 409.

² مرفات كوما: المرجع السابق، ص. 19.

³ العبد الغني: المرجع السابق، ص. 192-193.

⁴ Pasdermajian (H.), op. cit. p. 165 ; Laurent (j.), op. cit. p. 4.

يعتقد ميخائيل السرياني أن الاضطهاد الديني الذي مارسه ضدهم الروم، أسوء بكثير من التجاوزات التي حدثت إبان الحكم الإسلامي، وفي هذا الباب يقرّ بأن المسلمين "يرون بأن معتقدات الديانة المسيحية غير صحيحة، ولكنهم لم يضطهدوا أحدا بسبب عقيدته أو مذهبه، كما فعل الروم".¹ وخير دليل على ذلك هو احتفال الأرمن بأعيادهم الدينية في العهد الإسلامي بكل عفوية، ودون أي مضايقة تذكر، ويقول المؤرخ الأرمني أرسداغي Arisdagués عن أجواء الاحتفال بالعيد في مدينة قارص: "في ليلة العيد العظيم لعيد الغطاس لرنا، بأصواتهم المبهجة كانت جوقات الكهنة وسط حشد كثيف من الناس يحتفلون بعيد الغطاس... في المدن جرت العادة في أعياد الرب أن يتزين الرجال والنساء والشيوخ والأطفال بكل حليهم"²

وروى ابن الفقيه في كتابه "البلدان" خبرا يدل على الحرية الدينية التي عاشها الأرمن في ظل الحكم الإسلامي، حين قال: "إن بقاليقلا بيعة للنصارى وفيها بيت لهم كبير تكون فيه مصاحفهم وصلبانهم فإذا كان ليلة الشعانين يخرج من موضع من البيت تراب أبيض إلى الصباح... فيأخذه الرهبان فيدفعونه إلى الناس وخاصيته للسموم والعقارب والحيات".³ ووصف المقدسي في كتاب "أحسن التقاسيم" إحدى الأديرة المتواجدة في إقليم أرمنية قائلا: "على ثلاثة فراسخ من ديبيل دير أبيض من حجر منقور مثل قلنسوة فيه صورة مريم من داخل على ثمانية أعمدة بينهن أبواب من أي باب دخلت رأيت صورة مريم".⁴

وخلال الحقبة المذكورة واصلت الحركة العلمية في أرمنية نشاطها في الأديرة على الطريقة اليونانية، دون أي تدخل من الجانب الإسلامي، تماشيا مع بنود اتفاقيات السلام

¹ زرقوق: إمارة أرمنية الصغرى، ص. 434؛ أنظر أيضا:

Michel Le Syrien : Chronique de Michel le Syrien, traduite par (J. B) Chabot, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1901, t. III, p. 222.

² ARISDAGUES. Op. cit. p. 89.

³ ص. 591.

⁴ ص. 320-319.

الإسلامية-الأرمنية.¹ وهذا الأمر ليس بغريب عن المسلمين الذين تميّزت فتوحاتهم بتسليم المشعل الحضاري لسكان المناطق المفتوحة. يضاف إليها ما انفرد به إقليم أرمنية من امتيازات منحها إياه المسلمون إرضاء لمطالب سكانه، وحماية لمصالح المسلمين فيه.

ومن صور التسامح الديني لدى المسلمين تجاه الأرمن، ما قام به السلطان السلجوقي ملكشاه، الذي استضاف رئيس الكنيسة الأرمنية الجاثليق جريجور الثاني، بعد تعرض هذا الأخير لضغوط الأمير الأرمني فيلاريت، عقب معركة ملازكرد (1071م) إذ لجأ الجاثليق إلى أرمنية الكبرى التي كانت آنذاك خاضعة للمسلمين.² هذه الواقعة وإن كانت بعيدة نوعاً ما عن الإطار الزمني للدراسة، فإنها تعكس طبيعة العلاقات الإسلامية-الأرمنية المبنية على حسن المعاملة والاحترام المتبادل، لاسيما في أوقات الشدة.

وتجدر الإشارة إلى أن العديد من المصادر تحدثت عن بعض الأرمن، الذين اعتنقوا الإسلام بغية الحصول على وظائف إدارية أو عسكرية، فمن الصعب أن ينالوا مراتب إن بقوا على ديانتهم الأصلية. واستخدموا أسماء إسلامية، ووصل الأمر إلى اعتناق بعضهم للإسلام في سبيل الحفاظ على ممتلكاتهم وثرواتهم.³ وفي هذا الصدد يروي لنا ابن العبري حادثة وقعت عام 460هـ/1067م، مفادها أن البطريق الأرمني أرسطاكيس خرج من حصنه رفقة مائتي رجل من أتباعه، قاصداً إيجاد حصن آخر يحميه من الأتراك، وفي الطريق وقع في كمين أعده هؤلاء الأخيرين، ففرغ الأرمن "وقالوا إننا ماضون إلى السلطان لنجاهر بالإسلام بين يديه، فسيّرهم إليه مكرّمين، وجأهروا بالإسلام مرغمين واخْتَنَتُوا. وقرر السلطان

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 280 وما بعدها؛ للمزيد راجع أيضاً:

SÉBÈOS, op.cit. p.133.

² Augé Isabelle : Le catholicos arménien pendant la période cilicienne, ds : Cahiers de civilisation médiévale, n 52, centre d'études supérieures de civilisation médiévale, université de Potiers, France, 2009, p. 344.

³ زرقوق: إمارة أرمنية الصغرى، ص. 449.

أن يدفع للبطريق كل سنة عشرين ألف دينار لمعاشه. غير أن أولئك الأرمن ما عثم أن عادوا إلى أرمنية الداخلية ورجعوا إلى ديارهم النصرانية".¹

وبالمقابل فإن من صور التسامح الديني لدى الأرمن، ما فعله ملك بلاد الكرج المسيحي عندما استولى على هذه الأخيرة سنة 500هـ/1106م، إذ أنه كان يحمي أهلها المسلمين "ويمنع جانبهم من كل أذية وشعار الإسلام بها قائمة كما كانت، والمسجد الجامع ممنوع من كل دنس يوقده الملك بالشمع والقناديل وما يحتاج إليه، والآذان في جميع مساجدها يجهر لا يعرض لهم أحد بسوء البتة وقد اختلط الآن المسلم والكرجي"² وعاش أشرف البلاد في سلام وأمان ووئام، وفي ظل هذا السلام شيدت الكنائس المبنية من الأحجار الصلبة في البقاع المنعزلة والقرى والمستوطنات الأرمنية.³

مما سبق تبين أن الأرمن تفاعلوا مع الحضارة الإسلامية فتأثروا بها، وأثروا فيها في نفس الوقت، مع تمسكهم بمعتقداتهم الدينية.

وفي نهاية هذا الفصل تتضح مجموعة من الحقائق التاريخية التالية:

أولاً : فتح المسلمين لإقليم أرمنية لا يعنى أن العلاقات الإسلامية-الأرمنية اقتصررت على الجانب العسكري، بل تعدته إلى جوانب سياسية، ظهرت جلياً من خلال معاهدات الصلح المبرمة بين الجانبين، ولعلّ من أبرزها معاهدة السلام عام 33هـ/654م. يضاف إليها أن الحكم الإسلامي في إقليم أرمنية كان مزدوجاً، فمن جهة سلطة الوالي المسلم، ومن جهة أخرى سلطة البطريق الأرمني.

¹ ابن العبري (غرغوريوس أبو الفرج جمال الدين الملطي): تاريخ الزمان، تر. إسحاق أرملة، دار المشرق، بيروت-لبنان، 1991م. ص. 108.

² ابن حوقل: المصدر السابق، ص. 292.

³ اسكندر: الحياة العامة، ص. 66.

ثانيا : ساهمت هجرات القبائل العربية، في تمتين الروابط الاجتماعية بين المسلمين والأرمن، وأخذت هذه العلاقات عمقا اجتماعيا، إذ كان التداخل في النسيج الاجتماعي كبيرا بين المسلمين والأرمن، ووصل في الكثير من الأحيان إلى مرحلة الاندماج والانصهار الكلي في المجتمع الإسلامي بفعل الزواج المختلط بينهما، وتعتبر علاقات المصاهرة بين المسلمين والأرمن، من أبرز مظاهر التفاعل الاجتماعي بين الطرفين، رغم اختلافهما الديني والحضاري.

ثالثا : هاجر الأرمن نحو الأقاليم الإسلامية المجاورة لهم، ونظرا لأعدادهم الهائلة في هذه الأقاليم، فقد سمح لهم المسلمون ببناء العديد من المراكز الدينية والثقافية، والتي ازداد عددها مع مرور الزمن، وصارت بالغة الأهمية في إبراز مظاهر العلاقات الإسلامية-الأرمنية عبر المراحل التاريخية المختلفة.

رابعا : ذاع صيت العديد من السلع الأرمنية في الأقاليم الإسلامية المجاورة لها، ولاسيما بغداد العاصمة العباسية. إذ كان المسلمون يفضلون المنتجات الأرمنية على غيرها من المنتجات الأخرى.

خامسا : بعد الفتح الإسلامي لأرمنية، اهتم الخلفاء الأمويون والعباسيون بالفنون، ووظّفوا العديد من الفنانين الأرمن للنحت في قصورهم وقلاعهم. وبذلك يمكن القول أن الفنون الإسلامية قد تأثرت بدورها بالفنون الأرمنية، ويظهر ذلك جليا في الأطواق والأشكال الهندسية الأرمنية المتداخلة، التي زينت بها العديد من المساجد والمنابر في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

سادسا : شكل الموقع الجغرافي لإقليم أرمنية والخلافة الإسلامية دورا أساسيا في العلاقات الإسلامية-الأرمنية، والتبادل الثقافي بين الطرفين. كما أن انضمام أرمنية إلى الخلافة الإسلامية ساعد على التعارف المتبادل والتمازج الفكري والحضاري بين الطرفين، ولم يشكل الاختلاف الديني واللغوي أي عائق أمام توطيد الاتصالات الأرمنية-الإسلامية. وساهم الفتح الإسلامي لأرمنية في تمتين مكانة اللغة العربية لدى الأرمن بمختلف طبقاتهم، الذين استعملوها في حياتهم اليومية ومعاملاتهم التجارية.

سابعا : كان الأرمن يفضلون السيادة الإسلامية على سيادة الروم، لأن أباطرة الروم حاولوا مرارا فرض مذهبهم الديني بقوة السلاح على سكان إقليم أرمنية. الأمر الذي دفع

بهؤلاء الأخيرين إلى الارتقاء في أحضان المسلمين الذين منحوا للأرمن حرية ممارسة حياتهم الدينية والاجتماعية، ووضعوا لهم قوانين وأحكام خاصة بهم، لتنظيم علاقاتهم مع المسلمين، ومعاملاتهم اليومية، وهي ما اصطلح على تسميته بفقهاء أهل الذمة.

وفي نهاية هذه الدراسة التي تناولت العديد من المحطات التاريخية لإقليم أرمينية في ظل الحكم الإسلامي، أتمنى أن أكون قد وفقت في محاولة تسليط الضوء على موضوع التواجد الإسلامي في أرمينية، بداية من عام 41هـ/661م، إلى غاية استقلال هذه المنطقة عن دار الإسلام عام 271هـ/885م.

وكان موقع أرمينية الإستراتيجي من أهم الدوافع التي جعلت الفاتحين يبذلون جهودا مضنية لفتحها، لاسيما وأنها مجاورة لأعدائهم التقليديين الروم. وبهدف تثبيت الفتح الإسلامي في المنطقة توافدت إليها العديد من القبائل العربية عبر أزمنة مختلفة، ساهمت في توطيد العلاقات الإسلامية-الأرمينية في شتى المجالات.

بيد أن الولاة المسلمين في أرمينية واجهوا الكثير من التحديات، وعلى رأسها هجمات الروم والخزر أعداء المسلمين، وثورات الأرمن والحركات الإسلامية المناهضة للخلافة. ومهما يكن من أمر فقد تمكّن الجيش الإسلامي من التغلب عليهم وتحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة. زيادة على ذلك فقد أشارت العديد من المصادر العربية والأرمينية إلى الرخاء الاقتصادي والروابط الإسلامية-الأرمينية المتينة خلال الفترة المذكورة.

وفي ختام هذا البحث، تم الوصول إلى النتائج التالية:

كان الموضع الجغرافي لإقليم أرمينية دائم التقلص والامتداد موازاة مع الأحداث التاريخية المتعاقبة، لاسيما وأن أرضها كانت مسرحا للحروب بين القوى الكبرى المتصارعة عليها. إذ تميّزت هذه المنطقة بوعورة تضاريسها، خاصة المرتفعات الجبلية المخترقة لإقليمها، الأمر الذي صعب مهام الجيوش الإسلامية الهادفة للسيطرة عليها. يضاف إليها طول مدة فصل الشتاء والذي يصل لأكثر من ثمانية أشهر في بعض مناطقها، مما يؤثر سلبا على تحركات الجيوش الإسلامية. وكان الأرمن على دراية تامة بطبيعة مناخهم، لذلك استغلوا في كثير من الأحيان فترات تساقط الثلوج، في التمرّد على الولاة المسلمين، لأنهم

يعلمون استحالة وصول الإمدادات العسكرية إلى المنطقة في ظل الظروف المناخية القاسية.

يعتبر الأرمن من العناصر السكانية العريقة التي استوطنت إقليم القوقاز، وتمكّنت في فترات زمنية متقطّعة من تشكيل عدّة ممالك، ولعلّ من أبرزها المملكة التي حكمها ديكران الثاني بين سنتي 94-55 ق. م. وشملت مملكته الأرمينيتان الكبرى والصغرى، غير أنها سرعان ما سقطت بفعل اعتداءات الأطراف المتصارعة على أراضيها عبر العصور. ومهما يكن من أمر فإن اعتناق الأرمن للمسيحية، وتمسّك الكنيسة الأرمينية بالمذهب الديني المونوفيزي، وابتكار حروف اللغة الأرمينية، مثّلت منعرجا حاسما في تاريخ الأرمن، وساهمت في تميّزهم عن غيرهم من شعوب المنطقة، وحافظت على هويّتهم رغم محاولات الطمس التي طالتهم، وسياسة الاضطهاد الديني في ظل سيطرة الروم والفرس على بلادهم. بذل المسلمون جهودا عسكرية وسياسية مضنية في سبيل بسط السيادة الإسلامية على أرمينية، نظرا لما يمثّله هذا الإقليم من أهمية بالغة، في ظل التنافس الإسلامي-الرومي على مناطق النفوذ، إضافة إلى موقعها الاستراتيجي الحاجز بين طرفين متصارعين، يسعى كل منهما إلى وضع أرمينية تحت عباءته. وفي هذا الصدد قام المسلمون بحملات عسكرية استكشافية تجاه الإقليم المذكور، بهدف التعرف أولا على سكانه وطبيعة تضاريسه ومسالكه، وبعد معارك طاحنة، نجح المسلمون في إلحاق المنطقة بدار الإسلام عام 41هـ/661م. تعتبر هذه المنطقة الإقليم الوحيد في الخلافة الإسلامية الذي احتفظ بإدارة ثنائية، تتكون من الوالي المسلم الحاكم العام لأرمينية، ومعه البطارقة والملوك الأرمن المرتبطين به مباشرة، ويمثلون الإدارة المحلية والفعلية في البلاد. ومهد استقرار القبائل العربية في أرمينية لبداية مرحلة جديدة للاحتكاك الإسلامي-الأرمني، حيث كان لهذه القبائل دورا فعّالا في حماية أرمينية من سيطرة الروم طيلة قرنين من الزمن. إضافة إلى تعاونهم مع الأرمن لصدّ هجمات الخزر، وتحقيق الأمن والاستقرار في البلاد.

كانت أرمينية في العهد الإسلامي، موطنًا للعديد من الأقليات العرقية مثل الأكراد والفرس واليهود. وهذا دليل واضح على أن الحكم الإسلامي للمنطقة أنشأ بيئة اجتماعية مناسبة للناس كافة، لاسيما إذا علمنا أن المسلمين عرفوا بالتسامح الديني، عكس سابقهم من الفرس والروم الذين مارسوا الاضطهاد الديني على سكان المنطقة. وفيما يخص المجتمع الأرمني في هذه الفترة، فقد تكوّن من ثلاث طبقات: الأولى تعرف بالأشراف وبسطت نفوذها على السلطة المحلية والمال والجيش، والثانية شملت الفلاحين وعامة الناس ومثّلت الفئة الكادحة، والثالثة طبقة العبيد الغنيّة عن التعريف.

أدّى الفتح الإسلامي إلى توحيد أرمينية، بعدما كانت مقسّمة إلى قسمين: الشرقي تابع للفرس، والغربي يحكمه الروم. وجدير القول أن إقليم أرمينية في ظل الحكم الإسلامي تميّز بوجود عدد هائل من المدن الذائعة الصيت، داخل الإقليم وخارجه. الأمر الذي جعل المسلمين يصنّفونها ضمن أربعة أقسام جغرافية متباينة، بهدف تنظيم سير شؤونها السياسية، وتسهيل عمل مؤسساتها الإدارية المحلية. وتطلّب تسيير شؤون ولاية أرمينية بعد فتحها، تنظيمًا يتماشى مع التطورات الحاصلة في بيت الخلافة الإسلامية، وعلى رأسه إنشاء الدواوين التي عرفت العديد من التغيرات والتطورات إبان العهدين الأموي والعباسي. كما أن هيبة المؤسسات الإدارية وفاعلية نشاطاتها تظهر من خلال جهازها القضائي الملزم بتحقيق العدل والمساواة بين المسلمين من جهة، والأرمن أهل الذمة من جهة أخرى.

أفلحت سياسة الروم البارعة في مواجهة الجيش الإسلامي الهادف إلى فتح القسطنطينية، إذ صار الخزر حلفاء أقوياء لها، يقومون بهجمات متكررة على المسلمين، ويستنفذون كل طاقة عسكرية إسلامية هادفة للانطلاق صوب آسيا الصغرى، وبذلك صار إقليم أرمينية ميدانًا لذلك الصراع بعيدا عن القسطنطينية. وواجه الولاة المسلمون في أرمينية عدة تحديات داخلية، منها ثورات الأرمن ضد حكمهم. ولم يكن بمقدور أي ثورة أرمينية الصمود طويلا في مواجهة الجيش الإسلامي، لأن البطارقة الأرمن لم ينسّقوا جهودهم وقواتهم. وفي كل فترة كانت أسرة من الأسر الأرمينية تقود الثورة، فإن المسلمين اعتمادا على

الدعم المقدم لهم من الخلافة، وخبرتهم السياسية القائمة على تشتيت شمل الأسر النافذة الأرمنية، تمكنوا من القضاء على هذه الثورات في مهدها.

تحدثت العديد من المصادر الإسلامية والأرمنية عن تنوع ووفرة وجودة المنتجات الفلاحية الأرمنية وتنوع ثرواتها المعدنية والطاقوية. وفي هذا الصدد عرفت كل مدينة أرمنية بأنواع معينة من الغلات والموارد التي تميزها عن غيرها. وأضحى الإقليم مركزا تجاريا عالميا بارزا، أسهم في نموّ التجار رغم اختلاف أعراقهم من أرمن وعرب وفرس وروم وخزر وصقالبة وغيرهم من الأعراق الأخرى، وساعد التبادل التجاري عبر مسالكه في تنوع ووفرة البضائع المتداولة في أسواقه.

كانت أرمنية من أغنى أقاليم الخلافة الإسلامية، حيث ملأت بيت المال بالأموال نتيجة وفرة الجباية المفروضة عليها. ونتج عن هذه الأخيرة زيادة نشاط الأرمن في العمل والإنتاج حتى يوفروا الأموال والمنتجات المفروضة عليهم. وبعد أن كان اقتصاد أرمنية يعتمد أساسا على الاكتفاء الذاتي، صار في العهد الإسلامي قائما على التصدير، ونتج عنه ازدهار التجارة الداخلية والخارجية. ويمكن القول أن المسلمين عملوا على تهيئة المناخ الملائم لقيام نشاطات اقتصادية في المنطقة، يتحكم الأرمن في مدى تطورها وازدهارها لأنهم منحوا الحرية في تسيير شؤونهم الاقتصادية. إضافة إلى طبيعة الأرمن الذين يقَدّسون عملهم، ويميلون إلى السلم والهدوء رغم أن بلدهم كان مسرحا للعديد من الحروب بين القوى العظمى المتصارعة عليه.

لم تقتصر العلاقات الإسلامية-الأرمنية على الجانب العسكري فحسب، بل تعدّته إلى جوانب سياسية، ظهرت جليًا من خلال معاهدات الصلح المبرمة بين الجانبين، ولعلّ من أبرزها معاهدة السلام عام 33هـ/654م. وساهمت هجرات القبائل العربية، في تمتين الروابط الاجتماعية بين المسلمين والأرمن، وأخذت هذه العلاقات عمقا اجتماعيا، إذ كان التداخل في النسيج الاجتماعي كبيرا بين المسلمين والأرمن، ووصل في الكثير من الأحيان إلى مرحلة الاندماج والانصهار الكلي في المجتمع الإسلامي بفعل الزواج المختلط بينهما.

بعد الفتح الإسلامي لأرمينية، اهتم الخلفاء الأمويون والعباسيون بالفنون، ووظّفوا العديد من الفنانين الأرمن للنحت في قصورهم وقلاعهم. وبذلك يمكن القول أن الفنون الإسلامية قد تأثرت بدورها بالفنون الأرمينية، ويظهر ذلك جليًا في الأتّاق والأشكال الهندسية الأرمينية المتداخلة، التي زينت بها العديد من المساجد والمنابر في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. كما شكل الموقع الجغرافي لإقليم أرمينية والخلافة الإسلامية دورا أساسيا في العلاقات الإسلامية-الأرمينية والتبادل الثقافي بين الطرفين.

كان الأرمن يفضلون السيادة الإسلامية على سيادة الروم، لأن أباطرة الروم حاولوا مرارا فرض مذهبهم الديني بقوة السلاح على سكان إقليم أرمينية. الأمر الذي دفع بهؤلاء الأخيرين إلى الارتقاء في أحضان المسلمين الذين منحوا للأرمن حرية ممارسة حياتهم الدينية والاجتماعية، ووضعوا لهم قوانين وأحكام خاصة بهم، لتنظيم علاقاتهم مع المسلمين، ومعاملاتهم اليومية. وبذلك حافظ الأرمن على هويتهم التي حاول الروم القضاء عليها.

لم يلجأ المسلمون إلى نشر الإسلام بالقوة في أرمينية، رغم قدرتهم على ذلك، واكتفوا بضمان الولاء السياسي والتحالف الاستراتيجي، الذي تشهد عليه العديد من الاتفاقيات العادلة الموقعة بين الطرفين، حيث ضمنت كلها الحرية الدينية في أرمينية، فضلا عن محافظتهم على عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم في ظل الحكم الإسلامي. ومهما ذكر عن مساوئ الحكم الإسلامي لأرمينية، فإن الكنائس المبنية في تلك الفترة، وكتب الجغرافيا والرحلات العربية، تبقى شاهدة على الازدهار الحضاري الذي عاشته المنطقة تحت السيادة الإسلامية. وبقي لهذه الفترة التاريخية أثرها البارز على الدولة الأرمينية المعاصرة الحاجزة بين أقطار العالم الإسلامي، والرّامية إلى إقامة دولة أرمينية الكبرى التاريخية، مستندة على روسيا وريثة إمبراطورية الروم، وفرنسا خليفة الإمبراطورية الإفرنجية.

ومما لا شك فيه أن هذه الدراسة قد فتحت أمامنا العديد من الآفاق، الرّامية إلى الكشف عن تاريخ الحكم الإسلامي في بلاد القوقاز عموما، وأهم التغيرات التي حدثت فيها طوال فترة السيادة الإسلامية عليها. وختاماً أرجو أن أكون قد وفّقت في إنجاز هذه الدراسة، وتبقى نتائجها قابلة للتصويب بفضل انتقادات وتصويبات الأساتذة الأفاضل، بارك الله جهودهم. وأسأل الله السداد والتوفيق، والحمد لله رب العالمين.

الملاحق

1- الوثائق

الملحق الأول: كتاب الأمان المقدم من سُرَاقَة بن عمرو لملك مدينة الباب وسكان أرمينية سنة 22هـ/642م

الملحق الثاني: كتاب صلح حبيب بن مسلمة الفهري لأهل مدينة دibil سنة 24هـ/644م

الملحق الثالث: كتاب صلح حبيب لأهل مدينة تفلis سنة 24هـ/644م

الملحق الرابع: معاهدة السلام الإسلامية-الأرمينية (33هـ/654م)

الملحق الخامس: كتاب الجراح بن عبد الله الحكمي لأهل تفلis

الملحق السادس: رسالة الجثليق الأرميني إسحاق الثالث إلى والي أرمينية محمد بن مروان سنة

83هـ/702م

الملحق السابع: رد والي أرمينية محمد بن مروان على رسالة الجثليق الأرميني إسحاق الثالث

الملحق الثامن: تهنئة الخليفة المتوكل بالقضاء على ثورة إسحاق بن إسماعيل في كورة جرزان

الملحق التاسع: جدول الأبجدية الأرمينية ومقابلتها بالعربية واللاتينية

2- الولاة المسلمون والأمراء الأرمن

الملحق العاشر: أبرز ولاة أرمينية في العهد الإسلامي

الملحق الحادي عشر: الأمراء الأرمن في ظلّ الحكم الإسلامي

3- الخرائط

الملحق الثاني عشر: أرمينية الكبرى

الملحق الثالث عشر: أرمينية الصغرى

الملحق الرابع عشر: التوزيع العرقي لسكان أرمينية

الملحق الخامس عشر: أقسام أرمينية الأربعة

4- الصور

الملحق السادس عشر: صورة الوجه الأول لدرهم من الفضة تم سكّه بأرمينية ، وزنه 2.77غ، سنة

96هـ/713م من طرف الوليد بن عبد الملك (87-97هـ/705-715م)

الملحق السابع عشر: صورة الوجه الثاني لدرهم من الفضة تم سكّه بأرمينية ، وزنه 2.77غ، سنة

96هـ/713م من طرف الوليد بن عبد الملك (87-97هـ/705-715م)

الملحق الثامن عشر: صورة الملك الأرميني جاجيك الأول البقراطوني وهو يرتدي الألبسة العربية. أراد

الملك الظهور بهذا الشكل احتراماً للخليفة في بغداد

الملحق التاسع عشر: اللباس التقليدي الأرميني المصبوغ بالقرمز

الملحق عشرون: السجاد الأرميني قيمة تراثية وجمالية

الملحق الأول: كتاب الأمان المقدم من سراقه بن عمرو لملك مدينة الباب وسكان

أرمينية سنة 22هـ/642م

"بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى سراقه بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهربراز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وملّتهم ألا يضاروا ولا ينتقضوا، وعلى أهل أرمينية والأبواب، الطرّاء منهم والتّنّاء، ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة، وينفذوا لكل أمر ناب أو لم يُنبأ به الوالي صلاحاً، على أن توضع الجزاء عمّن أجاب إلى ذلك إلا الحشّر، والحشّر عَوْضٌ من جزائهم ومن استغني عنه منهم وقعد فعله مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء والدلالة والنّزل يوماً كاملاً، فإن حُشروا وضع ذلك عنهم، وإن تركوا أخذوا به. شهد عبد الرحمان بن ربيعة، وسلمان بن ربيعة، وبُكير بن عبد الله. وكتب مَرْضِيّ بن مقرن وشهد".¹

الملحق الثاني: كتاب صلح حبيب بن مسلمة الفهري لأهل مدينة ديبيل سنة

24هـ/644م

"بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لنصارى أهل ديبيل ومجوسها ويهودها، شاهدهم وغائبهم أنّي أمّنتكم على أنفسكم، وأموالكم، وكنائسكم، وبيعكم، وسور مدينتكم، فأنتم آمنون، وعلينا الوفاء لكم بالعهد، ما وفيتم وأديتم الجزية والخراج شهد الله، وكفى به شهيداً"، وختم حبيب بن مسلمة.²

الملحق الثالث: كتاب صلح حبيب لأهل مدينة تفليس سنة 24هـ/644م

"بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل تفليس من مَنجَليّس، من جُرْزَانِ القِرْمِزِ بالأمان على أنفسهم، وبيعهم، وصوامعهم وصلواتهم، ودينهم، على إقرار بالصغار والجزية على كل أهل بيت دينار، وليس لكم أن تجمعوا بين أهل البيوتات تخفيفاً للجزية، ولا لنا أن نفرق بينهم استكثاراً منها، ولنا نصيحتكم وضلعكم على أعداء الله ورسوله

¹ الطبري: المصدر السابق، ج. 4، ص. 156-157.

² البلاذري: المصدر السابق، ص. 282.

صلى الله عليه وسلم ما استطعتم وقرى المسلم المحتاج ليلة بالمعروف من حلال طعام أهل الكتاب لنا، وإن انقطع برجل من المسلمين عندكم فعليكم أدأؤه إلى أدنى فئة من المؤمنين إلا أن يحال دونهم، وإن أنبتم وأقمتم الصلاة فأخواننا في الدين وإلا فالجزية عليكم، وإن عرض للمسلمين شغل عنكم فقهركم عدوكم فغير مأخوذین بذلك لا هو ناقض عهدكم، هذا لكم وهذا عليكم شهد الله وملائكته وكفى بالله شهيدا".¹

الملحق الرابع: معاهدة السلام الإسلامية-الأرمينية (33هـ / 654م)

انفرد المؤرخ الأرمني سبيوس دون غيره من المؤرخين الأرمن والمسلمين والبيزنطيين بتزويدنا بالنص الكامل للاتفاقية المبرمة بين المسلمين والأرمن، وذكر أن زعيم الإسماعيليين (يقصد بذلك والي الشام معاوية بن أبي سفيان) تفاوض مع تيودور الرشتوني وقال له: " ليكن اتفاق بيني وبينك، لمدة زمنية تحددها أنت، لن أفرض عليك أي جزية لمدة سبع سنوات، ولكن وفقا لهذا التعهد ستدفع بعدها الجزية التي تريد دفعها، وستحتفظ بجيش مكون من خمسة عشر ألف فارس في بلدك، تزوده بالخبز، وسأخذه في الحساب عند حساب الجزية، ولن أطلب من فرسانك المجيء إلى الشام، لكن عليهم الاستعداد للذهاب إلى أي مكان يؤمرون بالتوجه إليه، ولن أرسل أي أمير إلى حصونكم، ولا أي قائد عربي ولا فارسا واحدا، ولن نسمح بدخول أي عدو إلى أرمينية، وإذا زحف البيزنطيون لقتالك فسأرسل جنودا لمساعدتكم، بالأعداد التي تطلبونها، أتعهد بذلك أمام الله".²

الملحق الخامس: كتاب الجراح بن عبد الله الحكمي لأهل تفليس

"بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الجراح بن عبد الله لأهل تفليس من رستاق منجليس، من كورة جرزان، أنه أتوني بكتاب أمان لهم من حبيب بن مسلمة على الإقرار بصغار الجزية، وأنه صالحهم على أرضين لهم وكروم وأرجاء يقال لها أروارى وسابينا من رستاق منجليس، وعن طعام وديدونا من رستاق فحويط من كورة جرزان على أن يؤدوا عن

¹ البلاذري: المصدر السابق، ص. 283-284.

² SÉBÈOS, op.cit. p.133.

هذه الأرحاء، والكروم في كل سنة مائة درهم بلا ثانية، فأنفذت لهم أمانتهم وصلحهم، وأمرت ألاّ يزداد عليهم فمن قرئ عليه كتابي فلا يتعدّ ذلك فيهم إن شاء الله".¹

الملحق السادس: رسالة الجثليق الأرمني إسحاق الثالث إلى والي أرمينية محمد بن

مروان سنة 83هـ/702م

"إنّي مبعوث إليك من قبل شعبي لأعرض عليك أفكاري التي يطلب تحقيقها البطارقة وأهل أرمينية كافة، ولكن الله الذي هو وليّ أمرنا استدعاني إلى جواره قبل الأوان ولم يأذن لي بأن أقابلك وأتحدث إليك. إنّي أستحلفك بالله وأعقد معك ميثاقا كما فعل الله مع جدّك إسماعيل، وفيه وعده بأن يعطيه العالم للخدمة والطاعة، كي تمنح أنت للأرمن الأمن والسلام، وهو بالمقابل سيمتثل لأوامرك ويدفع الجزية. أبعد سيفك عن سفك الدماء ويدك عن السلب، فهم سيعطونك بكل إخلاص. أمّا بالنسبة لإيماننا فليُسمح لنا إمكانية المحافظة عليه، لأننا آمنّا واعترفنا به، ولا يحاولنّ أحدكم أن يعرضنا للإكراه على تغيير ديننا. إذا حقّقت مطلبي سيوطد الله حكمك وسيحقق أمانيك وسيخضع الله الجميع لك. أما إذا رفضت الإصغاء إلى حديثي، وهاجمت بلدي فسيبدّد الله عزمك ونيتك ولا يثبت خطاك، ويشتت قلوب جنودك الذين سيخرجون عن طاعتك، ويخلق لك مضايقات من كل النواحي، ولا يبقى حكمك ثابتا. لذلك لا تهمل رجائي حتى تحلّ عليك بركاتي".²

الملحق السابع: رد والي أرمينية محمد بن مروان على رسالة الجثليق الأرمني

إسحاق الثالث

"عرفت حكمتك من الرسالة التي قرأتها، إنك بدافع شيمة الراعي الشجاع المعتبرني برعيّته... إنّي أوافق على أن أبعد سيفي عن الأبرياء، إنّي سأنفذ وأتمم كل ما طلبت منّي شخصيا

¹ نفسه، ص. 284-285.

² سليمانيان: المرجع السابق، ص. 83-84؛ أنظر أيضا:

Ghévond : op. cit. p. 29-30; Gandzakets : op. cit. p. 24.

في رسالتك، ولتنزل عليّ بركتك التقية، وإذا لم أنفذ أيّا مما قلته فلتنزل عليّ جميع اللعنات التي قرأتها في رسالتك".¹

الملحق الثامن: تهنئة الخليفة المتوكل بالقضاء على ثورة إسحاق بن إسماعيل في

كورة جرزان

دخل علي بن الجهم فأنشد المتوكل قصيدته:

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئت بما يشفي من الغليل
بجملة تغني عن التفصيل برأس إسحاق بن إسماعيل
"قهرًا بلا ختلٍ ولا تطويل"

فاستحسن جميع من حضر ارتجاله هذا وابتدأه، وأمر له المتوكل بثلاثين ألف درهم، وتمّ القصيدة. وفيها يقول:

جاوز نهر الكرّ بالخيول تردي بفتيان كأسد الغيل
معوّذات طلب الذُحُول² خُزِرَ العيون³ طيبي النُصول
شُعْتُ على شُعْتُ من الفحول جيش يلفّ الحزن بالسُّهول
كأنّه مُعْتَلِجٌ⁴ السُّيُول يَسُوسُهُ كهل من الكهول
لا ينثني للصَّعب والذَّلُول على أغرّ واضح الحُجُول
حتى إذا أضْحَرَ⁵ للمخدول نأجَرَه بصارمٍ صَقِيل
ضَرْبًا طَلْحَفًا⁶ ليس بالقليل ومنجيق مثل حلق الفيل
تَرْفَضُ عن حلقومه الطويل صواعقٌ من حَجَرِ السَّجِيل

¹ سليمانيان: المرجع السابق، ص. 84؛ راجع أيضا:

Ghévond : op. cit. p. 30; Gandzakets : op. cit. p. 24.

² جمع ذحل وهو الثأر. الأصفهاني: المصدر السابق، ج. 10، ص. 404.

³ ضيقها وهو كناية عن الغضب. نفسه.

⁴ اعتلجت يعني التطمت الأمواج والسيول. نفسه.

⁵ ظهر وبرز. نفسه.

⁶ قاسيا وشديدا. نفسه

تترك كيد القوم في تضليل	ما كان إلا مثل رجع القيل
حتى انجلت عن حربه المفلول	وعن نساءٍ حُسِّرَ ذُھُول
صوارخ يَعْثُون في الذُّيُول	تَوَاكِلِ الأولاد والبُعُول
لا والذي يُعْرِف العقُول	من غير تحديد ولا تمثيل
ما قام لله وللرسول	بالدين والدنيا وبالتنزيل

"خليفة كجعفر المأمول"¹

¹ الأصفهاني: المصدر السابق، ج. 10، ص. 404-405.

الملحق التاسع: جدول الأبجدية الأرمنية ومقابلتها بالعربية واللاتينية¹

الأحرف الاستهلالية ²	الأحرف العادية	مقابلها باللاتينية ¹	مقابلها بالعربية
Ա	ա	a	أ
Բ	բ	p	-
Գ	գ	k	ك
Դ	դ	t	ت
Ե	ե	é	-
Զ	զ	z	ز
Է	է	ē	-
Ը	ը	ë	-
Թ	թ	t	ط
Պ	փ	zh	ج
Ի	ի	i	ا
Լ	լ	l	ل
Ն	ն	kh	خ
Շ	ծ	dz	-
Վ	վ	g	-
Հ	հ	h	هـ
Ձ	ձ	ts	-
Ղ	ղ	gh	غ
Ճ	ճ	j	-
Մ	մ	m	م
Յ	յ	y	ي أو هـ
Ը	ը	n	ن
Շ	շ	sh	ش
Չ	չ	o	-
Ժ	ժ	ch	-
Ի	ի	b	ب
Լ	լ	ch	-
Ն	ն	rh	ر
Ս	ս	s	س
Վ	վ	v	-
Տ	տ	d	د
Ր	ր	r	ر
Յ	յ	ts	-
Դ	դ	w	-
Փ	փ	þ	-
Զ	զ	k	ك
Օ	օ	ō	-
Ֆ	ֆ	f	ف

¹ سليمانيان: المرجع السابق، ص. 190-191.

الملحق العاشر: أبرز ولاية أرمنية في العهد الإسلامي

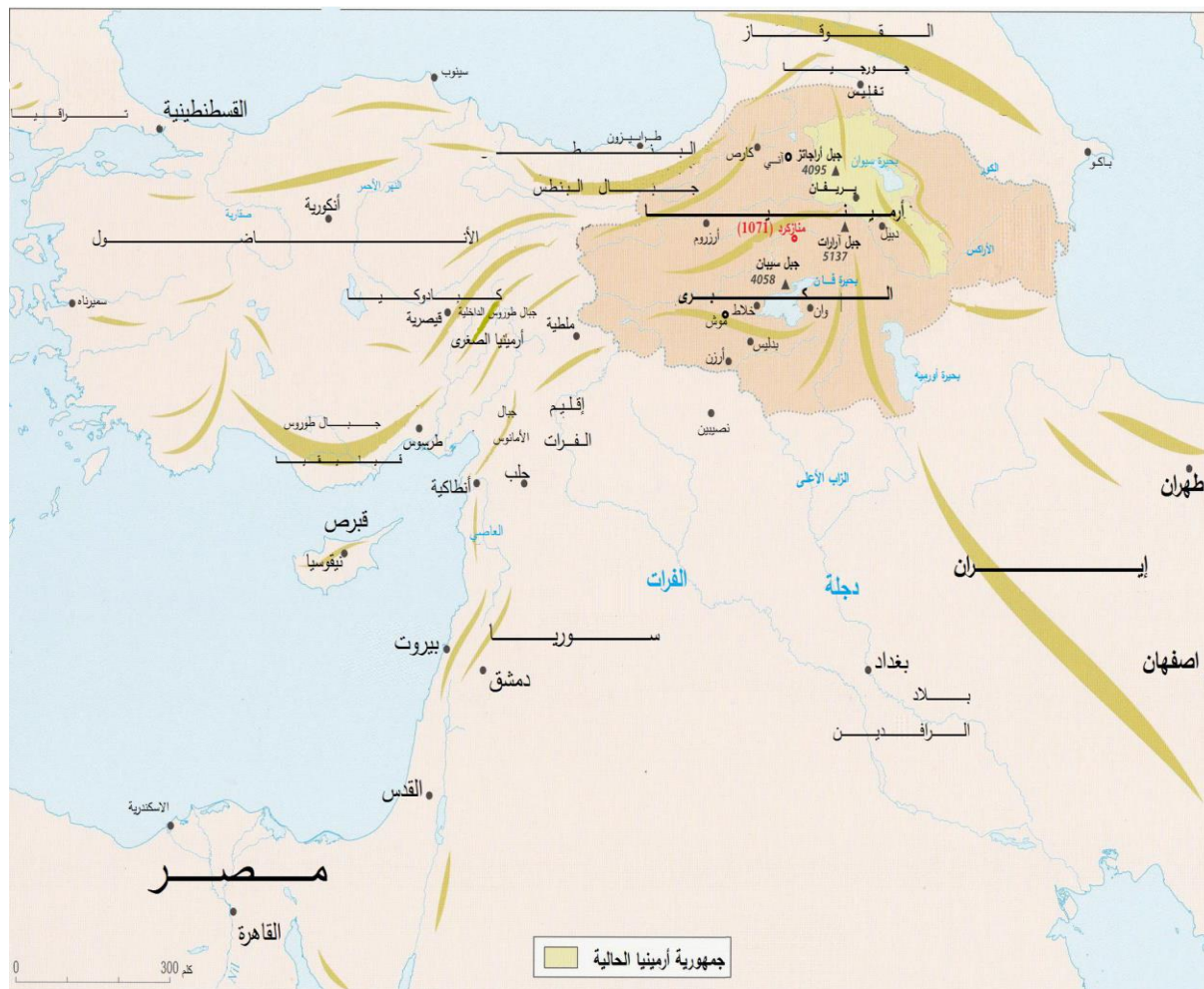
الولاية	فترة الولاية
حبيب بن مسلمة الفهري	الولاية الأولى: 24هـ/644م الولاية الثانية: 41-42هـ/661-662م
محمد بن مروان	73هـ-91هـ/693-710م
مسلمة بن عبد الملك	الولاية الأولى: 91هـ/710م الولاية الثانية: 113-114هـ/731-732م
عبد العزيز بن حاتم بن النعمان	99-101هـ/717-719م
الجراح بن عبد الله الحكمي	الولاية الأولى: 104-107هـ/722-725م الولاية الثانية: 111-112هـ/729-730م
سعيد بن عمرو الحرشي	112-113هـ/730-731م
مروان بن محمد بن مروان	114-132هـ/732-750م
أبو جعفر المنصور	132-133هـ/750-751م
يزيد بن أسيد السلمي	136هـ/755م
يزيد بن مزيد الشيباني	170-172هـ/786-788م
علي بن يحيى الأرمني	248-249هـ/862-863م

الملحق الحادي عشر: الأمراء الأرمن في ظل الحكم الإسلامي¹

الأمراء	فترة الحكم
تيودور الرشتوني	17-33هـ/639-654م
هامازاسب ماميكونيان	33-41هـ/654-661م
كريكور ماميكونيان	41-65هـ/661-685م
آشوط بقراطوني	65-69هـ/685-689م
نرسييس كامساركان	69-73هـ/689-693م
سمباد بقراطوني	73-107هـ/693-726م
آشوط بقراطوني	113-131هـ/732-749م
موشيغ ماميكونيان	131-135هـ/749-753م
ساهاك بقراطوني	135-152هـ/753-770م
سمباط بقراطوني	152-158هـ/770-775م
آشوط بقراطوني	158-164هـ/775-781م
تاجات أندزيفاتسي	164-168هـ/781-785م
آشوط ميالكير بقراطوني	173-210هـ/790-826م
بقراط بقراطوني	210-236هـ/826-851م
سمباط بقراطوني	236-240هـ/851-855م
آشوط بقراطوني	240-271هـ/855-885م

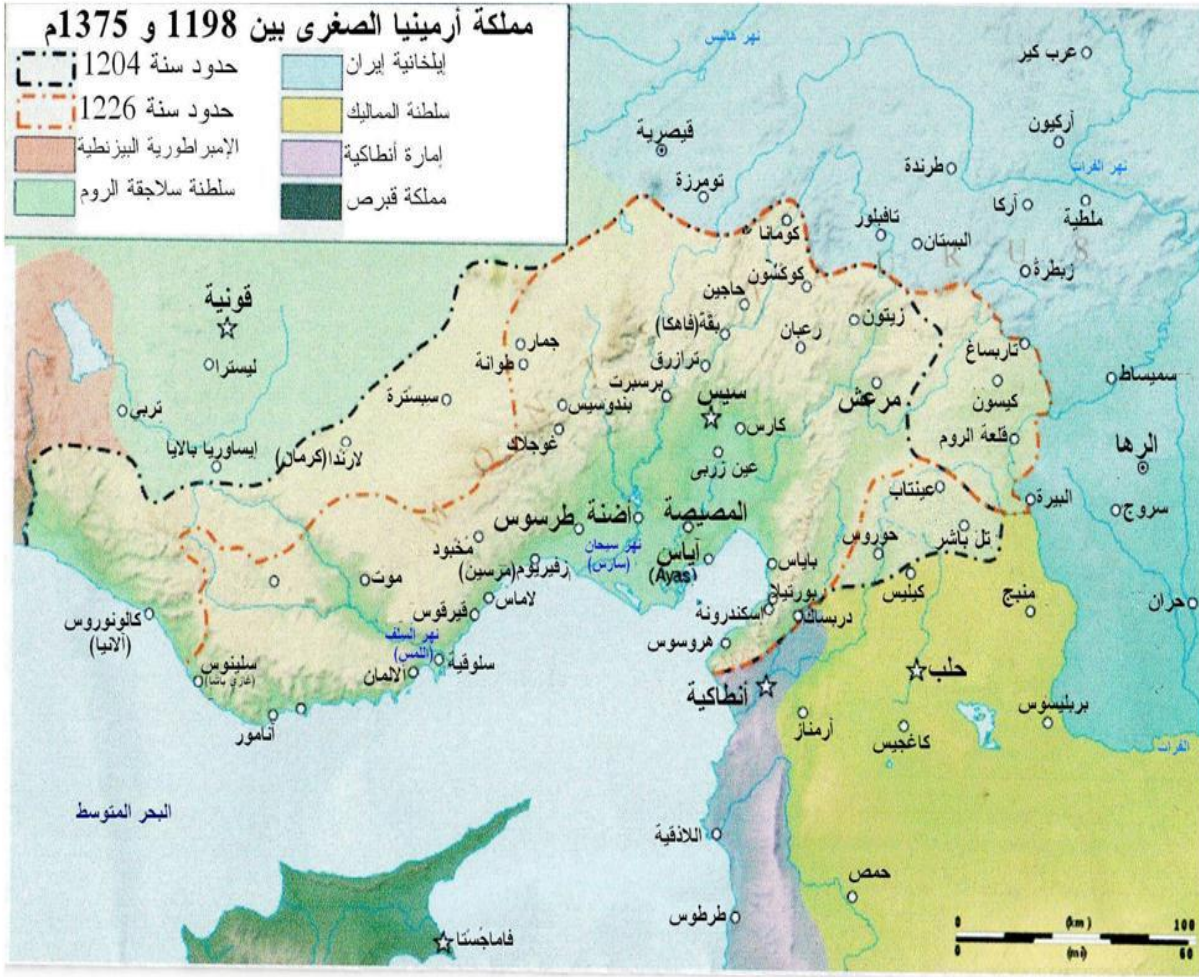
¹ غيفونديان: المرجع السابق، ص. 319.

الملحق الثاني عشر: أرمينية الكبرى¹



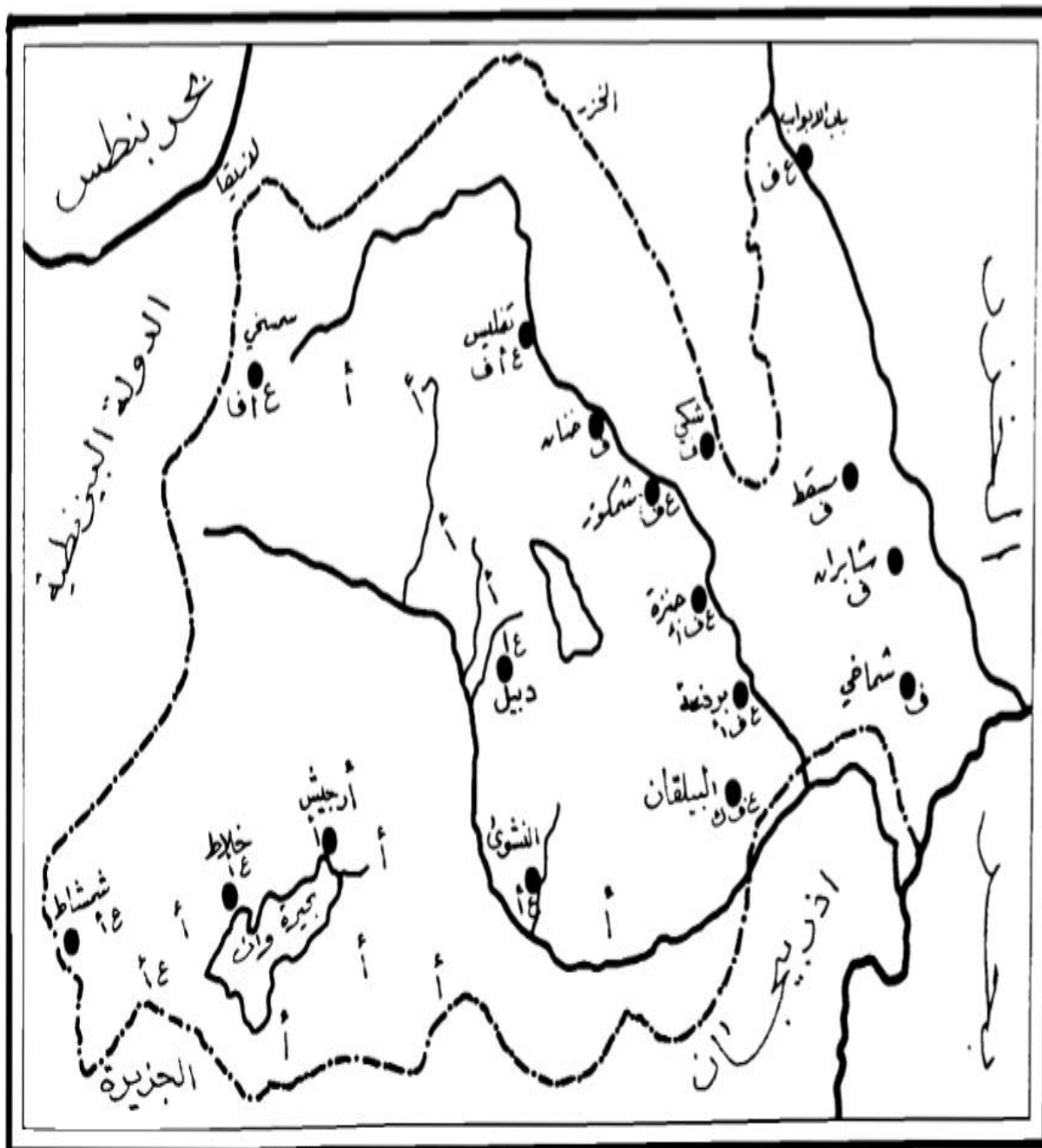
¹ زرقوق: إمارة أرمينيا الصغرى بين السلاجقة والصليبيين. ص. 483.

الملحق الثالث عشر: أرمينية الصغرى¹



¹ زرقوق: مملكة أرمينيا الصغرى بين المغول والمماليك، ص. 229.

الملحق الرابع عشر: التوزيع العرقي لسكان أرمينية¹



المفتاح

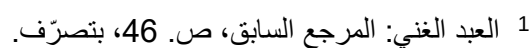
أ: أرمن

ع: عرب

ف: فرس

ك: كرد

¹ صلاح الدين أمين طه: سكان إقليم أرمينية بعد الفتح العربي، ص. 25.



الملحق السادس عشر: صورة الوجه الأول لدرهم من الفضة تم سكّه بأرمينية ، وزنه 2.77 غ، سنة 96هـ/713م من طرف الوليد بن عبد الملك (87-97هـ/705-715م)¹



بسم الله ضرب هذا الدرهم بأرمينية سنة ست وتسعين

في شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين
في دار سكّ النقود بأرمينية
عبد الملك

في شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين

عبد الملك

عبد الملك

لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

سليمانيان: المرجع السابق، ص. 199.¹

الملحق السابع عشر: صورة الوجه الثاني لدرهم من الفضة تم سكّه بأرمينية ، وزنه

2.77 غ، سنة 96هـ/713م من طرف الوليد بن عبد الملك (87-97هـ/705-715م)¹



بسمه سرور الله اسلمه بالهدى ودينه الحق
فيظهره على الدين كله ولو كره المشركون

Առեւանդից, Նուրու-նոյ առաջնայն շրմե-
լան որ բարձրացնէ իրաւան կրօնքը բոլոր
կրօններէն չէր :

الله اهد الله
 الصمد لم يلد ولم يولد
 لم يولد ولم يكن له
 له كفرا احد

¹ سليمانيان: المرجع السابق، ص. 200.

الملحق الثامن عشر: صورة الملك الأرمني جاجيك الأول البقراطوني وهو يرتدي الألبسة العربية. أراد الملك الظهور بهذا الشكل احتراماً للخليفة في بغداد¹



¹ سليمانيان: المرجع السابق، ص. 229.

الملحق التاسع عشر: اللباس التقليدي الأرمني المصبوغ بالقرمز¹



¹ صورة فوتوغرافية مأخوذة من موقع تاريخ الأرمن (القرمز الأرمني "فوردان كارمير" 2024/03/15م).

الملحق عشرون: السجاد الأرمني قيمة تراثية وجمالية¹



¹ صورة فوتوغرافية مأخوذة من موقع Armenians of Syria (السجاد الأرمني..قيمة تراثية وجمالية لا تقنى. 2020/03/07م).

قائمة المصادر

والمراجع

أولاً : القرآن الكريم.

ثانياً : المصادر العربية والمعرّبة

- 1- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت. 630هـ/1232م)): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح. البنا محمد إبراهيم وعاشور محمد أحمد وفايد محمود عبد الوهاب، كتاب الشعب، القاهرة-مصر، 1973.
- 2- _____: الكامل في التاريخ. تح. أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط. 1، بيروت-لبنان، 1407هـ/1987م.
- 3- الأصبهاني (أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران (ت. 430هـ/1038م)): معرفة الصحابة، تح. محمد حسن محمد حسن إسماعيل ومسعد عبد الحميد السعدني، دار الكتب العلمية، ط. 1، بيروت-لبنان، 2002م.
- 4- الإصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت. 346هـ/957م)): المسالك والممالك، تح: محمد جابر الحيني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2004م.
- 5- الأصفهاني (أبي الفرج علي بن الحسين (ت. 356هـ/967م)): كتاب الأغاني، دار إحياء التراث العربي، ط. 2، بيروت-لبنان، 1997م.
- 6- ابن الأعمش (أبي محمد أحمد الكوفي (ت. 314هـ/927م)): كتاب الفتوح، تح. شيري علي، دار الأضواء، ط. 1، بيروت-لبنان، 1991م.
- 7- الأنصاري (شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب الدمشقي (ت. 727هـ/1327م)): نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر، مطبعة الأكاديمية الامبراطورية، بطربورغ، 1281هـ/1865م.
- 8- البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت. 739هـ/1338م)): مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح. علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1373هـ/1954م.
- 9- البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت. 487هـ/1094م)): معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع، تح: مصطفى السّقا، عالم الكتب، بيروت-لبنان، 1364هـ/1945م.

- 10- البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت. 279هـ/892م)): فتوح البلدان،
تح. عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987م.
- 11- ابن ثغري بردي (أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين (ت. 874هـ/1470م)): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، ط. 1،
القاهرة، 1929م.
- 12- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر البصري (ت. 250هـ/864م)): التبصر بالتجارة،
دار الكتب المصرية، ط. 2، مصر، 1354هـ/1935م.
- 13- _____: كتاب الحيوان، دار الكتب العلمية، ط. 2، بيروت-لبنان،
2003م.
- 14- الجهشيارى (أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت. 331هـ/943م)): الوزراء والكتاب،
تح. مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، ط. 1، القاهرة،
1357هـ/1938م.
- 15- ابن الجوزي (أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت. 597هـ/1200م)): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح. محمود عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا،
دار الكتب العلمية، ط. 2، بيروت-لبنان، 1995م.
- 16- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي (ت. 852هـ/1448م)): الإصابة في تمييز
الصحابه، تح. عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط. 1،
بيروت، 1995م.
- 17- الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت. 626هـ/1229م)): معجم
البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م.
- 18- الحميري (محمد بن عبد المنعم (ت. 900هـ/1495م)): الروض المعطار في خبر
الأقطار، تح. عباس إحسان، مكتبة لبنان، ط. 2، بيروت، 1984م.
- 19- ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي (ت. 367هـ/977م)): صورة الأرض، دار مكتبة
الحياة، بيروت-لبنان، 1992م.

20- ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت. 280هـ/893م)): المسالك والممالك، ليدن، مطبعة بريل، 1889م.

21- الخطيب البغدادي (أبي بكر أحمد بن علي (ت. 463هـ/1070م)): تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تح. مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط. 1، بيروت-لبنان، 1997م.

22- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت. 808هـ/1406م)): مقدمة ابن خلدون، تح. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، ط. 7، الجيزة، 2014م.

23- _____: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، ط. 1، بيروت، 1992م.

24- ابن خلّكان (أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت. 681هـ/1282م)): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح. يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، ط. 1، بيروت-لبنان، 1998م.

25- خوريناتسي موسيس (عاش في القرن 5م): تاريخ الأرمن من البداية حتى نهاية القرن الخامس الميلادي، تر: نزار خليلي، إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 1999م.

26- ابن خياط خليفة (أبو عمرو العصفري البصري (ت. 240هـ/854م)): تاريخ خليفة بن خياط، تح. العمري أكرم ضياء، دار طيبة، ط. 2، الرياض، 1985م.

27- أبو دلف (مسعر ابن مهلهل الخزرجي (عاش في القرن 4هـ/10م)): الرسالة الثانية لأبي دلف رحالة القرن العاشر، تح. بولغاكوف بطرس وخالدوف أنيس، عالم الكتب، القاهرة، 1970م.

28- الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت. 748هـ/1347م)): دول الإسلام، تح. مروة حسن إسماعيل والأرناؤوط محمود، دار صادر، ط. 1، بيروت-لبنان، 1999م.

29- _____ سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط. 14، بيروت-لبنان، 2001م.

30- _____ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت، 2003م.

- 31- ابن رسته (أبي علي محمد بن عمر (ت. 300هـ/912م)): كتاب الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، 1891م، مج. 7، ص. 106.
- 32- ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت. 230هـ/844م)): الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، ط. 2، بيروت-لبنان، 1997م.
- 33- ابن سلام (أبي عبيد القاسم الهروي البغدادي (ت. 224هـ/838م)): كتاب الأموال، تح. أبو أنس سيد بن رجب، دار الهدي النبوي، ط. 1، مصر، 1428هـ. 2007م.
- 34- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضير جلال الدين (ت. 911هـ/1505م)): تاريخ الخلفاء، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط. 1، مصر، 1952م.
- 35- أبو صالح الأرمني (أبو المكارم سعد الله (عاش في القرن 6هـ/12م)): تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني: تذكر فيه أخبار من نواحي مصر وإقطاعها، المطبعة المدرسية، أوكسفورد، 1895م.
- 36- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت. 310هـ/923م)): تاريخ الرسل والملوك، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1970م.
- 37- ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت. 463هـ/1070م)): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح. علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط. 1، 1992م.
- 38- ابن العبري (غرغوريوس أبو الفرج جمال الدين الملطي (ت. 685هـ/1286م)): تاريخ الزمان، تر. إسحاق أرملة، دار المشرق، بيروت-لبنان، 1991م.
- 39- ابن عساكر (علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم ثقة الدين الدمشقي (ت. 571هـ/1175م)): تاريخ مدينة دمشق، تح. عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، ط. 1، دمشق-سوريا، 1995م.
- 40- ابن العماد الحنبلي (أبي الفلاح عبد الحي: (ت. 1079هـ/1668م)): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1994م.

- 41- ابن عمر (سيف التميمي الكوفي (ت. 200هـ/815م)): كتاب الردّة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعلي، تح. السامرائي قاسم، دار أمية، ط. 2، الرياض، 1418هـ/1997م.
- 42- الفارقي (أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق (ت. 571هـ/1176م)): تاريخ الفارقي، تح. بدوي عبد اللطيف عوض، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1389هـ/1959م.
- 43- أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر (ت. 732هـ/1331م)): تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، 1830م.
- 44- ابن الفقيه (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت. 340هـ/951م)): البلدان، تح. يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت-لبنان، 1416هـ/1996م.
- 45- قدامة (بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي أبو الفرج (ت. 328هـ/948م)): الخراج وصناعة الكتابة، تح. الزبيدي محمد حسين، دار الحرية، بغداد-العراق، 1981م.
- 46- القزويني (زكرياء بن محمد بن محمود (ت. 682هـ/1283م)): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د/ت).
- 47- قسطنطين السابع بُورفيرُوجنيثُوس: إدارة الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، 2001م.
- 48- القلقشندي (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد (ت. 821هـ/1418م): الصبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م.
- 49- ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (ت. 774هـ/1373م)): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1413هـ/1992م.
- 50- _____ السيرة النبوية، مكتبة الصفا، ط. 1، القاهرة، 2006م.
- 51- الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت. 450هـ/1058م)): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح. البغدادي أحمد مبارك، دار ابن قتيبة، ط. 1، الكويت، 1409هـ/1989م.
- 52- المزي (جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت. 742هـ/1341م)): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط. 1، بيروت-لبنان، 1992م.

- 53- المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت. 346هـ/957م)): التتبيه والإشراف، تصحيح ومراجعة: عبد الله إسماعيل الصادق، المكتبة التاريخية، مصر، 1938م.
- 54- _____: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط. 1، بيروت، 1425هـ/2005م.
- 55- المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي (ت. 380هـ/990م)): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحرير وتقديم: شاكر لعريبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003م.
- 56- المقرئزي (نقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت. 845هـ/1442م)): كتاب المقفى الكبير، تح. محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت-لبنان، 1991م.
- 57- _____: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، وضع حواشيه: خليل منصف، دار الكتب العلمية، ط. 1، بيروت-لبنان، 1418هـ/1998م.
- 58- _____: رسائل المقرئزي، تح. رمضان البدرى وأحمد مصطفى قاسم، دار الحديث، ط. 1، القاهرة، 1419هـ. 1998م.
- 59- المنبجي (أغابوس بن قسطنطين (عاش في القرن 4هـ/10م)): المنتخب من تاريخ المنبجي، تح. تدمري عمر عبد السلام، دار المنصور، ط. 1، طرابلس-لبنان، 1406هـ/1986م.
- 60- مؤلف مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، مكتبة المثنى، بغداد، (د. ت).
- 61- مؤلف مجهول: تاريخ ملوك القسطنطينية، تح. منصور طارق وعطا زبيدة، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط. 1، القاهرة، 2008م.
- 62- ميخائيل السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، تر. مارغريفور شمعون، متروبوليت، حلب، (د. ت).
- 63- ناصر خسرو علوى: سفر نامه، تر. يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. 2، القاهرة، 1993م.

64- ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت. 378هـ/988م)): الفهرست، دار المعرفة، بيروت-لبنان، (د.ت).

65- هيرودوت: تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ضبي-الإمارات العربية المتحدة، 1422هـ/2001م.

66- الواقدي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي (ت. 207هـ/822م)): فتوح الشام، ضبطه وصحّحه: عبد الرحمن عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د/ت).

67- ابن الوردي (سراج الدين الحفيد (ت. 861هـ/1457م)): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح. أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1428هـ/2008م.

68- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت. 292هـ/904م)): البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د/ت).

69- _____: تاريخ اليعقوبي، تح. عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، 1431هـ/2010م.

ثالثا : المصادر الأجنبية

1- ARDZROUNI Thomas : Histoire des Ardzrouni, trad. Brosset (M.), Imprimerie de l'académie impériale des sciences, Pétersbourg, 1974.

2- Arisdagués de Lasdiverd : Histoire d'Arménie, traduite par Évariste Prud'homme, Benjamin Duprat, Paris, 1864.

3- Asolik Etienne (de Taron): Histoire universelle, trad. E. Dulaurier, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1883.

4- Catholicos Jean : Histoire d'Arménie, trad. (M. J.) Saint-Martin, Imprimerie royale, Paris, 1861.

5- Gandzakets Kirakos : History of the Armenians, trans. Bedrosian Robert, Sources of the Arménian Tradition, New York, 1986.

6- GHÉVOND (Léonce) : HISTOIRE DES GUERRES ET DES CONQUÊTES DES ARABES EN ARMÉNIE, traduit en français par GARABED V. Chahnazarian, Paris, 1856.

7- KHORENATSI Moses : History of the Arménians, trad. THOMSON (R. W.), London, 1978.

- 8- Michel Le Syrien : Chronique de Michel le Syrien, traduite par (J. B) Chabot, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1901.
- 9- Moyse HHorénatzi : L'Histoire de la Grand-Arménie, Bibliothèque Royale, Paris, 1836.
- 10- Mustawfi Hamd-Allah : The geographical part of the Nuzhat-al-Qulub, tran. Le Strange (G.), Brill, Leyden, 1919.
- 11- Sébèos (L'évêque) : Histoire d'Héraclius, Traduit en français par F. Macler, ernest leroux, Paris, 1904.
- 12- STRABO : THE GEOGRAPHY OF STRABO, Tran. HORACE LEONARD 7- JONES, Cambridge, Harvard university press, London, 1967.
- 13- The Georgian Chronicle : Tran. Robert Bedrosian, Long Branch, New Jersey, 1991.
- 14- Theophanes : The chronicle of Theophanes, Introduction and notes by Harry Turtledove, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1982.
- 15- Unknown authorm : The regions of the world' A Parsian geography, trad : MINORSKY (V.), printed at the university press OXFORD, LONDON.
- 16- VARDAN : La Domination Arabe en Arménie, trad. MYLDERMANS (J.), Paris, 1927.

رابعاً : المراجع العربية والمعربة

- 1- آدم مِتر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، ط. 5، بيروت-لبنان، (د ت).
- 2- أديب السيد: أرمنية في التاريخ العربي، المطبعة الحديثة، حلب، ط. 1، 1972م.
- 3- استارجيان (ك. ل.): تاريخ الأمة الأرمنية، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، 1951م.
- 4- أسد رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، مؤسسة هنداي، المملكة المتحدة، 2017م.
- 5- أمحزون محمد: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، دار السلام، ط. 2، القاهرة، 2007م.
- 6- أمين القضاة: الخلفاء الراشدون، دار الآفاق، الجزائر، (د/ت).
- 7- بشار قويدر: قضية الأرض في الدولة الإسلامية، مركز الطباعة لجامعة الجزائر، بوزريعة-الجزائر، (د/ت).

- 8- بورنوتيان جورج: موجز تاريخ الشعب الأرمني من العصور القديمة إلى العصور الحديثة، تر: سحر توفيق، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2012م.
- 9- بول اميل: تاريخ أرمينيا، تر. شكري علاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت).
- 10- التوراة السامرية: تر: أبو الحسن إسحق الصوري، نشرها أحمد حجازي السقا، دار الأنصار، ط. 1، القاهرة، 1398هـ/1978م.
- 11- الجبوري عدي سالم: دوافع الفتوحات الإسلامية في العصرين الراشدي والأموي: دار الحامد، ط. 1، عمان-الأردن، 1433هـ. 2012م.
- 12- جواد مصطفى: سيدات البلاط العباسي، دار الكشف، بيروت-لبنان، 1950م.
- 13- جون هالدون : بيزنطة في حرب 600-1453، تر. فتحي عبد العزيز محمد، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2011م.
- 14- حبيب بدر وآخرون: المسيحية عبر تاريخها في المشرق، مجلس كنائس الشرق الأوسط، ط. 2، بيروت-لبنان، 2002م.
- 15- حمد بن ناصر العبودي: مواطن إسلامية ضائعة مشاهدات في مولدوفا وأرمينيا، ردمك، ط. 1، الرياض، 1420هـ/2000م.
- 16- خالد كبير علال: تضارب روايات الفتنة الكبرى ومناهج تحقيقها، مجلة المبرز، المدرسة العليا للأساتذة، ع. 22، الجزائر، 2005م.
- 17- خانجي أنطوان: مختصر تواريخ الأرمن، دير الآباء الفرنسيين، أورشليم، 1868م.
- خطاب محمود شيت: قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، 1419هـ/1998م.
- 18- الخليل أحمد محمود: صورة الكرد في مصادر التراث الإسلامي، دار اراس، ط. 1، أربيل-العراق، 2012م.
- 19- دسوقي محمد عزب: القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأموي، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1998م.
- 20- دنلوب (د.م): تاريخ يهود الخزر، تر. زگار سهيل، دار حسان، دمشق، ط. 2، 1410هـ/1990م.

- 21- الدوري عبد العزيز: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط. 1، بيروت-لبنان، 2007م.
- 22- رجب محمود إبراهيم بخيت: الفتح الإسلامي لبلاد القوقاز (17-132هـ/639-750م)، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، 2010م.
- 23- رجب محمود إبراهيم بخيت: تاريخ الإسلام في أذربيجان من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي الأول (22-132هـ/642-847م)، دار العلم والإيمان، كفر الشيخ، 2009م.
- 24- رسلان أحمد فؤاد: أرمينيا الأمة والدولة، دار الأمين، الجيزة، ط. 1، 1418هـ/1997م.
- 25- زكي بك محمد أمين، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، تر. عوني محمد علي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط. 2، بغداد، 2005م.
- 26- سُهراب: عجائب الأقاليم السبعة، ترجمة وتحقيق: هانس فون مزيك، مطبعة أدولف هولزهوزن، فينا، 1347هـ/1929م.
- 27- سوريال عطية عزيز: تاريخ المسيحية الشرقية، تر. إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، ط. 1، القاهرة، 2005م.
- 28- السيد باز العريني: الدولة البيزنطية 323-1081م، دار النهضة العربية، بيروت، 1965م.
- 29- السيد خالد المطري: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز دراسة جغرافية، الدار السعودية، جدة-المملكة العربية السعودية، 1421هـ/2001م.
- 30- شرف الدين البديسي: شرفنامه، تر. محمد علي عوني، دار الزمان، ط. 2، دمشق-سوريا، 2006م.
- 31- صابر محمد دياب حسين: أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، مصر، 1398هـ/1978م.
- 32- صالح بن قربة: المسكوكات المغربية في حضارة الغرب الإسلامي، مخبر المخطوطات-جامعة الجزائر، الجزائر، 2006م.
- 33- صلاح رشيد الصالحي: المملكة الحثية دراسة في التأريخ السياسي لبلاد الأناضول، دار الكتب والوثائق، ط. 2، بغداد، 2007م.

- 34- العباداني عبد الله مبلغى: تأريخ الديانة الزرادشتية، تر. كلهور عبد الستار قاسم، مؤسسة موكرىاني، ط. 1، إيران، 2011م.
- 35- عبد الرحمن محمد العبد الغنى: أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين 653-1064م/33-457هـ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ط. 1، الكويت، 1989م.
- 36- عبد الستار الشيخ: عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، دار القلم، ط. 2، دمشق، 1996م.
- 37- عبد العزيز بن إبراهيم العمري: الفتوح الإسلامية عبر العصور، دار إشبيليا، ط. 2، المملكة العربية السعودية، 1419هـ.
- 38- عبد العزيز بن عبد الله الحميدي: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، دار الأندلس الخضراء، ط. 1، المملكة العربية السعودية، 1998م.
- 39- عبد الماجود أحمد سلمان: الموصل في العهدين الراشدي والأموي، مكتبة بسام، ط. 1، الموصل، د. ت.
- 40- عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. 7، القاهرة، 1996م.
- 41- عثمان فارس: الكرد والأرمن العلاقات التاريخية، مؤسسة ماركريت، ط. 2، العراق، 2013م.
- 42- عزت يوسف: تاريخ القوقاز، تعريب: عبد الحميد بك غالب، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1330هـ/1912م.
- 43- العش محمد أبو الفرج: النقود العربية الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، ط. 3، قطر، (د. ت).
- 44- علي صالح أحمد: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، 1953م.
- 45- _____: الفتوحات الإسلامية، شركة المطبوعات، ط. 1، بيروت-لبنان، 2004م.

- 46- عمر رضا كحّالة: العلوم العملية في العصور الإسلامية، المكتبة العربية، دمشق، 1392هـ/ 1972م.
- 47- غيفونديان آرام تير : أرمنية والخلافة العربية، تر. كشيبيان ألكسان، نادي الشبيبة السورية الثقافي، سوريا، 2017م.
- 48- ف.سي. صموئيل: مجمع خلقيونية- إعادة فحص، تج: عماد مورييس إسكندر، دار باناريون، مصر، 2009م.
- 49- فايز نجيب اسكندر: أرمنية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني جيفوندي (11-40هـ/632-661م)، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، 1982م.
- 50- _____: استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمنية "آني" سنة 456هـ/1064م، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 1987م.
- 51- _____: الحياة الاقتصادية في أرمنية إبان الفتح الإسلامي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 1988م.
- 52- _____: الفتوحات الإسلامية لأرمنية، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، 1983م.
- 53- _____: المسلمون والبيزنطيون والأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني المعاصر "سبيوس" (11-40هـ/632-661م)، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1414هـ/1993م.
- 54- _____: بلاد الكرج بين المسلمين والبيزنطيين حتى أواخر القرن الثاني الهجري/ أواخر القرن الثامن الميلادي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 1988م.
- 55- فرانز روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين، تر. صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، ط. 2، بيروت، 1983م.
- 56- فرج وسام عبد العزيز: دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، مكتبة المهتدين، مصر، 1982م.
- 57- فركوس دليلة: تاريخ النظم (النظم الإسلامية السياسية والإدارية والمالية والقضائية والقانونية من القرن 7م، إلى القرن 15م)، أطلس للنشر، الجزائر، 1995م.
- 58- كاتوزيان هوما: الفرس إيران في العصور القديمة والوسطى والحديثة، تر. المعيني أحمد حسن، دار جداول، ط. 1، بيروت-لبنان، 2014م.

- 59- كراتشكوفسكي أغناطيوس: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر. صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963م.
- 60- كريستنس أرثر: إيران في عهد الساسانيين، تر. الخشاب يحي، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، (د/ت).
- 61- الكعبي عبد الحكيم: عصر الخلفاء الراشدين، دار أسامة، الأردن، 2009م.
- 62- كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، تعريب: بشير فرنسيس وكوركي عواد، مؤسسة الرسالة، ط. 2، بيروت، 1985م.
- 63- كيرلس الأنطوني وباسيليوس: عصر المجامع، (بدون دار ومكان النشر)، أبريل 1952م.
- 64- مأمون عبد الله القصير: النقود الإسلامية في القرن الهجري الأول، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، (د. ت.).
- 65- محمد بك الحضري: الدولة الأموية، المكتبة العصرية، بيروت، 2003م.
- 66- محمد بن أحمد كنعان: تاريخ الدولة العباسية وما رافقها من الممالك، مؤسسة المعارف، ط. 1، بيروت، 1998م.
- 67- محمد رفعت الإمام: العلاقات العربية الأرمنية: الماضي والحاضر، مركز الدراسات الأرمنية، ط. 1، القاهرة، 2009م.
- 68- محمود إبراهيم سامية: الحركات المناهضة للخلافة العباسية في الشرق الإسلامي منذ قيامها حتى أواخر القرن الثالث الهجري، البندقية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط. 1، 1437هـ/2016م.
- 69- محمود إسماعيل: مختصر تاريخ أذربيجان، تر: رفيق عليوف ورامز مرسالوف، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط. 1، دبي-الإمارات العربية المتحدة، 1416هـ/1995م.
- 70- محمود سعيد عمران: الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، دار النهضة العربية، ط. 1، بيروت-لبنان، 1422هـ/2002م.
- 71- محمود شاكر: التاريخ الإسلامي الخلفاء الراشدون والعهد الأموي، المكتب الإسلامي، ط. 8، بيروت، 2000م.

72- المدوّر مروان: الأرمن عبر التاريخ، منشورات دار نوبل، ط. 2، دمشق-سوريا، 1981م.

73- المغربي محمد عبد الشافي: مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين في العصور الوسطى، دار الوفاء لدنيا، الإسكندرية، 2002م.

74- ملحم عدنان محمد: المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، دار الطليعة، ط. 2، بيروت، 2001م.

75- منصور عبد الحكيم: طوفان نوح عليه السلام في القرآن الكريم والأساطير القديمة، دار الكتاب العربي، ط. 2، دمشق، 2013م.

76- المهائني رفيق: تاريخ الخلافة الأموية والعباسية، دار اليقظة العربية، دمشق، 1946م.

77- ناهض عبد الرزاق: المسكوكات وكتابة التاريخ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988م.

78- نبيل نيقولا جورج بوخاروف: المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح أم هي ديانة بولس، (دون دار ومكان النشر)، 2007م.

79- هنس فالتر: المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، تر. العسيلي كامل، منشورات الجامعة الأردنية، عمان-الأردن، 1970م.

80- هنّي خير الدين: في رحاب السيرة النبوية، دار الإمام مالك، ط. 2، الجزائر، 2017م.

81- ولتر كي: بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، تر: نقولا زيادة، دار المهندسين، ط. 2، سورية، 2003م.

82- ويلتر (ج.): الهرطقة في المسيحية، تر. جمال سالم، دار التنوير، بيروت-لبنان، 2007م.

83- يوليوس فلهوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، المركز القومي للترجمة، ط. 2، القاهرة، 2009م.

خامسا : المراجع الأجنبية

1- Arthur Penrhyn Stanley : Lectures on the history of the eastern church, Printed by H. O. Houghton, Christ church, ed. 2, Oxford, 1862.

- 2- Aslan Kévork : Études historiques sur le peuple Arménien, Dujarric (G.), Paris, 1909.
- 3- BAYNES (Norman H.) : The successors of Justinian, The Macmillan company, New York, 1913, v. 2, p. 293-294.
- 4- Bournoutian George : A Concise History of the Armenian People, Mazda Publishers, California, 2006.
- 5- Bréhier (Louis), Le monde byzantin : Vie et mort de Byzance, Éditions Albin Michel, Paris, 1992.
- 6- Cahen Claude : Orient et Occident au temps des croisades, Aubier Montaigne, Paris, 1983.
- 7- DANIELA DUECK, HUGH LINDSAY AND SARAH POTHECAR: STRABO'S CULTURAL GEOGRAPHY, Cambridge university press, New York, 2005.
- 8- De Morgan Jacques : Histoire du peuple Arménien depuis les temps les plus reculés de ses annales jusqu'à nos jours, Berger-Levrault, Paris, 1919.
- 9- Dulaurier Edouard : Histoire dogmes, traditions et liturgie de L'Eglise Arménienne orientale, Durand (A.) Libraire, 3 éd. Paris, 1889,
- 10- Edmund Herzig and Marina Kurkchian: The Armenians, RoutledgeCurzon, ed. 1, London and New
- 11- Garsoïan Nina : The Arab invasions and the rise of the Bagratuni (640-884), ds. The Armenian people from ancient to modern times, Edited by Hovannisian Richard, St. Martin's Press, New York, 1997.
- 12- Gatteyrias (J. A.) : L'Arménie et les Arméniens, Leopold Cerf, Paris, 1882.
- 13- GROUSSET (René) : Histoire de l'arménie des origines a 1071, payot, Paris, 1973.
- 14- Hacikyan (Agop J.) : The Heritage of Armenian Literature, Wayne State University Press, Detroit, 2002.
- 15- Heyd Wilhelm: Histoire Du Commerce Du Levant Au Moyen-Age, Amsterdam, 1967.
- 16- Karekin Sarkissian : The council of Chalcedon and the Armenian church, The Armenian Church Prelacy, ed. 2, New York, 1975.
- 17- Khurumian (R.) : Les Arméniens race- origines ethno-raciales, Vigot Frères éditeurs, Paris, 1941.
- 18- LAURENT (Joseph) : L'Arménie entre Byzance et l'islam depuis la conquête arabe jusqu' en 886, Fontemoing et C^{ie}, Paris, 1919.
- 19- Le Bon Gustave : La civilisation des Arabes, Casbah, Alger, 2009.
- 20- Macler Frédéric : Autour de L'Arménie, librairie (E.) Nourry, Paris, 1917.
- 21- Macler Frédéric : La France et L'Arménie à travers l'art et l'histoire, Imprimerie (H.) Turabian, Paris, 1917.
- 22- Macler Frédéric : La nation Arménienne son passé, ses malheurs, Librairie Fischbacher, 1924

- 23- Macler Frédéric : Trois Conférences sur l'Arménie, Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1929.
- 24- Manandian (H. A.): The Trade and cities of Arménia in relation to ancient world trade: tr. Nina G. Garsoian, Livraria Bertrand, Lisbon, 1965.
- 25- Minorsky (V.) : Stadies in Caucasian History, Toylor's Foreign press, London, 1953.
- 26- Mouradian Claire : L'Arménie, Presse universitaire de France, Paris, 2009.
- 27- Mutavian Claude : Le Royaume Arménienne de Cilicie XII^e-XIV^e siècle, CNRS éditions, Paris.
- 28- NAOMI DUGUID : TASTE OF PERSIA Acook's travels through ARMENIA AZERBAIJAN GEORGIA IRAN AND KURDISTAN, ARTISAN, NEW YORK, 2016.
- 29- Noël Dolens et Khatch (A.): Histoire des anciens Arméniens, L'Union des etudiants Arméniens de L'Europe, Genève, 1907.
- 30- Norwich (J. J.) : Histoire de Byzance 330-1453, trad. (D.) Peters, Perrin, France, 1999.
- 31- OSTROGORSKY GEORGE : HISTORY OF THE BYZANTINE STATE, Tran. JOAN HUSSEY, OXFORD, London, 1968.
- 32- Pasdermadjian (H.): Histoire de l'Arménie depuis les origins jusqu au traité de Lausanne, Librairie orientale H. 2 éd. Paris, 1964.
- 33- Recueil des Historiens des Croisades : Documents Arméniens, Imprimerie nationale, Paris, 1909.
- 34- Saint-Martin (M. J.) : Mémoires historique et géographiques sur L'Arménie, l'imprimerie royale, Paris, 1818.
- York, 2005.
- 35- Vasiliev (A. A.): HISTORY OF THE BYZANTINE EMPIRE 324-1453, MADISON, Canada, 1952.

سادسا : الرسائل والمذكرات الجامعية

- 1- زرقوق محمد: إمارة أرمينيا الصغرى بين السلاجقة والصليبيين 463-623هـ/1071-1226م. أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف لطيفة بشاري، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، السنة 1438-1439هـ/2017-2018م.
- 2- سليمانيان جان جاك: تاريخ الراهب غيفونت (632-787م) تعريب ودراسة في العلاقات العربية الأرمنية حتى القرن العاشر الميلادي، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية

وآدابها، إشراف لويس بوزيه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فرع الآداب العربية، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1994م.

3- شريف إبراهيم: الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي، أطروحة دكتوراه (منشورة)، إشراف: سليمان حزين، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مطبعة شفيق، بغداد، (دون سنة).

4- صلاح الدين أمين طه: الحياة العامة في أرمينية دراسة في أوضاعها الإدارية والاجتماعية والاقتصادية 30هـ/651م - 247هـ/862م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة بغداد، 1989م،

5- كربال زكية: التطور السياسي والحضاري لروسيا من خلال كيف منذ منتصف القرن التاسع حتى الربع الأول من القرن الثاني عشر الميلادي، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العصور الوسطى، إشراف موسى لقبال، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001-2002م.

سابعاً : المقالات العربية

1- أريسيان نورا: التداخل اللغوي بين اللغتين الأرمنية والعربية (1)، جريدة الأسبوع الأدبي، ع. 1486، السنة الثلاثون، اتحاد الكتاب العرب، سورية، أبريل 2016م؛ متوفرة على الرابط: aztagarabik.com/archives/19660

2- _____: التداخل اللغوي بين اللغتين الأرمنية والعربية (2)، جريدة الأسبوع الأدبي، ع. 1482، السنة الثلاثون، اتحاد الكتاب العرب، سورية، 27 مارس 2016م؛ متوفرة على الرابط: aztagarabik.com/archives/19674

3- حميدي فتحي سالم: حركات التمرد في ولاية أرمينية في عهد الخليفة المتوكل على الله (232-247هـ)، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج. 16، ع. 1، جامعة الموصل، العراق، 2019م.

4- رمضان عبد الباسط سالم رفاعي: طائفة الأرمن في مصر تاريخاً وعقيدة، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، ع. 28، ج. 2، القاهرة، 1431هـ/2010م.

- 5- زرقوق محمد: سفارات الكنيسة الأرمنية إلى القسطنطينية وروما والقاهرة وأثرها على اندلاع الحروب الصليبية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع. 51، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة2، قسنطينة-الجزائر، 2019م.
- 6- زروق مصطفى وكربال زكية: معاهدة السلام (33هـ/654م) صفحة من العلاقات الإسلامية الأرمنية، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، ع. 2 ، مج. 6، المسيلة-الجزائر، 2022م.
- 7- شريف شريف يحي محمود: نقود خزيمة بن خازم حاكم أرمنية وأران (135-203هـ/735-803م)، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2024م.
- 8- صلاح الدين أمين طه: استيطان القبائل العربية في أرمنية 30-247هـ. مجلة رسالة الخليج العربي، ع. 20، مج. 7، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1986م.
- 9- _____: الموارد المالية في إقليم أرمنية خلال الحكم العربي 21هـ/652م - 247هـ/865م، مجلة: آداب الرافدين، ع. 13، العراق، 1981م.
- 10- _____: سكان إقليم أرمنية بعد الفتح العربي له، مجلة التربية والعلم، ع. 3، جامعة الموصل-كلية التربية، 1981م.
- 11- الطائي سناء عبد الله عزيز: سياسة تعيين ولاية أرمنية في العصر العباسي الأول 132-227هـ/750-841م. مجلة مركز الدراسات الإقليمية، ع. 25، جامعة الموصل، 2018م.
- 12- طه خضر عبيد: القائد علي بن يحي الأرمني (ت249هـ./863م.) ودوره الحربي والإداري، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية، مج. 11، ع. 4، العراق، 2012م.
- 13- عبد الله نذير صبار: الحروب العربية-الخرزية دراسة في الصراع العسكري مع دولة الخزر خلال العصر العباسي للمدة (132-193هـ/750-809م) مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، مج. 1، ع. 4، جامعة الأنبار، العراق، 2013م.
- 14- فايز نجيب اسكندر: الفتوحات العربية لأرمنية دراسة تاريخية مع عرض وتحليل ودراسة مقارنة للمصادر والمراجع، مجلة سيرتا، ع. 9/8، ديسمبر 1983م.

- 15- قيتولي صلاح الدين أيمن منصور: تحليل جغرافي لتواجد الكزرد في دول الجوار (دراسة في الجغرافية السياسية)، مجلة جامعة رابارين، مج. 7، ع. 4، العراق، ديسمبر 2020م.
- 16- مرفات كوما أبدلا: الدخيل العربي في اللغة الأرمنية، مجلة الدراسات العربية الأوراسية، ع. 3، جامعة قازان الروسية، روسيا، نوفمبر 2018م.
- 17- هاني عبد الهادي البشير: مدينة دمشق في القرنين السابع والثامن للميلاد في ضوء حولية الراهب البيزنطي ثيوفانيس، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، مصر، أبريل 2019م.
- 18- هدى محمد محمد تونسي: الإطار الجغرافي لمناطق الثغور والعواصم في العصر العباسي الأول (132-232هـ/750-847م)، مجلة بحوث الشرق الأوسط، ج. 2، ع. 29، مصر.
- 19- عادل هاشم علي: الدولة الميديية (745ق م—550ق م) أول إمبراطورية في تاريخ إيران القديم، مجلة دراسات إيرانية، ع. 13، 19-09-2019م.
- 20- الجنابي قيس حاتم هاني: محاضرات في تاريخ إيران القديم، جامعة بابل، العراق، (د/ت).

ثامنا : المقالات الأجنبية

- 1- Augé Isabelle : Le catholicos arménien pendant la période cilicienne, ds : Cahiers de civilisation médiévale, n 52, centre d'études supérieures de civilisation médiévale, université de Potiers, France, 2009.
- 2- Tournebize (F.) : Histoire politique et religieuse de L'Arménie, Revue de l'Orient Chrétien, 9^e année, Librairie A. Picard et fils, Paris, 1904.
- 3- Vardanyan A. The position of Armenian Ministers during the first Arab invasions.

تاسعا : المؤتمرات والندوات العلمية

- 1- أرتور إسرائيليان: دور الوزراء الأرمن العظام في اقتصاد مصر الفاطمية، بحث مقدم في الندوة العلمية الدولية عن الاقتصاد بين العرب والأرمن، 29 مارس 2010م.

2- بولاديان آرشاك: أرمينيا في التاريخ العربي-الإسلامي، بحث مقدم في: الندوة الدولية للعلاقات الثقافية العربية-الأرمنية، منشورات مركز الدراسات الأرمنية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 16 مارس 2009م.

3- _____: نظرة حول العلاقات الأرمنية-العربية التجارية في الخلافة العربية، بحث مقدم في: الندوة العلمية الدولية عن الاقتصاد بين العرب والأرمن، منشورات مركز الدراسات الأرمنية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 29 مارس 2010م.

4- العبد الله عبد الله شاهر: الاقتصاد بين العرب والأرمن، بحث مقدم في: الندوة العلمية الدولية عن الاقتصاد بين العرب والأرمن، 29 مارس 2010م.

5- فايز نجيب اسكندر: سبيوس Sébeos- المؤرخ الأرمني المعاصر للفتح الإسلامي لأرمينية- وصورة الآخر، الندوة الدولية للعلاقات الثقافية العربية-الأرمنية، مركز الدراسات الأرمنية، القاهرة، 2009م.

6- كجو غسان: حركة المثاقفة الأرمنية العربية ودور الأرمن في حركة النهضة العربية، بحث مقدم في: الندوة الدولية للعلاقات الثقافية العربية-الأرمنية، منشورات مركز الدراسات الأرمنية، 16 مارس 2009م كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2009م.

7- ندوة حول: تطور الخط العربي على المسكوكات الإسلامية والعمائر والفنون التطبيقية، الإشراف: صالح بن قربة، مخبر المخطوطات-جامعة الجزائر، الجزائر، 2020م.

عاشرا : القواميس والموسوعات والأطالس العربية

1- دائرة المعارف الإسلامية: تر. محمد ثابت الفندي وآخرون، مكتبة محمد حسين هيكل، القاهرة، 1933م.

2- دورلنغ كندرلي: الموسوعة الشاملة الأرض وتضاريسها، تر: عماد الدين أفندي، دار الأصالة للثقافة، ط. 1، الجزائر، 2015م.

3- الزركلي خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط. 17، بيروت-لبنان، 2007م.

4- طهوب صلاح: موسوعة التاريخ الإسلامي العصر الأموي، دار أسامة، الأردن، 2009م.

- 5- عزام خالد: موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العباسي، دار أسامة، الأردن-عمان، 2009م، ص. 93.
- 6- قبيسي حسان: معجم الأعشاب والنباتات الطبية، دار الكتب العلمية، ط. 6، بيروت-لبنان، 2004م.
- 7- الكاتب سيف الدين: أطلس تاريخ العرب والإسلام، دار العزة والكرامة، ط. 4، الجزائر، 2010م.
- 8- مارشال جوردون: موسوعة علم الاجتماع، تر. محمد الجوهري وآخرون، المركز المصري العربي، مصر، ط. 2، 2007م.
- 9- مجموعة من الباحثين: موسوعة عالم الأديان، Nobilis، ط. 2، بيروت، 2005م.
- 10- محاسيس نجاهة سليم محمود: معجم المعارك التاريخية، دار زهران، ط. 1، عمان-الأردن، 1432هـ/2011م.
- 11- محمد الجابري: موسوعة دول العالم حقائق وأرقام، مجموعة النيل العربية، ط. 1، القاهرة، 2000م.
- 12- محمد عبد الرحيم، شفا فخرية، الغزالي ناهدة محي الدين: الموسوعة الجغرافية، دار الراتب الجامعية، ط. 1، بيروت-لبنان، 2004م.
- 13- الموسوعة الشاملة الأرض وتضاريسها: تر: عماد الدين أفندي، دار الأصالة للثقافة، الجزائر، ط. 1، 2015م.
- 14- الموسوعة العربية: هيئة الموسوعة العربية، دمشق، 1998م.

إحدى عشر : القواميس والموسوعات الأجنبية

- 1- CANARD (Marius): article « Arminiya » dans : Ency,Is l, E. J. Brill,Leiden,1986.
- 2- Livingstone (E. A.): The oxford dictionary of the christian church, oxford university press, New York, 1997.
- 3- Touati (F. O.) : Vocabulaire Historique du moyen age, la boutique de histoire, Paris, 1995.

الفهارس

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الموضوعات

فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحات
أبا شيخ بن عبد الله الغنوي	-96
ابراهيم بن عاصم العقيلي	-202
ابن النديم	-14
ابن حوقل	-166-159-151-150-147-75-38-36-35-19
أبو الحسن علي بن محمد بن منصور الأرجنشي	-119
أبو العباس السفاح	-231-206-107
أبو المعز بن موسى بن زرارة	-310
أبو النصر المنازي	-119
أبو بكر الصديق	-176-72
أبو جعفر المنصور	-210-209-206-191-130-128-108-107
أبو علي القالي	-167-119
أبو مسلم الشاري	-231
أبي براء عنسية بن بحر الأرمني	-16
أبي بكر أحمد بن هارون البرديجي البرذعي	-14
أبي عبيدة معمر بن المثنى الباجراواني	-14
أحمد شريف	-9-7
أديب السيد	-26
آرام تير غيفونديان	-65-14-9
ارتقازد المامكوني	-130
أردافاست	-302-220
أرسطاكيس	-346
استرابون	-44
استراتيجوس	-185
إسحاق العقيلي	-231
إسحاق بن إبراهيم بن مصعب	-236
إسحاق بن إسماعيل	-240-238-180-159-158
إسحاق بن مسلم	-106
إسماعيل بن سليمان	-241
أسوليك	-37-22-21
أشوط الأول البقراطوني	-344-317-242-8
أشوط البقراطوني	-194-127-114-112
أشوط بن فاساك البقراطوني	-127
أشوط بن فرزدیروتس البقراطوني	-212
الاصطخري	-163-154-151-147-118-38
الأقشين	-236-175-174
أنوشروان	-164-163-162-157-156-155-154-153-150-145-143-141-140-139
أواديك ساهاكيان	-319
بابك الخرمي	-237-236-235-234-180-174-110
بدر الجماني	-314
بدر الدجى (قطر الندى)	-309
برثلماس	-49
بردك الفارسي	-202
برمك بن عبد الله الديبلي	-16

-183	بروكوب
-242-227-226	بغا الشرايبي
-111	بغا الكبير
-223	بقراط بن أشوط
-161-141-139-125-122-115-111-109-99-94-92-91-75-70-15-14 -206-190-171-165	البلاذري
-46	بيل
-143	بيلقان بن أرمني بن لنطي بن يونان
-23	توماس أرنزروني
-304-303-284-183-126-82-81-79-78-27	تيودور الرشتوني
-229-228	ثابت بن نعيم الجذامي
-198	ثبيت النهراني
-49	ثداوس
-167	ثيودوس الثاني
-200-97-23	ثيوفانيس
-236	ثيوفيلوس بن ميخائيل
-201-200-199-198-174-101-100	الجراح بن عبد الله الحكمي
-51-50-49	جريجور المنور
-212-197-126-114-85	جريجور ماميكونيان
-100	جندزاقس
-120-27	جورج بورنوتيان
-27	جوزيف لورون
-218-212-186-94	جوستنيان الثاني
-136-63-62	جوستنيان الأول
-37-22	جون كاثولييكوس
-219-217-216-215-185-182-80-79-75-37-21	جيفوند
-100	الحارث بن عمرو
-165-164-162-161-158-157-153-125-117-116-92-91-80-77-76-70 -304-303-289-280-196-184-167	حبيب بن مسلمة الفهري
-119	حداد بن عاصم النشوي
-141	حذيفة بن اليمان
-239-110	الحسن بن علي الباذغيسي
-222-220-219-143-130-108	الحسن بن قحطبة الطائي
-210	حيون بن النجم بن هاشم
-175-173-172	خالد بن يزيد بن مزيد
-235	خزيمة بن خازم
-320	دافيد الساسوني
-50	درطاد الثالث
-47	ديكران الثاني
-297-195-176	الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
-27	روني جروسي
-29-10	زكية كربال
-54	سأهاك
-336-182-74-37-23-20	سبيوس
-282-195	سراقة بن عمرو
-210	سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي
-203-202-201-174-102-101	سعيد بن عمرو الحرشي

-287-281-196-156-151-91-77	سلمان بن ربيعة الباهلي
-189-99	سليمان بن عبد الملك
-218-215	سمباط بن آشوط
-213-212	سمباط بن فرزدروتس البقراطوني
-241	سودة بن عبد الحميد الجحافي
-15	سيف بن عمر
-168	شمشاط بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام
-195	شهربراز
-26	صابر محمد دياب حسين
-107	صالح بن صبيح
-24	صلاح الدين أمين طه
-92	صلة بن زفر العبسي
-21	صموئيل أنتسي
-230-106	الضحاك بن قيس الشيباني
-215	طاربون
-241	ظاهر الصنعاني
-234-229-210-209-178-175-172-108-107-105-104-103-99-18	الطبري
-106	عاصم بن عبد الله
-221	عامر بن إسماعيل الحارثي
-205	عبد الرحمن الغافقي
-196-195	عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي
-119	عبد الرحمن بن يحيى الديبلي
-99-93	عبد العزيز بن حاتم بن النعمان
-309	عبد الكبير بن عبد الحميد الخطاب العدوي
-94	عبد الله بن الزبير
-93	عبد الله بن حاتم
-106	عبد الله بن مسلم
-217-213-211-197-180-130-95-94	عبد الملك بن مروان
-93	عبدة بن قيس
-281-75	عثمان بن أبي العاص
-188-96-94	عثمان بن الوليد
-162-158-157-151-141-116-92-85-84-77-76-70	عثمان بن عفان
-143-99	عدي بن عدي بن عميرة الكندي
-232-180	عطا الموكنا
-224-112	العلاء بن أحمد
-92	علي بن أبي طالب
-240	علي بن الجهم
-111	علي بن الحسين بن سباغ القيسي
-14	علي بن محمد المدائني
-307-193-112	علي بن يحيى الأرمني
-302-283-282-181-142	عمر بن الخطاب
-342-305-100-99	عمر بن عبد العزيز
-188	عمر بن هبيرة
-97	عمرو بن الصدي الغنوي
-169-166-75	عياض بن غنم
-119	عيسى بن إدريس بن معقل
-241-110	عيسى بن محمد بن أبي خالد

-215	فارد بن تيودور الرشتوني
-25	فاطمة بوعمامة
-14	فرانز روزنثال
-20	فريدريك ماكلير
-209-173-171-109	الفضل بن يحيى البرمكي
-92	القاسم بن ربيعة
-167	قالي
-309	القائم بأمر الله
-145-142-140-138	قباذ بن فيروز
-310	قرة العين (أرجوان)
-204-192	قسطنطين الخامس
-339-183	قسطنز الثاني
-336	كاكيك الأول البقراطوني
-318	كوميداس الأول
-204	ليو الأيسوري
-23	ليو الرابع
-186	ليونتيوس
-284-239-238-110-14	المأمون
-240-223-193-159-157-153-111-15-14	المتوكل على الله
-208	محمد النفس الزكية
-16	محمد بن إسماعيل
-16	محمد بن بشر القالي
-231	محمد بن صول
-240	محمد بن عبد الواحد التميمي
-238-180	محمد بن عتاب
-311	محمد بن عمران
-218-217-215-214-213-197-188-130-100-98-97-96-95	محمد بن مروان
-36-26-25-9-7	محمد زرقوق
-21	مختيار أيريفانتسي
-326	مختيار هيراتسي
-228-213-205-178-175-171-114-106-105-104-103-102	مروان بن محمد
-230	مسافر بن كثير القصاب السبياني
-204-203-200-199-198-189-171-142-118-102-101-98-97	مسلمة بن عبد الملك
-10	مصطفى كاظم البغدادي
-94	مصعب بن الزبير
-303-284-189-183-173-126-117-116-114-93-92-84-81-80-27-21-8 -336-304	معاوية بن أبي سفيان
-237	المعتصم بالله
-191-174-110	المعتصم بالله
-100	معلق بن صفار
-92	المغيرة بن شعبة
-166-163-151-146-144-139-43-38	المقدسي
-240	موسى بن زرارة
-310	موسى بن زرارة
-226	موسى بن زرارة
-143	موسى عليه السلام
-220	موشيف مامكونيان

-192-126	موشيل ماميكونيان
-75-24	ميخائيل السرياني
-54	ميسروب ماشتوتس
-96	نبيح بن عبد الله العنزي
-83-81	نرسييس الثالث
-23	نقفور الأول
-45	نوح عليه السلام
-306-233-232-231-211-186-127-118-114-109-14	هارون الرشيد
-45	هايك
-184-68	هرقل
-203-201-199-175-174-101	هشام بن عبد الملك
-342	هوفهانيس
-44	هيودوت
-126	وارطان ماميكونيان
-180	الوليد بن طريف
-198-189-98-97	الوليد بن عبد الملك
-105-104	الوليد بن يزيد بن عبد الملك
-45	يافث
-238	يحي بن سعيد
-215	يرغون
-140	يزدجرد بن بهرام
-238-207-206-193-118-108	يزيد بن أسيد السلمي
-199-198	يزيد بن عبد الملك
-233-232	يزيد بن مزيد الشيباني
-100-93	يزيد بن معاوية بن أبي سفيان
-175-136-120-43-38-17-16	اليعقوبي
-223	يوسف المروزي
-263	يوسف بن أبي الساج
-226-225-224-111	يوسف بن محمد بن يوسف المروزي

فهرس الأماكن والبلدان

الأماكن والبلدان	الصفحات
الإبسيق	-185
إتشميازين	-51
أذربيجان	-289-268-235-234-203-201-198-197-171-139-109-103-102-101-99-98-92-90-40-39-34
آارات	-248-247-222-220-218-49-38
أران	-251-240-235-227-161-156-155-154-148-147-139-138-137-136-135-134-123-119-40-39 -309-283
أرتاز	-38
أرتانوج	-277
أرجيش	-222-169-166-136-134
أرداز	-183
أردبيل	-202-201-101
أردشاط	-279-264-163-134
أرزن الروم	-295-278-226-216-170-134
الأرمينياك	-185
أرمينية	-41-40-39-38-37-34-32-31-30-28-27-26-25-24-22-21-19-17-16-14-13-12-11-10-9-8-7-6 -97-96-95-94-93-92-91-90-89-88-87-86-82-78-76-74-66-61-57-56-54-53-48-46-44-43-42 -121-120-119-118-117-116-115-112-111-110-109-108-107-106-105-103-102-101-99-98 -171-170-169-168-167-163-159-153-152-147-137-136-135-134-133-129-127-124-123-122 -214-211-209-208-206-204-203-201-199-198-191-190-189-187-182-181-180-177-176-175 -278-275-271-258-257-256-251-250-248-247-245-244-243-239-238-236-234-232-226-221 -340-339-336-335-324-321-320-309-306-298-297-294-293-292-291-290-289-284-283-279 -354-353-352-351-350-348-344-343
أرمينية الأولى	-137-135-134
أرمينية الثالثة	-165-161-137-135-134
أرمينية الثانية	-137-135-134
أرمينية الرابعة	-281-169-165-137-136-135-134
أرمينية الصغرى	-37-36-35-26-25-11
أرمينية الكبرى	-37-36-35-27-11
الإسكندرية	-23
أسيا	-32
آسيا الصغرى	-185-36
الأندلس	-19
أنطاكية	-23
أوذ	-156-134
أوروبا	-32
باب الأبواب (دربند)	-207-204-203-198-164-157-153-150-146-145-144-142-141-140-139-136-134-98-97-78-76 -310-309-288-282-270-265-252-209
باب اللان	-292-199-156-122-41
باب آني	-162
باب بارقة	-157
باب تغليس	-162
باب سمسخي	-156
باب شمشلدى	-156
باب فيروز قباذ	-157-135

-162	باب كيدان
-157	باب لازقة
-230-146	باجروان
-257-169-137-136-134-77	باجنيس
-20	باريس
-161	بازليت
-220	باكافان
-258-155-134	باكوه
-23	بحر البروبونتس (بحر مرمرة)
-194-153-150-142-46-44-42-41-35-33	بحر الخزر (قزوين)
-277-156-136-67-44-41-33	بحر بنطس (الأسود)
-316-257-165-46-42	بحيرة أرجيش (وان)
-63-46	بحيرة أروميا
-44	بحيرة أورال
-42	بحيرة سيفان
-273-269-240-216-169-134-38	بدليس
-236-235	البذ
-281-269-252-222-201-164-152-150-146-139-136-135-134-122-106-100-93-91-78	برذعة
-150-134	برزنج
-174-160-134	برزند
-164-134	بركري
-38	بزيونيك
-276	بغداد
-319-19	بغداد
-165-135-134-77-38	بغراوند
-135-134	بغروند
-289-254-234-232-197-170-117-116-106-104-102-98-40-39-33-19	بلاد الجزيرة الفراتية
-292-277-275-103-33	بلاد الخزر
-33	بلاد الروس
-136	بلاد الروم
-117-116-40-33-27-21-20-19	بلاد الشام
-38	بلاد الطاييك
-282-206-44-34-32-31	بلاد القوقاز
-347-310-289-277-157-156-134-40-39-38-35-34	بلاد الكرج
-153	بلاد اللکز
38	بلاد ألوانك
-38	بلاد سيونيك
-296-19	بلاد فارس
-156	بلنج
-23	بيت المقدس
-196	البيضاء
-309-281-247-232-230-222-202-142-139-136-134-122-93-78	البيلقان

-309-280-259-248-247-240-239-238-160-159-158-157-136-135-134-77-64-63	تقليس
-166-136	تيودوسيوبوليس
-38	جارني
-269	جرجان
-275-240-238-227-180-158-157-136-135-134-77	جرزان
-38	جزيرة الثامار
-248-149-148-134	جنزة
-161	جوارح
-38	جوجثن
-105	حزان
-271-221-201	خرسان
-253-221-216-178-170-169-166-137-136-136-134-104-77	خلائط
-160-134	خنان
-268-42	الدجلة (نهر)
-218	دراشبيت
-305-214-101	دمشق
-194	الدينبيير (نهر)
-295-279-274-270-265-264-164-163-162-137-135-134-124-83-77-38	دوين (دبيل)
-138	الدينور
-268-142-138-42-35	الريس (نهر)
-174	سامراء
-162	سأهينوس
-240	سر من رأي
-164-137-135-134-77	سراج طير
-38	سفهاكان جند
-19	السند (نهر)
-227-161-137-136-135-134	السيسجان
-282-247-144-139-134-78	الشابران
-282-270-155-150-144-143-139-134-123-78	شروان
-199-150-139-134	شكي
-270-154-150-134	شماخي
-168-135	شمشاط
-161-152-134-78	شمكور
-277	شوروخ (نهر)
161	شويشت
-138	البلاسجان
-239-161-137-135-134-123	صغدبيل
-287-241-165-127-38-20	الطارون
-269	طبرستان
-277	طرايزنده
-38	طرايزون
-316-296-268-254-251-148-116-94-20-19	العراق
-281-227-162-161-136-135-134-128-80-77-38	الفاسبوركان (البسفرجان)
-46-42	الفرات (نهر)
-118-73	فلسطين
-194	الفولقا (نهر)

-309-279-273-271-261-222-221-191-190-167-166-136-135-134-123-117-116-96-77-71-64	قاليقلا (كارين)
-136	قبادوقية
-135	قباد
-253-248-247-145-139-135-134-78	قبلة
-333-189-188-70-67-51-23	القسطنطينية
-161-156-134	قلعة الجردمان
-162	قلعة كلاب
-155-139-134	القمبيران
-326-36	قيليقيا
-185	الكاراباسيني
-270-158-150-142-138-42-35-34	الكر (نهر)
-153-134	كركر
-153-134	كسال
-161	كستسجي
-161	كسفريس
-38	كوجوفيت
-277	كولشيد
-135	اللكز
-281-153-139-134-123-115-78	مسقط
-308-73-26-14	مصر
-94	مكة
-165-134	مكس
-241-180-168-134-118	ملازكرد
-136	ملطية
-272	الموصل
-170-134	ميافارقين
-185	الناطيلق
-309-163-135-134-93-77	النشوى
-134-38	نقجوان
-36	هاليس (نهر)
-254	الهند
-165-134	وان
-202	ورثان
-38	يرفان

فهرس الموضوعات

6	مقدمة.....
30	الفصل الأول: الجغرافيا والتطور التاريخي لأرمينية.....
32	1- الإطار الجغرافي لأرمينية.....
41	2- تضاريس أرمينية.....
43	3- أصل الأرمن.....
49	4- انتشار المسيحية وظهور الأبجدية الأرمينية.....
56	5- خضوع أرمينية للساسانيين والروم 429-640م.....
57	أ_ أرمينية الساسانية
61	ب- أوضاع أرمينية الروم.....
66	6- الفتوحات الإسلامية لأرمينية 19-41هـ/640-661م.....
66	أ- دوافع الفتح الإسلامي لأرمينية.....
74	ب- الفتح الإسلامي لأرمينية.....
88	الفصل الثاني: النظام السياسي والاجتماعي.....
89	1- التنظيم السياسي.....
90	أ- ولاية أرمينية في العهد الإسلامي.....
92	- الولاية الأمويون في أرمينية.....
106	- الولاية العباسيون في أرمينية.....
113	ب- الأمراء والملوك.....
116	2- استقرار القبائل العربية في أرمينية.....
121	3- التنوع الإثني في أرمينية إبان الحكم الإسلامي.....
121	أ- الأكراد.....
122	ب- الفرس.....
125	ج- اليهود.....
125	4- طبقات المجتمع الأرمني في ظل الحكم الإسلامي.....
125	أ- العائلات الحاكمة.....
126	الأسرة الماميكونية.....

127.....	الأسرة البقراطونية.
128.....	الأسرة الأرذرونية.
128.....	الأسرة الأنترفاتسية.
129.....	ب - الإقطاعيون.
131.....	ج - الأحرار.
131.....	د - الفلاحين.
132.....	هـ - العبيد.
134.....	الفصل الثالث: التنظيم الإداري في أرمينية الإسلامية.
135.....	1- أقسام أرمينية إبان الحكم الإسلامي.
138.....	أ- أرمينية الأولى: بلاد أران.
	- مدينة باب الأبواب - مدينة البيلقان - مدينة شروان - مدينة الشابران - مدينة قبله -
	مدينة باجروان - مدينة برذعة - مدينة جنزة - مدينة بَرَزْنَج - مدينة شَكِّي - مدينة شمكور
	- مدينة مسقط - مدينة كَسَال - مدينة كركر - مدينة شماخي - مدينة بَاكُوَه - مدينة
	القَمِيرَان - مدينة أُوذ
156.....	ب- أرمينية الثانية: بلاد الكرج.
	- مدينة تقليس - مدينة بَرَزَنْد - مدينة خان - قلعة الجَرْدَمَان - مدينة صُغْدِيل
161.....	ج- أرمينية الثالثة: السيسجان والبسفرجان.
	- مدينة دُبِيل - مدينة أردشاط - مدينة النشوى - مدينة بركري - مدينة سِرَاج طَيْر - مدينة
	وان - مدينة مَكْس - مدينة بَغْرَوْنْد
165.....	د- أرمينية الرابعة: مقاطعة طارون.
	- مدينة خِلَاط - مدينة قاليقلا - مدينة شَمَشَاط - مدينة ملاذكرد - مدينة أرجيش -
	مدينة بَدْلِيس - مدينة بَاغْنِيس - مدينة أَرَزَنْ الروم - مدينة مَيَّافارقين
170.....	2- الدواوين والمؤسسات الإدارية الإسلامية.
170.....	أ- ديوان بيت المال.
173.....	ب- ديوان الخراج.
173.....	ج- ديوان البريد.
175.....	د- ديوان الجند.

176.....	هـ - نظام القضاء
177.....	و- نظام الحجابة
180.....	الفصل الرابع: تحديات التواجد الإسلامي في أرمينية
181.....	1- الصراع الإسلامي-الرومي على أرمينية
182.....	أ- أرمينية بين المسلمين والروم 19-40هـ/640-660م
186.....	ب- الصراع الأموي-الرومي في أرمينية 41-132هـ/661-750م
190.....	ج- النزاع العباسي-الرومي على أرمينية 132-271هـ/750-885م
194.....	2- الصراع الإسلامي-الخرزي على أرمينية
195.....	أ- المعارك الإسلامية-الخرزية في العهد الراشدي 22-40هـ/642-661م
197.....	ب- الحروب الأموية-الخرزية 41-132هـ/661-750م
	ج- المواجهات العباسية-الخرزية 132-271هـ/750-
206.....	885م
211.....	3- ثورات الأرمن ضد الحكم الإسلامي
211.....	أ- تمرد البطارقة على الخليفة عبد الملك بن مروان
219....	ب- تمرد البطارقة على والي الحسن بن قحطبة 157-158هـ/774-775م
223.....	ج- خروج البطارقة على والي يوسف المروزي 237هـ/852م
228.....	4- الحركات المناهضة للحكم الإسلامي في أرمينية
228.....	أ- ثورة ثابت زعيم القبائل اليمنية 126هـ/743م
230.....	ب- ثورة الخوارج في أرمينية 132هـ/750م
231....	ج- ثورة القبائل العربية في البيلقان 170هـ/786م
232.....	د- حركة عطا الموكنا 176هـ/792م
233.....	هـ- ثورة الخوارج بقيادة الوليد بن طريف 178هـ/794م
234.....	و- حركة بابك الخرمي 192هـ/807م
ز -	ثورة محمد بن عتاب في
238.....	جرزان
238.....	د- حركة إسحاق بن إسماعيل في جرزان 193هـ/809م
241.....	ط- ثورة الإمارة القيسية في مدينة ملازكرد

244.....	الفصل الخامس: الأوضاع الاقتصادية في أرمينية في ظل الحكم الإسلامي.....
245.....	1- الإنتاج الزراعي.....
251.....	2- الثروة الحيوانية.....
255.....	3- المعادن والطاقة.....
259.....	4- الحرف والصنائع.....
267.....	5- النشاط التجاري.....
267.....	أ- الطرق التجارية الأرمينية.....
274.....	ب- الأسواق.....
276.....	ج- الحركات التجارية في أرمينية.....
279.....	6- الموارد المالية.....
280.....	أ- الجزية.....
287.....	ب- الخراج.....
291.....	ج- الزكاة وضرائب المعادن والمرور.....
293.....	7- الرخاء الاقتصادي في أرمينية على ضوء المصادر الإسلامية والأرمينية.....
296.....	8- صناعة النقود الإسلامية في أرمينية.....
300.....	الفصل السادس: العلاقات الإسلامية-الأرمينية 41-271هـ/661-885م.....
301.....	1- العلاقات السياسية.....
308.....	2- الروابط الاجتماعية.....
316.....	3- العلاقات الاقتصادية.....
317.....	4- العلاقات العلمية والثقافية.....
331.....	5- العلاقات الفنية.....
337.....	6- الكنيسة الأرمينية في ظل الحكم الإسلامي.....
350.....	خاتمة.....
355.....	الملاحق.....
356.....	الوثائق.....

362.....	الولاية والأمراء
364	الخرائط
368.....	الصور
373.....	قائمة المصادر والمراجع
395.....	الفهارس
396.....	فهرس الأعلام
401.....	فهرس الأماكن والبلدان
405.....	فهرس الموضوعات
410.....	الملخص

1- باللغة العربية

يسعى هذا البحث إلى دراسة تاريخ التواجد الإسلامي في أرمينية، بين سنتي 41-271هـ/661-885م، بداية من الفتح الإسلامي للمنطقة إلى غاية استقلالها عن الخلافة العباسية. حيث تطرق إلى التنظيم السياسي والإداري والاجتماعي لهذا الإقليم في ظل الحكم الإسلامي، والتركيز على أهم التحديات التي واجهها الولاة المسلمون على الإقليم، ولعل من أشدّها خطورة صراعاتهم مع إمبراطورية الروم المنافسة لهم على مناطق النفوذ. وتمّ تسليط الضوء أيضا على الأوضاع الاقتصادية في أرمينية خلال الفترة المذكورة، وينتهي البحث بالتعرّض إلى طبيعة العلاقات الإسلامية-الأرمينية، والتي بدأت بالجانب العسكري والسياسي، ثم تطوّرت مع مرور الوقت في ظل التعارف المتبادل والتمازج الفكري والحضاري بين الطرفين، رغم الاختلاف الديني واللغوي.

الكلمات المفتاحية: أرمينية، المسلمون، الروم، هجرة القبائل العربية، الازدهار الحضاري، التسامح الديني.

2- باللغة الإنجليزية

This research seeks to study the history of the Islamic presence in Armenia, between the years 41-271AH/661-885AD, beginning with the Islamic conquest of the region until its independence from the Abbasid Caliphate. It touched on the political, administrative and social organization of this region under the Islamic rule, and focused on the most important challenges faced by the Muslim rulers of this region, perhaps the most serious of which was their conflicts with the Roman Empire, which competed with them over areas of influence. Light was also shed on the economic conditions in Armenia during the aforementioned period, and the research ends with an examination of the nature of Islamic-Armenian relations, which began with the military and political aspects, and then developed over time in light of mutual acquaintance and intellectual and cultural blending between the two parties, despite the religious and linguistic difference.

Keywords: Armenian, Muslims, Rome, migration of Arab tribes, cultural prosperity, religious tolerance.